
الكتاب الثالث
بقلم
ابراهيم صبري معوض
من تراث
وتاريخ حياة القديس أثناسيوس
الرسولى فى ذكرى اليوبيل العالمى
لمرور ستة عشر قرنا على
نياحته وارجاع رفاته إلى وطنه
www.christianlib.com



دائرة المعارف القبطية الأرثوذكسية
٧٠ شارع القبيسى بالظاهر القاهرة
تأسست فى ١ توت ١٦٧٥ ش الموافق ١١ سبتمبر ١٩٥٨

من تراث وتاريخ حياة القديس أثناسيوس الرسولى فى ذكرى اليوبيل العالمى لمرور ستة عشر قرنا على نياحته وارجاع رفاته إلى وطنه

الكتاب الثالث

بقلم

ابرهيم صبرى معوض
بكالوريوس عالى فى اللاهوت
ودبلوم خاص فى الخدمة الاجتماعية
بكالوريوس فى التجارة والمحاسبة

اسم الكتاب : من تراث وتاريخ حياة القديس أثناسيوس الرسولى فى ذكرى اليوبيل العالمى لمرور ستة عشر قرنا على نياحته وارجاع رفاته الى وطنه .

عنوان الكتاب : دائرة المعارف القبطية — تأسست سنة ١٩٥٨ التصديق الرسمى لدار الكتب والوثائق القومية ، ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٦٣ والشهر العقارى بالقاهرة ، ١٩٦٩/١٠٣٥ ، ١٩٨٠/٦٢٨

اسم المؤلف : ابراهيم صبرى معوض سعد .
العنوان : ٧٥ شارع القبيسى بالظاهر . القاهرة . تليفون ٩٠٤١٧٨
الكتاب الثالث .
الطبعة الاولى : ١٩٩٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 00 - 4694 - 9
رقم الايداع بدار الكتب ٩٣/٣٠٧٨

المطبعة : مطبعة السلام (ايرينى للطباعة)
تليفون : ٦٤١٨٣٣
الثمن : ١٢م جنيه

الشعار : الالهة ساشات ، الهة الكتب والمكتبات والآثار عند قدماء المصريين تحمل على رأسها نجمة الشعرى اليمنية ، والتى عند ظهورها سنويا بجزيرة الفنتين بأسوان فجر بداية فيضان النيل ، هذا اليوم يعيد فيه الاقباط ببداية رأس السنة القبطية — عيد النيروز ، وتحمل فى يديها سعفة نخل ، وتحصى سنوات حياة الانسان على الارض التى تمتد الى ملايين السنين .

وهى أول من اخترعت الكتابة المصرية القديمة ، فهى رمز لامتداد حضارة الاقباط منذ أقدم التاريخ . ويتخذ الصليب القبطى شكل عنخ ، علامة الحياة والكتاب المقدس الذى بشر به القديس مارمرقص أرض مصر . يحيط بكل ذلك مجموعة سنابل القمح التى ترمز الى الخير والمحبة التى تعم أرض مصر .



البابا القديس أثناسيوس الرسولى — البابا العشرون من باباوات كنيسة الاسكندرية ٢٩٨ — ٣٧٣ م بطل الارثوذكسية — وحامى الايمان المسيحى حبيب المسيح — أبو المسكونة كلها .



حضرة صاحب القداسة والغبطة البابا البطريرك
الأنبا شنودة الثالث البابا ١١٧ من بطاركة الكرازة المرقسية

مقدمة

هذا هو الكتاب الثالث من تراث القديس أثناسيوس ، الصـــــادر عن دائرة المعارف القبطية ، ونود بداية أن نوضح ناحيتين ، الناحية الاولى أن هذه المجموعة تعتمد أساسا فى نشرها على نصوص كثيرة من المخطوطـــات القبطية النادرة لميامر هذا القديس .

ونحن لا نعيد نشر النصوص التى سبق نشرها فى مصر أو فى الخارج ، الا اذا احتوت على مبادىء لاهوتية تتعارض مع مبادىء اللاهوت الارثوذكسى ، تنسب زورا الى القديس أثناسيوس ، فننشر نص ميامر أثناسيوس بالكامل حسب النص القبطى ، وبذلك تعد هذه المجموعة للقديس أثناسيوس وثيقة نادرة ، لا يستغنى عنها قبطى أرثوذكسى .

ومن ناحية النصوص المزورة والمترجمـــــة والتى تنسب للقـــديس أثناسيوس ، وبعد دراسة بعضها عرضنا الامر على حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الانبا اغريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا والثقـــافة القبطية والبحث العلمى ، لأخذ رأيه لمواجهة هذا الخطر فأرسل لنا خطابه المؤرخ فى ١٩٨٨/٤/١٧ فقال « اننى أكتب لك هـــــذا الخطاب فرحا بك ولأحييك على يقظتك ، واستمساكك بالايمان الارثوذكسى ، ودقة صـــياغة تعبيراته اللاهوتية ، فهو القديس اللاهوتى الموهوب الذى استوعب الايمان الارثوذكسى وعبر عنه بكل دقة . ان مذكرتك قرأتها أكثر من مرة ، ولـــكنى بعد أن قرأتها مجددا رأيت أن اكتب لك معبرا عن سرورى بغيرتك ، وبدقة تعبيراتك الخ » . ومرفق نص الخطاب .

وقد أوضحنا فى هذا الكتاب ضمن الدراسات المقدمة خرائط وصـــور نادرة ، بعضها ينشر لأول مرة فى العالم . وان كنا فى كتبنا السابقة قد امتنعنا عن نشر الكثير خوفا من السرقات الادبية ، لكن بعد صدور قانون حق المؤلف رقم ١٩٩٢/٣٨ ننشر كثير من الوثائق الهامة ، حيث أن هذا القانون أصـــبح حماية أكيدة لحقوق المؤلفين .

وسبق أن قدمنا فى كتبنا السابقة النص الكامل لرسالة القديس أثناسيوس الى القديس أدلفيوس الاسقف المعترف أسقف الواحات ، ونشير أنه توجد نقوش كثيرة منقوشة على الحجارة لبعض الاديرة القديمة هناك تثبت أن القديس أثناسيوس ذهب اليها . وهناك نصوص أخرى تفيد وصول القديس الانبا أنطونيوس الى الفيوم الذى أسس بعض الاديرة هناك ، على أنقاض بعض المعابد الفرعونية ، وسبق أن عثرت احدى البعثات الامريكية بجدران بعض هذه الاديرة القديمة على برديات قدرت بنحو ثلاثين الف بردية والتى تعد ثلث البرديات الموجودة فى العالم ، كشفت كثيرا عن حياة الاقباط منذ القرن الاول الميلادى الى القرن الثالث ، وسوف تنشر صورة لاحدى هذه البرديات .

ولأول مرة فى تاريخ الكنيسة القبطية وفى العالم ، نكتب عن الاديرة والكاتدرائيات والمدن القبطية فى الصحراء الشرقية الموجودة بجبال ووديان وادى قنا . وسبق أن التجأ اليها القديس أثناسيوس ، وكثيرين من أساقفة مصر وقديسيها هربا من الاريوسيين ، أسس بها القديس الانبا أنطونيوس عشرات الاديرة والتى لا زالت أنقاضها موجودة حتى الآن ، لذأ سماه علماء الغرب بالقديس الانبا انطونيوس الطيبى أبو الرهبان ، وقد عثر ببعض كاتدرائياتها على نقوش محفورة بالجرانيت ، توضح صلة القديس الانبا أثناسيوس بالقديس الانبا أنطونيوس والقديس أمونيوس والقديس بفنوتيوس وديديموس والانبا ايسيدور الطبيب فى الفترة من عام ٣٤٥/٣٣٨ م ، وهى فترة الصراع الثانية والتى ذهب بسببها الى روما ، وهو موضوع هذا الكتاب .

والآثار القبطية الموجودة بهذه المنطقة النائية عن العالم ، توضح أن الاقباط الذين كانوا يعملون فى المناجم ومع كل الكوارث التى أحاطت بهم كانوا أكثر مدنية فى هذا العالم . ولوجود هذه المنطقة بجوار البحر الاحمر كانت توجد موانى قبطية ومنها ميناء تادرس الذى كانت الصلة بينها وبين كاتدرائية جبل أدريبة ، والذى سام فيه الاساقفة الاقباط القديس الانبا موسى اليمنى أسقفا على اليمن والذى كان يدعى بأسقف الخيام ، حينما كان القديس أثناسيوس فى روما . وكان ضمن الاساقفة الاقباط الانبا اسطفانوس مطران أبروشية الهند الكبرى والتى كانت تتكون من الهند واليمن وايران . وقد استمرت هذه الابروشية تابعة للكنيسة القبطية حتى نهاية القرن الرابع عشر ، ويلاحظ أنه عن طريق ميناء تادرس كان يدخل الرسل والقديسين والمبشرين بالمسيحية من الهند الكبرى الى مصر . وقد اهتم الانبا ثاوفيلس الذى كان كاتبا لاثناسيوس وأصبح بطريركا بعد ذلك بنقل رفاة كثير من الرسل

والقديسين من خارج مصـــــر الى دير الانبـــا شـــــنودة شرق أخميم ، ومنهـــم القــــديس ســــمعان القـــــانوى والقـــــديس برثلوماوس الرســـــول ، ويقـــــال أن منهـــم الثـــــلاثة فتيـــــة القديســـــين ، ذكر ذلك الاسقف والمؤرخ القبطى أبو الكارم ، ولو أن اميلينو شك فى وصول رفاة الثلاثة فتية ، ومع اهتمام كثيرين من علماء الغرب للبحث عن رفاة الرسل والقديسين ، فقد عثروا على توابيت كثيرة فى فلسطين ، من الحجارة عليها نقوش بأسماء الرسل والقديسين ، وكانت جميعها فارغة ، وضعت هـــذه التوابيت فى متحف فلسطين وقت الانتداب البريطانى .

وفى رحلاتنا داخل وديان هذه الصحراء ، وجدنا شـــــوارع معبدة بالجرانيت عرضها حوالى ١٢ متر ، استعملها الفراعنة واليونان والرومان فى نقل الاحجار والاعمدة الضخمة الى ميناء قنا ، ومنها الى الاسكندرية عن طريق النيل ثم الى الخارج ، صممت ونقشت بأيدى المهندسين الاقباط ، والتى شيد بها معبد البراثون والبارثينون .

وفى روما كتب أثناسيوس قصة حياة القديس الانبا أنطونيوس والانبا بولا ، غير النسخ التى سبق أن كتبها بتريف ، وسوف ننشر النص القبطى لهذين الميمرين بالكامل .

وســـوف ننشر كذلك قصـــة أقدم دير مســـيحى فى العالم وهـــو دير طمود ، والذى يقع مكان قصر يوسف الصديق فى منف ، حوله اليهـــود الى دير يهودى قبل دخول المسيحية ثم تحول الى دير مسيحى والذى عـــده القديس أثناسيوس ضمن الخمسين دير .

وحتى فترة قريبة كان اليهود يعدونه مزارا عالميـــا يحجون اليـــه فى يوم معين من السنة ، يستظلون تحت شجرة ضخمة هناك ، يعتقدون أنهـــا عصا موسى ، والتى أورقت فى هذا المكان ، هذا ما ذكره السلطان حسين كامل حينما كان ناظرا للمعارف ، وكان وكيله على باشا مبارك ، ذكر ذلك فى كتاب النخبة الوافية . وكان هذا المكان مفضلا عند بعض رؤساء الوزراء الاقباط ، يقيمون فيه ويديرون شئون مصر .

أما بالنسبة للناحية الثانية وهى المخطوطات وكتب التراث التى تركها جدى سعد ابراهيم والتى بسببها قد ازدادت شهرة مؤلفاتنا التى صـــدرت عن دائرة المعارف القبطية منذ عام ١٩٥٨ وحتى الآن ولمدة ٣٤ عام ، مما كان لهـــا الصدى العلمى والعالمى بل كان جـــدى رحمه الله كان أول من فـــكر باعدادها .



المرحوم سعد ابراهيم الصراف ١٨١٨ / ١٩٣٦

تنحدر أسرة المتنيح سعد ابراهيم من بلدة صنبو مركز أسيوط ، نزح منها والده ابراهيم سعد وعمه صليب سعد وعمل الاول باشكاتب بالدائرة السنية والثانى باشكاتب مديرية شبين الكوم ، واستقرا ببلدة فيشا الصغرى منوفية . وولد سعد ابراهيم بفيشا عام ١٨١٨ وتنيح عام ١٩٣٦ وكان يعمل صرافا حتى عام ١٩٢٨ بالاضافة الى هوايته فى نسخ واقتناء الكتب الخطية القبطية والتى يرجع بعضها الى ١٠٠٠ عام تقريبا ، وقد أهدى بعضها الى بطريركية الاقباط الارثوذكس ، وله تأشيرات فى بعض ما تركه بخطه ، والبعض الآخر وصل الينا . وقد أودعت كثير منها بمتحف جمعية التوفيق القبطية بأماكن عرض لائقة ، وأودع كثير منها هدية الى مكتبة معهد الدراسات القبطية . وللاسف لم نعثر عليها ، ولا ندرى الى أين نقلت .

وقد امتازت الاسرة بالتدين ، فتقلد كثيرون منهم بوظائف كهنوتية ، منهم المتنيح الانبا ثاوفيلس مطران كرسى منفلوط توفى عام ١٩٢٩ ، كان اسمه قبل الرهبنة ابراهيم وتخرج من مدرسة التوفيقية والتحق بالدير المحرق باسم

القمص أثناسيوس ، ذكره توفيق اسكاروس حين ذكره لرحلة البابا الانبا ديمتريوس لمحافظات الصعيد . والانبا باسيليوس رئيس دير الانبا بيشوى السابق وأخته المتنيحة الراهبة مريم رئيسة أديرة راهبات مصر القديمة وأخوهم المتنيح القمص روفائيل رئيس دير أبى مقار السابق ، ومن أفراد الاسرة المعلم حنا صليب الذى أسس النهضة التعليمية باثيوبيا ، تقلد وزارة المعارف بها ثم أصبح مستشارا بالمحاكم المصرية ، ومن أحفاده الاستاذ الدكتور سعد الفيشاوى الذى عمل بقلم قضايا هيئة الامم المتحدة .

وكان جدى رحمه الله معاصرا لجميع الحوادث التى جرت فى مصر ، فكر فى اصدار دائرة المعارف القبطية ، متشبها بما قام به الخديوى اسماعيل ، حين أصدر دائرة المعارف المصرية عام ١٨٦٩ بتكليف سليم الباقى واشراف البستانى بطبع ١٠٠٠ نسخة ببيروت عام ١٨٧٥ .

وكان فكرة اصدارها تنحصر فى نشر كل حقبة من حقبات التاريخ على حده . وقد عاون جدى فى هذا المشروع القمص روفائيل المقارى ، لكن بعض الافراد قاموا بطبع بعض الوريقات حسب الابجدية العربية فابتعدوا عن فكرة اصدار دائرة المعارف القبطية حسب حقبات التاريخ القبطى فهى أفضل الطرق ويمكن ترجمة التراث بعد ذلك . وبعد وفاة جدى قمت بتبنى تنفيذ ما سبق أن فكر فيه جدى فابتدأنا منذ عام ١٩٥٨ باصدار دائرة المعارف القبطية ، ثابتة الحقوق بما تم تحريره من محاضر رسمية صادرة من دار الوثائق القومية ومصلحة الشهر العقارى والتوثيق . وللاسف قام البعض بالاعتداء على عنوان مصنفنا بالمخالفة لأحكام القانون ١٩٥٤/٣٥٤ وتعديلاته بالقانون ١٩٩٢/٣٨ والذى ينص على حماية حق المؤلف وعنوان المصنف ومعاقبة المعتدى طبقا للمادة ٤٧ بالحبس والغرامة وتم عرض الامر على القضاء .

وكان اهتمام جدى وكثيرون من الاقباط بالتاريخ القبطى هو أنهم فوجئوا بصدور فرمان لاسماعيل باشا للبدء بالعمل بالشهور الافرنجية فى يوليو سنة ١٨٧٥ ، واتباع النظام الغربى للمقاييس والمكاييل والموازين فى ١٢ أغسطس ١٨٧٥ . فأبطلت التواريخ التى كانت مستعملة بالدواوين ونظم المقاييس التى كانت مستعملة فى مصر منذ عهد الفراعنة ، وقد استمر الاقباط لمدة تسعة أعوام منذ عام ١٥٩١ ش فى حالة تخوف خشية أن ينسى الاقباط تاريخهم ، الى أن قام تادرس شنودة المنقبادى بتأسيس جمعية حفظ التاريخ القبطى لغرض الاحتفاظ بذكرى السنة القبطية وشهورها ، واستمرت الدعوى لمبادئها فى جميع البلاد ، فأرسل الى جدى فى ٩ سبتمبر ١٨٨٦ قانون

الجمعية مطبوع وعليه خاتم أسيوط ، وأصبح من المشجعين لهذا المشروع بالوجه البحرى . وقد سلمت النسخة الاصلية لجمعيـــة التوفيق لحفظهـــا بمتحفها .

وكان جدى من المعمرين ، عاصر حفل افتتاح قناة الســـويس ، أورد بمذكراته أول ظاهرة فريدة لانفتاح الكنيسة القبطية على العالم الخـــارجى ، حين حضر الانبا ديمتريوس حفل افتتاح قناة السويس ضمن ملوك وأباطرة العالم الغربى يوم الخميس ٢١ أكتوبر ١٨٦٩ . وذكر بأنه قبل حفل الافتتاح طلبت الامبراطورة أوجينى بنفسها من الخديوى اسماعيل زيارة شجرة مريم والتفرج عليها فى المطرية ، فاستقبلها من أقباط المنطقة كاهن كنيسة مسطرد وجدى سعد ابراهيم يوم الاثنين ١٨ أكتوبر ١٨٦٩ ، وكانا يمتطيان كل منهمـــا صهوة جواده المزركش ، استقبلاها بحفاوة بالغة ، وحضـــرت حفل زواج أسرة قبطية ، وكان فى صحبتها حسين باشا اسماعيل ابن اسماعيل باشا ، وقد ترك جدى كثير من المراجع المعاصرة لهذه الفترة وتعد نسخ فريدة ووحيدة فى العالم .

وقد شجعنى مؤخرا لاستخراج هذه الكنوز لترى النور ابن عمى العزيز المهندس يونان فيهم سعد وزوجته الدكتورة سهير بديع سلوانس . وبالنسبة لمخطوطات جدى الموجودة بمتحف التوفيق سنطلب من جمعية التوفيق أن تضع اسم جدى سعد ابراهيم على قسم المخطوطات بدلا من اسم ابراهيـــم صبرى معوض سعد ، وسوف نقدم لهذا المتحف المزيد .

وانى أنتهز هذه الفرصة وأقدم خالص شكرى لغبطة البابا لصـــــلاته لنا ، ولحضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الانبا اغريغوريوس أســـــقف الدراسات العليا والثقافة القبطية ، ولسائر الاساقفة الاجلاء ، والاســـتاذ الكبير الدكتور ابراهيم فهمى هلال المحامى والاستاذ الدكتور وهيب جورجى كامل ولباقى زملائى الاكليريكيين .

ابراهيم صبرى معوض سعد

بطريركية الاقباط الارثوذكس
أسقفية الدراسات العليا والثقافة القبطية
والبحث العلمى
دير الانبا رويس — شارع رمسيس
العباسية — القاهرة
ت ٨٣٨٨٤٤

تلغرافيا : الأنبرويس بالقاهرة
القاهرة فى ١٩٨٨/٤/١٧
٩ برموده / ١٧٠٤

الابن العزيز الاكليريكى الاستاذ ابراهيم صبرى معوض

سلام ومحبة واعزاز وبركة من ربنا يسوع المسيح ، راجيا موفور الصحة .

اننى اكتب لك هذا الخطاب فرحا بك ، ولأحييك على يقظتك ، واستمساكك بالايمان الارثوذكسى ودفاعك عن ايمان اثناسيوس ، ودقة صياغة تعبيراته اللاهوتية ، فهو القديس اللاهوتى الموهوب الذى استوعب الايمان الارثوذكسى وعبر عنه بكل امانة ودقة .

ان مذكرتك قرأتها اكثر من مرة ، ولكنى بعد أن قرأتها مجددا رأيت أن أكتب لك معبرا عن سرورى بغيرتك ، وبدقة تعبيراتك .

وقد أثار ما كتبته ، أنت ، ذكرياتى عن مذكرة كتبتها للبابا البطريرك أدعو فيه الى تشكيل لجنة علمية على مستوى البطريركية لمراجعة الكتب الدينية قديمها وحديثها وتقديم تقرير واف عن كل منها ، والعمل على تصحيح كل تعبير خاطىء أو ينذر بخطأ فى المغزى أو المبنى .

نحن كنيسة أرثوذكسية تقليدية ، يجب أن يكون كل كتاب ، قديم أو حديث ، يخضع لرقابة مسئولة . على أن يكون لتلك اللجنة صلاحيتها ، وقراراتها ملزمة ونعمة الرب تشملكم ،،،

غريغوريوس

الباب الأول

الفصل الأول

كنيسة الاسكندرية

فى ظل ولاية الأباطرة الجدد

قسطنطيوس امبراطور الشرق وقسطنطين الثانى وقسطنس

اباطرة ممالك الغرب

انتهى الكتاب الثانى بمفاجئة رجوع القديس أثناسيوس الى مصـــر . فبعد رجوع القديس أثناسيوس الرسولى من مدينة تريف الى مركز كرســـيه مدينة الاسكندرية ، لم تطل فترة الهدوء التى قضاها القـــديس أثناسيوس الرسولى فى مباشرة مهام عمله . فقد تغيرت الاوضاع السياسية ، وقسمت الامبراطورية البيزنطية ، بين أبناء الامبراطور قسطنطين الكبير . وتولى ابنه قسطنطيوس الاريوسى امبـــراطورا على الشـــرق . وتولى الامبراطوريان الارثوذكسيان قسطنطين الثانى وقسطنس على ممالك الغرب .

وبعد أن تغيرت أوضاع الامبـــراطورية على هـــذا النحو ، حاول اليوسابيون اثارة الفتن ، لايجاد أسباب يقدموها للامبراطور لطرد القديس أثناسيوس من مدينة الاسكندرية .

فأوعزوا لبعض الكهنة والشمامسة الأريوسيين ليتقدموا بشـــكاوى جديدة ضد البابا البطريرك ، القديس أثناسيوس للامبـــراطور الأريوسى ،

وأرسلوا صورا من هذه الشكاوى عن التهم الجديدة الى باقى أساقفة العالم ، ومنهم أسقف رومية البابا يوليوس .

كانت الشكوى الرئيسية التى وجهت ضد البابا الاسكندرى تشير الى انه رجع من تريف الى مركز كرسيه بمدينة الاسكندرية ، بدون صدور أى قرار كنسى من مجمع مسكونى ، يخول له الرجوع لمصر .

وحيث أن اليوسابيون ، كانوا يدعون بأن نفى البابا أثناسيوس الى مدينة تريف ، كان قد صدر بقرار مجمعى ، فأقنعوا الامبرآطور قسطنطيوس الأريوسى ، بأن رأى الاساقفة الاريوسين ، هو ضرورة عقد مجمع من أساقفة الكنائس الشرقية ، فى مدينة أنطاكية ، لبحث هذا الموضوع ، تمهيداً لاستصدار قرار مجمعى بعزل البابا أثناسيوس عن كرسيه ، هو وجميع الأساقفة الارثوذكسيين المنتسبين له ، والذين رجعوآ الى كراسيهم بدون قرار مجمعى كذلك . وقد ضمن الأريوسيون بأن طلباتهم التى وافق عليها الامبراطور عام ٣٣٧ م — بأن رجوع البابا أثناسيوس الى كرسيه ، قد أضر ذلك بسلام الدولة والكنيسة .

مجمع أنطاكية الاول ٣٣٨ م

رأى اليوسابيون بأنه من الافضل ، لتنفيذ خطتهم السابقة ، أن يلجأوا للامبراطور ليحصلوا على موافقته باستصدار قرار بعقد المجمع بصفة سرية ، بمدينة أنطاكية ، على أن يكون ذلك فى عام ٣٣٨ م . وهذا للحكم على القديس أثناسيوس ، وعلى باقى الاساقفة المتشيعين له بالعزل ، بعد توجيه التهم ، التى نسبوها اليهم .

وبعد أن اجتمع المجمع فى أنطاكية بصفة سرية قرروا عزل القديس أثناسيوس عن كرسى الاسكندرية ، وعزل باقى الاساقفة الارثوذكسيين المتشيعين له عن كراسيهم كذلك ، ثم أستصدروا من الامبراطور قرارا بموافقته على هذا العزل . وعينوا بستوس الأريوسى بطريركا على مدينة الاسكندرية . علما بأن بستوس هذا سبق أن أصدر ضده القديس أثناسيوس قرارا بحرمه لتشيعه بالشيعة الاريوسية .

فلما علم القديس أثناسيوس بذلك . اسرع وابلغ جميع أساقفة العالم المسيحى برسائل فورية يفند فيها الاسباب الكنسية بعدم قانونية قرار مجمع

أنطاكية الاول . ضد بابا الاسكندرية ، ومخالفته لقوانين مجمع نيقية المسكونى ، واوضح فى رسائله بأن بستوس يؤمن بالتعاليم الاريوسية . وسبق أن سيم على يد سكندس الاريوسى . ولذلك يعد قرار تعيينه بطريركا على مدينة الاسكندرية بدلا منه قرارا باطلا .

وبعد أن علم أساقفة العالم المسيحى ، بقرارات مجمع انطاكية ، ايدوا القديس اثناسيوس ، وشجبوا قرارات هذا المجمع ، وحرموا بستوس الاريوسى وقطعوه . وبسبب سرعة اتخاذ هذا الاجراء ضد قرارات مجمع انطاكية ، لم يتمكن بستوس الحضور الى مدينة الاسكندرية . وبسبب هذا الحرج للامبراطور عدل عن تنفيذ قرارات مجمع أنطاكية الاول .

مجمع الاسكندرية القبطى
الأرثوذكسى

بعد أن وصل الى بابا روما صورة من الشكوى المقدمة من يوسابيوس ، وباقى الاساقفة الاريوسيين ، ضد البابا اثناسيوس . وعلم فحوى شكواهم ، وما قرره بالتالى مجمع أنطاكية الاول .

لذلك ارسل البابا يوليوس الرومانى رسالة للقديس اثناسيوس أوضح فيها طلبات أوسابيوس وقرارات مجمع انطاكية ، وأرفق معها صورة من هذه الشكاوى ، لكى يعرض الامر على المجمع المقدس المصرى ، لكى يتخذ ما يراه بقرار مجمعى ، يوضح بالتفصيل وجهة نظره . ويكون هذا القرار ردا على التهم التى نسبت الى القديس اثناسيوس ولباقى الاساقفة الارثوذكسيين ، وهذا لتطبيق القانون الكنسى وما أشارت اليه قوانين مجمع نيقية ، وهذا حتى يمكن الوصول الى حل نهائى ردا على الاكاذيب الاريوسية اليوسابية .

فاجتمع بمدينة الاسكندرية فوراً مجمعا مقدسا مصريا عام ٣٣٩ م(١) ،

---

(١) ذكر بالسنكسار القبطى يوم ٧ بشنس بأن هذا المجمع عقد عام ٣٤٠ م وانى أرى انه لا يوجد اختلاف عن عام ٣٣٩ م فربما بدىء الاجتماع فى أواخر عام ٣٣٩ م واستمر حتى بداية عام ٣٤٠ م .

ضم جميع أساقفة مصر وليبيا والخمس مدن الغربية . وكان عـــددهم ٨٠ أسقفا(١) .

وكان واضحا بأن جميع الاساقفة قد أيدوا البابا البطريرك ، ولم يكتف الاساقفة المصريين وحدهم بهذا التأييد للبابا . بل انضم اليهم كثيـــرين من اقطاب رهبان مصر ومنهم القديس الانبا أنطونيوس ورهبانه(٢) ، الذين فندوا أكاذيب المزاعم الاريوسية ، والتى لم تكن موجهة أصلا الى البابا البطريرك ، بل كانت طعنات موجهة الى كنيسة الاسكندرية الارثوذكسية ، والى الشعب الاسكندرى .

وبعد مداولات أصدر المجمع المقدس المصرى قراره أوضـــح فيه ، بأن جميع التهم الموجهة الى القديس أثناسيوس ، قد استبانت بطلانها ، ولا أساس لهـــا من الصحة . وأن بعض هذه التهم سبق أن وجهت للبابا قبل نفيـــه لمدينة تريف ، وثبت عدم صحتها ، وتعد معادة .

ومن التهم الرئيسية التى وجهها الاريوسيين الى أثناسيوس ، أنه رجع الى الاسكندرية مركز كرسيه من مدينة تريف ، بدون أصدار قرار مجمعى . وأن أثناسيوس خلع الاساقفة والشمامسة والقسوس والرهبان الاريوسيين بعد رجوعه الى الاسكندرية . وأن هذا الخلع قد تم بعد أن ثبت أن سيامتهم أثناء غيابه ، قد تمت على أساس أنها أستيلاء على السلطة الكنسية بطريقة غير مشروعة . وقد رد المجمع المقدس على ذلك بأن رجوع أثناسيوس الى كرسى الاسكندرية بدون قرار مجمعى لأن قرار النفى الى تريف قد صدر من مجمع أريوس غير مختص ، ومخالف لنصوص قانون مجمع نيقية المسكونى .

---

(١) يرجع الى كتاب سير بطاركة الكرسى الاسكندرى . مخطوط جمع وتأليف الانبا يوساب أسقف فوة . وقد ذكر أن هذا المجمع كان يضم ثمانون أسقفا . هذا المخطوط الذى أشير أنه توجد منه صفحتان ذكرهما دير أبى مقـــار ، واستنتج على وجه الخطأ منهما أن مولد القـــديس أثناسيوس من مدينة أخميم ، والمتتبع لباقى صفحات المخطوط يستنتج خطأ هـــذا الزعم . وتوجد ثلاث نسخ من هذا المخطوط كاملة لأسقف فوة الاولى مخطوط بديـــر السريان . ونسخة أخرى كاملة بخط الراهب متى البراموس وهو مطـــران طنطا المتنيح الانبا متاؤوس . والنسخة الثالثة كاملة طرف المؤلف ابراهيـــم صبرى معوض .

(٢) سنشير الى ذلك بالتفصيل عند ذكر الميمر الاصلى الذى كتبـــه القديس أثناسيوس عن حياة القديس الانبا أنطونيوس فى روما .

وانه بعد رجوع البابا الى مدينة الاسكندرية مركز كرسيه ، له السلطة الكاملة فى تدبير كنيسته ، وقراره بحرم أى رتبة كنسية اريوسية يعد قرار صحيح . وأشار مجمع الاسكندرية بأن جميع التهم التى وجهت الى القديس أثناسيوس قبل نفيه الى تريف . سبق أن دافع عن نفسه ، وأثبت عدم صحتها .

أما عن التهم التى تشير الى أن البابا حاول اختلاس القمح(١) المخصص للارامل . فلا يوجد أى سند حقيقى يشير الى صحة هذه التهمة التى وجهها الاريوسيين الى القديس أثناسيوس .

لذلك حينما أصدر المجمع المقدس المصرى الاسكندرى قراره الاجماعى بتبرئة البابا القديس أثناسيوس ، تمسك برئاسته للكنيسة وحرر منشـورا عاما يوضح تفصيل هذه القرارات . وأرسل صوراً منها الى جميع أساقفة العالم وتحوى هذه الرسائل ، احتجاج المجمع الاسكندرى لقرارات اليوسابيين الباطلة الصادرة من مجمع أنطاكية ، وبها تفنيد جميع المطاعن والاكاذيب التى وجهها الاريوسيين ضد القديس أثناسيوس .

وأرسل المجمع نسخة على وجه الخصوص الى أسقف رومية . وحررت صورا كذلك الى جميع أساقفة وكهنة الكنائس ورهبان مصر الموجـودين بالخمسين دير .

أوسابيوس يرسل مندوبيـه الى مدينة روما

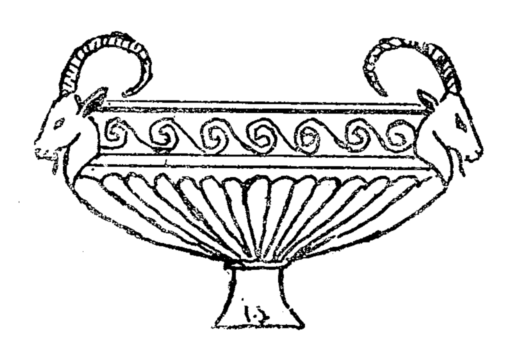
حين علم اليوسابيون بقرارات المجمع المقدس المصرى ، وأن صـورا من هذه القرارات أرسلت الى جميع كنائس العالم ، أوفدوا الى روميـة القس مكاريوس بصحبة الشماسين مرثيروس ، وحزقيوس ليعلنوا برأيهم ، ورفضهم لهذا الحكم الذى صدر بالاسكندرية ، رداً على ما صدر عن مجمـع أنطاكية ضد القديس أثناسيوس . وقد طلّبوا من بابا رومية أن يوافق على قطع علاقته مع القديس أثناسيوس ، غير أن هذا الوفد قد صادف تعنيفـا اليما من البابا يوليوس ، ففشل الوفد الاريوسى فى مهمته ، مما اضطر القس

---

(١) كانت الغلال ترسل الى روما ليتمتع بها الرومان فى حين كان يحرم منها الشعب البائس الذى شقى فى زرعها .

مكاريوس أن يهرب ليلا ليعود الى أنطاكية . وبقى الشماسين مرتيروس وحزقيوس فى رومية بناء على أوامر من يوسابيوس ، ليكرر الطلب من بابا رومية ليوافق بعقد مجمع مكانى فى روما للنظر فى تأييده لحرم أثناسيوس ، كما حدث فى مجمع أنطاكية .

فرفض بابا رومية للانصياع الى هذا الطلب ، واتخذ بعكس ذلك قرارا من اخوته الاساقفة بأن يكتب لأثناسيوس فى مصر يبلغه بمطلب اليوسابيين . وطلب بابا رومية من القديس أثناسيوس بأنه لا مانع لديه بأن يحدد الاخير المكان المناسب لالتئام مجمع مسكونى بدلا من انعقاد مجمع مكانى . فرد القديس أثناسيوس بأنه يرى أن المكان المناسب لذلك هى مدينة رومية(١) . لاعتقاد القديس أثناسيوس باخلاص البابا يوليوس لكنيسة الاسكندرية الارثوذكسية .



(١) تاريخ الاريوسيون لأثناسيوس ص ١١٦ ، ١١٨ .

الفصل الثـــانى

مجمع انطاكية الثـــــانى ٣٤٠ م

بعد فشل مجمع أنطاكية الاول ، أسرع الاريوسيون للالتجاء للامبراطور للمرة الثانية يطلبون موافقته لكى يصدر قرارا بعقد مجمع آخر فى أنطاكيـــة تحت رئاسة أوسابيوس ، نصير الاريوسية . فوافق على طلبهـــم . لذلك اصبح واضحا سوء نيتهم تجاه أثناسيوس . فلم يعيروا أى اهتمام بقرارات المجمع المقدس المصرى الذى برأ القديس أثناسيوس . ولم ينتظروا لعرض هذه القرارات على المجمع المسكونى المزمع عقده فى رومية ليتخذ قراره عن التهم التى وجهها اليوسابيين لأثناسيوس .

لذلك أصبح فى حكم المقرر أن يعقد المجمع الاريوسى فى مدينة أنطاكيـــة سيديا .

مدينة انطاكية بسيديا

توجد مدينتان تسميان باسم أنطاكية ، الاولى باسم أنطاكيـــة بسيديا وتقع فى تركيا . وقد اقترنت هذه البلدة باسم المقاطعة التى كانت تســـمى باسم بسيديا لتمييزها عن أنطاكية التى بسوريا . والتى أشير اليها عنـــدما خرج منها برنابا فى طريقه الى طرسوس ليطلب شاول . ولما وجده جاء به الى أنطاكية . فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة ، وعلما جمعا غفيراً . ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولا ، وفى تلك الايام انحـــــدر أنبياء من أورشليم الى أنطاكية . وقام واحد منهم اسمه أغابوس ، وأشار بالروح أن جمعا عظيما كان عتيد أن يصير على جميع المسكونة الذى صار أيضا فى أيام كلوديوس قيصر(١) .

---

(١) أع (١١ : ١٩ — ٢٦) .

ومجمع أنطاكية الثانى الذى عقد فى بسيديا ، كان قريبا من مركز خدمة أوسابيوس . وكان معظم سكانها يهـــود . وقد ذهب اليهم بولس وبرنابا ليبشرهم أولا ، ولكنهم قاوموا بولس ، ورفضوا كلمة الله . لذلك نفض بولس وبرنابا غبار أرجلهما وتركوا المدينة .

ثم أتى اليهود من أنطاكية وأيقونية . واقنعوا الجموع فرجموا بولس وجروه خارج المدينة ، ظانين بأنه مات . ولكن اذ أحاط به التلاميذ قام ودخل المدينة . وبعد رجم بولس وبرنابا بأنطاكية بسيديا ، الله أقامه ، اذ لا زالت خدمته لم تتم . فدخل المدينة مرة ثانية وبشر مدينة أنطاكية .

اما أنطاكية بسوريا (Antakia — Antiock) فكانت تدعى أنطاكية الجميلة . وقد تهدمت بعد القرن الرابع وأعيد بناءها ، بواســطة جستنيان فى عام ٦٣٨ م . وتهدمت للمرة الثانية بواسطة الوالى ركن الدين الظاهر بيبرس من المماليك البحرية . الذى كان معاصرا للبابا القبطى غبريال الثالث ١٢٦٨ م / ٩٠٨٥ ش . وفى عام ١٨٧٢ م قاست هذه المدينة الكثير . من زلزال عنيف أثر عليها .

اجتماع مجمع أنطاكية الثانى

اجتمع مجمع أنطاكية الثانى برئاسة أوسابيوس الاريوسى وســبق للامبراطور أن أصدر قرارا بتعيين أوسابيوس أسقفا على مدينة القسطنطينية . وكان معظم أعضاء مجمع أنطاكية الثانى من الاريوسيين .

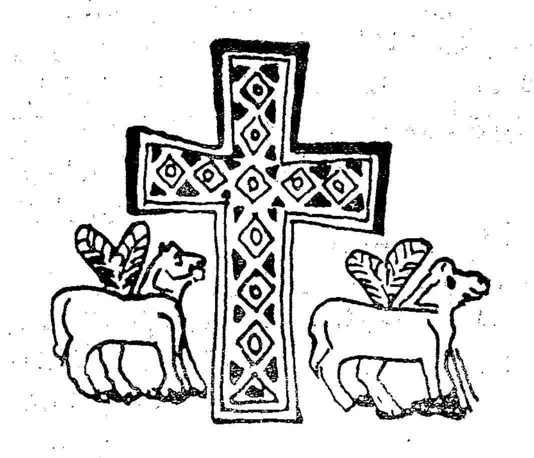
وقد أنقاد معظم الاساقفة الاريوسيون أثناء انعقاد المجمــع ، وراء أوسابيوس وهذا بدون أدنى مناقشة ، وصدر القرار بسرعة ضد القــديس اثناسيوس ، الذى يقضى بالحكم عليه بالخلع من رئاسته كبطريرك لمدينــة الاسكندرية ، وتعيين رجلا عاتيا أريوسيا بدلا منـــه يدعى غريغــوريوس الكبادوكى .

وقرر المجمع بأن يرافق معتمد الامبرأطور غريغوريوس أثناء ذهابه الى مدينة الاسكندرية ، لارهاب الشعب القبطى ، يحميه مجموعة من الجنــد المرافقين له ، أثناء تسليمه سلطة الكرسى الاسكندرى . ورأى اليوسابيــون أن يعتمدوا على شخصية قوية له سلطه ، وهو فيلوغورس لكى يساعدهم على تنفيذ قرارهم ، لأنه كان متأثرا بمبادىء هؤلاء الاســاقفة الاريوسيين

ومنفذا لما قرره الامبرأطور قسطنطيوس الاريوسى . ولذلك زادت سلطـــــة غريغوريوس للاستيلاء على كنائس الاسكندرية(١) .

وسبق أن عرض الاريوسيون على أوسابيوس الحمصى أن يســـتولى على كرسى مدينة الاسكندرية . ولكنه رفض قبول هذه المأمورية لخـــوفه من العقبات الكبيرة التى تقف أمام مهمته بسبب صعوبة ما سوف يلقاه من شعب الاسكندرية ، لمكانة البابا أثناسيوس فى قلوب الشعب القبطى(٢) .

وقد وصف الانبا يوساب أسقف فوه فى مخطوطه « ســـير البطاركة » الموجود بدير السريان « أنه بعد سبع سنين وصل واحد من قبل الملك ، اسمه غريغوريوس ، ومعه الفين من الجند فنهبوا متاع الكهنة »(٣) .



---

(١) السنكسار القبطى — ٧ بشنس .
(٢) سقراط ك ٢ ف ٩ . ومختصر تاريخ الامة القبطية لسليم سليمان ص ٤٤٩/٤٥٠ .
(٣) كتاب سير بطاركة الكرسى الاسكندرى . جمع وتأليف الانبا يوساب أسقف فوة . مخطوط . مكتبة دير السريان نسخة أخـــرى طرف المؤلف — ابراهيم صبرى معوض .

الفصل الثالث

سفر القديس أثناسيوس الى روما

عندما شعر القديس أثناسيوس بأن غريغوريوس الاريوسى قادم الى مدينة الاسكندرية يحرسه الجند العتاة ، رأى أنه لا مفر من ضرورة مغادرته مدينة الاسكندرية ، فاستعد للذهاب الى مدينة رومية . لذلك رأى أنه فى أثناء غيابه عن مركز كرسيه لا بد من أن يرسل رسائل هامة لاهوتية وأوامر كنسية الى جميع الابروشيات فى مصر والى أفراد الشعب القبطى . فأصدر قراره الى كاتبه الانبا سرابيوس(١) ، أسقف تيمى لاعداد هذه الرسائل ، وخاصة الميامر التى أعدها البابا القبطى على الهرطقات اليوسابية الجديدة التى أثيرت أخيرا فى مجمع أنطاكية ، ضد الكلمة يسوع المسيح ، وطلب القديس أثناسيوس فى هذه الرسائل بأن يتحفظ الاقباط من أصحاب آريوس بعد سفره وغيابه عن مركز كرسيه .

وقد ذكر بعض الكتاب الاقباط بأن القديس سيرابيون أسقف طموه كان كاتبا لأثناسيوس . وذكر البعض الآخر بأن كاتب أثناسيوس كان سيرابيون الذى كان أسقفا على مدينة تيمى(٢) . وهذان الرأيان لا يمثلان حقيقة الاسمين للاسباب الآتية : —

أولا : آلانبا سرابيون كان أسقفا على مدينة دندرة .

ثانيا : ان سرابيون الاسقف الطبيب كان ضمن المصاحبين للقديس أثناسيوس فى سفره الى روما نيابة عن أساقفة مصر .

---

(١) مخطوط رقم ٩/٨ جديد — ٢ قديم مكتبة المخطوطات بالدير المحرق .
(٢) بلدة تيمى هى الاسم القديم لمدينة فوة الآن . ذكرت هذه الابروشية فى المخطوط الخاص بتاريخ البطاركة ، لأسقف فوة ص ٢٠٧ نسخة خطية بدير السريان . نسخة أخرى طرف المؤلف ابراهيم صبرى معوض .

ولم يكن سرابيون أسقفا لطموه(١) . وذكر البعض أن من ضمن الرسائل التى قام سيرابيوس بارسالها الى كهنة الاسكندرية ، كتابات مختصرة من أعياد الفصح . وقد بدلوا اسم سيرابيوس الى اسم سيرابيون أسقف مدينة تمويس أو تيمى الامديد(٢) . والمحاميد آلتى أشير اليها توجد بمدينة اسنا بالصعيد . وواضح الخلط بين البلاد المختلفة . ونحن نعيد توضيح أن سيرابيوس كان كاتبا لاثناسيوس هو أسقف تيمى أو فوة بالوجه البحرى وليس بالصعيد . وحيث أن سيرابيوس هو أسقف آخر غير سيرابيون أسقف دندرة ، أو سرابيون أسقف مدينة أنطاكية لذا نقدم توضيح عن كل ذلك : —

أولا : سيرابيون بطريرك مدينة أنطاكية ، ذكر قصة حياته فى اليوم الرابع من شهر برمهات عند ذكر الاجتماع الذى عقد بجزيرة بنى عمر ونذكر النص « فى مثل هذا اليوم اجتمع بجزيرة بنى عمر مجمع على قوم يقال لهم الأربعة عشرية . هؤلاء كانوا يعملون عيد الفصح المجيد مع اليهود فى اليوم الرابع عشر من هلال نيسان فى أى يوم اتفق مع أيام الاسبوع . فحرمهم أسقف الجزيرة ، وأرسل الى سيرابيون بطريرك أنطاكية ، وسيماخس أسقف بيت القدس ، وأعلمهم ببدعة هؤلاء القوم . فأرسل كل منهم رسالة حدد فيها انه لا يعمل الفصح الا فى يوم الاحد الذى يلى عيد اليهود وأن يحرم كل من يتعدى هذا أو يخالفه . الخ » .

---

(١) ذكر فى مجلة « صديق الكاهن » لعدد يونية ١٩٧٣ ص ٩٨ بأن مدينة طموه التى أشير اليها Timikpat هى بلدة المحاميد (السلامية) المعروفة الآن فى اسنا وتدعى بالعربية الديمقراط . وهذا الاستنتاج خطأ لأن سرابيون لم يكن أسقفا لهذه البلدة ولكنه كان أسقفا لمدينة دندرة . يرجع لكتاب تراث أثناسيوس للمؤلف الجزء الاول .

(٢) حياة اثناسيوس — دير أبى مقار ص ١٢٧ .



معبد ادفــو

فى هذه المنطقة أتى اليها اثناسيوس

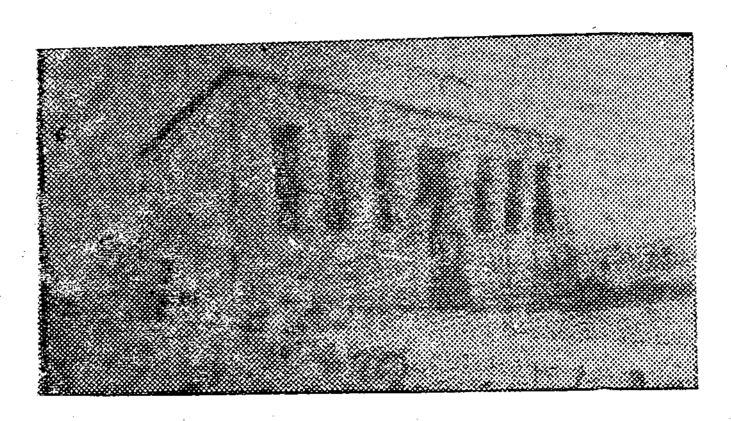
ثانيا : سيرابيون(١) المطران القبطى ، وهو من الرهبان القديسين الذى كان معاصرا للقديس أثناسيوس ، فقد أشير الى اسمه فى ذكر قصة حياة الانبا باخوميوس ، أثناء زيارة القديس البابا البطريرك الانبا اثناسيوس لمدن الصعيد(٢) . وقد ذكر النص كالآتى « لما رسموا الانبا أثناسيوس

---

(١) كان من ضمن من حضر الاحتفالات المقامة فى ذكرى اليوبيل العالمى لارجاع جسد القديس أثناسيوس لمصر عام ١٩٧٣ الانبا سيرابيون الاسقف نيابة عن الكنيسة الروسية . هذا الاسم منتشر فى أرجاء العالم المسيحى .

(٢) مخطوط رقم ٨ تاريخ قديم مكتبة المخطوطات بالدير المحرق أرقام ٢٩/٩ ، ٢٣/٩ ، ٢٤/٩ ، ٢٥/٩ . ويرجع كذلك الى دائرة المعارف القبطية ، الكتاب الاول لحياة القديس أثناسيوس الجزء الاول لابراهيم صبرى معوض ص ٥٧ .

بطريركا على مدينة الاسـكندرية جـاء الى الصعيد الى ادفـو(١) .
يريد أن يمضى الى أسوان ليقوى الكنائس . فلما نظر أبونا الانبا باخوم ، أن
أساقفة كثيرين خرجوا للقائه ، أخذ هو أيضا الاخوة وخرج للقائه من بعد .
وكانوا يرتلون قدامه حتى دخل مجمعهم ، وصلى فيه ، وفى جميع مساكنهم ،



معبد دندرة

وأن سرابيون أسقف دندرة(٢) مسك يد البطريرك وقال له انا أسأل محبتك
للاله ، أن تجعل الانبا باخوم قسيس ، الذى هو أب الرهبان ليكون مـدبر
جميع الرهبان ، الذين فى كرسى لأنه رجل الله ، لأنه لم يعطى هذا الامـر ،
وأن الانبا باخوم(٣) اختفى للوقت من كثرة الجموع .

---

(١) كانت مدينة ادفو منذ العصر الفرعونى تسـمى « تى هـرر »
والعاصمة كانت ثيو . واسمها باليونانى ، « أبو لينوبوليس مجنا » أو ادفو ،
وهى تبتعد عن القاهرة ٥١٥ كيلو وتقع على الشاطىء الغربى من النيـل
واسمها بالقبطية ABTW والكنيسة الموجودة حاليا بادفو حديثـة
العهد ، وليست أثرية . ويوجد بجوار البلدة دير الانبا باخوميـوس أب
الشركة . وكان أول دير أسسه الانبا باخوميوس يسمى بدير تابنيانا . وهى
توجد بجزيرة على النيل بين فرشوط ودندرة . وقد مكث الانبا باخوميوس
بالدير الاول مع القديس بلامون المتوحد — ومعنى اسمه باللغة القبطيـة
عين الشمس .

(٢) دندرة مديريتها فى العصر الفرعونى (اتى أنت ثام) وعاصمتهـا
(ثا ان تر) — اسمهـا باليونانية تنتريس nikentwpi وهى مـركز
لأبروشية كانت تضم المدن الآتية (هابو ، أرمنت ، واسنا) وتدعى الاخيرة
طباسين أو دوناسة .

(٣) كلمة باخوم لفظ قبطى معناه النسر Pakwm

فلما جلس البطريرك والجمع الذين معه ، قال الانبا سرابيون ، بالحقيقة الذى قلت لى عنه ، الذى هو عن الانبا باخوم ، قد سمعت خبر أمانته وأنا فى الصعيد من قبل أن يضعوا على اليد الخ ... »

وقد كتب القديس اثناسيوس الى القديس الانبا سرابيــــون الطبيب أسقف دندرة ، رسائل عن الروح القدس . وكتب سرابيون نفسه ميامــر عديدة ، وله ميمر رائع يشرح فيه حياة القديس الانبا بولا ، وحياة القديس الانبا أنطونيوس الكبير . سوف يشار اليه بعد ذلك فى هذا الكتاب .

وسبق أن أوضحنا بأن القديس الانبا سرابيون الطبيب الراهب الزاهد أسقف دندرة ، كان من أغنى اغنياء مصر . صرف كل ثروته على الكنيســـة والخدمة ، وعلى مصاريف سفر القديس أثناسيوس له وباقى اللجان التى كانت تصاحبه بالخارج . ومع ذلك لم يصرف أى مبلغ على اسرته او حتى على أخته التى اختارت الرهبنة والزهد كأخوها . وكانت متشبهة مثل اخت القديس اثناسيوس الراهبة وزميلاتها ، واللاتى كرسن حياتهن لمحـــاربة الاريوسية(١) . وسبق أن أوضحنا أن للقديس سرابيون الطبيب ، صـــلة قوية مع اعضاء مجلس الشيوخ الرومانى . وكان من فرط الثقة التى اختاروه بسببها أنه كان يطبب نسائهن الاشراف(٢) ، الاحرار بمدينة رومية ، وكان بسبب هذه الصلة القوية ، اثرها الكبير فى تقدير الكنيسة الرومانية للمصريين بصفة عامة ولاحبار الكنيسة القبطية بصفة خاصة . وبالتـــالى كان ذلك سببا جوهريا فى نجاح مهمة القديس أثناسيوس اللاهوتية خارج مصر .

وقد طرح نيافة الانبا صموئيل أسقف الخدمات العامة السابق ، سؤالا عن حياة القديس الانبا سرابيون الطبيب فى مجلة معهد الدراسات القبطيـــة عام ١٩٥٨ ص ٦٤ وما بعدها . عند ذكر موضوع التربية المسيحية فى الكنيسة القبطية الاولى قال . « هل وقت أن كان القديس أثناسيوس بطريركا عـــلى

---

(١) دائرة المعارف القبطية ــ تراث القديس أثناسيوس الجزء الثانى ص ٥٦ . ابراهيم صبرى معوض .

(٢) كان القديس الانبا أيسيدور الطبيب عميد مدرســـة الطب ومن رواد الطب فى العالم فى عصر أثناسيوس . وهو من أبنـــــاء دمنهور ومن أغنيائها ــ وكان مديرا لمستشفى الاسكندرية ــ يرجع لكتاب تراث أثناسيوس جزء ٢/ص ٨٠ الطب فى العصـــر المسيحى فى مصر بقلم الدكتـــور شـــفيق عبد الملك ــ المرجع السابق ص ٨٩ .

مدينة الاسكندرية ، كان الانبا سرابيون الطبيب مديرا لمدرسة الاسكندرية ؟ . ثم وضع اسمه ضمن مجموعة مديرى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية . وقد استقى نيافته هذا الرأى عن عالم يدعى جوشى Gauche وقال أن سرابيون هذا كان من أشهر نظار مدرسة الاسكندرية بعد بنتينوس وأثيناغوراس . وكان ترتيبه الثامن فى العدد بين هؤلاء النظار فى المدة من عام ٣٠٠ م — ٣١١ م . وطبقا لهذا الرأى السابق يكون الانبا سرابيون قد عاصر البابا بطرس الشهيد خاتم الشهداء . وهذا الرأى بالنسبة للتاريخ لا يعتمد على الاسانيد الواقعية للاسباب الآتية : —

١ — سرابيون الاسقف الطبيب ، أسقف مدينة دندرة كان لا زال حيا حتى عصر البابا ثاوفيلس ٢٣ . وينص التاريخ أن الانبا ثاوفيلس أرسل ابن أخته البابا كيرلس الكبير الملقب بعمود الدين البابا ٢٤ ، وهو لا زال شماسا صغيرا بكنيسة الاسكندرية لكى يتعلم ويتهذب على يدى سرابيون أسقف دندرة .

ولذلك لا يعقل أن سرابيون عاصر الآباء البطاركة ، الانبا بطرس خاتم الشهداء ، وأرشلاوس والكسندروس ، وأثناسيوس الرسولى ، وبطرس الثانى عام ٣٧٣ م وتيموثاوس الاول ، وثاوفيلس وكيرلس الكبير .

وقد ذكر فى السنكسار القبطى يوم ٣ أبيب عند ذكر خبر نياحة البابا كيرلس الاول ٢٤ فى العدد كما يلى : —

كان الانبا كيرلس ٢٤ البطريرك ابن أخت البابا ثاوفيلس البطريرك ٢٣ ، وتربى عند خاله ، البابا ثاوفيلس فى مدرسة الاسكندرية وبعد أن نال القسط الوافر من هذه العلوم ، أرسله خاله الى دير القديس مقاريوس فى البرية ، فتتلمذ على يد شيخ فاضل اسمه صرابامون . وقرأ له سائر الكتب الكنسية ، وأقوال الآباء والأطهار .

ثم بعد أن قضى فى البرية خمس سنوات ، أرسله البابا ثاوفيلس الى الاب سرابيون(١) الاسقف الفاضل فازداد حكمه وعلم ، وتدرب على التقوى

---

(١) من المؤلفين الذين تسببوا فى الخلط بين اسمى سرابيون وصرابامون هو اميلينو فى كتابه عن جغرافية مصر فى العصر القبطى ص ٤٠ — فذكر أن صرابامون أسقف دندرة كان معاصرا لباخوميوس .

والفضيلة . وبعد ذلك أعاده الاسقف الى الاسكندرية ففرح به خاله كثيرا ورسمه شماسا وعينه وأعظا فى الكنيسة الكاتدرائية باسكندرية وجعله كاتبا له .

٣ — عاصر القديسان الطبيبان سرابيون(١) أسقف دندرة ، وايسيدور أسقف دمنهور ، استاذهم ديديموس الضرير ، ناظر المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية والذى عينه القديس أثناسيوس بهذا المنصب لغزارة علمه وتقواه . ومع ذلك لم يتركا هذان القديسان استاذهم الضرير وحده فى ادارة المدرسة اللاهوتية . ولم يكونا متفرغين تماما ، الا فى الاشتراك فى الاحداث الهامة كمصاحبة البابا أثناسيوس لروما مثلا أو الوقوف ضد الهرطقات بمدينة الاسكندرية .

هل أرسل القديس باخوميوس وفدا من رهبانه

الى الاسكندرية

اثناء ذهاب أثناسيوس الى روما

ذكر فى بعض الكتب(٢) ، بأن القديس باخوميوس أرسل رهبان لمدينة الاسكندرية ، بقيادة تادرس وزكاوس للاستفسار عن حال الكنيسة ،

---

(١) كانت مهنة الطب منذ عصر الفراعنة حتى القرن ١٨ هى معالجة الامراض وتشخيصها بالاضافة الى خبرته أساسا فى صناعة الادوية وهذا فى وقت واحد . ولم يتم الفصل والتخصص الا مؤخرا — يشير ذلك المخطوطات التى تذكر حياة الاطباء حتى القرن السادس عشر . فعن حياة الطبيب ابن جلجل ابن داود سليمان ، كان طبيبا فاضلا خبيرا فى المعالجات ، جيد التصرف فى صناعة الطب . وكان له بصيرة واعتناء بقوى الادوية المفردة ، التى فسرها عن ديوسقوريدس بناء على مكاتبة من أرمانيوس ملك القسطنطينية . مخطوط عن ترجمة الشيخ الطبيب ابن جلجل ترجمها عبد اللطيف البغدادى وسماه كتاب الافادة والاعتبار فى الامور المشاهده . والحوادث المعاينة بأرض مصر — مخطوط طرف ابراهيم صبرى معوض .

(٢) كتاب حياة القديس أثناسيوس الرسولى — دير أبى مقار ص ١٣٠ .

أثناء ذهاب القديس أثناسيوس الى روما . هذا النص ليس له سند تاريخى للأسباب الآتية : —

١ — بالرجوع الى المخطوطات وخاصة الموجودة بالدير المحرق التى ذكرت قصة حياة القديس الانبا باخوميوس ، ذكرت بأن زيارة القديس أثناسيوس للصعيد ، قد تمت بعد النفى الثانى . وليس قبلها ، وواضح فى النص الذى ذكر بأن سيرابيون أسقف دندرة طلب أن يرسم باخوميوس رئيسا للرهبان .

٢ — ورد بالمخطوطات التى سبق أن أشرنا اليها « بأنه بعد زيارة أثناسيوس الى الصعيد ذكر بالمخطوط بأن تادرس(١) وهو فى سن ١٢ سنة أتى لكى يترهبن بأديرة القديس باخوميوس ، وقال النص كذلك . بأن تادرس سأل الله أن يعطيه سؤاله — أى يقبل رهبنته ، فاستضافه أخ كبير من شركة أبونا باخوم ورسم لخدمة الاخوة شخص اسمه أثناسيوس(٢) ، وكان عجيبا فى سيرته ، وصلواته التى يصنعها فى الليل والنهار . فلما نظره الصبى تادرس طلع الضمير على قلبه للوقت . كمثل من هو من الرب ، قائلا هذا هو الرجل الذى على يديه يكمل لك الله ما قد سألت ، ويمضى بك الى الرجل البار الذى من أجله سألت — أى باخوميوس ، وأن تادرس جعل الامر فى قلبه الى الوقت الذى فيه يسيروا فى السفينة ، حتى انحدروا الى بحرى وبعدوا كثيرا ، فلما نظره الاخوة الذين فى السفينة ، قالوا لأثناسيوس هذا الابن الصغير الذى قال لك ، أريد أن أنحدر معكم ، يمشى محادثنا من باكر الى الآن ، فرسوا السفينة وأتوا بها الى الجمع(٣) .

ومن النص السابق الذى أشرنا اليه التى وردت بالمخطوطات القبطية ، تشير الى أن أثناسيوس البابا البطريرك ، هو غير أثناسيوس الاخ الكبير الناسك الذى رسم بدير الانبا باخوميوس خصيصا لخدمة الاخوة الرهبان ،

---

(١) يلاحظ أنه قد ذكر فى كتاب أثناسيوس بأن تادرس هذا هو المقصود فى رئاسته للبعثة التى ادعى الكاتب بأنها زارت الاسكندرية أثناء وجود القديس أثناسيوس فى روما .

(٢) من هنا جاء الخلط فى القصة المزعومة ، فان أثناسيوس الراهب المبتدى فى قصة باخوميوس غير البابا أثناسيوس الرسولى .

(٣) المخطوطات أرقام ٢٩/٩ ، ٢٣/٩ ، ٢٤/٩ ، ٢٥/٩ ، ٢٦/٩ . من مكتبة الدير المحرق وهذا فى الاجزاء الخاصة عن حياة الانبا باخوميوس .

والذى استقبل تادرس وقت أن كان سنه ١٢ سنة . ولم يشر اطلاقا بأن السفينة المبحرة التى آستقلها الرهبان ، كانت فى طريقها الى مدينة الاسكندرية .

٣ — ان ما ذكر فى كتاب حياة القديس أثناسيوس الصادر عن دير أبى مقار ، بأن القديس باخوميوس ، أرسل رهبان لمدينة الاسكندرية للاستفسار عن حال الكنيسة ، أثناء ذهاب القديس أثناسيوس الى روما ، وتوضح جميع المخطوطات ، بأن الدير المذكور ، كان يتبع أبروشية دندرة تحت رئاسة واشراف الانبا سرابيون الاسقف ، وفى هذا الوقت كان مصاحبا للقديس أثناسيوس فى رحلته الى روما ، ولم يكن متواجدا فى مصر ، وجميع النواحى الادارية بالابروشيات كانت شبه متوقفه لتدخل غريغوريوس الاريوسى ، البطريرك الدخيل فى جميع الابروشيات فى مصر . حتى أن معظم الرهبان والشعب القبطى وبعض الاساقفة الارثوذكسيين نزحوا آلى الصحراء الشرقية .

وقد وجدت نقوش باللغة القبطية على الجرانيت ، داخل الصحراء الشرقية وموجودة أكثرها على آثار الكاتدرئيات القديمة وفى وسط التجمعات السكنية للبلاد القبطية الاثرية هناك ، وآلتى لا زالت موجودة حتى الآن ، والتى سوف نوضح ذلك تفصيلا عند ذكر قصة حياة الانبا أنطونيوس بيد القديس الانبا أثناسيوس .

٤ — الاسم الخاص بالكنوبيين الذى ورد فى نصوص كتاب دير أبى مقار ، لا تشير الى مدينة الاسكندرية ، بل تشير الى موضع دير جديد ، حدده الانبا باخوميوس للرهبان الباخوميين بالصعيد ، وهذا حسب ما ورد بالمخطوطات بالنص الآتى : —

« ولما كثر الاخوة فى الدير بادفو وضاق عليهم آلدير جدا ، جاء الى عند القديس شيخ ناسك قديس اسمه « أبو نوخرس » . ورغب اليه أن يتسلم منه ديرا ، قد أنشأه برسمه فى أرض مسماه (تشنواسكيا) أى مرعى الوز . وهى الضيعة آلتى قبل فيها الكبير — أى باخوميوس — المعمودية ، على ما تقدم القول ، وجعله برسم (الكنوبيين) ، وكان هذا الدير واسعا وكبيرا ويتبعه رهبان قليل عددهم ، فتسلمه الاب الكبير منه ، وقدم له شكراً ، ثم نقل اليه من ديره الاول الذى كان فيه مقامه ، جماعة من الاخوة المتقدمين النساك وأسكنهم هناك بعد أن رسم منهم أب على الدير متقدما .

ولما ضاق بهم هذآ الدير اهتم أبونا باخوم أيضا وعمر ديرا رابعا فى

ارض منخوش ، وعرف هذا الدير بهذا الاسم .. وكان الاب باخوميـــوس يتفقدهم جميعهم .

ومن النص السابق الموجود بالمخطوطات القبطية لم يشر عن الكنوبيين ، بأن هناك رهبانا ذهبوا الى مدينة الاسكندرية للاستفسار عن الكنيسة بعـد ذهاب أثناسيوس الى روما .

سيرابيوس أسـقف تيمى

كان سيرابيوس أسقف مدينة تيمى كاتبا للقديس أثناسيوس عنـدما غادر الاسكندرية ، متوجها الى مدينة رومية ، وكان يعمل فى نطاق الكنيسة فى مصر بتحفظ من أصحاب آريوس(١) ، وهم اليوسابيين . وكان يعمـل على توصيل رسائل القديس أثناسيوس الى أساقفة الابروشيات ، لـكى يعلم ما بها أقباط مصر . وكانت مهمته كذلك ارسال بعض الرسائل الهـامة الى باقى كنائس العالم المسيحى الارثوذكسى .

وأهمية عمل سيرابيوس أصلا ، هو كتابة وارسال الميامر اللاهوتية ، الخاصة برد أثناسيوس على الهرطقات الاريوسية واليوسابية والتى كان ينادى بها أوسابيوس فى مجمع أنطاكية .

ومن هذه الرسائل والميامر ، رد أثناسيوس على الهرطقة التى نادى بها يوسابيوس عن « تأله الانسان المسيحى » والتى سوف نذكر نصها كاملا فيما بعد .

وقد اختلف معظم الكتاب المسيحيين فى تحديد مكان أسـقفية تيمى ، ولأهمية هذه الاسقفية بالنسبة لهذا العصر نشير بالآتى : —

١ — بلدة تيمى منذ العصر الفرعونى ، كانت توجد فى مديرية (خـا) وعاصمتها (بى تسيود) . واسمها اليونانى مدنسيوس ، وكانت تدعى فى

---

(١) مخطوط رقم ٨/٩ مكتبة المخطوطات بالدير المحرق .

العصر العربى (بتيمى الامديد)(١) . ومكانها الآن مدينة فوة .

٢ — ومدينة تيمى على ذلك ، ليست مدينة طموه . التى أشير اليها بمجلة صديق الكاهن ص ٩٨ لعام ١٩٧٣ . والتى قالوا عنهـا بأنها تيمى بالقبطية ، ديمقراطون . وهى بلدة المحاميد ، السلامية الآن » . وهـذا حسب رأى المجلة . ويلاحظ أن بلدة المحاميد — السلامية ، توجد الآن بجوار مدينة اسنا ، وتدعى باللغة العربية (الديمقراط) . وقد ولد بهذه البـلدة الانبا بنيامين الثانى البطريرك ٨١ والذى سيم بطريركا عام ١٣٢٧ م وترهب قبل سيامته بجبل طما . وعمر أثناء رياسته دير الانبا بشوى بوادى النطرون . والذى أعاد شق الترعة التى تسمى الآن بترعة المحمودية ، الواصلة الى مدينة الاسكندرية ، والتى تمر على مدينة دمنهور ، وكان ذلك من ماله الخاص . والتى سميت فى وقته بترعة الانبا شنوده .

٣ — تيمى الامديد (فوة) ، ظلت أسقفية حتى القـرن العـاشر الميلادى .

وقد ذكر فى المجموع الصفوى لابن العسال ، بأنه كان مجتمعا مـع الاساقفة فى المجمع الذى عقد فى ١٦ توت ٩٥٥ شهداء مع الاساقفة ، الانبا يؤانس أسقف سمنود . والانبا مرقص أسقف طلخا ، والانبا يؤانس أسقف بوصير . والانبا يؤانس أسقف الخندق ، والانبا أبرام أسقف نسـتروه ، والانبا بوساب أسقف فوة والمزاحمتين ، والانبا مرقص أسقف سنجـار ، والانبا ميخائيل أسقف المحمية ، والانبا غبريال أسقف سنهور ، والانبـا ميخائيل أسقف ميت غمر ، والانبا بطرس أسقف منوف ، وهذا المجمع قد انعقد بعد وفاة الانبا جرجه أسقف قنا . ودفرة الذى كان حاضـرا هـذا المجمع ودفن بدير الخندق فى هذا الوقت . وحضر كذلك الاجتماع ، الانبـا بطرس أسقف مليج والانبا يوساب أسقف دمنهور ، والانبا بطرس ، وكان كاتب المجمع الشيخ الصفى أبى الفضائل ابن العسال .

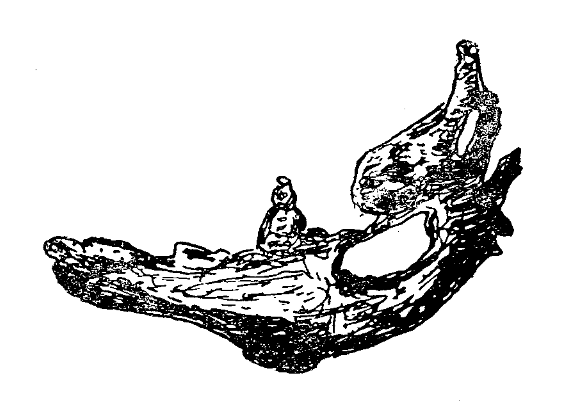
٤ — ذكر سترابون بأن تتليس هى فوة وكانت موجودة أثناء حـكم

---

(١) من الاساقفة المشهورين الذين سيموا على هذه المدينة الانبا مينا أسقف تيمى الذى ولد بسمنود فى أواخر الجيل السابع الذى ترهب أولا بدير الانبا أنطونيوس ، ثم صاحب البابا خائيل ، عام ٧٢٥ م . فى ذهابه الى ديـر أبى مقار وتوفى فى ٧ هاتور .

فرعون مصر بسماتيك . ذكرها ابن بطوطة بأنها فوا وذكرت مدينة تيمى عندما ذكر خبر أسقفها الانبا مينا أسقف مدينة تيمى المولود بسمنود فى أواخر الجيل السابع المسيحى كما سبق أن ذكرنا فى الهامش السابق ، وكان لهذا الاسقف موهبة شفاء .

ويلاحظ أن أسقفية تيمى حافظت الى حد كبير على تراث أثناسيوس ويقال ان فانسليب أثناء رحلاته لمصر منذ ٣٠٠ عام نقل كثير من هذه المخطوطات الهامة والتى لها صلة بجغرافية مصر فى العصر القبطى ، والتى تشير الى أمجاد أسقفية تيمى .



الفصل الرابـــع

هرطقـــــات أوسابيوس

فى مجمع انطاكية

الهدف الذى كان يقصده أوسابيوس لانعقاد مجمع أنطاكية لسببين : —

السبب الاول : هو الانتقام من القديس أثناسيوس بعزله من وظيفته الكهنوتية هو والاساقفة الارثوذكسيين المتشيعين له .

السبب الثانى : اقرار المجمع لبدع جديدة هرطقية نادى بها أوسابيوس واراد أن تأخذ هذه البدع الموافقة لقبولها عن طريق المجمع لسرعة نشرهـــا بين لكنائس الاخرى ، وهذا لضمان عدم وتوف أثناسيوس أمامها ، واحتمال محاربته العنيفة لمبادئها ، ولدقة مجادلاته اللاهوتية التى لا تنتهى .

١ — من ناحية الانتقام من القديس أثناسيوس فسوف نطرق هــذا الموضوع بعد ذلك .

٢ — أما من ناحية السبب الثانى ، فيلاحظ أن أوسابيوس(١) . قد

---

(١) ذكر بعض المؤلفين الاقباط عن الترجمات الغربية عن تاريـــــخ الكنيسة ، بأن أوسابيوس كان ضمن أعضاء مجمع نيقية .
وتشير جميع مصادر التاريخ الكنسى القبطى حقيقة واضحة ، عمـــــا أوردته جميع المخطوطات أن أوسابيوس كان ضمن الذين سبق أن حـــكم عليهم الامبراطور قسطنطين بالنفى مع آريوس الهرطوقى ، وحتى بعد أن تم الصفح عنه مع آريوس ، بأنه كان يدس الدسائس ضد آباء الكنيســـــة الجامعة الارثوذكسيين ، وعلى الأخص كان يوشى بالقديس أثناسيوس — يرجع لشرح كتاب مجانى الادب — الجزء السابع القسم الاول ص ١٨٢ — .

نادى بهرطقة جديدة ضد الكلمة فى تفسيره للآية التى قالها السيد المسيح . « كل شىء دفع الى من أبى » حيث شرح أوسابيوس هـــذه الآية بمعنى . « ان كان السيد المسيح الكلمة قد دفع اليه من أبيه الكل ، ويعنى بكلمة الكل ، ربو بيته على البرايا ، التى كان وقت الذى فيه ما كانت من امتلاكه — (أى الكلمة) .

وقال أوسابيوس ، ومن حيث أنه كان ليمتلكها ، فلا يكون هـــو من الآب ، لأنه لو كان منه لكان قد امتلكها دائما ، ولا حاجة كان به لأخذها ، لذلك يكون المسيح الكلمة قد تأله ، وبالتالى فان أى أسقف مسيحى يؤمن بايمان أوسابيوس عن الكلمـــة المتأله ، يصـــبح هـــذا الاسقف كذلك من الانبياء المتألهين(١) .

هذا الرأى اليوسابى قد انتشر عبر التاريخ المسيحى ، ونادى بعـــده بهذا الرأى المؤرخ ثيودوريت Theodoret الذى ولد بأنطاكية ٣٦٣ م وتوفى عام ٤٥٧ م . وكان نسطوريا ومتشيعا للهرطقـــــات اليوسابيـــة ، والهرطقات التى انتشرت فى مجمع خلقدونية . ويلاحظ أن ثيودوريت قد اكمل ما سبق أن كتبه أوسابيوس فى شرحه للتاريخ الكنسى .



ثيودوريت

---

(١) رسالة أثناسيوس الرسولى اللاهوتية التاسعة .

ثيودوريت المؤرخ النسطوى

وقد أخذ مؤرخوا الغرب مبادىء التاريخ الكنسى ، واللاهوت المسيحى عن هذين القطبين الملحــدين ، أوســابيوس وثيودوريت(١) فحوت جميع الكتب اللاهوتية والتاريخية الغربية الآراء الخطيرة لهم وترجم معظمها ونشرت بين أبناء الشعب القبطى الارثوذكسى .

لذلك نوضح بأن المؤلفين الغربيين أغفلوا متعمدين ردود أثناســيوس وكتاباته عن هذه الهرطقات ، بل ونسب البعض نصوصا مزورة الى القديس اثناسيوس ، وفى حقيقتها هرطقات يوسابية ، سبق أن حوربت بواســطة القديس أثناسيوس ذاته .

ونحن نورد بعض الامثلة عن المبادىء الخطيرة التى نادى بها يوسابيوس فى مجمع أنطاكية ، ونشرت فى احدى الكتب التى صدرت عن دير أبى مقار(٢) ، عن آرائه والتى ترجمت عن نصوص مزورة ، ونسبت الى القديس أثناسيوس والتى تنادى بتأله الانسان المسيحى ، وهى نصوص أريوسية خطيرة نورد بعضها : —

النص الاول المزور : « نحن نتأله باشتراكنا ليس فى مجرد جســد انسان ، بل بتناولنا من جسد الكلمة نفسه » . وقد نسب هذا النص المزور الى رسالة القديس أثناسيوس المرسلة الى مكسيموس الفيلسوف ، ونشرنا نص لهذه الرسالة كاملة وخالية من آية هرطقة يوسابية(٣) .

النص الثانى : ذكر فى الصحيفة رقم ش من كتاب تاريخ حياة القديس أثناسيوس لدير أبى مقار « لقد تألهنا بالكلمة لأننا صرنا منضمين اليــه بواسطة جسده وبذلك ورثنا الحياة الابدية » . وكان المرجــع لهذا النص المزور كما يدعى الرسالة الثالثة ضد الاريوسيين ، وبالرجــوع الى النص

---

(١) Harms worths Universal Enèyclopedia First, vol. P 4559

(٢) كتاب أثناسيوس صحيفة هـ — الباب الثانى القسم اللاهوتى عن موضوع شخصية القديس أثناسيوس الروحية واللاهوتية .

(٣) يرجع الى الكتــاب الثانى من حياة القديس أثناسيوس الرسولى فى ذكرى مرور ١٦ قرن على نياحته ، للمؤلف ابراهيم صبرى معوض .

القبطى بالمخطوط الاصلى لهذه الرسالة ، أنها لم تشر اطلاقا الى هـــذه الاضافة الخطيرة التى نسبها دير أبى مقار زورا الى القديس أثناسيوس .

النص الثالث : نسب نص اريوسى ، ذكره دير أبى مقار عنه أنه يتفق من رأى العالم جروس Gross عن موضوع التأله ، الذى عمـــل دراسة مقارنة لمفهوم التأله ، ليس فى لاهوت أثناسيوس ، وليس كمجـــرد فكرة ثانوية تكميلية ، كما كان عند الآباء السابقين له ،بل قد صار بالحق محورا لكل فكره اللاهوتى (أى لاثناسيوس) وأشار النص فى (ص.ت) من القسم اللاهوتى . ومع ذلك لم يتمالك مؤلف الكتاب فى تقبل هذا الرأى على علاته ، فقال فى نفس الصحيفة « وطبعا لا يقصد القديس أثناسيوس من التأله اننـــا سنخرج به من حدود طبيعتنا البشرية المخلوقة ، أو تتحول الى طبيعة الله . هو اننا ننال بالتأكيد انسكاب حقيقى من حياة الله نفسه داخلنا ، لتجـــديد خلقتنا . (ص — ت) من نفس القسم اللاهوتى .

وفى تضارب واضح لما كتب فى هذا الكتاب فقد ذكر أن العالم بويـــر Bouyer ، قال عن أثناسيوس بأنه لم يرفض بأن يكف لحظة واحدة عن الجهاد من أجل العقيدة ، ولم يرضى أن يحتفظ بايمانه لذاته تاركا الآخـــرين يتحكمون كما يشاءون فى اللاهوت الانطاكى الشائك (ص . ت) .

وعاد الكاتب مرة أخرى يقول فى الصحيفة ٤٥٤ ما يلى . هـــكذا نحن البشر اذ حسبنا ضمن جسد الكلمة صرنا متحدين به . وفى الصحيفة رقم ٤٥٦ النص التالى ، « نحن أيضا نصير أبناء اللـــه ، وليس كالابن الحقيقى الذى هو الجوهر من الآب . انما نحن أبناء النعمة حسب عطية ذلك الذى دعـــانا لهذا . فبالرغم من اننا بشر من التراب أصبحنا ندعى (آلهة) » ..

وواضح من النص السابق أن الكاتب ذكر كلمة آلهة بصيغة الجمع .

وعن تأله المسيحيين قال الكاتب مرة أخرى « لقد تألهنا بالكلمة لاننـــا صرنا منضمين اليه بواسطة جسده (ص . ش) ؟ هـ . من القسم اللاهوتى . وقال كذلك ، ونحن نتأله باشتراكنا ليس فى مجرد جسد انسان بل بتناولنـــا من جسد الكلمة نفسه .

ويلاحظ أن هذه الهرطقات الدخيلة على الكنيسة القبطية ترجـــع الى آراء المؤلفين من المؤرخين الغربيين ، والتى أخذت بالتالى من كتـــابات وهرطقات الفيلسوف هرمس والذى أخذ أوسابيوس كثيراً من مبادئه ، والتى

سبق أشرنا الى أنه قد تم اقرارها فى مجمع أنطاكية ، والتى لم يتـوانى آثناسيوس فى محاربتها .

الهرطقـات الهرمسية

فى الاعتقاد بتأله الانسان ، هى نفس

الهرطقات اليوسابية

ظهرت الهرطقات الهرمسية التى تنادى بتأله الانسان بتفكير يتجـه الى ناحيتين : —

١ — الاتجاه الاول ، فلسفى .

٢ — الاتجاه الثانى ، ، دينى .

وكان أول من قام بتحقيق نصوص الكتب الهرمسية ، العالم الانجليزى سكوت SCOTT ، والذى أصـدر أول طبعـة لكتابه فى عام ١٩٢٩ باكسفورد(١) . ثم أصدر بعده العلامة الفرنسى ، فتوا جيبير ، طبعـة جديدة للمؤلفات التى نسبت الى هرمس ، ثم نقحها(٢) ، وطبعت بالفرنسية عـام ١٩٤٦ .

وقد أشار المؤلفان السابقان بوجه عام الى أن النصوص الهرمسية ، تحتوى على مجموعات من المقالات اليونانية سميت لوجـوس Logos ، وترجمتها الحرفية لهذه الكلمة ، كما ذكر العالمان تشير الى معنى (قول) أو (قول العقل) ، أو (مجموعة أقوال هرمسية) . وكل من هذه الاقوال تدور حول موضوع معين له ارتباط بعلم النجوم . أو بعلم الكيمياء ، وهذا عـن المقالات أو الاقوال القديمة والتى تسمى لوجوس Logos

أما الاقوال الحديثة لكلمة لوجوس ، فهى تشمل الفلسفة والديـن ،

---

(1) Hermetetica I-IV (OXFORD) 1924 — 1926.

(2) Herme,s Trimê giste IV (Budê - Paris) 1946.

ومعظم الاقوال الهرمسية تشير الى طبيعة التعليم بمدارس الاسكندرية اليونانية فى ذلك الوقت .

ويتضح من المؤلفات الهرمسية ، فيما تعنيه من كلمة لوجوس كما سبق أن أوضحنا أنها تختلف عن كلمة لوجوس Logos التى تشير الى الكلمة يسوع المسيح ، والتى أوضح معناها القديس يوحنا فى أنجيله . « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الله الكلمة(١) .. وبالمقارنة للنصين السابقين ، نجد أن المعنيين مختلفين . فان كلمة لوجوس ، فى العصر المسيحى ، تشير الى السيد يسوع المسيح ، هو نفسه الاله الكلمة . وبذلك لا يوجد أى أشارة اطلاقا الى أن يصدر فى العصر المسيحى ، ما يشير الى أن المسيحيين قد أصبحوا أيضا متألهين كالكلمة .

تعاليم هرمس الهرطقية

كان الهرامسة(٢) ، يعتمدون فى تعاليمهم ، على أنه يجب تهيئة تلاميذهم . روحيا بواسطة الارشاد الروحى ، الذى يقومون به لتلاميذهم . وهذا بصلوات الشكر التى يتعلمونها . ثم يعلموهم أقوالهم أو مقالاتهم Logos ، التى لا تعطى على قارعة الطريق أو قاعة للمحاضرات . بل تعطى فى مجمع محدود جدا أو منعزل . أو أنه يفترض لهم خلوة لا ندوة . قال العلامة الالمانى ، (ولهلم بوسيت) — ، عن المدارس التى كانت موجودة بمدينة الاسكندرية . وتدرس المؤلفات الهرمسية ، بأنها كانت تهدف الى وجود كلمة الهية دينية لتحقيق خلاص الانسان باتحاد الله . مبدأ وجوده وحياته .

ويقول كذلك بأن ميلاد الانسان السماوى متشابه فى جميع الوجوه

---

(١) النص القبطى من انجيل معلمنا يوحنا .

(٢) كان يلقب معظم الملوك فى هذه الفترة باسم هرمز وكان هؤلاء الملوك يختلفون عن الفيلسوف هرمز الذى نشير اليه هنا . ومن هؤلاء الهرامزة من دعى بهرمز الجرىء . والذى كان يشبه فى جسمه وخلقه وصورته باردشير . وكان من البطش والجرءة وعظم الخلق على أمر عظيم . وكانت والدته من بنات مهرك الملك الذى قتله أردشير . ومن الملوك الذين تسموا بهرمز ، (هرمز بن كسرى) . يرجع الى كتاب تاريخ الامم والملوك للطبرى — الجزء الاول ص ٤٨٦ ، ٥٨٤ .

لأبيه السماوى ومتمتع بجميع مزايا نفس الاله ، ووجود النفس بحلولها فى الجسم الانسانى . هو الذى ينبهها الى أصلها الالهى . وهو يدفع بها الى البحث عن مصيرها فى هذه الحياة الدنيا . ومصير هذه النفس بعد الحياة الدنيا ، بأن تصعد الى العالم العلوى ، وتمر بالافلاك السبعة ، ثم تتجاوز النفس حتى تبلغ السماء الثامنة ، وهو ملك الملائكة . وعندما تستقر النفس مدة ما ، تصعد فوق الفلك الثامن ذاته حيث توجد القوى الالهية ، فتصبح هى أيضا قوة الهية .

وقال هذا العالم ، بأن هذه الآراء انتشرت عبر العصور القديمة ، حتى وصلت الى القرن الثانى الميلادى . ودعيت فى ذلك الوقت ، وفى العصر المسيحى بالجماعات الغنوسيه ، مسيحية كانت أم اسرائيلية أم يونانية . وان كانت الحركات اليونانية ، أكثر انتشارا ، لأن التعليم الهرمسى ، كان أساسه نصوص لافلاطون اليونانى وفلسفته .

وكانت الهرمسية الغنوسية ، تحمل فى أفكارها الفلسفية والدينية فى نهاية الامر ، دلائل واضحة على الثقة الكاملة بالهية النفس الانسانية ، وبقدرتها الطبيعية ، على العودة لذاتها ، وعلى رؤية الاله ، دون انكار لما فيها من قوى روحانية طبيعية ، وتختفى معالم الانسانية فيه عند الاتحاد بالاله ، وحلول الاله فيه .

وقال هذا العالم عن الهرمسية ، ان الاتحاد بالله هو بالذات تحول للوجود الانسانى الى وجود جديد . يعنى خروج الانسان من الحدود الانسانية ومساواة الانسان بالاله ، وتقول كذلك هذه النظرية ، « هذه هى المساواه بالاله ، عندئذ لا نبقى نحن بل نصبح هو هو » . ويتم ذلك بخروج الانسان بدخول الاله فيه ، فيصبح الانسان بفضله كائن جديد يختفى فيه معالم الانسانية ، ويحل فيه الاله حلولا كاملا أى يتأله »(١) .

ويلاحظ أن جميع الهرطقات الهرمسية ، والغنوسية كانت تشير الى تلاميذهم المتألهين بصيغة الجمع ، لكى يصبح الجميع متألهين ، ودخلت هذه الكلمات الى المؤلفات الدينية المسيحية فى الكنيسة القبطية بدون دراسة

---

(١) المرجع السابق (III. 19.20) . وقد أوردنا هذا النص بلا أدنى تغيير . وهو يشبه تماما نظرية تأله الانسان المسيحى كما نادى بها دير أبى مقار .

لاهوتية ، فبدلوا معنى كلمة لوغوس من المؤلفات الغنوسية ، والمبـــادىء الهرمسية ، ونسبوها الى الكلمة لوغوس التى تشير الى الكلمة يســوع المسيح . فانتقل بذلك مبادىء الكفر الهرمسى بتأله الانسان الى مبــادىء جديدة انتشرت بين الاقباط الآن الخاصة ، بتأله الانسان المسيحى حسب النص الموجود بكتاب دير أبىمقار . « نحن نتأله باشتراكنا ليس فى مجــرد جسد انسان بل بتناولنا من جسد الكلمة نفسه » . « وان اتحــادنا بثللــه أى التأله الخ » . . .

ويلاحظ أن الهرطقات الهرمسية كانت منتشرة فى مدينة الاسكندرية . بعد أن نادى بها شخص يدعى يوليوس المصرى ، فى القرن الثانى ، قبــل الميلاد ، واستمرت منتشرة حتى عصر زوسيموس الذى كان متواجدا بمدينة الاسكندرية فى القرن الثالث الميلادى ، والذى سمى نظريته هـــذه بالدين الباطنى(١) . وقال زوسيموس هذا أن تلاميذه يمكنهم رؤية الاله بالاتحاد به . وقد نبذت مدرسة الاسكندرية اللاهوتية فى العصر المسيحى ، هــذه الآراء لأنها كانت على استعداد لقبول التعاليم المسيحية ، وترك أى شـــوائب هرطقية ، وبذلك كانت هذه المدرسة صرحا لدراســة الدين المســيحى واللاهوت فى العالم كله(٢) .

هرطقة يوسابيوس

عن تأله الانسان المسيحى

قال القديس أثناسيوس عن هرطقة أوسابيوس وأنصاره الذين نادوا بهرطقة تأله الانسان المسيحى ، بأنهم « وقحون » . وكان جميع أعضــــاء مجمع أنطاكية قد تأثروا بهذه الآراء الهرمسية الخطيرة ، وقام فورا وأرســل رسائل الى جميع كنائس العالم لمعارضة هذا الرأى ، ونحن نشير الى بعض من أجزاء هذه الرسائل مأخوذة من نص المخطوط القبطى يقول أثناســيوس « أن أوسابيوس والذين برفقته من الاســاقفة ، الذين ينادون بهرطقــــة

---

(١) تاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها . نجيب بلدى ١٩٦٢ ص ١٣٠

(٢) جامعة الاسكندرية القديمة . مقالة للمؤلف — جريدة مصـــر ٣٠ يوليو ١٩٦٠ .

آريوس اذ يفهموا هذاالنص فيما يكون فى أمر هذا الرب ... وقال انهم وقحون وجسورون فيما يرتعدون ، آذ يتعالون بالاوهام ، التى تشتهى الملائكة التطلع اليه ، متعدين الطبيعة والترتيب بهذا المقدار ، انما هو أقرب من الشاروبيم أو من الساروفيم ، الا أنها لا ترى شيئا ، ولا تقف على أرجلها ، ولا تكون عارية بل مغطاة ، كمثل وجوهها ، مقدمة التمجيد بشفاهها بغير فتور فلا نفعل شيئا سوى أننا نمجد بالتقديس المثلث الطبيعة الالهية التى لا يلفظها ، والتى لم يخبرنا بها أحد قط من هؤلاء الانبياء المتألهين ، ان كانوا استحقوا مثل هذه المعاينة ... » .

ويوضح أثناسيوس مما سبق بأن السيد يسوع المسيح الكلمة المتأنس هو وحيد الجنس ، لا يجوز للاساقفة اليوسابيين أن ينسبوا هذا التأله المزعوم لأنفسهم ، وقد تهكم عليهم بقوله عنهم فى النص « هؤلاء الانبياء المتألهين » .

وقد أبعد المؤرخون الغربيون ردود أثناسيوس وايمانه الارثوذكسى الاصيل ، واللاهوت الارثوذكسى النقى من مؤلفاتهم . أما النصوص المزورة المدسوسة على أقوال القديس أثناسيوس فقام دير أبى مقار ، وأخذ عنهم فأعاد بالتالى مبادىء الوثنية الهرمسية الى الكنيسة القبطية فى مؤلفاتهم .

كتاب الغرب الذين نادوا

بهذه الهرطقات

أقطاب الكنيسة والمؤلفين الغربيين ، الذين شوهوا صورة لاهوت الكنيسة القبطية ، أربعة وهم ، لوكوين ، ورينودوت ، وسولوريس ، وفانسليب ، كتب عنهم نيل جون ماسون عندما ذكر قصة الكنيسة الشرقية فقال بأن مثل هؤلاء المؤلفين قد أخذوا جميع أقوالهم من مصادر يوسابيوس ، وقال عن سوليرس بأنه ذكر فى كتابه الرابع عن كتاباته للكنيسة القبطية ، بأن مصادر كتاباته هى أقوال عما أخبره به الآباء والكتبة الجوزويت فى مصر وعن فانسليب فقد كتب سبعة كتب عن الاقباط عندما كان فى بعثة مع الرهبان الدومينيكان فى مصر . وكانت مصادر كتاباتهم غير مأخوذة عن كتبة أقباط .

علما بأن الاقباط لهم تراث محفوظ فى مخطوطاتهم عبر التاريخ المسيحى يحوى أنقى لاهوت كنسى أرثوذكسى موجود فى العالم كتب بيد آباء الكنيسة القبطية القديسين .

وبذلك ترفض الكنيسة القبطية الارثوذكسية رفضا باتا قبـــول اى تفسيرات لاهوتية تتعارض مبادئها عن نصوص قانون الايمان الارثوذكسى .

اول محاولة لتشويه اللاهوت القبطى

منذ عشرة قرون

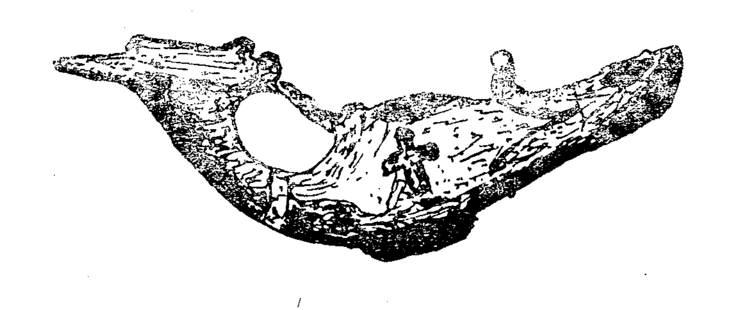
سبق أن حاول بعض الكتبة غير الاقباط منذ عشرة قرون تشـــويه اللاهوت القبطى الارثوذكسى ، فقام الانبا ساويرس ابن المقفـــع ، أســـقف الاشمونين ورفض قبول أى كتابات تنتشر ضد الكنيسة ولاهوتها . فقـــال فى مخطوطه عن المجامع ص ٧ ، وفى مقدمة الكتاب النص الآتى . « بســـم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين ، نبتدىء بعون الله وحسن ارشاده بشرح كتاب المجامع ، تأليف الاب الفاضل الانبا ساويرس أســـقف الاشمونين المعروف بابن المقفع نيح الله نفسه ، وقبول طلباته آمين ، وذلك ردا عما سأله عنه حين وقف على كتاب التاريخ تأليف ســـعيد ابن بطريق الملكى ، المعروف بابن الفراش وسماه كتاب التاريخ . قال الانبا ساويرس وصلتنى رسالتك أيها الاخ المؤمن المغبوط ، أسعدك الله بطاعته ، وأعـــانك على مرضاته ، تذكر وقوفك على كتاب الفه سعيد بن بطريق المعروف بابن الفراش ، وسماه كتاب التاريخ ، وما على قلبك من الاهتمام بما أورده فيـــه من الشتيمة ، لليعاقبة ، وما نسبه من التهم خطأ ، وأنهم الذين غيروا الامانة المستقيمة ، وأحدثوا أمانة غيرها ، وسؤالك حفظك الله برعايته ، بتأليف كتاب مختصر للتاريخ يشرح الامانة التى بشر بها التلاميذ لأنهم عمـــاد الدين ، أول من عبدوا الله بالامانة المستقيمة ، ومرسلين رحمة منه ورأفة للعالمين ، وبأقوال الآباء القديسين ، الذين تولوا رئاسة البيعة ، قبل افتراق الامانة ليتضح لك ، ولكل من يقف عليه ، وتعرف من اى مفتضح قد وقع الفساد ، ومن كان السبب فيه ، ويبطل قول كل مقول ضد مدعى الباطل ، الخ » .

الآراء اليوسابية اراء

وثنيـــــة

ومن جميع ما تقدم نشير الى أنه أخذت تهب على الكنيسة الجامعـــة طوال عصــــورها آراء وثنيـــــة وليست آراء أريوســـية فقط . قـــال عن ذلك حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل ، وأســـــتاذنا الفاضل الانبـــا اغريغوريوس(١) .

« ان هـــذه الآراء الاريوسية وما تبعهـــا من آراء الاريوســـيين واليوسابيين ... بأنه كان الوثنيون يجدون فى التفكير الاريوسى مايريحهم ويتمشى مع منطق فلاسفتهم ، بل ان آريوس لم يأت بهرطقة جـديدة ، انه تبنى الافكار الوثنية ، وصاغها صياغة مسيحية ، فتبنى النظرية الوثنيـــة فى الاستشراق الالهى ، وفى السلم النازل ، وفى أن اللوغوس ، قد خلق ليخلق المادة ، كوسيط بينها وبين الله . وقد تبنى هـــــذه الافكار الوثنية ، وساق نصوص الكتاب المقدس فى تأييدها ، مفسرا اياها تفسيرا مكتـــوبا ، فلم يضع آريوس جديدا ، وهذا هو ما عبر عنه القديس أثناسيوس بقوله . « ان آراء آريوس آراء وثنية » .



---

(١) مجلة معهد الدراسات القبطية ١٩٧٠ م / ١٦٩١ ش . ص ٨ .

الفصل الخامس

رد أثناسيوس على هرطقة

أوسابيــوس

فى مجمع أنطاكيــة

ولأول مرة فى التاريخ ننشر نص الميمر اللاهوتى الرائع الذى كتبـــه القديس أثناسيوس الرسولى ، على يد كاتبه الانبا سيرابيوس ضد مجمـــع أنطاكية ، عن بدعة التأله والاساقفة المتألهين .

ثم بعد نشر النص ، نورد راى أوسابيوس ردا على الميمر الذى نشره أثناسيوس على العالم . والذى أورد أوسابيوس مغالطات لاهوتية جديدة ، جعل أثناسيوس بأن يرد عليه بالتالى برسالة نادرة الى أساقفة ورهبـــان مصر الموجودين بالخمسين دير .

(النص)

بسم الآب والابن والروح القدس

الاله الواحد له المجد دائما ابديا

آميـــــن

مقالة لأبينا القديس الجليل فى القديسين اثناسيوس ، رئيس أساقفة الاسكندرية ، فى قول الرب « كل شىء دفع الى من أبى(١) . وليس أحـــد يعرف من هو الابن الا الآب . ولا أحد يعـــرف من هو الآب الا الابن . ولمن يشاء الابن يكشف(٢) » .

قال أثناسيوس :« ان اوسابيوس والذين برفقته — الذين ينادون — بهرتقة آريوس ، اذ لم يفهموا هذا النص أيضا ، يكفرون فى أمر الرب ، لأنهم يقولون ، ان كان دفع له الكل ، يعنون بالكل ، ربوبيته على البرايا ، التى كان وقت الذى فيه ما كانت فى امتلاكه ، ومن حيث أنه ما كان يمتلكهـــــا ، فلا يكون هو من الآب ، لأنه لو كان منه لكان امتلكها دائما ، ولا حاجـــــة كان به لأخذها » .

الا أن جهلهم قد ينفضح من هذا بالحرى . خاصة لأن هذا النص ليس هو علامة دالة على رياسة البرايا ، وسياسة المصنوعات .

وانما يتصد به ايضاح معنى ما فى أمر السياسة . لأنه ان كان يعنى عندما قال أن الكل دفع أليه ، أى قبل أن يتسلمها ، كانت كافة البرايا خالية من الكلمة . فأين القول القائل اذ أن الـــكل به كان(٣) وبه يثبت ، فان كان

---

(١) متى ١١ — ٧ ، لوقا ١٠ — ٢٢ ، ويوحنا ٣ — ٣٥ « الآب يحب الابن وقد دفع كل شىء فى يده » ، يوحنا ١٣ — ٣ « وهو عالم أن الآب قد دفع كل شىء الى يديه » ، يوحنا ١٧ — ٢/١ « وقال أيها الآب قد أتت الســاعة مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا . اذ أعطيته سلطانا على كل جســـد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته » .

(٢) والنص السابق كالمخطوط القبطى ، وما ذكر بالنسخة البيروتية فهى كما يلى « ومن أراد الابن أن يعلن له » .

(٣) « كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان » يوحنا ١ — ٣ .

الحال كذلك ، فمما خلقت ودفعت اليه ؟ فما كان الامر يحتاج دفعهـــا . لأن الاشياء كلها به كانت .

واذا كان القول يعنى انها دفعت للرب ، فهى فضلة زائدة ، اذ كان هو خالقها ، وهو كان رب البرايا كلها عندما خلقها . بل وأن كانت قد دفعت اليه بعد أن خلقت ، فامعن لى نظرك فى رداءة القول ، لأنها أن كانت دفعت اليـــه وهو تسلمها ، فالآب انصرف عنها . لذلك نحن نوشك أن نسقط فى خرافات قوم بمعنى أنه لمـــا دفعها فارقها . أى ان كان قد ملكها الابن ، كان يملكها الآب أيضا ، لذلك ما كان يجب أن نقول دفع اليه ، بل نقول انه مشاركا له ، كمـــا اتخذ بولس سلوانس . بل أن هذا القول هو ردىء بالحرى أكثر لأن اللـــه ليس هو مفتقر . ولم يتخذ الابن ، لاحتياجاته لمساعدته . بل اذ هو أبو الكلمة ، يصنع كلما يصنعه به ، وما دفع له البريه ، بل به وفيه يعتنى بها . حتى أنه ولا العصفور لا يسقط على الارض بدون أرادة الآب ، ولا الحشيش يكتسى الا بارادة الله . وانما اذ يفعل الآب يفعل الابن أيضا . فالاعتقاد الكفرى اذا حتى الآن قد استبان باطلا . لأن النص ليس هو كما توهموا ، بل يدل على السياسة الكائنة بالجسد . لأنه من حيث أن الانسان أخطأ وســـقط ، فكافة الاشياء سقطت ، والموت قوى من آدم الى المسيح ، والارض لعنت ، والجحيم انفتح ، والفردوس انغلق ، والسماء غضبت . وفسد الانســـان فيما بعد وصار بهيميا ، والشيطان ساد واستولى علينا .

عند ذلك الله جل شأنه ، كونه محب البشر ، فلم يشاء أن يهلك المخلوق الذى خلق كمثل صورته . قال ، من أرسل ، ومن يمضى ؟ . واذ ســـــكت الجميع قال الابن . ها أنذا ، أنا ارسلنى . فاذ قال الله وقتئذ امضى ، لذلك دفع اليه الانسان ليصير الكلمة لحما . واذ أخذ الجسد ، أصلحه فى كل أمر ، لأنه دفع اليه كطبيب ليشفى لدغة الحية ، وكحياة لينهض المائت وكنـــــور لينير الظلمة . واذ كان هو الكلمة أعاد تجديد الناطق . فيما أنه قد دفـــــع الكل اليه وصار انسانا . اذ ذاك للحال ، كافة الاشياء اصطلحت وتكلمت قاطبة ، فالارض عوض اللعنة تباركت ، والفردوس انفتح ، والجحيم اندك ، والقبور تفتحت ، اذ نهض الناس منها . وأبواب السماء انفتحت ليدخـــــل القادم من أدوم .

ولعمرى أن المخلص نفسه اذ شاء أن يبين أن الكل دفع له ، قال . . تعالوا الى يا جيـــع المتعبين والثقيلى الاحمال وأنا أريحكم ، لأنكم دفعتـــــم الى . لكى اذ تكونون متعبين أريحكم ، واذ تكونون أمواتا أحييكم .

فتسلم الكلمة كل شىء ليس لكى يصير بعد الفقير غنيا ، ولا لكى يستمد

سلطانا كمن ليس له . حاشا بل لكى يصلح كافة الاشياء ويقومها كمخلص ، لأنه اما فى بدء الخليقة كان من الواجب أن تكون له لتوجد ، والاصلاح به مع بقاء فرق الالفاظ . لأنها فى البدء صارت فى الوجود . ثم بعد لما سقطوا جميعا ، صار الكلمة لحما فلبسه . لكى فيه يقام الكل لأنه لما تألم شفانا ، وبجوعه قوتنا ، وبنزوله الى الجحيم . أصعدنا منه . ففى التقويم والاصلاح وجب ان يدفع الكل اليه ، ليصير هو انسانا وبه يتجدد الكل ، لأنه أن كان الانسان به حى ، ولكون أن الكلمة لأجل هذا تداخل مع الانسان ، لكى لا تقتدر اللعنة فيما بعد على الانسان . ولذلك اذ ذكر فى المزمور الحادى والسبعون « المتوسلين الى الله من أجل جنس البشر ، قال « اللهم اعط للملك لكى يعطى للابن الحكم الصائر بالموت علينا ، هو فيما بعد يبيده فى ذاته من اجلنا »(١) . وهذا الامر اذ دل يدل عليه هو نفسه .

وقال فى المزمور السابع والثمانين « على اشتد غضبك لأن الغضب الذى كان علينا هو حمله »(٢) .

وكما قال فى المزمور المائة وثلاثة عشر « الرب يكافىء عنى »(٣) . على هذا المعنى يصوغ لنا أن نقول بأن كل شىء دفع للمخلص .

ثم يجب أيضا أن نقول « ان كان بقوله ، « ان كل شىء دفع اليه » ، عما لم يكن له ، لأنه قبل هذا ما كان يوجد انسانا ليخلصه ، وما كان الكلمة فى البدء لحما ، لكنه صار أخيراً لحما . الذى فيه صالح العداوة التى كانت فينا ، كما يقول الرسول . وبطلت شريعة الوصايا التى هى بالمعتقدات ليبدأ بذاته الاثنين ان واحدا جديداً صانعا سلاما . ويصالح بينهما كليهما بجسد واحد للآب ، فجيداً جدا قد تحوى الالفاظ معنى قوله ان التى للآب هى لى ، لأنه عندما صار فيما لم يكن دفع الكل اليه .

ولكن يلاحظ انه عندما شاء أن يدل على وحدته مع الآب ما أخفى ذلك . بل علم به قائلا كلما للآب فهو لى . ويجب أن يتعجب من بلاغة القول ، لأنه ما قال كلما للآب أعطاه لى . لكى لا يستبان ان كان وقت ما الذى فيه

---

(١) مزمور ٧٢ اللهم أعط أحكامك للملك وبرك لابن الملك يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق ، تحمل الجبال سلاما للشعب والآكام بالبر » .
(٢) مزمور ٨٨ — ٧ ، على استقر غضبك وبكل تياراتك ذللتنى .
(٣) حسب النص القبطى .

ما كانت له . وانما قال هو لى لأنها اذ كان فى سلطان الآب هكذا كانت فى سلطان الابن أيضا .

فسبيلنا أن نبحث مفتشين أيضا ما هو الذى للآب . فان كان القول يدل على الخليقة . فهو اذاً ما كان يملك شيئا قبل ابداعها ، ويستبان انهما استمدا من البرية . لكن معاذ الله من أن نعنى هذا المعنى ، لأنه هو نفسه قبل الخليقة . وله ما كان له قبل ابداعها ، التى نؤمن أنها للابن أيضـــا . لأنه ان كان بالنسبة للابن ، قد ينتج ، أنه كلما للآب هو للابن . وهذا النص يناقض خباثة سيىء الاعتقاد ، الذين يقولون أن كان الآب دفع الكل للابن ، فهو اذا ، أى الآب ، قد كف من سلطان الذين دفعهم ، لأنه قدر الابن عوضه ، لأنه بالنسبة للآب لا يدين أحدا ، والحكم كله أعطاه للابن ، الا أنهم قد تسد افواههم المتكلمة بالظلم ، لأنه ليس اعطائه الحكم كله للابن قد تعـــرى من السلطان ، وليس من أجل أنه قيل ، أن الآب دفع كل شىء للابن ليس هو على الكل ، كونهم يفصلون جهارا ابن الله ، الوحيد الجنس الغير منفصل بطبيعته ، ولئن كانوا أصبحوا مجانين هؤلاء الفاصلين . اذ لم يفقهوا السيئوا الاعتقاد ، أن النور لا يمكن قط أن يفارق الشمس . بل يوجد فيها . لأنه من الواجب أن نبرهن ما نعنيه بالقول ، اذ نستعمل صورة حقيرة من الاشياء التى بيـــن أيدينا ، من الامور المعتادة ، فمن حيث أنهم قد يفحصون عن الطبيعـــة التى لا تدركها العقول جسارة . فكما أنه لا يمكن قط لأصحاب العقول السليمـــة أن يعنوا بضوء الشمس ، الذى يضىء المسكونة ، أنه يمكنه أنه يضىء بدونها ، لكون أن ضوء الشمس متحد بها طبعا . وكما اذاً كان يقول الضوء أنا قـــد أخذت من الشمس أن أنير كافة الاشياء ، وأنميها وأقويها بالحرارة التى فى . فلا يعنى أحد بهذا الجنون ، أن يفصل تسمية الشمس عن النور الصـــادر منها طبعا .

هكذا يعنى بحسن العبادة فى جوهر كلمة الله الالهى ، انه متحد بطبيعة أبيه . لأن والنص الذى بين أيدينا قد يلخص لنا معنى المطلوب جهارا ، لقول المخلص كلما للآب هو لى . القول الذى يعنى أنه دائما مع الآب ، لأن قوله كلما للآب ، يعنى عن ضبط الآب السيادة . وقوله فهو لى . يدل على الاتحاد الذى لا ينفصل .

فضرورة اذا يلزمنا أن نعنى أنه فى الآب توجد الازلية والابدية ، وعدم الموت ، وهى فيه ، لا كشىء أجنبى . بل توجد فيه ، كفى ينبوع مســـتقرة فيه ، وفى الابن .

فمتى أردت أن تعنى شيئا عن الابن ، وعرفت الاشياء التى توجد فى الآب ، أو من أنها توجد هى فى الابن ايضا .

فان كان الآب هو مخلوق أو مصنوع ، فتكون هذه هى فى الابن أيضا ، وان كان من الجائز أن نقول فى الآب ، بأنه كان وقت الذى ما كان فيه موجودا ، أو أنه وجد من العدم . فلتقل هذه فى الابن أيضا . أما اذا كان قولك بها فى الآب ، هو كفر ، فليكن كفر أيضا اذا عاناها أحد فى الابن . لأن التى للآب هى للابن أيضا ، لأنه من يكرم الابن يكرم الآب الذى أرسله . ومن يقبل الابن يقبل الآب معه ، ولأن من يرى الابن فهو يرى الآب . فكما أن الآب ليس بمخلوق ، وكما انه لا يقال فى الآب انه كان وقت ، الذى لم يكن فيه موجودا ، أو أنه وجد من العدم ، هكذا لا يليق أن يقال هذا فى الابن أيضا . بل بالحرى كما أنه فى الآب الازلية وعدم الموت والدوام ، وكونه غير مخلوق ، هكذا يقتضى الامر أن يعتقد بالابن أيضا . لأن الامر كذلك هو حسب المكتوب . لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته ، كذلك أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته . فقال أنه أعطاه ، لكى يوضح الآب الذى أعطاه . فكما أن الحياة هى فى الآب هكذا هى فى الابن أيضا ، فليعلمنا أزليته وعدم انفصاله منه . لذلك قال باحتراز ،، كلما للآب ،، لكى اذا ذكر الآب ، يظن به أيضا انه أبا . لأنه لم يقل أنا هو الآب ، بل قال كلما للآب ، لأنه هو آب .

أيها الاريوسيون قد حصل من قبل الآب ، ابنه الوحيد الجنس ليس كما ربما أنكم تعنون ذلك ضالين . لكنه هو ابن الآب الذى ولده ، وهو أب الدهر العتيد . ينبغى لكم أن تزيلوا كل كفركم . لأنه يقول بالنبى « ولد لنا صبى ودفع لنا رياسته على عاتقه ، ويدعى اسمه ملاك الرأى العظيم ، الاه قوى مسلط ، أب الدهر العتيد ، فالوحيد الجنس اذا هو أبو الدهر العتيد . والاه قوى ومسلط هو ابن الله . وقد اتضح جهارا أنه كلما للآب هو له . وكما أن الآب يعطى الحياة ، وللابن حاضر أن يحى من يشاء لأنه يقول يسمع الاموات صوت الابن فيحيون . ومشيئة الآب والابن ، ورأيهما واحد ، لأن طبيعتهما واحدة . غير متجزئة . فالاريوسيون ينـدبون ذواتهم كثيرا . اذ لم يفهموا ، ما قيل فى مخلصنا ، اى قوله كلما للآب فهو لى لان منه ما يناقض جنون صابليوس ، وينفضح جهل اليهود الموجودين الآن . لأن الوحيد الجنس اذ كان له الحياة فى ذاته(١) كما للآب . وهو وحده عرف

كل ما للآب

---

(١) فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ، والنور يضىء فى الظلمة والظلمه لم تدركه « يوحنا ١ : ٤ — ٥ » .

من هو الآب ، اذ كان فى الآب ، وحاوى الاب فى ذاته . اذ هو صورة الاب بالتبعية ، كفى صورة قد يوجد فيه ، كلها للآب لأنه ختم مساو للرسم . يرى الآب فيه . وهو كلمة حياة حقيقى . وقوة وحكمة وقداسة . وافتدانا لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد ، وليس أحد يعرف من هو الآب سوى الابن . ولا أحد يعرف من هو الابن الا الآب .

كل ما للآب

فكيف يجترىء السيئو الاعتقاد أن يتكلموا بالهذيانات فيما لا يحصل لهم كونهم بشر ، ولا يمكنهم أن يدركوا الاشياء التى على الارض ، بل فليقولوا لنا الامور المتعلقة بهم . فان كانوا يقدرون ، هل يمكنهم أن يجدوها ، فيفسروا لنا طبيعتهم .

واذ هم وقحون وجسورون فيما يرتعدون ، اذ يتعالون بالاوهام ، التى تشتهى الملائكة التطلع اليه . متعدين الطبيعة والترتيب بهذا المقدار . انما هو الاقرب من الشاروبيم أو من الساروفيم ، الا أنها لا ترى شيئا ولا تقف على أرجلها ، ولا تكون عارية بل مغطاة كمثل وجوهها . مقدمة التمجيد بشفاهها بغير فتور ، فلا تفعل شيئا آخر سوى أن تمجد بالتقديس المثلث ، الطبيعة الالهية ، التى لا يلفظ بها . والتى لم يخبرنا **بها قط أحد من هؤلاء الانبياء المتألهين** ، ان كانوا استحقوا مثل هذه المعاينة ، خاصة أنهم كانوا يقولون فى التقديسة الواحدة ، تصرخ قدوس بصوت عظيم ، وفى الثانية بصوت خفيض ، وفى الثالثة بصوت أخفض . أى أن الثانية دون الاولى والثالثة أقل . ولكن معاذ الله من جهل أعداء الله . لأن الثالوث الكلى المسبح والوقار والمسجود له واحد غير منقسم ، ولا ذى شكل ، مجتمع بغير اختلاط ، وبوحدانية تتفرق بغير تجزىء ، لأن هذه الملائكة المكرمة تقدم التمجيد المثلث قائلة قدوس قدوس قدوس ، توضح الاقانيم المثلثة كاملة ، وتوضح بقولها الرب الجوهر الواحد ، لأن الذين يصغرون ابن الله الوحيد الجنس ، يجدفون على الله . معتقدين اعتقادا رديا فى كماله . وينسبون له النقص ، فيصيرون ذواتهم غرماء بالعذاب العظيم . لأن من يجدف على أى اقنوم من الاقانيم الثلاثة لا تكون له مغفرة . لا فى هذا الدهر ، ولا فى الدهر العتيد . وأما الله قادر أن يفتح عينى عقلهم ليتأملوا شمس العدل . لكى اذا ما عرفوا الذى أنكروه سابقا يمجدوه معنا برأى حسن العبادة المتفق ، لأن له الملك . أى الآب والابن والروح القدس الاله الواحد الذى له المجد الى الابد آمين .

رد أوســــابيوس

رد أوسابيوس على أثناسيوس بخصوص تمسكه برأيه كأساقفـــة متألهين ، وشرح أثناسيوس معنى الكلمة هو الاله الوحيد الجنس . وعارضه أوسابيوس الذى يقول بأن الكلمة لا يعد وحيد الجنس ، لأن هذه الكلمـــة تتعارض مع ما ذكره الانجيل من قول بأن « الآب سمى اله الابن » .

فرد عليه أثناسيوس قائلا . « ان الذين لا يخدمون معانى الكتب الالهية بالالفاظ ، فيجعلون الآب اله الابن ، قد يقول الرسول . الاله ربنا يســـوع المسيح أبو المجد . هنا حقق أمر التدبير ، فسمى الوحيد الجنس مجـــدا ، ويسوع المسيح كرازة التدبير ، لأنه هو اله التدبير وأبو المجـد ، فان كان ما يقنعك القول بأن تظن المجد بأنه مجد آخـــر الذى هو الله أبوه ، فتعقل طبيعة أخرى تعلو على الابن ليسمى أبوها . ويدعى رب هذا ، أى أبو المجد ، لأن الوحيد الجنس يسمى مجد . لأنه يقول **رأينا مجده مجدا كوحيد الجنس من الآب** ، ولذلك ترى قوله « اله ربنا يسوع المسيح » عوض أن يقول اله . بشرة المسيح ، وقوله أبو المجد ، أى أبو اللاهوت ، لأن أشعيا أيضا سمى المخلص مجدا حسب رتبة اللاهوت ، لأنه لما ذكر العجائب الصائرة فى البرية ، وبشر البرية قال لتبتهج برارى الاردن وتزهر كالسوسن ، لأنه قد أعطى له مجد لبنان ، وكرامة الكرمل ، وشعبى يعاين مجد الرب ، وعلو الله ، ويعاين كل بشر ، خلاص الله ، فهو اذا مجداً من مجد ، لذلك قال بولس أيضـــا ، الذى هو شعاع مجده ، وصورة أقنومه .

لذلك فهو اذا أبو المجد الوحيد الجنس ، واله بشرة المسيح ، ولا أقول انه يوجد آخر باسم المسيح وآخر وحيد الجنس ، لأننى بالمعنى لا أقســـم ما لا يتجزأ بالاتحاد . لأنه هو وحيد الجنس من قبل الدهور ، والاله الوحيد الجنس ، حسب البشرة حتى آخر الدهر . ودائما هو أبوه ، وليس دائما هم آلهة . بل من وقت أن أخذ البشرة وهو أبو لاهوته . لأنه اما الآب فهـــو أزلى ، والابن أزلى معه ، لا يوجد تجزؤ ولا تقسيم فى مجد الحق ، فمتى اذا سمى الآب اله الابن ؟ . بسبب الجسد من بعد أن خرج من بطن الام . ولذلك اذا شاء أن يوضح بالنبى حقيقة لاهوته وبشرته قال من بطن أمى أنت الهى ، وان شئت أن تعرف ما بقى من المزمور الحادى والعشرين » .

آخر قرار يصدره أثناسيوس

فى مدينة الاسكندرية

قبل رحيله الى روما(١) ٠ عام ٣٤٠ م ٠

قبل أن يغادر أثناسيوس مدينة الاسكندرية الى روما ، أصدر قرارا باباويا عام ٣٤٠ م بضرورة عماد الاطفال المسيحيين بعد ولادتهم بحسب طقس معين ٠ وعدم الانتظار لأى مسيحى لكى يعتمد ، حسب ما كان متبعا ، فى السنوات التى توافق مكررات عام ٣٤ م العام الذى عمد فيه السيد المسيح حيث أن هذه العادة ، كانت سارية بين الشعوب المسيحية عامة وليست فى مصر فقط ٠

وقد لوحظ طبقا لما أشارت به بعض النصوص التاريخية ، أنه وقت أن استشهد القديس مارمرقس عام ٦٨ م كان عيدا روحيا لعماد جميع المسيحيين فى مصر ٠ وكان تدفق المسيحيين فى مصر للعماد بدون أدنى خوف من أى تهديد من سيوف الاعداء ، وكان ذكرى استشهاد القديس مارمرقس ، هو التاريخ المكرر الاول بعد عام ٣٤ م ٠

وانتشرت المعموديات طقسيا كجزء من أجزاء بناء أى كنيسة منذ صدور قرار القديس أثناسيوس ٠ وقد أخذت جميع الكنائس الاخرى هذا الطقس لعماد المسيحيين ٠ وكان يشترط فى الاطفال المعمدين أن يكون آباؤهم مسيحيين ٠ وأن يقروا بأنهم ينبذون كل التعاليم الاريوسية ٠

---

(١) تحملت ظلما تنوء به رواسى الجبال بلمح البصر
تحملت نفيا طويل المدى مرير المذاق جسيم الخطر
من شعر المرحوم الاستاذ رياض سوريال ، المعلقة التاسعة عن القديس أثناسيوس ٠

الباب الثانى

الفصـــــل الأول

وصول القديس أثناسيوس الى روما ٣٤١/٣٤٥ م .

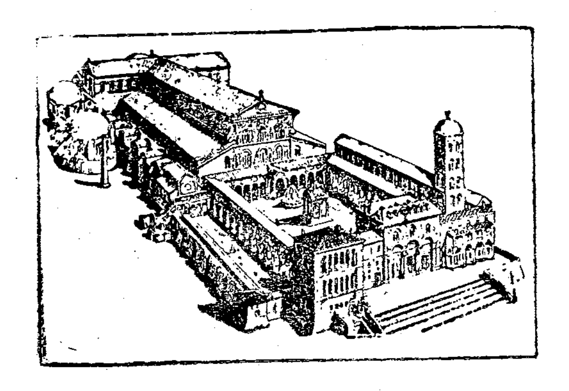
عندما علم القديس أثناسيوس بخطورة الوضع فى مدينة الاسـكندرية أسرع فى السفر الى مدينة رومية ، لكى يتحاشى أحتكاكه بمندوب أوسابيوس الذى عينه بطريركا على مدينة الاسكندرية ويدعى غريغوريوس علمـا بأن الاخير كان هدفه الرئيسى هو أن يقبض على القديس اثناسيوس للتنكيل به ، مستعينا بالجند الذين صاحبوه لمساندته ضد الاقباط . وقد صحب أثناسيوس معه مستنداته ، وكان يرافقه مجموعة من الاساقفة والرهبان لمعاونته فى مهمته ، ليشرح وجهة نظر كنيسة الاسكندرية ، وقرار المجمع المقـدس المصرى ، الذى صدر ببرائة بابا الاسكندرية بالاجماع عن التهم التى وجهت اليه فى مجمع أنطاكية الثانى . ولم يكن ذهاب أثناسـيوس الى روما ، من وجهة نظر الكنيسة القبطية ، كعقاب لنفيه هناك ، كما حدث له فى المـرة الاولى حيث كان منفيا فى تريف ، فوجوده فى روما ، لا يفترق عن وجـوده فى وطنه مصر ، أو مدينة الاسكندرية ، فكان شرفا لمصر والكنيسة القبطية .

وكان يرافق أثناسيوس من الاساقفة الاقبـاط ، القديس الانبـا أمونيوس(١) ، والذى كان يدعى بالقديس آمون أبو رهبان آلاسقيط .

---

(١) تعيد الكنيسة يوم ٢٠ بشنس بذكرى نياحة القديس أمونيـوس المتوحد عام ٧٣ شهداء الموافق ٣٥٧ م . وقد ولد هـذا القديس بقـرية بجوار مريوط . وكان من أسرة تقية مسيحية ، فقد أبويه فى سن الحداثة ، فأصبح تحت وصاية عمه ، وكانت كل آماله متجهة الى معيشة البتوليـة

وقد أدهش الناس فى روما بزهده ، وتقشفه وازدرائه باحوال العالم ، ومظاهره الخلابة ، اذ أنه انصرف عن رؤية عجائب روما الى قبرى القديس بطرس وبولس حيث كان يزورهما يومياً ويلقى بنفسه أمامهما بحرارة دينية عجيبة وكان معه كذلك ايســـــيذوروس الطبيب ، رئيس أكاديميـــة دينية



كنيسة القديس بطرس وبولس بروما التى كان يصلى فيها القـــديس اثناسيوس

بالاسكندرية والقديس سرابيون الطبيب أسقف دندرة ، وصــــــديق الانبا أنطونيوس أبو رهبان مصر ، وقد أوضحنا أن الاســــقفان السابقان كانا يحظيان بثقة وتقدير جميع عظماء وأعضـــاء مجلس الشــــيوخ الرومانى ونسائهن الاشراف .

مقابلة البابا أثناسيوس

البابا يوليـــوس فى رومـــا

بعد أن وصل القديس اثناسيوس الى روما ، قابل البـــــابا الرومانى يوليوس وكان بصحبته الوفد القبطى ، وقوبل الجميع منه ومن أساقفـــــة

والقداسة ، وقد روى القديس أثناسيوس بأن الانبا أنطونيوس كان يحترمه احتراما عظيما . وسوف نشير الى ذلك بالتفصيل عند ذكر قصـــــة حياة الانبا أنطونيوس .

روما بحفاوة وتقدير واجلال ، ومن جميع أفراد الكنيســـــة الرومانية(١) ، وسمع وجهة نظر الكنيسة القبطية ، فانتهز البابا يوليوس هذه الفرصـــة ، وأرسل مندوبين عنه الى يوسابيوس فى مدينة أنطاكية . وهما القسيسين الرومانيين « اليندوس ، وفيلوكسين » ، ليخبر أعضاء مجمع أنطاكيــــــة بوصول القديس أثناسيوس الى روما . ويدعوهم للحضور الى المجمع الذى سوف ينعقد فى مدينة رومية ، لدراسة جميع التهم التى وجهوها الى القديس أثناسيوس للفصل فيها .

وطلب البابا يوليوس من الامبراطور قســـــطنطين الثانى وأخــوه الامبراطور قسطنس(٢) ، لاستصدار قرار أمبراطورى لانعقاد هذا المجمع المسكونى بمدينة رومية ، يضم جميع أساقفة العالم الغربى والشرقى ، وكان الامبراطوريان يؤيدان البابا يوليوس ، والاساقفة الغربيين فى انعقاد هذا المجمع . وكان الشعب الرومانى يؤيد القديس أثناسيوس ، حيث أنه كان يحظى بمحبة لا حدود لها بينهم . وبالتالى كان القديس أثناسيوس مستعدا لمناقشة اليوسابيين عن أى تهم توجه اليه فى هذا المجمع .

مجمــع روميــة

تحدد انعقاد مجمع روميـــــة بقصر البــابا الرومانى بروما . وكان اختيار المكان عن طريق البابا يوليوس نفسه . وذكر البعض أن انعقــــاد هذا المجمع قد تم بكنيسة الكاهن فيتو . وهذا لا يستند الى مصـــدر تاريخى يعتمد عليه .

ويلاحظ أن قصر البابا كان يدعى بقصر اللاتيران ، وسبق أن منحــه الامبراطور قسطنطين الكبير الارثوذكسى ، الى الكنيسة الرومانية ليــكون مقرا لأساقفتها . وكان يمتلك هذا القصر أسرة عريقة رومانية ، غنية تسمى عائلة لا تيرانى Laterani وقد أنشأ الامبراطور قسطنطين كنيسة ملحقة بهذا القصر سميت أولا باســم كنيسة اللاتيرانى ، والتى سميت بعد ذلك باسم كنيسة بطرس وبولس .

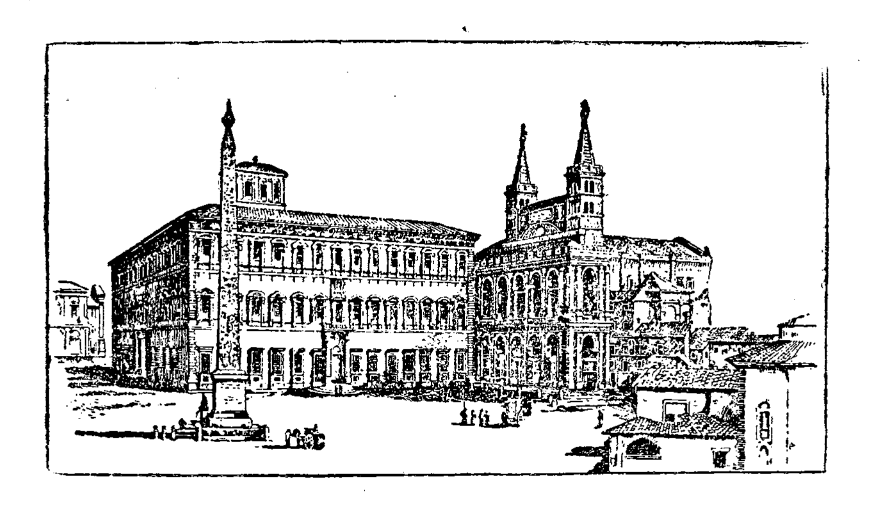
---

(١) سقراط ك ٢ ف ١٥ . وسوزومين ك ٣ ف ٨ .
(٢) كانت ولايته على الليريا ، الواقعة شرق بحر الادرياتيـــك بايطاليا .

وقد استمر باباوات الكنيسة الرومانية ، يصلون بهذه الكنيسة الارثوذكسية آلاف السنين ، قبل أن يجعلوه مقرهم الرسمى بالفاتيكان ، وقبل تجديد هذه الكنيسة .

ويلاحظ أن الكنيسة القديمة كانت مخصصة كذلك ، لكى يقوم القديس أثناسيوس الرسولى ، باجراءات الطقوس والقداسات القبطية فيها ، أثناء وجوده فى روما .

ولم يؤثر على القصر عوامل الزمن لآلاف السنين التى مضت ، من براكين أو حرائق ، أو حروب خاصة بالنسبة لمبانيه الرئيسية .



قصر اللاتيران فى روما القصر الاصلى للباباوات

بجواره الكنيسة والمسلة المصرية

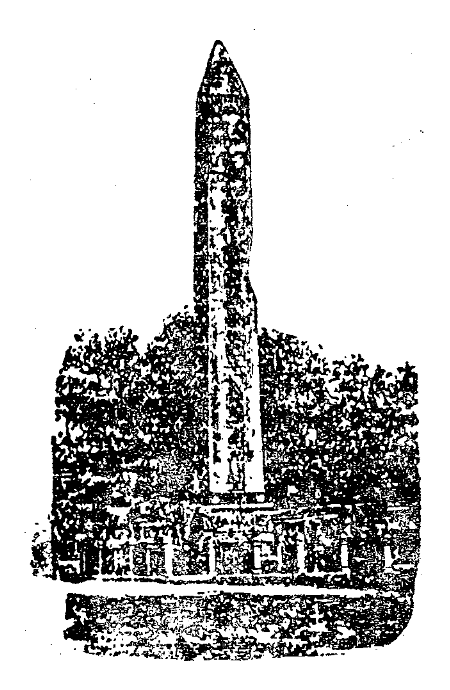
القصر والمسلة هدية من الامبراطور قسطنطين

المسلة المصرية

والمسلة المصرية المقامة أمام قصر اللاتيران ، قد شغف الشعب الرومانى بجمالها ، وأشادوا بحضارة الاقباط ، وكان الامبراطور قسطنطين قد استجاب لطلب الشعب الرومانى ونقل هذه المسلة الى هناك ، وقد نقل مسلة أخرى الى القسطنطينية .

ونعد المسلة التى نقلت أمام قصر اللاتيرانى ، كأضخم مسلة مصرية عبر التاريخ الفرعونى القديم ، وكانت على اسم تحتمس الثالث .

وعندما بدىء فى اعداد هذه المسلة حتى نهاية تشييدها ٣٦ سنة ويبلغ طولها ١٠٥ قدم ومساحة قاعدتها ٦ قدم(١) ، ووزنها ٤٥٠ طن . وكانت المسلات الفرعونية توضع أمام باب الهياكل ، وعددها اثنين ، وهى منحوتة من كتلة واحدة من حجر الجرانيت ، مربعة الجهات مصقولة ، على هيئة عمود . وفوق كل مسلة من المسلات يوجد هرم صغير مربع الجهات . وفى اسفل المسلة ، ترتكز على حجر واحد من الصوان ، وكانت تدعى المسلة بالهيروغليفية (تيخن) وينقش على هذه المسلات الفرعونية باللغة



مسلة تحتمس الثالث فى اسطمبول

الهيروغليفية ، اسم ولقب الملك المشيدة له هذه المسلة ، وحروبه ، وأعماله الخيرية والهياكل التى أقامها فى حياته .

---

(١) القدم عند الفراعنة يبلغ ٣٠ سم وأربعة مليمترات .

وصول المندوب الرومانى

الى انطاكية

حينما وصل مندوبا البابا يوليوس الى انطاكية ، خشى الاريوسيون الرد الفورى على رسالته ، حتى لا يكون الاسراع فى الرد سببا فى افتتضاح أمرهم ، أو اذا وافقوا حضور المجمع ، لينكشف أمرهم اذا ما ناظروا القديس أثناسيوس ، فماطلوا فى الرد ، ومكث المندوبان بأنطاكية شهرين كاملين .

وفى أثناء هذه الفترة فوجىء الاساقفة فى روما ، بارسال قرارات مجمع انطاكية الثانى دون حضور أحد .

ومن هذه القرارات : —

١ — رفض مجمع انطاكية قانون الايمان النيقاوى ، ووضعوا بدلا منه أربع صور أخرى بديلة جديدة ، كانت أساسا لاستحداث شيعة مسيحية جديدة تسمى بالنصف أريوسية . وطلبوا من البابا الرومانى اختيار ما يروق له من هذه الصيغ الاريوسية الجديدة التى صاغها أوسابيوس .

٢ — استحدث يوسابيوس آراء لاهوتية جديدة ضد الكلمة لا تفترق عن البدع الاريوسية السابقة شيئا ، سبق أن تحدثنا عن بعضها . ومنها كذلك أن الكلمة يسوع المسيح لم يكن رب واله على البرايا قبل ولادته من حيث أنه ما كان يمتلكها قبل ميلاده . فبذلك لا يمكن القول بأن يكون من الآب . ولذلك لم يكن الابن الكلمة مساويا لأبيه فى الجوهر . ولكنهم قالوا اننا نؤمن بالمبدأ الارثوذكسى بأن ميلاد الكلمة أصبح أزليا فى حضن الآب .

٣ — قرر المجمع الانطاكى الثانى حرم القديس أثناسيوس ، وكثيرين من الاساقفة الارثوذكسيين المتشيعين بشيعته ، وطلبوا من البابا الرومانى بمنعه وعدم قبول القديس أثناسيوس فى روما .

٤ — احتج اليوسابيون بعدم قانونية انعقاد مجمع رومية وقالوا ان الدعوة التى أرسلها يوليوس لحضور أساقفة مجمع انطاكية الثانى الى روما ، لم تكن دعوة مجمعية كنسية بل دعوة كنسية مكانية ولذلك لا يعتد بهذه الدعوة .

رد البـــابا الرومانى

فاسرع البابا يوليوس بارسال رده يعرفهم بأنه لم يكتب اليهم للحضور الى مجمع روميـــة بصـــفته مجمـــع مكانى . ولكنه مجمع عام قام بالدعوة له ممثلا ، لجميع الاكليروس الغربى ، والاكليروس الشرقى الذى حضر الى رومية وقال لهم ان القوانين الكنسية لا تخول لمجمع أنطاكية الحق فى الحـــكم على أسقف لكرسى رسولى ، مثل القديس أثناسيوس بطريرك مدينة الاسكندرية . بل المجمع المختص لنظر تلك الاتهامات هو المجمع المقدس المصرى ، وحيث أن هذا المجمع قد أصدر قراره بتأييد البطريرك ، لذلك لا تعد قرارات مجمع أنطاكية يعتد بها ، بل كأنها لم تكن ، وحيث ان مجمع أنطاكية مجمع غيـــر مسكونى ، فليس من حقه أن يستصدر قرارا بالادانة على بطريرك كنيســة أخرى .

لذلك تعد التهم الموجهة الى القديس أثناسيوس بريئا منها ، حتى يعاد مناقشتها فى مجمع مسكونى يضم جميع أساقفة العالم ، ولهم وحـــدهم أن يستصدروا أى حكم يرونه طبقا للاسانيد التى تقدم لهم .

وأصر البابا الرومانى على ضرورة عقد مجمع رومية ، وان تخطر جميع كنائس العالم لحضوره ، وتعد قرأراته كنسية(١) قانونية .

---

(١) أثناسيوس فى الاحتجاج الثانى سوزومين ١ ف — ٩ .

الفصل الثـــانى

مجمـــــع روميـــــة

غضب اليوسابيون لرد البابا الرومانى ، وصمموا على التمســـك بقرارات مجمع أنطاكية الثانى ، وهو ملزم لجميع أساقفة العالم ، ومنهـا كنيسة رومية . حيث أن هذه القرارات أصبحت نهائية ، وحيث أنهـــا قد اعتمدت من امبراطور الشرق وهو المختص حسب رأيهم ، والذى يقع ضمن اختصاصه كنيسة الاسكندرية .

لذلك صمم جميع الاساقفة المجتمعون برومية على ضرورة انعقاد المجمع فى الميعاد المحدد له للاسباب الآتية : —

١ — مجمع أنطاكية لم يحضره اساقفة الغرب ، لذا يجب أن يتم فحص قراراته بدقة عن طريق أساقفة الغرب . ولا يحق لليوسابيين أن يحتجـوا لذلك ، بل انه من صالحهم أن يتأكدوا بأن القرارات التى صـــــدرت ، قد صيغت بالعدل وليس لاعتبارات العداوة التى يكنونها للقديس اثنـاسيوس بالذات .

٢ — قرارات مجمع أنطاكية ، قرار محلى ، مثله مثل قرار مجمـــع الاسكندرية وهو قرار محلى كذلك . والقراران متعارضان ، فقد برأ مجمـــع الاسكندرية القديس اثناسيوس . فان عرض القرارين على مجمع مسكونى محايد فى رومية ، يحل هذا الاشكال ، أمام أساقفة العالم ، وعلى ضـــوء تطبيق القوانين الرسولية ، وحتى لا يضار احد من أبناء الكنيسة الجامعـه نتيجة حقد دفين من أفراد كنيسة ضد كنيسة أخرى .

٣ — يرى مجمع رومية أن يراعى تطبيق القانون الكنسى لحل هـــذا الاشكال . وهى قوانين ثابتة منذ القدم بين الكنائس الرسولية ، وقد أقرت فى مجمع نيقية ، وأن رفض هذه القوانين من مجمع أنطاكية المحلى غيـــر

لائق . وليس من المعقول أن يلغى بسلطة أفراد معينين نتيجة حقد ، والغاء قرارات مجمعية كنسية ثابتة منذ القدم .

٤ — ان بحث المشاكل الخاصة بالتهم الموجهة للبابا أثناسيوس ، لا يحق أن يثير غضب اليوسابيين ، حيث أن الاطراف المتصارعة ممثلة فى مجمع رومية . ومنهم مكاريوس القس الاريوسى ، ومرتيروس وحزقيوس الشماسين الاريوسيين ، وأثناسيوس نفسه ، وأساقفة آخرين موجودين كذلك . حينئذ سوف يشعر الاخوة المصريين ، بأنه قد أعطى لهم الحق فى ازالة الاسباب التى يشتكون منها ، بأن ظلما وقع عليهم من اليوسابيين ، ومن مجمع أنطاكية .

٥ — الحرم الذى وقع على بابا الاسكندرية ، وعلى الاساقفة الارثوذكسيين ، ليست بالامر السهل ، لأنها تبلغ لجميع الاساقفة فى كل مكان . فالذنب الذى أقترفه مجمع أنطاكية ، لا يعد ذنبا عاديا ، ولا يعد خطأ عادى ، حدث ضد أى انسان ، بل انه موجه ضد الرب يسوع المسيح ابن الله الحى ، كلمة الله .

٦ — المشكلات التى اثيرت فى مجمع أنطاكية ، ليست من المشاكل الفردية ، بل هى مشكلات عامة لاهوتية يجب أن تعرض على مجمع مسكونى .

٧ — يوجد تعارض بين قرارات مجمع أنطاكية الاول ، ومجمع أنطاكية الثانى ، وهى صادرة عن مجموعة واحدة من الاساقفة . فقد لوحظ أن ما قرروه أولا لا يتفق مع ما كتبوه عن مجمع أنطاكية الثانى ، هذا التعارض يستدعى بحثه فى مجمع رومية لكى يفحص هذه الامور برمتها فحصا دقيقا ويأخذ كل فرد حقه .

٨ — التهم التى وجهت الى البابا أثناسيوس ، وباقى الاساقفة الارثوذكسيين ، والتى سبق أن بحثت فى مجامع سابقة وصدر بها قرار ما ، لا ينظر اليها مرة أخرى ، لسابقة الفصل فيها ، أو كما يتراءى لمجمع رومية فيما يصدره من قرارات .

انعقاد مجمـــع روميـــة

انعقدت جلسات مجمع رومية . وبحث المجمع فى التهم الموجهة ضـــد القديس أثناسيوس ، وباقى الآساقفة الارثوذكسيين . وكان هذا المجمـــع مؤلفا من ٧٠ أسقفا ، فتم قراءة قرارات المجمع المقدس المصرى ، والخـــاص بتبرئة القديس أثناسيوس من جميع التهم التى وجهت اليه من الاريوسيين ، فقرر مجمع رومية بنزاهته عن كل شبهة تهم تمســـــه ، هـــو والاساقفـــة الارثوذكسيين المصريين وحكمت ببرائتهم . **وانفض المجمع .**

وانتهز القديس أثناسيوس الفرصة ، فالتقى بعدد كبير من الاساقفة الغربيين الذين حضروا مجمع رومية ، تلبية لدعوة يوليوس أسقف رومية . وكان الجميع يجلون أثناسيوس ويقدرون مواقفه ، وتمسكه بالمبـــــادىء الارثوذكسية واللاهوتية ، وفى سبيل محافظته على الايمان المستقيم(١) .

وقد عبر بعض المؤرخين ، بأن ذهاب أثناسيوس الرسولى وأساقفته الى روما ، قد سهل ذلك فى الاستمرار بطرده من مدينة الاسكندرية ، وأعطى للبطريرك الدخيل غريغوريوس ، الفرصة لاستمرار الاستيلاء عليها . ولكن حينما ينظر أى فرد مدقق الى قرار الامبراطور الشرقى بطرد أثناسيوس من مدينة الاسكندرية والقبض عليه ، يرى انه ليس من السهولة لصـــــالح الكنسية أن يبقى أثناسيوس بالمدينة ، بدون أن يراق دماء ذكية من أبنـــاء الكنيسة الارثوذكسية .

وقد لوحظ كذلك أن اليوسابيين قد تعمدوا ، فى عدم حضـــورهم الى

---

(١) بعد أن مرت ستة قرون تغيرت هذه النظرة ، وأصبح الاعتقـــاد الكاثوليكى يختلف عن اعتقاد الكنيسة الارثوذكسية ، ولكى تؤكد أن العقيدة الكاثوليكية هى الاصل نسبت عقائدها الى أقوال مزورة لأثناسيوس بغيـــر الحقيقة ، فمثلا ذكر فى المخطوط رقم ١٣٩٦ والموجود بالمتحف القبطى ص ٢٣ عن أقواله عن الاعتقاد الكاثوليكى قال « نبتدىء بعون الله وتوفيقه بنسخ اعتقاد مارى أثناسيوس الرسولى بطريرك الاسكندرية ، صلاته معنا آمين ، وقال الآب والابن والروح القدس لاهوت واحد مساو بالمجد والازليـــــة ، والروح القدس منبثق من الآب والابن وغير مصنوع وغير مخلوق وغيـــــر مولود ، فيلاحظ أن اضافة (والابن) أضيفت بعد القرن الحادى عشر .

مجمع رومية ، لوثوقهم بقرب موت الامبراطور قسطنطين الثانى فى حروبه التى وقعت بينه وبين أخيه ، قبل انعقاد مجمع رومية ببضعة أسابيع .

ومن الامور التى دعت الى الدهشة ، أن غريغوريوس البطريرك الدخيل الموجود بمدينة الاسكندرية ، أرسل مندوبا عنه الى روما لكى يحضر مجمع رومية ، وهذا بارساله مندوبه (كاربوبنس) ولكن لم يقبل المجمع حضوره . علما بأن هذا المندوب سبق أن أصدر القديس الكسندروس قرارا بحرمه قبل نياحته .

نتائج مجمع رومية

وقراراته

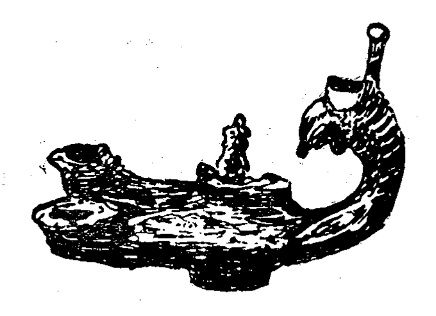
أولا : قرر مجمع رومية تبرئة القديس أثناسيوس ، وأوصى المجمع بأنه لا يجوز صدور أى قرار بالنفى أو الحرم لأى أسقف الا بعد عرض الامر على أساقفة حياديين وبعد عرض الامر على مجمع مسكونى ، وخاصة للبت فى أى شكوى تتقدم من أى كنيسة ضد أى كنيسة أخرى ، والموافقة على ايقاف كل الاجراءات التى اتخذت مخالفة للقوانين الكنسية . وقد اقتنع المجمع بأن جميع الاساقفة الارثوذكسيين الذين تحملوا الآلام من الاريوسيين هم أساقفة الكنائس المعتمدة من مجمع نيقية .

ثانيا : قرر مجمع رومية تبرئة (مرسيليوس) أسقف أنقره باقليم غلاطية بآسيا الصغرى ، وبراءة بولس أسقف القسطنطينية ، وبراءة اسكالباس أسقف غزة ، ولوسيوس أسقف أدينوبل ، وباقى الاساقفة المصريين ، الذين صدر ضدهم قرار بالحرم .

ثالثا : قرر المجمع تحرير كتاب احتجاج الى الاساقفة اليوسابيين بأنطاكية ، ردا على قرار الحكم الذى سبق أن أصدروه ضد القديس أثناسيوس بدون وجه حق ، وتعيينهم خليفة له على كرسى الاسكندرية بالمخالفة لقانون مجمع نيقية .

رابعا : وقرر المجمع بناء على ما قاله يوليوس ، بأنه فرضا لو كان القديس أثناسيوس قد وضع موضع اتهام ، وثبتت عليه التهم ، وأدين

بواسطة مجمع اسكندرى ، كان يتعين أن يكون خليفته من أبناء الكنيسة المصرية ، وباختيار المجمع المقدس المصرى ، الذى له الحق وحده بأن يسام آخر بدلا منه على كرسى الاسكندرية(١) وليس من أبناء كنيسة أخرى .



---

(١) عين غريغوريوس البطريرك الدخيل على كرسى مدينة الاسكندرية بالمخالفة لقرارات مجمع نيقية ، والآن يتنازع عشرات من البطاركة على هذا الكرسى بدون وجه حق ، وأكثرهم من الاجانب ، مستغلين أحيانا فقر بعض الاقباط ، فيضموهم اليهم بصرف مساعدات مالية لهم .

الفصل الثالث

كرسى الاسكندرية أثناء غياب

القديس أثناسيوس

غريغوريوس البطريرك الدخيل :

ان ارسال غريغوريوس الكبادوكى البطريرك الدخيل الى مدينـــة الاسكندرية بواسطة أوسابيوس ، لأنه كان يثق فيه بأنه يؤمن أيمانا رآسخا بالهرطقة الاريوسية .

كان غريغوريوس من ضمن الطلبة الاجانب الذين تلقـــوا علومهم اللاهوتية بمدرسة الاسكندرية ، الذين أتوا الى مصر ضيوفا فأكرمت الكنيسة القبطية هذا الانسان كابن من أبنائها ، ومع ذلك لم يحسن غريغوريوس فى رده لهذا الجميل ، ولم يرد جزء من المعاملة الكريمة التى شعر بها من ضيافة الشعب القبطى له . فبدلا من أن يرد الجميل ، نجده أنه كان أول من نـــكل بالاقباط واشترك فى قتل كثيرين من زملائه الاكليريكيين .

ويقال أن القديس أثناسيوس نفسه سبق وأحسن اليه بصفة خاصة ، حينما كان تلميذا له بالمدرسة اللاهوتية ، وقد رد لأستاذه أول جميل يصنعه ، بأن طلب من الوالى ، أن يقتل القديس أثناسيوس .

ويقال أن زملائه الاقباط قالوا عن شروره — بأنها كانت تفوق شـــرور دقلديانوس .

فحينما نزل غريغوريوس الى بر الاسكندرية ، كانت تحميه الســـفن الحربية الرومانية ، وهددت قطع الاسطول الرومانى بأنها سوف تقتحـــم

المدينة بحرا ، بمساعدة الجنود اليونانيين الموجودين بمدينة الاسكندرية ، والذين كان يحميهم ٢٠٠٠ من جنود البحرية(١) .

وكان أول عمل قامت به هذه القوات عند دخولهم المدينة ، انهم نهبوا متاع الكنيسة وكهنة المدينة .

وكان يملأ الجنود حقدا رهيبا ضد الشعب القبطى ، وهذا بسبب الاشاعات التى ملأ بها المدينة ، غريغوريوس ، بقوله ، أن أثناسيوس أمر الشعب القبطى بعدم دفع الضرائب للدولة . وأن هذه الضرائب التى حددها أثناسيوس عن كل كنيسة ، كان يدخل ايرادها للبطريركية حسب زعمهم ، وهى تفوق الضرائب التى كانت تحصل لأمر الامبراطور . وكان الامبراطور يتصور أن الهبات التى تقدم للكنائس ويدفعها الشعب القبطى هى هبات تجنب كمصروف للكنيسة القبطية ، للصرف منها على الشعائر الدينية ، وما تقتضيه المصروفات الكنسية وهى غير الضرائب التى تحصل لصالح الدولة .

ويقول أعداء أثناسيوس بأنه خالف أمر الامبراطور ، لأنه لم يرخص له بأخذ الهبات الضخمة ، وقال أعداءه كذلك بأن هذه الاموال المحصلة من أثناسيوس هى تمويل يجمعه للعمل على اسقاط الحكومة(٢) .

وان كان السبب السابق ذريعة وتبرير لغريغوريوس وجنوده لقتل أثناسيوس وأفراد الشعب القبطى . فلم يكن لأى محلل تاريخى أن يوضح ، لماذا وصل الحقد لغريغوريوس أن يطلب من امبراطور الغرب(٣) لقتل يوليوس بطريرك رومية ، ودوناسيوس بطريرك أنطاكية .

لذلك بقوا مختفين عند بطريرك رومية(٤) ، بعيدا عن أعين الاشرار ، والله

---

(١) انتقم الله من هؤلاء اليونانيين فقد عاشوا فترة كبيرة فى ذل وهوان ، مستعمرين من غيرهم . أن دماء الاقباط الشهداء كانت تصرخ فانتقم الله لهم .

(٢) مصر فى عهد الرومان ص ١٩٨ ، ١٩٩ . لكثرة الضرائب التى كانت تؤخذ من الاقباط بدون رحمة ، جعلهم يضطرون لترك أراضيهم وأهلهم ، ويفرون للصحراء .

(٣) مصر فى عهد الرومان ص ١٦٦ .

(٤) أسقف فوة ص ٢٨ ، مخطوط بمكتبة المخطوطات بدير السريان ، والمؤلف .

قد أنقذهم من يد غريغوريوس ، وأرسل كاروبيم وخلصهم من يده .

وقد ارتاع الشعب المسيحى بمدينة الاسكندرية ، وقرر المقاومة ، ولكنهم فشلوا ، بسبب مساعدة والى مصر ، فيلاغروس لغريغوريوس . وكان فيلاغروس مسيحيا ، ثم أصبح وثنيا مرة أخرى . وكان أول هجوم من الوالى ضد أقباط مصر يشمل جميع الكنائس فى يوم جمعة الصلبوت(١) .

وكان يوم الفصح عند اليهود ، وكان يسميه الاقباط بعيد الآلام ، فذبح الجند فى هذا اليوم المقدس كثيرين من الاقباط داخل الكنائس ، فكانت هذه الفترة تمثل الالام الحقيقية التى عاشها الاقباط فى مرارة وألم .

فحينما علم أثناسيوس بهذا الامر ، أرسل رسالة الى كل مسئولى الكنائس فى العالم ، وقال لهم ، انى أستغيث بكم كما استغاث الرجل الاسرائيلى ، الذى عندما ماتت امرأته ، بعد أن اغتصبها منه أعداؤه ، قسم جثتها الى اثنى عشر قسما ، بعث بكل قسم منها الى سبط من أسباط يهوذا الأثنى عشر ، وهذا ليتحدوا جميعا ، ويأخذوا بثأر تلك الزوجة التى تمثل الاسباط كلها(٢) .

وقد انتهز هذه الفرصة ، رعاع اليهود ، وعبدة الاصنام ، للانقضاض على الاقباط وقتلهم ، وقد مهدت هذه المصائب للانتكاس الوثنى اليولياتى(٣) وقد شجع هؤلاء الرعاع على وجه الخصوص الجند اليونانيين ، ولتهييجهم ضد المسيحيين وزيادة البطش بهم . فدنسوا العذارى اللاتى كرسن ذواتهن لخدمة الله ، فقد قبض غريغوريوس على أربعة وأربعين من هؤلاء العذارى ، وعراهن ، وضربهن بالسياط ، وقتل عددا كبيرا من ذويهن .

وعلق أحد المؤرخين على هذه الحوادث الدموية الوحشية ، بأنه لو كان غريغوريوس قد تعين فى وظيفته كبطريرك بصفة قانونية ، لما

---

(١) رتب القديس أثناسيوس أسبوع الآلام ، وهذا الطقس هو المتبع بالكنيسة القبطية حتى الآن .

(٢) تاريخ الاريوسيون ص ١١٦ / ١١٨ .

(٣) مختصر تاريخ الكنيسة . لمار اغناطيوس البطريرك الانطاكى ، ٤٨١ / ٤٨٢ .

احتاج الى استعمال أساليب غير قانونية ، وغير انسانية ، ليجبر الشعب القبطى للخضوع له . وساد البلاد جو من الرعب والارهاب .

وكان تمسك الشعب القبطى بعقيدته ، سببا رئيسيا فى اقتنـــاع باقى مسيحى العالم وخاصة كنائس روما والغرب ، بالتمسك كذلك بمبادىء أرثوذكسية كنيسة الاسكندرية .

سـيطرة غريغوريوس على الكنيسـة

بعد هذه المذابح الدموية ، سيطر غريغوريوس على مدينة الاسكندرية وكنيستها رسميا يوم ٢٣ مارس ٣٣٩ م قبل انعقاد مجمع رومية . وقـــال البعض أنه كان عـــام ٣٤٠ ، بعد مغادرة أثناسيوس لمدينة الاسكندرية ، وعلق غريغوريوس قرار تعيينه ، على جدران المصالح ، والميادين العـــامة بالمدينة ، وأوضح بهذا المنشور بأن الامبراطور قسطنطيوس ، أصدر قراره بتعيينه أسقفا على كرسى مدينة الاسكندرية ، ووزع منشورا أريوسيا ، الى كافة المدن القبطية ، يقول فيه ، أن ابن الله الكلمة يسوع المسيح مخلوق . فلم يقبل أحد فى أرض مصر الافكار الاريوسية الواردة فى هذا المنشـــور . بل تقرب الشعب القبطى أكثر من الاسرار الالهية ، وزاد عدد الحاضرين فى القداسات ، بجميع كنائس القطر ، وزاد عدد المتناولين على يد الكهنـــة الارثوذكسيين ، الذين رسموا على يد القديس أثناسيوس الرسولى ، دون سواهم حفاظا على أمانتهم المستقيمة .

ثم بدأ غريغوريوس فى محاربة خصومه من الاساقفة(١) الموجـــودين بباقى الابروشيات بشدة لا مزيد عليها . وتحـــديا لمشـــاعر المسيحيين الارثوذكسيين أصدر البطريرك الدخيل أوامره بمنع الاساقفة الارثوذكسيين من اقامة الشعائر الدينية ، وعدم مباشرة زياراتهم الرعوية للشعب القبطى ، الذى آثر عن بكرة أبيه أن يحرم من الصلاة ، ومن اقامة الشعائر الخاصـــة بالمعمودية الارثوذكسية ، أو الترحم على المنتقلين على أن يشترك فى جريمة

---

(١) مصر فى عهد الرومان ص ٢٠٠ .

الصلاة مع ذلك الاسقف الاريوسى الدخيل ، وأنصاره اليوسابيين ، قتلة الابرياء .

وامعانا فى التحدى للاقباط ، رأى غريغوريوس ، بأن يقوم هو نفسه بزيارة رعوية للاقباط فى انحاء القطر المصرى ، ربما يستميل اليه بعض ضعاف النفوس . ولكن جميع الشعب القبطى قاطعه ، لأنه كان يؤمن بأن كل من مس عقيدته الارثوذكسية السليمة ، وحارب الرب يسوع المسيح ، ابن الله الكلمة ، فيبتعد الجميع عنه . فحدثت مذابح ومجازر ضد الشعب ، يعجز عن ذكرها القلم . والاريوسيين لم يصلوا الى قلوب الشعب القبطى ، لأنهم اعتدوا على معتقداتهم .

وكان يردد الاقباط أمام تكرار هذه المذابح « فلنتقبل كل ألم ، ونرحب بالموت ، اذا اقتضت الضرورة ، فى سبيل المحافظة على الايمان الارثوذكسى(١) ، ولنضح بكل شىء دون أن نشارك صلاة المبتدعين .

ولما دخل غريغوريوس الى مدينة هيراقليا ، التقى بأسقفها الشيخ القديس بوتامين الذى كان قد ذاق الامرين أثناء اضطهاد مكسيميانوس الوثنى ، وكان هذا القديس قد اشتهر بدفاعه الجرىء عن القديس أثناسيوس الرسولى . فحاول غريغوريوس أن يثنيه عن ثباته واخلاصه للقديس أثناسيوس ، ففشل فى كل محاولاته ، عندئذ ذلك أمر الجنود اليونانيون بجلده وتركه مثخنا بجراحه . وحينما علم المؤرخون بما حدث ، جاءوا اليه ، ورفعوه فى حنان ورفق الى فراشه ، واعتنوا به حتى فاضت روحه بين يدى الآب السماوى .

وبسبب هذه الحوادث المحزنة آثر القديس أثناسيوس البقاء فى روما ، بناء على طلب الاساقفة الغربيين حتى صيف عام ٣٤٣ م .

---

(١) مخطوط ١٣ تاريخ ص ٥٥ ، مكتبة الدار البطريركية . أسقف فوة ص ٢٢ ، لاروس القرن العشرين حـ ١ ص ٤١٠ ، دائرة المعارف البريطانية ص ٥٩٨ .

موقف الامبراطور قسطنطيوس

بعد قرار مجمع رومية

حينما علم الامبراطور قسطنطيوس ، من الاساقفة الاريوسيين واليوسابيين ، ما قرره مجمع رومية ، رفضها ، وأصدر قرارات تؤكد تشبثه بقرارات مجمع أنطاكية ، وأمعن فى الكيد ضد كثيرين من الاساقفة الارثوذكسيين لمخالفتهم لقراراته ونفاهم .

وحينما علم القديس أثناسيوس بذلك كتب رسائل الى الامبراطور قسطنطين امبراطور الغرب ، شرح فيه نظر الكنيسة القبطية ، وطلب مساعدته ، وفسر له الكتب المقدسة ، تفسيرا أرثوذكسيا عن العهدين العتيق والجديد . وحينما سمع القديس أثناسيوس اقتناع كثيرين من أباطرة الغرب ، وقواد الدولة ، بالايمان الارثوذكسى ، أصبح فى غاية الغبطة ، لأنه كان يكسب كل يوم أعضاء جدد للكنيسة الارثوذكسية ، فى جميع أنحاء أوروبا .

وانتهز الفرصة ، ونشر الكنيسة الغربية أخبار نساك مصر ، والحي الطاهرة التى يعيشونها فى الجبال والبرارى ، فأعتنق مبادئها كثيرون من سراة الرومان(١) .

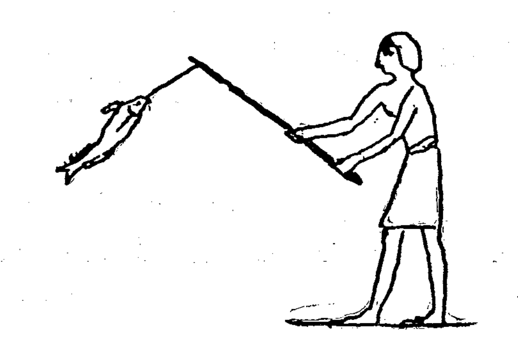
ووعد الامبراطور القديس أثناسيوس ، بأن يبذل مساعيه ، لاعادته الى كرسيه ، ورفع الظلم الواقع على الاقباط .

ومكث القديس أثناسيوس فى روما ثلاث سنوات أخرى ، أتم فى خلالها كتابه كثير من الميامر اللاهوتية ، واعاد كتابة حياة القديس الانبا أنطونيوس ، وهى نسخة أخرى غير التى سبق أن كتبها فى تريف عام ٣٣٦ م . وكتب قصة حياة القديس الطاهر الانبا بولا ، كما سبق أن سمعها عن الانبا أنطونيوس . ثم قام بنشر قصة الحياة النسكية فى مصر(١) .

---

(١) سقراط ٤ ف ٢٣ .

وأعظم انتصار للقديس أثناسيوس أن الشعب الرومانى آمن بمبادىء اللاهوت ، الارثوذكسى ، وتعلم الشىء الكثير عن طقوس الكنيسة القبطية ، وبعد أن كان الشعب الرومانى يقوم بصلوات القداسات فى أيام السبوت بدلا من أيام الآحاد ، شرح لهم ضرورة العبادة وعمل القداسات فى أيام الآحاد . وكان الشعب الرومانى سندا للقديس أثناسيوس .



---

(١) ذكر كثير من المؤرخين ، بأن القديس أثناسيوس كان أول من أدخل فكرة الرهبنة الانطونية الى روما ، والغرب .

الباب الثالث

كنيسة الهند الارثوذكسية

كانت كنيسة الهند تتبع الكنيسة القبطية ، وتعد من احدى أبروشياتها وأبروشية الهند كانت تسمى (بالهند الكبرى) التى تتكون من الساحل الهندى وايران واليمن . وبالنسبة للعلاقة القديمة للكنيسة الهندية مع الكنيسة القبطية . شجع ذلك القديس أثناسيوس لاتخاذ اجراء رعوى خوفا من انتشار البدعة الاريوسية الى الهند ، وخاصة بعد انتهاز الاريوسيين فى العبث هناك أثناء غياب القديس أثناسيوس بسبب سفره لروما . وفعلا انتهز أوسابيوس الفرصة ، فقرر بعد انتهاء مجمع أنطاكية الثانى ، بأن يتصل أوسابيوس بأساقفة الابروشيات التى تتبع كرسى الاسكندرية ، خاصة التى تقع خارج حدود مصر ، لمحاولة استمالة المسيحيين هناك لاقناعهم بقبول الآراء الاريوسية واليوسابية الجديدة .

فاتصل بالحبشة ، وطلب من فرومنتيوس ادخال البدعة الاريوسية اليها ، ولكن الشعب الاثيوبى تمسك بايمان الكنيسة الاسكندرية الارثوذكسى ، أما بالنسبة لليمن وايران والهند ، أراد أوسابيوس أن لا تهرب من قبضة يده ، فطلب من الامبراطور قسطنطيوس بما له من سلطان فى هذه المناطق أن يرسل بعثة للذهاب الى اليمن والهند وايران عام ٣٤١ م وسام على رأس هذه البعثة أسقفا هنديا أريوسيا يدعى ثاوفيلس ، وحينما ابتدأ ثاوفيلس الهندى جولته لمحاربة مبادىء الكنيسة الارثوذكسية ، وجد جميع الشعب المسيحى هناك متشيعا للقديس أثناسيوس ، فرفضوا رفضا قاطعا للمذهب الاريوسى . وكانت جولة البعثة تشمل حمير باليمن ثم ايران والهند ، وكانت هذه المنطقة تدعى بالهند الكبرى الذى كان يتمسك مسيحييها بالايمان الارثوذكسى ، بسبب سهر الاكليروس القبطى فى رعايتهم فى هذه المناطق

النائية ، منذ بداية العصر المسيحى ، فأرسل ثاوفيلس يخبر الامبراطور عن رفض المسيحيين بمنطقة الهند الكبرى عن قبول الايمان الاريوسى . وأوعز فشل مهمة البعثة بسبب تشجيع أساقفة أثناسيوس للشعب المسيحى هناك ، وتحريضهم على الصمود بالتمسك بالايمان الارثوذكسى ، فعارضوا بشدة أوامر بعثة الامبراطور .

فأسرع الامبراطور وكتب رسالة الى حكام هذه المناطق لكى يتفاوضوا مع هذه البعثة مباشرة وتنفيذ تعليماته ، وظن أن ذلك سوف يكون له الاثر المباشر فى اقناع الشعب المسيحى بقبول الايمان الاريوسى ، وتنفيذ أوامر الامبراطور .

امام هذا الضغط ، عرقل الشعب المسيحى بالهند تنفيذ كل أوامر الامبراطور ، وازدادوا فى عصيانهم لاوامره . بل وعرقلوا تنفيذ جميع أعماله الخاصة التجارية . وكان تاريخ هذه المحاولة اليوسابية فى ارسال هذه البعثة الفاشلة فى عام ٣٤١ واستمرت حتى عام ٣٤٦ م .

سيامة القديس اسطفانوس القبطى

مطرانا على أبروشية الهند الكبرى

حينما علم القديس أثناسيوس عن هذه المحاولة منذ بدايتها ، فقام باصدار تعليماته بتكثيف عمل الكنيسة الدعائى . فبعد أن كان يشرف على الكنيسة الهندية أسقفا أرثوذكسيا من قبل الكنيسة القبطية ، وكان هذا الاسقف الوطنى من الاتقياء الهنود ويدعى أفروديت الهندى والذى سبق أن كان تكريسه للخدمة هناك وسيامته على كنيسة الهند ، بواسطة القديس البطريرك القبطى الانبا الكسندروس . قام القديس أثناسيوس لخشيته أن تمتد يد الاريوسية الى هذه المنطقة فأوصى بسيامة القديس الانبا اسطفانوس القبطى مطرانا على منطقة الهند الكبرى لكى يكون تحت اشرافه الاساقفة الوطنيين(١) بالهند وايران واليمن ، وبعد أن مات فى هذه الفترة أسقف

---

(١) ربما كانت كرازة الكنيسة القبطية قد وصلت الى الصين ، ففى عام ١٦٢٥ م اكتشف ببلاد الصين صليبا من حديد يرجع تاريخه الى عام ٢٣٩ م — تاريخ الكنيسة القبطية .

اليمن واراد الاريوسيون سيامة أسقفا أريوسيا بدله ، لذلك طلبت وأصرت ملكة اليمن أن يسام القديس الانبا موسى اليمنى على يد الكنيسة القبطية ، فسيم بواسطة الاساقفة الاقباط بكاتدرائية جبل أدريبة وسوف نشرحها مع باقى الكاتدرائيات الموجودة بوادى قنا ، وكان هذا القديس يدعى بأسقف الخيام . وقد استمرت أبروشية الهند الكبرى(١) ، تابعة للكنيسة القبطية ، طوال العصر المسيحى ، وقد وصل نفوذ الكنيسة القبطية الى باقى آسيا(٢) ، عن طريق بعثات الكنيسة ، حتى وصلت الى بلاد الهند الكبرى ، وكان يسام مطرانها القبطى على يد بابا الاسكندرية . وقد ازدادت الكنائس الارثوذكسية هناك . وأيد هذا الرأى يعقوب السروجى فى احدى خطبه الموجهة الى نصارى نجران ، التى أشار فيها بأنه كانت توجد كنائس كثيرة تدين بمذهب الطبيعة الواحدة ، بعد أن تم تأسيس كنائس الحبشة واليمن والهند .

ويلاحظ أن علاقة اليمن بالهند ، كانت قديمة جدا ، ففى عدن اليمنية ، يقال ان قابيل لما قتل أخوه هابيل خاف من أبيه آدم وفر من أرض الهند ، التى قتله بها ، الى عدن ، هو وأهله ، وسكن بجبل جيرة بجوار عدن(٣) .

---

(١) دائرة المعارف القبطية ، فى ذكرى اليوبيل العالمى لمرور ١٩ قرن على تأسيس كنيسة الاسكندرية ١٩٦٨ ص ٣٥٢ .

(٢) دليل المتحف القبطى ، القاهرة . جزء (٢) الكنيسة القبطية فى آسيا .

(٣) تاريخ ثغر عدن ، مطبعة بريل ليدن ١٩٣٦ عن مخطوط طبع بليدن .

صلة كنيسة الهند المسيحية مع الكنيسة القبطية

منذ القرن الاول المسيحى

رسل المسيحية

القديس برثلوماوس الرسول



القديس برثلوماوس مؤسس كنيسة الواحات بمصر

سبق أن بشر القديس برثلوماوس الرسول فى الهند ، وبشر مع ذلك مدن الواحات بمصر(١) ، وقد سبق أن أشرنا الى ذلك بالتفصيل . والقديس برثلوماوس الرسول هو ناثنائيل ، وكان اسمه يشوع واسم أبيه ستيانوس(٢) ويقال انه كان يبشر بمصر وآسيا الصغرى ، وبلاد الارمن ، وبلاد الهند الشرقية واليمن ، وكان يحمل انجيل معلمنا متى البشير(٣) الذى كان مكتوبا بخط يده ، ويقال ان القديس برثلوماوس ترك هذه النسخة كنزا

---

(١) دائرة المعارف القبطية ، حياة القديس مارمرقص . ابراهيم صبرى معوض فى ذكرى مرور تسعة عشر قرنا على نياحة القديس مارمرقص ص ١٠٣ .

(٢) مصباح الظلمة فى ايضاح الخدمة ص ٣٩ .

(٣) موجز المقال فى تاريخ مشاهير الرجال — الشماس فرح جرجس ١٩٠٩ . ص ٨١ .

نفيسا ، وأثرا خالدا لسكان اليمن تتداوله الايدى من الآباء الى الابنـــاء ، حتى عثــر عليه بنتينوس الفيلسوف الاســـكندرى ، ناظر المدرســـة الاكليريكبة ، وهذا حينما كان يمر فى جولته بالهند ، فسألهم عمن أتى اليهـم
الاكليريكية ، وهذا حينما كان يمر فى جولته بالهند ، فسألهم عمن أتى اليهـم

وقال البعض أنه بسبب اتصال الحبشة بتجار الهند دخلت المسيحيـة الى بلاد الهند(١) . وتقول التقاليد الارمنية ، بأن القـــديس برثلوماوس الرسول بشر ببلاد الارمن ، هو وتداوس الرسول .

وذكر فى المخطوطات القبطية بأنه بعد عودة القديس برثلوماوس من بلاد الواحات ، ذهب هو والقديس اندراوس الى مدينة تنيطس للتبشـــير بهـــا(٢) .

وذكر فى مصباح الظلمة أنه ذهب الى جزائر الصين الاقصى ، وكانت الرحلة البرية من الهند الى بلاد الارمن متصلة عن طريق آسيا الصغرى ، ومنها الى أوروبا ، وهذا الطريق البرى ، غير الطريق البحـــرى الجنـــوبى عن طريق بحر القلزم والبحر الاحمر(٣) .

وكان الرسل والقديسين ، فى رحلاتهم التبشيرية باسم الســـيد المسيح ، يصلون من الهند الى داخل مصر عبر طريق البحر الاحمر الى ميناء تادرس ، ومنها عن طريق وادى قنا ، الذى كان معبدا بأحجار الجرانيت منذ العصور الفرعونية القديمة ، داخل الصحراء الشرقيـــــة الى أخميم ثم الى مدينة قنا . وكاتدرائيات الصحراء الشرقية ، وهى موضحة على الخريطـــة بالتفصيل .

وربما كان ذلك سببا فى ذكر أحمد ابن ماجد فى أرجوزته عن أنتشـــار المسيحية على جميع الساحل الافريقى الشرقى حتى القرن السادس عشر ،

---

(١) حياة القديس مارمرقص ص ١١٤ ، مخطوط ٩ تاريخ ، ١٦ تاريخ مكتبة المخطوطات بالدار البطريركية .

(٢) الخريدة النفسية ، مطبعة عين شمس ص ٥١ .

(٣) مخطوطة لثلاثة أرجوزات كتبها أحمد ابن مالك ، ربان ســفينة فاسكودى جاما ، نشرت بمعهد الاستشراق بموسكو عام ١٩٥٧ ص ٩٩ . نسخة منها طرف ابراهيم صبرى معوض .

ففى رحــلة أحمــد ابن ماجد ربان رحلة فاسكودى جاما قال عن الصليب ،

لوجــــة الصليب يا حميــــــــدا
والواجب أن هـــا هنــــــا ترانا

نلتقى بالقســــــوس والشـــجورى
فى ذلك الزمــــان يا نظيـــــرى(١)

وبعد ٨٠ يوم من النيروز راى المسيحيون فى الساحل الشرقى لافريقيا يعيدون بعيد الملاك ميخائيل . وهذا ما شاهده الافرنج الموجودين بالسفينة كذلك .

نزلوا بهـ الافرنــج على الموســـم
فى عيــــد ميـــكال بالتـــــوهم

قــــام علينــــــا ملك الرؤوس
فى ســـــفالة معى معـــــكوس(٢)

والكنيسة القبطية تعيد يوم ١٩ هاتور بتذكار بشارة القديس برثلوماوس الرسول ، أحد الاثنى عشر رسولا الذى ذهب الى الواحات فى مصر ، حيث أن أهلها أصبحوا يؤمنون بالسيد المسيح .

جسد القديس برثلوماوس الرسول فى مصـــر

وقد اهتم القديس اثناسيوس الرسولى بجسد القديس برثلوماوس الرسول واحضر الى مصر جسده الطاهر هو وجســد سمعان الكنعانى أو القانوى ، وهذا ما ذكره المؤرخون ومنهم المؤرخ أبو المكارم . وقد ذكر ذلك أيضا أستاذنا الجليل الانبا ديوسقورس مطران المنوفية السابق والاستاذ بالكلية الاكليريكية فى كتابه « تاريخ حياة القديس الانبا شنودة . وان كان

---

(١) صفحة ٩٥ ٧ ســطر ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .
(٢) صفحة ٩٢ سطر ٤ ، ٥ دير السفالة أمام جــزيرة القمر وهى منطقة الصومال . فهى من المناطق التى زارها الرسل وبذلك تكون آثـــار المسيحية كانت باقية فيها حتى القرن السادس عشر .

قد ذكر بعض المؤرخين الاجانب أن جسد القديس برثلوماوس الرســـــول موجود فى مناطق أخرى غير مصر لكن ثبت تاريخيا أن هذه الاماكن التى يدعون أن القديس مدفون بها ، فى وقت من الاوقات كانت خربة ، ولا يوجد ســـند تاريخى يؤيد زعمهم .

وسمعان القانوى نسب الى قانا الجليل ، وهـــو من التلاميذ الاطهار . وقد لقبه السيد يسوع المسيح بالغيور . أتى الى مصر وبشر بها ، فتشرفت أرض الفراعنة بطلعته البهية وبرؤيته ، ثم بشر فى بلاد العجم(١) .



سمعان القانوى بشر فى مصر وبلاد العجم

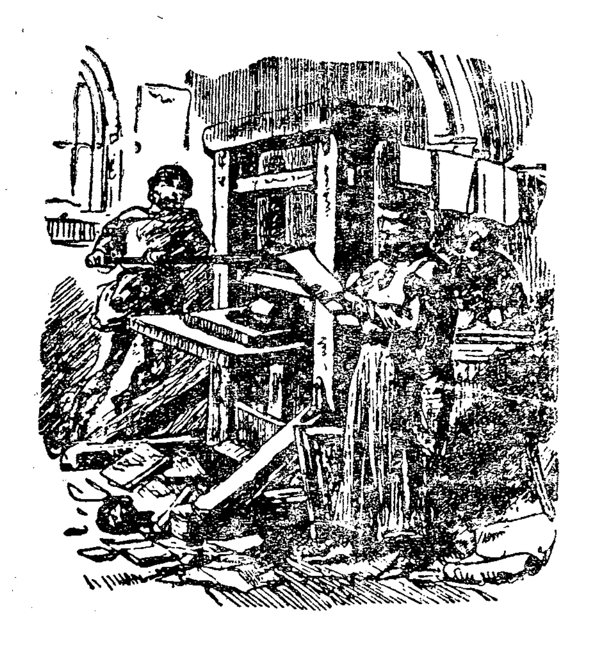
تم ذهب الى أحراش افريقيا ثم ذهب الى بريطانيه ثم عاد الى الفرس ومات هناك مصلوبا .

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ١٠٧ .

توما الرســـول بشر فى مصـــر

وبلاد الهنـــد



توما يكرز فى الهنـــد

ولد توما فى الجليل ، وكان مولعا بقرائة الكتب المقدسة ، وآمن بالسيد المسيح ، كتب القس حبيب سعيد عنه ، بأن التقليد يقول بأن القديس توما الرسول قصد الى الهند وبشر أهلها بالمسيحية ، وأسس هناك كنيســـــة لا تزال باقية وتعرف بكنيسة مار توما فى جنوب الهند ويتبعها نحو مليـــون نسمة(١) .

ويلاحظ أن القديس توما بعد رحلته الاولى الى الهند(٢) ، مر فى طريقه الى مصر عن طريق ميناء تادرس بالبحر الاحمر ، ومنها عبر وادى قنا مارا

---

(١) الاثنى عشر تلميذا ــ حبيب سعيد . دار النشر للكنيسة الاسقفية ص ١٠٧ .

(٢) مصباح الظلمة فى ايضاح الخدمة ، وقال انه كرز فى الهند والسند ص ٧٩ .

بالطريق الفرعونى القديم بالصحراء الشرقية ، وعبر جبال أخميم وهناك عند أعلى الجبل شاهد رؤيا انتقال السيدة العذراء مريم ، وتوجه بعدها الى أورشليم ، لكى يشاهد بنفسه ، صعود جسدها الطاهر الى السماء ، ثم رجع بعد ذلك الى الهند وصنع بها كثيراً من المعجزات وتحول كثير من هذه البلاد الى المسيحية ، مثل كيرالا ، ومالنكار ، ومدراس ، وميلابور ، ومكث بالهند حوالى ٢٠ عام وعمد فى أثنائها كثير من البراهمة ، وانتهت حياته فى عام ٧٢ م . وبعد أن استشهد ، دفن فى مكان يسمى بجبل توما .

وتقول بعض المصادر ، بأن الدين المسيحى ، دخل أثيوبيا عن طريق توما الرسول لا على يد القديس متى البشير ، وكما ذكر فى التقليد الاثيوبى(١) . ويقال ان توما بعد الصعود سافر الى بلاد فارس (ايران) . وهى بلاد المجوس الذين قدموا الهدايا للمسيح يوم ولادته ، ولما رآهم هناك ، عمدهم توما وصيرهم تلاميذ له(٢) .

وعلى أى حال لا يوجد اى تناقض فى القصص الواردة بالتقاليد المسيحية فى الكنائس المختلفة ، لأن أحدهم يكون قد ذهب الى مكان ولم يذهب أماكن أخرى ولأن الرسل كانوا على صلة ببعضهم أثناء تبشيرهم بالمسيحية .

ويقال ان قصة استشهاد القديس توما بالهند(٣) ، أن ملك تلك البلاد ، حنق عليه ، وأمر بضربه بالحراب ومات شهيداً ودفن فى مدينة ميلابور ، وبجوار مقبرته جبل يسمى جبل توما .

وقالت بعض المصادر بأن جسده نقل قبل مرور عام على وفاته الى مدينة الرها . وهناك روايات أخرى تقول بأن الملك يوحنا الثالث ملك البرتغال ، أمر رجاله بالتفتيش عن جسد القديس توما فى خرائب معبد قديم كان مبنيا على قبر نسب الى القديس توما خارج أسوار ميلابور ، وقال انه

---

(١) دائرة المعارف القبطية — حياة القديس أثناسيوس الرسولى . جزء (٢) ص ١٣١ .

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية ص ١٠٤ .

(٣) ذكر كيرلس اليسوعى عن حوادث البرتغاليين ، أنه عند مرورهم بمسيحى ملبار ، وجدوهم يقولون فى كتب طلباتهم باللغة السريانية أن القديس توما اجتذب الى الايمان المسيحى الحبشة والصين والعجم .

كلفهم بعمل حفريات فى الارض عام ١٥٥٣ م فكشفوا عن عقد على شكل كنيسة كانت بها عظام القديس مع جزء من الحربة التى قتل بها وقنينه مخضبة بالدم . ويلاحظ أن هاتين الروايتين متناقضتين للاسباب الآتية : —

١ — حينما نرجع آلى جميع المصادر التاريخية حتى القرن الرابع لم نجد أى فرد كان مهتما بأجساد الرسل والقديسين قبل القديس أثناسيوس وكاتبه الذى أصبح بطريركا وهو القديس ثاوفيلس فهناك يوجد يوسابيوس الاريوسى والمؤرخ الكنسى النسطورى ثيودوريت Theodoret لم يذكرا أى شىء عن أى جسد لأجساد الرسل أو التلاميذ حتى القرن الرابع . فكل مصادر المغرب عن هذه الاجساد لم يهتم بالكتابة عنها الغرب سوى ما ذكر فى القرون الاخيرة . أما الكنيسة آلقبطية هى التى اهتمت بنقل جسد يوحنا المعمدان واليشع النبى ودفنا بدير أبى مقار ونقلا من الكنيسة التى أقامها ثاوفيلس فى البستان الذى كان ملكا لوآلد القديس أثناسيوس بمدينة الاسكندرية(١) ، ومكانها الآن جامع الالف عمود بمدينة الاسكندرية ، وتناقل الاقباط هذه القصص عبر تاريخهم من جيل الى جيل . حتى ذكر الاسقف آلقبطى أبو الكارم بأن جسد القديس برثلوماوس وسمعان الكنعانى موجودين حتى الآن بدير الانبا شنوده بأخميم(٢) .

وربما يكون قد تم نقل جسد القديس الانبا شنوده نفسه ، الى نفس الدير والكنيسة ، وانضم الى أجساد هؤلاء الرسل .

٢ — تم نقل جسد أرميا النبى فى عهد القديس أثناسيوس ، وتم وضعه بكنيسة الملاك غبريال بمصر القديمة ، داخل حصن بابليون وقد اشتراها أليهود من أحد بطاركة الكنيسة القبطية بسبب أزمة مالية مرت على الكنيسة ، وكان اعتقاد اليهود بوجود جسد أرميا النبى سببا فى شراء هذه الكنيسة وتحويلها آلى كنيسة يهودية ، ولم ينكروا ذلك . هذا دليل قوى على صحة التقليد للكنيسة القبطية فيما تقدمه من تواريخ صحيحة عبر العصور .

---

(١) كتاب حياة القديس أثناسيوس — دائرة المعارف القبطية — ابراهيم صبرى معوض جزء (٢) .

(٢) أبو المكارم ، مارمرقص الانجيلى . دائرة المعارف القبطية ابراهيم صبرى معوض ١٩٨٦ ، الخطط الجديدة لعلى باشا مبارك جزء ٧ ص ٤٢ ، مخطوط رقم ٨/٩ جديد ، ٢ تاريخ قديم مكتبة المخطوطات بالدير المحرق السيرة ٢٢ عن الانبا ثاوفيلس .

٣ — التوابيت التى كانت مصنوعة من الحجارة هى الآثار الوحيدة التى كانت توضح بيان بأجساد القديسين فى فلسطين والتى عثر عليها عام ١٩٢٤ ، كان قد اهتم بدراستها الدكتور موريتس مع الدكتور ماير ، وأودعت بمتحف أورشليم بغرفة التوابيت وقت الانتداب البريطانى ، قد لوحظ على التوابيت نقوش آرامية ، وهى من الحجر الجيرى الابيض المستطيل ٦٥ × ٢٧٫٥ × ٢٧ سم كانت جوفاء مخصصة لحفظ العظام فقط ، وقد نقشت على التوابيت الاخرى أسماء كثيرة من تلاميذ المسيح وأتباعه من الرسل وبعض أسماء السيدات ، مثل اسم مرتا ، واليصابات ، وسمعان ، ويعقوب ، ويوحنا ، وسالومى . وكانت هذه التوابيت خالية من العظام ، كانت ملقاه بجوار مدينة أورشليم منذ عام ١٩١٢ ، فلم يهتم بها الناس ، وكانت المنطقة التى وجدت بها التوابيت تدعى وادى قدرون أو وادى ست مريم . لذلك اهتم هؤلاء العلماء لدراسة التوابيت بمصر أو الاماكن التى توجد بها أجساد الرسل أو التلاميذ أو القديسين الموجودة بمصر للتحقق من هذه الاجساد(١) ، فلا يمكن نتيجة للاستنتاجات الفعلية السابقة أن يصدق أنه توجد أجساد سبق أن أشار المؤرخين الاقباط أنها توجد فى مصر . ثم يقال أنها توجد فى أماكن غير مصر .

وسبق أن أعدت دراسات مستفيضة عن أجساد بعض الرسل والتلاميذ والقديسين أيام المتنيح البابا كيرلس السادس ، وكان فى نيته الاعداد لتكريم أجسادهم ، كما حدث بالنسبة للقديس مارمرقص . ولكن لم يحن الوقت الملائم بعد وفاة هذا القديس للقيام بعمل الاحتفالات التى تليق بكرامتهم .

القديس متى الرسول

وذهابه للهند

والقديس متى العشار رسول المسيح ، تسمى باسم لاوى . بشر ببلاد الهند(٢) وأفريقيا وكان ذلك فى حكم الامبراطور اقلاديوس . وقد مات هناك شهيداً رميا بالحجارة فى ٢٦ بشنس ، ويقال أن ملك الهند قطع رأسه ودفن فى ملبار ثم نقل الى الرها . ووضع جسده بكنيسة شيدت على اسمه

---

(١) حياة القديس أثناسيوس للمؤلف جزء (٢) ص ٢٠٦/٢١٠ .
(٢) موجز مشاهير الرجال لفرح جرجس .

بالهند ، وقيل أنه ذهب الى أثيوبيا وأقام بها ٢٣ ســـــنة ، ويروى اكليمندس الاسكندرى أنه كان يتغذى بالبقول طوال أيام حياته ويقال أنه حينما كان فى الحبشة وجد الرجل الذى عمده فيلبس فرحب به وأكرم مثواه ، وســاعده فى نشر كلمة الخلاص(١) .

علاقة الهند الكبرى بالكنيسة القبطية

عبر التـــاريخ

الهند الكبرى كانت أبروشية تتبع الكنيسة القبطية .. كانت علاقتها بمصر قديمة وكانت مصر حلقة الوصل بينها وبين الرومان ، وبسبب تجارتهم انتشرت المسيحية هناك . وكانت اليمن لها شهرة عظيمة ، لأن ملكة سبا بنت بجوار المدينة سد مأرب ، التى دمرت لانفجار سورها وسدها العظيـــم ، زارها الاسكندر المقدونى . وذكر بدليل المتحف القبطى بالقاهرة بأن بعض الكنائس التى كانت تتبع الكنيسة القبطيـــة باليمن هى كنـــائس كولم ، وفهور ، وصنعاء ، اليمن ، وكنيسة التلس ، وكنيسة جبل مروا .

وأخبار اليمن من ناحية الكنيسة القبطية ، تشير الى أنها كانت جزءا من أبروشية الهند كما سبق أن ذكرنا ، منذ أوائل العصر المسيحى . وقد ذكرت فى انجيل متى بأن ملكة التيمن ستقوم فى يوم الدين مع هذا الجيل وتدينه ، لأنها أتت من اقاصى الارض لتسمع حكمة سليمان ، وهـــوذا أعظم من سليمان ههنـــا .

ويقال أن أول من أدخل الدين المسيحى بعد القـــديس متى الى اليمن تاجران من مدينة نجران فى القرن الاول الميلادى .

ويقال ان القديس متى الرســـول حينما كان فى اليمن كتب نســـخة من انجيله هناك .

وعبر القديس متى من اليمن الى الحبشة ، حيث استشهد هنـــــاك

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٩٩ .

عام ٧٠ م رجما بالحجارة ودفن فى قرطاجنة بقيسارية ونقل فى وقت لاحق الى مصر كما سبق أن ذكرنا .

وذكر بعض المؤرخون العرب بأن الكتاب المقدس قد ترجم الى العربية ، فى ذلك الوقت المبكر ، وروى المؤرخون بأن ورقة ابن نوفل النصرانى اليمنى ، كان يكتب الكتاب المقدس بالعربية ، وينقل بالعربية من الانجيل ما شاء أن يكتب .

وفى مدينة ريدان عاصمة اليمن فى ذلك الوقت ، انتشرت بها المسيحية ، مما زاد من حنق اليهود الموجودين هناك ، وبسببهم انتشرت المذابح ، واستشهد فى ذلك الوقت حوالى ٢٠٫٠٠٠ مسيحى .

وقد استمرت أبروشية اليمن تتبع الكنيسة القبطية ، ولكنها اقتصرت على أربع أسقفيات فى ظفار ، وعلى مدخل الخليج الفارسى ، وفى عدن ، وفى نجران .

وفى عام ٥٠٠ م قام أبرهة الاشرم بحكم البلاد اليمنية ، وبدأ فى استقلال اليمن السياسى ، وانفصل عن دولة الحبشة ، وبنى أبرهة كنيسة فى صنعاء ، تسمى الكنس ، وهى مشتقة من كلمة اكليسيا أى الكنيسة ، وقد بالغ فى بنائها وزخرفتها حتى تكون قبلة للعرب ، وقال المؤرخون العرب فى وصفها « وندخل من باب الكنيسة الى بيت طوله ثمانون ذراعا ، وعرضه أربعون ذراعا ، مسقف بالساج المنقوش ، مسمر بمسامير من الذهب والفضة ، وفى صدر القبة منبر من الابانوس المرصع بالعاج ، المصفف بالذهب والفضة . وقد عثر على نقوش على باب الهيكل تقول . « بقدرة الرحمن ومعونته ورحمته ومسيحه والروح القدس » .

وكتب الاحباش فى قصصهم وفى كتبهم قصة القديس أزمير ، الكاهن النصرانى اليمنى الذى حبس ، بواسطة الملك شرحبيل ، لكنه نجا من الحبس ، وتبعه رجل يدعى قرياقص ، قطع اليهود اليمنيون رأسه هو وثمانية وثلاثين آخرين ، ودفنت جثثهم بنجران(١) وسبق أن أشرت عن قصة رسامة القديس الانبا موسى اليمنى فى الكنيسة القبطية .

ومن أساقفة اليمن الارثوذكسيون ، أسقف حمير ، ويدعى جرجنتيوس ،

---

(١) معجم البلدان لياقوت .

وقد ترك من آثاره الفكريه كتابا عن شرائع الحميريين ، وكان يجادل اليهود في شرائعهم .

أبروشية الهند

كانت تتبع الكنيسة القبطية

حتى القرن الثانى عشر

وان كنا قد فصلنا بين أبروشية الهند عن اليمن فى كاباتنا ، علما بأنه فى ذلك الوقت كانت تدعى بالهند الكبرى ، لأن أبروشية الهند فى العصر القبطى انفصلت عن اليمن فذكرت بدليل المتحف القبطى بالقاهرة لمرقس سميكه باشا ص ٢٦١ ، ولم يذكر أية تفاصيل عنها طوال الحقبة الماضية .

والكنيسة القبطية كانت سعيدة بوصول نسخة انجيل متى فى أواخر الجيل الثانى الميلادى عن طريق ناظر المدرسة الاكليريكية الفيلسوف بنتينوس الذى كان يتجول مبشرا فى الهند واليمن .

البابا ديمتريوس يرسل ناظر المدرسة الاكليريكية

بالاسكندرية بنتينوس للهند

ففى عصر البابا ديمتريوس(١) ، أرسل ناظر المدرسة الاكليريكية بمدينة الاسكندرية الفيلسوف بنتينوس لرعاية مسيحى الهند ، وتقول القصة أنه مر على مدينة الاسكندرية أحد التجار الهنود وعرض على البابا أن يرسل القديس بنتينوس ناظر المدرسة اللاهوتية الى الهند لرعاية

---

(١) ديمتريوس الاول كان معاصرا للحاكم داكيوس أقام على الكرسى حوالى ٤٣ عام تنيح فى ٢٣ بابه ٢٣٥ م وهو الذى اشتهر بلقب الكرام ، كان فلاحا متزوجا لا يعرف القراءة والكتابة ، وتعلم وأصبح من علماء الكنيسة ، وهو الذى رتب حساب الابقطى ، نبغ فى أيامه كثير من الفلاسفة ، مثل أوريجانوس واكلمينضوس وأمونيوس صاحب جداول اتفاق البشيرين .

المسيحيين هناك ، وقال أنه سمع الى عظات بنتينوس وأعجب بها ، واعتنق المسيحية ، وقال للبابا أن ارسال بنتينوس الى الهند سيكون تحت رعايته ، وقال أن شعب الهند يحتاج الى معلم يرشدهم للايمان .

فوافق البابا ديمتريوس عام ١٨٩ م فقام بنتينوس بهذه المهمة بالهند على أن يقوم تيطس(١) ، بدلا منه القيام بمهمة ناظر المدرسة اللاهوتية . ولم يتأخر هذا العالم فى رعاية مسيحى الهند ، وذهب فورا بمصاحبة التاجر .

وكان بنتينوس له شهرة(٢) عميقة كناظر للمدرسة اللاهوتية ، تتلمذ على يديه الفيلسوف اكليمنضوس الاسكندرى ، وغريغوريوس العجائبى .

وقد استمرت الكنيسة القبطية فى رعايتها لمسيحى الهند بصفة خاصة ، وباستمرار ، من وقت بنتينوس الفيلسوف القبطى حتى القرن الثانى عشر .

وبعد انتهاء مهمة بنتينوس بالهند مر بعد ذلك على الحبشة واليمن وبلاد العرب .

وقد نجح بنتينوس فى مهمته ، وعند رجوعه الى مصر ، حمل معه نسخة من أنجيل معلمنا متى التى سبق أن تركها هناك القديس برثولماوس الرسول . ويقال ان هذه النسخة من الانجيل لمعلمنا متى كانت باللغة العبرية ، وبخط الرسول متى نفسه ، وكانت هذه النسخة موضع اجلال الهنود المسيحيين وتعظيمهم . وحينما أحضر هذه النسخة الى مدينة الاسكندرية ، فرح بها الشعب القبطى ، ثم تسلم من البابا ديمتريوس مرة اخرى زمام المدرسة اللاهوتية . وقد واصل من الجهد فى سبيل رفعة هذه

---

(١) تيطس فلافيوس اكليموس .

(٢) كان فى الاصل من عبدة الاصنام ، واعتنق المسيحية ، على يد أثيناغوراس الفيلسوف اليونانى الذى كان أيضا وثنيا ، وصار بعد ذلك يبشر ويدافع عن تعاليم السيد المسيح ، وكتب رسالة الى مرقص أوريليوس وكومردوس بين عامى ١٧٦ / ١٧٧ م . وترجم بنتينوس أسفار الكتاب المقدس الى اللغة القبطية .

وقد توفى فى عام ١٩٤ م ، فدفنه تلاميذه ، الذين حزنوا عليه لما كان مشهورا به من جليل الصفات وجميل الطباع .

المدرسة الليل بالنهار . وقد استخدم نور الشمس فى اتمام مؤلفاته ، ولمعان الكواكب فى انجاز اسفاره الهائلة .

وقد اشتهر بنتينوس باختراعه للابجدية القبطية ، وهى طريقة جديدة لم يكن يألفها الشعب القبطى ، فقد استعار الحروف اليونانية فى كتابة اللغة المصرية القديمة .

واستبقى مع ذلك ستة حروف من الابجدية الهيروغليفية ، وأصبحت بعد ذلك ، الابجدية القبطية الجديدة المستعملة عند الاقباط حتى يومنا هذا . وأصبحت هذه الابجدية صالحة لكتابة ترجمة الاسفار المقدسة للغة القبطية .

واستمرت أبروشية الهند تتبع الكنيسة القبطية بعدة قرون ، فقد ذكر ساويرس ابن المقفع ، أسقف الاشمونين ، عن حضور كاهن هندى الى مصر فى زمن البطريرك سمعان الاول(١) » يطلب رسامة أسقف للهند . ويقول أن ملك الهند أرسل قسيس الى مصر ليطلب أسقف لبلادهم من البطريرك فأخذوه العنابيين ، وقسموا له أسقف وكهنه ، وهم فى الطريق مسكوهم ومضوا بهم الى السلطان(٢) ، فتعجب ، وظن الامر من قبل البطريرك فهدده . وبعد ذلك وقف على صحة قول البطريرك أنه ليس الامر من عنده ، وأمر بقتل العنابيين .

الهند فى عهد البابا كيرلس ٦٧

استمرت العلاقة الوثيقة ، مع وجود ظروف صعبة تمر على الكنيسة القبطية ، وبين الكنيستين حتى عام ١٠٧٨ م ٧٩٤ ش ، فانه فى ولاية المستنصر بالله ، فى عهد البابا كيرلس ٦٧ ، أتى اليه راهب قبطى من دير

---

(١) البطريرك ٤٢ ، وكان سريانى الجنس ، وربما كان فى عصره أن تحولت رعاية مسيحى الهند من الكنيسة القبطية الى الكنيسة السريانية . وقد مات مسموما .

(٢) فى عهد عبد الملك بن مروان . تاريخ الكنيسة لأسقف فوة . مخطوط بدير السريان . نسخة أخرى طرف ابراهيم صبرى معوض .

أبى يحنس ، وسبق لهذا الراهب أنه كان يرعى الشعب المسيحى بالهند لمدة ٢٠ عام ، فأتى الى البطريرك ، وطلب منه أن يجعله مطرانا على الهند ، لأنه شعب عظيم ، وذكر له بيعة توما وعيدها . فلم يعطه البطريرك شيئا . فمضى الراهب المذكور الى ايران(١) ، وأقام فيها الى أن اتفق مجىء بطريرك الملكية ، فشرح له الحال فى الهند . فوافق البطريرك الملكى ، وجعله مطرانا على الهند وأرسله اليها ، وصار ملكى ، وصار يغاير القبط فى العقيدة ، وعمل هذا بسبب موقف البطريرك منه(٢) .

واستمرت بعد هذا التاريخ ، الهند تحت رعاية الكنيسة السريانية الارثوذكسية ، بدلا من الكنيسة القبطية حتى الآن ، وهى تضم مليون مسيحى يقوم برعايتهم ١٤ مطران يخضعون للبطريرك الانطاكى .

ويلاحظ أن قداسات الكنيسة الهندية ، قريبة من طقس قداسات الكنيسة القبطية ، ولغتها لغة المياكم ، وتنتشر المسيحية هناك وسط البوذيين ، والبراهمة ، وأكثر المناطق الموجودة بها مسيحيين يقطنون باقليم ملبار بالهند .

وقد أعجب الهنود بجهاد الكنيسة القبطية وكفاحها المرير عبر السنين ، واحتفظوا بأمانة كنيسة الاسكندرية لأجيال عديدة . وقد ذكر القس ف.س صموئيل . بأن كنيسة الهند تحتفظ بصلات روحية عميقة مع كنيسة الاسكندرية . والكنيسة الهندية تطلب دائما بركات بابا الاسكندرية ، وأنه توجد بين الكنيسة المصرية والهند روابط روحية قديمة ، والشعب الهندى كان أقرب مودة الى مصر » .

---

(١) وهذا يدل على أن ايران والهند قد انسلختا من أبروشيات الكنيسة القبطية فى هذا التاريخ .

(٢) كتاب سير بطاركة كرسى الاسكندرية ، أسقف فوة مخطوط بدير السريان . فقرة ١٠٩ » .

الباب الرابع

آثار الكنيسة القبطية والقديس اثناسيوس

فى روما

الفصل الأول

الطب والاطباء :

كان يرافق القديس أثناسيوس فى سفره ألى مدينة رومية اثنان من أقطاب أساقفة مصر الاقباط ، واشتهروا فى صناعة الطب ، وكانوا من القديسين الاغنياء ، هما القديس الانبا ايسيدور الطبيب والقديس الانبا سرابيون الاسقف الطبيب . أسقف دندرة ؛ وصديق القديس الانبا انطونيوس .

قال بلاديوس عن الانبا ايسيدور أنه رجل عظيم يتحلى بأبرع صفات الخطابة ، والعلم والمعيشة والمعاشرة الطيبة ، واسمه ايسيدور كان كاهنا ومديرا لمستشفى كنيسة الاسكندرية ، وقال « كان جسده ، بالنعمة الالهية منيرا مضيئا ، سليما صحيحا ، وكان بنعمة المسيح حاصلا على موهبة القوة ، وأن أردت أن أروى سمو روحه ، وأبين كل أمر يتعلق بها لطال الوقت ، ولما كانت القراطيس تسعها ، فقد كان رؤوفا ، ممتلئا من السلام ، حتى أنه بسبب صحة ايمانه بالمسيح ، قد أخجل خصومه غير المؤمنين منذ صباه ، واخزاهم بأعماله الصالحة ، وعظيم احسانه أذ كان محسنا للجميع » .

وكان القديس الانبا ايسيدور من أبناء مدينة دمنهور ، وكانت عائلته

من أغنى أغنيائها ، لهم ثروة عظيمة ، لذلك لم يحتاج الانبا ايسيدور الى شىء ما من الكنيسة ، ومع ذلك كان معتاد على العطاء بكثرة ، ولم يضن على الفقراء والمعوزين ، ولما انتهت أيامه واشرف على الموت ، لم يحرر وصية ما الى عائلته ، ولم يترف مالا لأى أنسان ، ولا لأخوته العذارى ، بل اسلمهن الى عناية المسيح .

أما الطبيب الاسقف الانبا سرابيون ، والذى كان مصاحبا للقديس أثناسيوس وباقى الاساقفة فى سفرهم الى روما ، فكان أسقفا على ايبارشية دندرة . وكانت أسرته كذلك من أغنى أغنياء الاقباط فى صعيد مصر . وكان صديقا حميما للقديس الانبا أنطونيوس أبو الرهبان . ومع ذلك كان زاهدا راهبا . صرف معظم ثروته على سفريات القديس أثناسيوس فى الخارج . وكان لهذا القديس صلة قوية مع أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى ، وكان من فرط الثقة به أن اختاروه لكى يطبب نسائهن الشريفات الاحرار برومية . وقد تعرف وصادق القديس ديمتريوس أسقف بيثينية ، حينما كان فى روما .

وبسبب وجود هذين الاسقفين القديسين المصاحبين للقديس أثناسيوس فى رومية ، أن ازداد تقدير الشعب الرومانى لجميع الافراد المصاحبين للقديس أثناسيوس ونجحت مهمتهم اللاهوتية ، والتعليمية والتبشيرية فى روما على وجه الخصوص ، وبالنسبة للغرب عامة .

مدرسة الاسكندرية القديمة وخاصة
فى عصر القديس أثناسيوس ، كانت رائدة
للطب منذ فجر المسيحية

وتعد مدرسة الاسكندرية القديمة وخاصة منذ فجر المسيحية حتى عصر القديس أثناسيوس رائدة للطب والاطباء ، وأبرز مثال لذلك تملم القديس لوقا الطبيب البشير ، الطب فى الاسكندرية(١) .

---

(١) دائرة المعارف القبطية — ابراهيم صبرى معوض — حياة القديس مارمرقس فى ذكرى اليوبيل العالمى على تأسيس مدينة الاسكندرية ص ٨٧ عام ١٩٦٨ .

ولا نزاع ، بأن القديس لوقا كان طبيبا ، وهذا ما اشار اليه القديس بولس الرسول لأهل كولوسى « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب(١) .

وقال ابن كبر . أن لوقا الانجيلى المتطبب ، صحب بولس وكتب الانجيل باليونانية (سنة ٥٣ — ٥٥ م)(٢) .

وقال المكين ابن العميد فى الفصل التاسع عشر ان لوقا هو الانجيلى المتطبب(٣) .

وذكر سعيد ابن بطريق « بأن لوقا الطبيب صحب بولس الرسول مدة طويلة(٤) .

وقد درس القديس لوقا الطبيب الطب بمدرسة الاسكندرية ، وكانت المدرسة الوحيدة فى العالم فى ذلك العصر التى يعتمد شهادتها لممارسة الطب فى أى بقعة من بقاع العالم(٥) .

وقال المستشرق أريك بيشوب عن تفسير رسالة تيموثاوس الاولى والثانية . ان لوقا الطبيب الذى لا يبارى فى المهنة والخدمة(٥) .

وذكر المقريزى بأن لوقا كان من السبعين أيضا وهو الانجيلى المتطبب(٧) ، وقيل فى مروج الاخيار بأن لوقا كان طبيبا وبشر بمصر ومدن الصعيد(٨) وليبيا .

---

(١) كولوسى ٤ — ١٤ .
(٢) ابن كبر ٤١ .
(٣) ١٧ تاريخ مكتبة المخطوطات بالبطريركية ص ٢٠٩ .
(٤) ٢٣ تاريخ مكتبة المخطوطات بالدار البطريركية فصل ١١٠ .
(٥) بحث بجريدة مصر اليومية ، الحلقة الخامسة ص ٢٠ فى ذكرى مرور تسعة عشر قرنا على تأسيس مدينة الاسكندرية بقلم ابراهيم صبرى معوض .
(٦) تفسير رسائل تيموثاوس للمستشرق أريك بيشوب ص ١١ .
(٧) تاريخ دخول قبط مصر دين النصرانية المقريزى ص ١٣ .
(٨) مروج الاخيار ص ٦٣٢ .

القديس الانبا ايسيدور الطبيب

كان رئيسا لمستشفى كاتدرائية

دمنهـــور

ويعد القديس الانبا ايسيدور الطبيب من أبناء مدينة دمنهور ، مسقط رأس القديس أثناسيوس(١) . وكان رئيسا للمستشفى الملحقة بكاتدرائيـــة دمنهور . وكان من أسرة ثرية جدا ، وكان الساعد الايمن للقديس أثناسيوس بعد رسامته بطريركا ، وعينه القديس أثناسيوس رئيسا لأكاديميـــة الطب بمدرسة الاسكندرية ومستشفاها . تتلمـــــذ على يديه فى ذلك العصـــر ، كالوديوس جالينوس(٢) . وقد درس الفلسفة وعلم التشريح . والمعلومات التى استقاها جالينوس ، وهو من أصل يونانى ، على يد القديس الانبـــــا ايسيدور جعله يؤلف كتابه المشهور عن فن الطب الذى كان يعد المرجـــــع الاساسى للطلبة دارسى الطب حتى أواخر القرن السادس عشر .

وقد أشار العالم الدكتور محمد درى باشا فى رسالته الطبية المقـــدمة بجامعة باريس فى ٢٣ مارس ١٨٦٦ فى القسم التاريخى لهذه الرسالة عـــن شهرة مدرسة الاسكندرية عبر القرون وخاصة فى القرن الثالث .

وقال ان الفضل فى دراسته للطب الحديث فى فرنسا يرجـــــع الى ما تعلمه بكلية الطب بمستشفى القديس أنطونيوس على يد الجراح تيلو .

وقال ان رسالته التى يقدمها هى احياء للاثار الطبية القـــــديمة فى مدارس الطب فى أرض الفراعنة ، مهد المدنية الحقيقية التى أنشأت دائـــرة المعارف للعلوم والفنون بواسطة الاله توت والتى انتشرت من وقته كتب الطب عند الفراعنة التى اعتبرت ازالة الآلام من المرضى المتألمين والبحث فى أسرار الطبيعة التى لا ترتاب من العناية الالهية فى وضع الدواء بجـــانب المريض ، والتى رسمت أيضا بالتفصيل بترتيب فى البرابى المصرية القديمة .

---

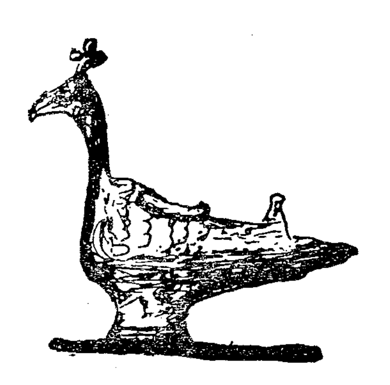
(١) دائرة المعارف القبطية ، حياة القديس أثناسيوس الجزء الاول ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) عالم الفكر العالمية تحت حرف ك .

وقال « ان مدينة الاسكندرية ، مركز المدرسة المشهورة فى الطب المتقدم حتى أن الحكام أعطوا تراخيص للاطباء بالتشريح حسب قواعد الطب الجراحى والعمل بحرية بدون عائق جنائى ، وأصبحت مكتبة الاسكندرية المعاصرة لها حتى القرن الثالث والرابع الميلادى ، حاملة للامانة الفريدة لاحتفاظ المعرفة الانسانية منذ القدم .

وقال نحن لا ننسى فضل الدكتور الجراح تيلو أستاذ التشريح بكلية الطب بمستشفى القديس أنطونيوس فى باريس الذى كان يرشدنا الى أصول علم الجراحة والتشريح وعلم الامراض .

وقال عن الطب فى القرن الثالث الميلادى « ان أطباء مدرسة الاسكندرية كان لهم الفخر فى مشاركتهم فى الوقاية وحماية الانسان والبشرية من الالم(١) .



(١) رسالة الدكتوراه فى الطب من جامعة باريس ١٨٦٩ للدكتور محمد درى تعد أقدم رسالة دكتوراه لمصرى وهى طرف المؤلف .

Mission Egyptienne En France de La Taille Périneale Chey &, L, Homme Thése Pour Le Doctorat en médecine Présenteé et Soutenue Le 23 Mars 1869 Parmohamed Dcurry.

الفصل الثـــانى

الصلاة فى كنائس روما

طبقا للقداس القبطى

حينما ذهب القديس اثناسيوس الى روما ، لم يذهب اليها اثر حكم بنفيه أو نتيجة لعقوبة ، لذلك استقبله الشعب الرومانى وأساقفة الكنيســـة الرومانية بالاجلال والمحبة . وكان يقدس فى الكنائس الرومانية حسب الطقس القبطى الارثوذكسى .

وان كان فى ذلك الوقت يوجد لكل كنيسة من الكنائس الشرقية القديمة والكنائس الغربية قداس خاص بها(١) ، الا أن القداس الخاص بالكنيســـة القبطية يعرف بقداس الاسكندرية أو القداس المرقسى .

وان كان اول قداس قد اعد بواسطة الرب يسوع المسيح فى العليـــة بواسطة السيد يسوع المسيح حينما اراد اعداد الفصح ، ويذكر الانجيـــل انه ارسل اثنين من تلاميذه هما يوحنا وبطرس ليعدا هذا الفصح . ثم اعـــد صلوات القداس وطقسه على مثال ما رسمه السيد المسيح لتلاميـــــذه فى الاحتفال بالفصح ليلة آلامه فى العشاء السرى(٢) .

وقد قال القديس يوحنا ذهبى الفم ان القديس مرقس الرســـــول قد وضع القداس المرقسى فى مصر . وقد قرر اللاهوتيان اســـــكندر روبرتس وجيمس دونالدسون فى كتابهمـــا عن الخدمة الكنسية بأن القداس المرقسى هو من اقدم ما وضع من نوعه وقد اخذ منه القداس الباسيلى والكيرلسى

---

(١) منارة الاقداس ـــ اسطفان الدويهى بطريرك انطاكية ص ٢٤٦ .
(٢) دائرة المعارف القبطية ابراهيم صبرى معوض ـــ حياة القديس مارمرقس ص ٢٧١ .

الغريغورى . وقد وضع القديس مارمرقس القداس باللغتين اليونانية والقبطية(١) . وقد أخذ القديس انيانوس عن القديس مارمرقس طقس القداس منذ فجر التاريخ المسيحى وبذلك تناقلها الخلف عن السلف . ثم دونه البابا القديس أثناسيوس الرسولى البطريرك العشرين للقديس فرومنتيوس أول أساقفة أثيوبيا حينما رسمه أسقفا عليها ونسب هذا القداس الى البابا كيرلس الاول عمود الدين(٢) .

ويقول الانبا اغناطيوس البطريرك الانطاكى . أن كنيسة الاسكندرية لديها قداس معروف منذ القدم ويدعى قداس مارمرقس وبعد ذلك دعى بالقداس الباسيلى ولدينا كتاب يقولون بأن هذا القداس المرقسى قديم جدا وهناك بعض المصادر القبطية باللغة القبطية لا زال محتفظ بها بالفاتيكان .

وكان القديس أثناسيوس يقدس بصفة خاصة فى كاتدرائية القديس بطرس الرسول فنقل الى كنيسة الغرب الصيغ المختلفة للقداس القبطى . وهو الذى أدخل طقس أسبوع الآلام الى كنائس الغرب .

كنيسة القديس بطرس

والمركز الادارى للفاتيكان مركزا أرثوذكسيا

وليس كاثوليكيا منذ انشائه

ويلاحظ أن المركز والكنيسة التى كان يقدس فيها القديس أثناسيوس الرسولى كان مكانا أرثوذكسيا خالصا وليس كاثوليكيا . فانه حينما أتى الامبراطور قسطنطين الى الملك ، وأصبح مسيحيا أرثوذكسيا أهدى للكنيسة الرومانية القصر العظيم الذى كانت تمتلكه سابقا أغنى الاسر الرومانية وهى أسرة لاتيرانى Laterani ليكون مركزا للكنيسة الرومانية لتدير شئونها منه . وصار هذا المكان مركزاً لها حتى الآن . وقد بنى القديس قسطنطين الملك الارثوذكسى كنيسة مجاورة لهذا القصر وتدعى حتى الآن بكنيسة بطرس . وعلى أنقاض هذه الكنيسة الارثوذكسية بنيت الكنيسة

---

(١) مجلة الكرمة السنة العاشرة ص ٣٥٥ .
(٢) الدر المنظوم لبولس سعد المارونى ص ٢٣٤ .

الحديثة . ويلاحظ أن الحرائق والزلازل وجميع أنواع المتغيرات عبر آلاف السنين التى حدثت فى مدينة روما لم تؤثر الا قليلا بالنسبة لهذا الاثر الارثوذكسى القديم . ويقال ان الكنيسة الموجودة فى هذا المكان تعد الآن من أكبر كنائس العالم والتى يبلغ طولها ٧٠٠ قدم وارتفاعها ٤٣٥ قدم .

وقد نقلت الى روما بامر الامبراطور كاليجولا مسلة كانت باسم تحتمس (الثالث) الى أسطمبول والاخرى الى روما والتى كانت بمدينة طيبة . ووضعت أمام مدخل كنيسة القديس يوحنا لاتيران . وقد وضع فوق هذه المسلة صليب .

وقال بعض العلماء ومنهم القس يعقوب كنج أن المدة التى صنعت فيها هذه المسلة كانت ٣٦ سنة . ويبلغ طولها ١٠٥ قدم ومساحة قاعدتها (٨) أقدام ووزنها ٤٥٠ طن .

هرطقة جديدة ينادى بها دير ابى مقار وينكرون موضوع سر حلول الروح القدس على الذبيحة المقدسة وينسبون ذلك لأثناسيوس

نسب دير أبى مقار على وجه الخطأ نصوص مزورة وأفكارا هرطقية ، الى القديس أثناسيوس تفيد انكارهم حلول الروح القدس على الذبيحة المقدسة أثناء ممارسة الخدمة فى طقس القداس الالهى ، فقالوا فى الصحيفة رقم ١٢٦ من كتاب أثناسيوس النص الآتى : — « ومعروف أيضا أن البابا أثناسيوس كان يمارس الخدمة فى كنيسة روما وكل المدن الغربية الهامة مع أساقفتها . **ومن هنا يلزم جدا التنبيه** أن مميزات طقس الافخارستيا بالليتورجية القبطية فى عصر أثناسيوس التقطته كنائس الغرب وتأثرت به روما الى أقصى حد . بل واحتفظت روما بملامح ليتورجية أثناسيوس حتى اليوم فيما يختص بموضوع الابيكليسيس Epiclesis أى حلول الكلمة على الخبز والخمر بدلا من حلول الروح القدس السارى الآن » .

أى ان دير أبى مقار ينكر سر حلول الروح القدس على القرابين الطاهرة وينسب ذلك الى القديس أثناسيوس . وهذا يعد من المبادىء الخطيرة التى

تخالف العقيدة الارثوذكسية بل وينسب هذه الهرطقـــــة الى القـــــديس أثناسيوس .

ويلاحظ أن جميع القداسات بمختلف كتب الخولاجيـــات الليتورجيـــات تثبت على وجه اليقين ضرورة استحالة الخبز الى الجسد المقـــــدس والدم الكريم ، تكون بقول الكاهن للكلمات التى فاه بها الفادى « هذا هو جسدى .. وهذا هو دمى .. مردفة بصلاة استدعـــاء الروح القدس .

حذف صلاة استدعاء الروح القدس

من الكنيسة الكاثوليكية كان حديثا وليس

معاصرا للقديس أثناسيوس لروما

الا انه يلاحظ أن الكنيسة اللاتينية حذفت مؤخرا فى الخولاجى الرومانى المطبوع فى رومية عام ١٨٤٤ صلاة استدعاء الروح القدس من خولاجياتهـــا الحديثة(١) .

واكتفت الكنيسة الكاثوليكية بالقول أن الاستحالة تتم عند رشم الكاهن الخبز . وهو يقول باركه ... والى رشم الكاس وهو يقول باركها .. » .

سر حلول الروح القدس السارى

الآن بالكنيسة الارثوذكسية

ويلاحظ أن السارى الآن فى القداس الباسيلى فى القسم الخاص بسر حلول الروح القدس أن الكاهن يقول أوشية الروح القدس سرا وهو ساجد وباسط يديه ويقول « ونسألك أيها الرب الهنا نحن الخطاة الغير المستحقين عبيدك . نسجد لك بمسرة صلاحك ، **ليحل روحك القدوس** .

(1) Missale Romanum.

ويشير بيديه الى ذاته ثم الى القرابين الموضوعة أمامه ويقول « علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ، ويطهرها وينقلها ويظهرها قدما لقديسيك » . ويقول « وهذا الخبز تجعله جسدا مقدسا له . ويبسط الكاهن يديه ويخضع رأسه للرب ويقول سرا » ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، يعطى لغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه . ويرشم الكاهن الكأس أيضا ثلاثة رشوم بسرعة ويقول . وهذه الكأس أيضا دما كريما للعهد الجديد الذى له .. ويبسط الكاهن يديه ويخضع رأسه للرب ويقول سرا . ربنا وآلهنا ومخلصنا يسوع المسيح يعطى لغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه .

ويعد هذا الجزء من القداس الالهى وهو سر حلول الروح القدس هو أرهب لحظة فى الكنيسة ، وهى فترة حلول الروح القدس على القرابين الموضوعة على المذبح القدس .

من أقوال القديس أثناسيوس

عن هذا الموضوع

فى مقالة للقديس أثناسيوس الرسولى عن مخطوط قبطى وجد بكنيسة دير تاسا محافظة أسيوط قال أثناسيوس « الروح القدس هو الفاعل فى رتبة الكهنوت ويولد المتعمدين بنين لله الآب السمائى ، وبواسطته تكمل الذبيحة الروحانية من مشارق الشمس الى مغاربها ، ومن شمالها الى يمينها ، روح الحق البار قليط المعزى المنبثق من الآب نسجد له ونمجده مع الاب والابن ، كما سلمت الينا الامانة الارثوذكسية » .

نص آخر للقديس أثناسيوس

ذكر القديس اثناسيوس فى ميمره عن كيفية تحويل الخبز الى جسد المسيح(١) ، فقال عن تحول الخبز والخمر الى جسده . « وها أنا أظهر لك

---

(١) نسب البعض هذا الميمر الى ساويرس ابن الاقفع . ويلاحظ ان ساويرس كان يجمع هذه الميامر وليس كاتبها .

كيف يصير الخبز جسد المسيح ، ومزج الخمر والماء دم المسيح ، لتعرف مقداره وجلاله ، وكرامته وتتحقق أن المسيح الاله ، حاضر كما كان حاضر مع تلاميذه ، وذلك أن التلاميذ لم يكونوا ينظرونه الا متجسدا بجسده ، لأنه اله ابن اله ، نور من نور ، مولود من الآب قبل كل الدهور ، وليس له لحم ولا دم ، غير منظور ، وغير مدرك ، وغير محسوس ، وغير ملموس ، فلما أخذ له اللحم والدم من مريم العذراء واتحد به صار منظورا بذلك الجسد ، مدركا به محسوسا ملموسا .

وقال فلما أراد أن يفدينا بنفسه ويصعدنا الى السموات دبر لنا تدبيرا ليكون باقيا معنا الى الابد ، كما كان مع تلاميذه وأمرنا أن نأخذ الخبز الذى منه لحمنا ولحمه ، والماء والخمر الذى منه دمنا ودمه . ونرفعهما على مذبحه المقدس ، ونسأله باسمه الذى علمنا اياه ، **فيحل عليهما بروح قدسه الذى حل به على لحم ودم مريم ويحولهما الى جسده ودمه** ، كما كان مع الرسل ، وميتا عنا كما مات عن أهل ذلك الزمان ، ملفوفا باللفائف ، ومطروحا فى الصينية ، كما لف بالاكفان وطرح فى القبر ، مهرقا دمه عنا فى الكأس ، كما أهرق دمه على الجلجلة . فاذا نظرناه على هذه الهيئة ، المتضعة ، نؤمن ونقر بعظمته ، كما آمن به اللص فى ضعفه وأقر بعظمته ، فننال معه مغفرة الخطايا الكثيرة ، من أجل ايماننا به فى ضعفه ، كما قال اللص ، ونستحق منه الصوت الذى استحقه اللص ، وذلك أننا نقر به قائلين اذكرنا يا رب اذا جئنا فى ملكوتك ، ويقول لنا كما قال للص « الحق أقول لكم انكم اليوم تكونون معى فى الفردوس » .

محاولة ادخال هذه الهرطقة للكنيسة

القبطية كانت حديثة ، ولم تكن معاصرة للقديس أثناسيوس

وسبق للكنيسة الكاثوليكية تغيير نصوص قداس الكنيسة القبطية منذ عام ١٧٣٦ ، ولكن ما قامت به قد وضح تماما سر ادخال هذه الهرطقة . فقد نقل الكاثوليك قداس القديس غريغوريوس الثيئولوغوس الناطق بالالهيات ، بطريرك القسطنطينية ، فى الخولاجى الذى طبعه الاقباط الكاثوليك فى رومية عام ١٧٣٦ ، وبالمقارنة الى النسخة المطبوعة فى مصر عام ١٨٩٨ نلاحظ ما يلى : —

قال القديس اغريغوريوس مخاطبا فادى البشرية « انك فى الليلة التى

فيها أسلمت ذاتك عنا بارادتك وسلطانك وحدك ، أخذت خبزا على يديك الطاهرتين ، وشكرت ، وباركته وقدسته ، وقسمته وأعطيتـــه لتلاميذك القديسين ، ورسلك الاطهار قائلا خذوا كلوا منه كلكم ، لأن هـــذا هـــو جسدى ، وهكذا الكأس أيضا من بعد العشاء ، أخذتها ومزجتها بثمرة الكرمة والماء وشكرت ، وباركتها ، وقدستها وأعطيتها لتلاميذك القديسين ورسلك الاطهار قائلا خذوا اشربوا منها كلكم لأن هذ هو دمى ...

كل هـــذا يقوله الكاهن ويسمعه الشعب ، وكل منهما واقف فى مكانه بكل خشوع وبلا حراك .

ثم يقول الكاهن ما تسلمته الكنيسة من بولس الرسول عن رب المجـــد مشيرا الى الخبز فالكأس . كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس ، تبشرون بموتى وتعترفون بقيامتى وتذكروننى الى أن أجىء .

فيعقب الشماس على ذلك بقوله . « بموتك يا رب نبشر » . ثم يقول الكاهن « نحن الآن يا سيدنا نقيم ذكرى نزولك الى الارض وموتك المحى ... وقبرك ... وقيامتك ... وصعودك ... وجلوسك عن يمين أبيك ، ومجيئك الثانى من السموات المخوف المملوء مجدا ، نقرب لك قرابينك ، مما لك على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال » .

هنا يصرخ الشماس قائلا . « اسجدوا لله بخوف ورعدة » . فيسجد الكاهن باسطا يديه على المذبح ويقول سرا ، **صلاة حلول الروح القدس .** « أنت يا سيدنا بقولك وحدك **حول**(١) لنا هذه القرابين الموضوعة بين أيدينا معنا ، هيىء(٢) لنا هذه الخدمة المملوءة سرا ، ثبت(٣) فينا ذكرى خدمتـــك المقدسة ، ارسل(٤) علينا روحك القدوس لكى يطهر وينقل « حسب النص القبطى » هذه القرابين الموضوعة جسدا ودما لخلاصنا » . .

ويلاحظ أن البطريرك الكاثوليكى السابق كيرلس مقار ، حينما وجـــد

---

(١) صيغة الامر باللغة العربية وفى الصيغة القبطية فى الطبعـــة الكاثوليكية .

(٢) صيغة الامر .

(٣) صيغة الامر .

(٤) صيغة الامر .

بالقداس القبطى الكاثوليكى تغيير فى اللفظ العربى بصيغة الماضى عن اللفظ القبطى عنه باللفظ العربى ، حينما وجده بصيغة الامر ، أبقى الالفاظ على حالها حينما أعاد طبع الخولاجى القبطى الكاثوليكى عام ١٨٩٨ . وأصبح هناك اختلاف بين هذه الطبعة والطبعة السابقة التى طبعها رافائيل الطوخى الكاثوليكى .

وارادت الكنيسة الكاثوليكية فى مصر مجاراة الكنيسة اللاتينية فى حدوث هذا التغيير ، لأن القداس اللاتينى الغريغورى غيرت اللفظ بصيغة الماضى لأنهم ادعوا أن الاستحالة تحصل بمجرد ترديد الكاهن لألفاظ المخلص فقط فى العشاء الربانى(١) .

وتقدم باقى الصلاة . « ثم يصرخ الشماس فى الشعب الساجد على الارض قائلا أنصتوا لمخافة الله . فيقول الكاهن جهرا وهو يرشم الخبز ثلاثا « وهذا الخبز يجعله جسدا مقدسا لك يا ربنا ... يعطى لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه . فيجيب الشعب « نؤمن » بصيرورة الخبز جسدا يغفر خطايا من يتناوله ويمنحه الحياة الابدية .

ثم يرشم الكاهن الكأس ثلاثا ويقول . وما فى هذه الكأس تجعله دما لعهدك الجديد يا ربنا يعطى لمغفرة الخطايا ، وحياة أبدية لمن يتناول منه ، فيجيب الشعب « نؤمن أيضا » ان المزيج الذى فى الكأس قد تحول الى دم الفادى ، وأن من يناله ينال غفران خطاياه ، وحياة للابد . ثم يقف ويقول يا رب ارحم ثلاثا .

هذا ويلاحظ أن الخولاجيات جميعا تنبه الكاهن الى أن الرشومات بعد صلاة استدعاء الروح القدس انما تكون من القداسات فيرشم الجسد بالدم ، والدم بالجسد ، وتحذره من أن يرفع يده عليها برشم بعد ذلك » .

كل ذلك نجد أنه قد أبعد لفظ الامر فى هذا السر .

---

(١) الاسقف رافائيل الطوخى الكاثوليكى تولى طبع خولاجى الاقباط الكاثوليك فى رومية عام ١٧٣٦ . وتصرف فى صلاة استدعاء الروح القدس بالقداس الغريغورى ص ٢١٥ باللغة القبطية « أف أونه » وتركها على حالها بصيغة الامر وليس بصيغة الماضى .

قداس يوحنا ذهبى الفم

بطريرك القسطنطينية

فى خولاجى الروم الكاثوليك المطبوع فى فيينا بالمطبعة القيصرية فى عهد البطريرك اكليمنفس ١٨٦٢ . نرى فى قداس ذهبى الفم وباسيليوس الكبير ، يردد ألفاظ الفادى دون أن يسجد هو أو الشماس ولكنه عندما يتلو صلاة استدعاء الروح القدس قائلا « ارسل يا قدوس القديسين روحك القدوس على هذه القرابين الموضوعة » .

وبينما هو يبارك الخبز قائلا ، « بارك هذا الخبز واجعله جسد مسيحك المكرم » . وفى اللحظة التى يبارك فيها الكأس يقول . « بارك هذه الكأس واجعل فيها دم مسيحك المكرم . فى هذه الآونة يطرحان كلاهما على الارض ساجدين (الشماس والكاهن) ثم يقول الكاهن اذ نقلتهما بروحك القدوس يا رب ، صيرنا كلنا نحن المشتركين فى الخبز الواحد والكأس الواحدة ، متحدين بعضنا بعضا فى شركة الروح القدس الواحد ... » ولا تجعل أحدنا يشترك فى جسد مسيحك ودمه الاقدسين لدينونة(١) » .

قداس امبروسيوس

أسقف ميلان

ذكر فى المجلد الرابع من كتاب الرتبة الكهنوتية « يقول الكاهن بعد تلاوة الالفاظ التى فاه بها المخلص ويصلى على القرابين قائلا . « نسألك أيها الرب الاله الاب الرءوف أن ينحدر كمال لاهوتك على هذا الخبز وهذه الكاس ، وتنحدر تلك الصورة غير المنظورة ، وعظمة روحك ، كما كانت تنحدر على قرابين الاباء قديما لكى تجعل قرابيننا جسدك ودمك الاقدسين .

---

(١) القداس السابق ص ١٤٤ ، ١٤٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩ .

قداس باسيليوس الكبير أسقف

قيسارية الكبادوك

كان هذا الاسقف معاصرا للقديس أثناسيوس الرسولى واغريغوريوس النزيانزى ، وكان عدوا لدودا للاريوسيين ، وقد زار هذا القديس مصر أيام القديس باخوميوس ومكاريوس . والقداس الباسيلى هو الاكثر ممارسة الآن فى الكنائس ويستعمل فى سائر الايام صوما وفطرا . وهو يتفق مع العقيدة الارثوذكسية .

القديس كيرلس الاورشليمى

قال القديس كيرلس الاورشليمى فى ميمره الخامس فى الاسرار يقول « ثم بعد ذلك تقول تلك الصلاة التى أسلمها مخلصنا لتلاميذه الخاصين بسرائره داعين الاله أبانا — ونقول أبانا الذى فى السموات . ثم بعد كمال الصلاة نقول نحن آمين التى معناها ليكن . وبعد ذلك يقول الكاهن القداسات للقديسين ، القداسات هى الموضوع لأنها **اقتبلت حلول الروح القدس** »(١) .

الفونسيوس ليكورى

من معلمى الكنيسة الغربية . قال « ان الخبز والخمر والماء الذى يمزج به الخمر رمزا الى الماء الذى خرج من بطن الفادى عند طعنه بالحربة ، تستحيل بواسطة استدعاء الروح القدس وحلوله(٢) ، الى جسد المسيح ودمه بنوع عجيب » . وقال « ان هذا ذاته — أى استحالة القرابين باستدعاء الروح القدس » . قد كتبه : —

---

(١) مخطوط طرف ابراهيم صبرى معوض — سر التناول — القسم الرابع والعشرين فى تناول السر .

(٢) تاريخ الهرطقات ص ٤٠٦ ترجم الى العربية بواسطة يوسف الدبس المارونى عام ١٨٦٤ .

(أ) ترتليانوس فى الكتاب الرابع ضد مرسيون رأس ٤ وذهبى الفم فى ميمره الرابع وايلاريوس فى ك ٨ فى الثالوث .

(ب) بطرس أركاديوس فى الفصل ال ٣٣ من كتابه الثالث . اتفاق رأس الكنيستين الشرقية والغربية « ان خدمة قداس اللاتين — الليتورجيه الرومانية كانت تشتمل على صلاة استدعاء الروح القدس » .

من كل ما سبق يوضح أن هرطقة دير أبى مقار التى ينادى بها ويلصق ذلك الى القديس أثناسيوس هو افتراء . وحلول الكلمة على الخبز والخمر بدلا من حلول الروح القدس هى هرطقة غربية نودى بها أواخر القرن السابع عشر ، بل نادى القديس أثناسيوس بأنه بدون حلول الروح القدس فى ممارسة أسرار الكنيسة عامة لا تصبح سر ومنها سر التناول .

ونرد أمثلة لما قاله القديس أثناسيوس فى هذا الموضوع لبعض أسرار الكنيسة تنشر لأول مرة عن كتاب ميامر القديس أثناسيوس عن مخطوطه وجدت ببيعة الملاك الجليل ميخائيل بشرق بويط بحاجر تاسة .

سـر مسـحة المرضى :

الكهنة ليكون لهم سلطان يعملون به أعماله كالذى وعدهم . وليشفوا من استحق ذلك **ويمنحوه نعمة الروح القدس** ، وان ذلك لا يتم الا بحلة الكهنوت ، وحلول النعمة الروحانية ، فأزال من قلوب المؤمنين التعرض لشيىء مما لا ينبغى لهم ، وأن يخضعوا للكاهن المنتخب من الله .

سـر الكهنوت :

وبطل ما كان اليهود يستعملونه من وراثة الكهنوت ، ولأن تلك الامور انما كانت اشارة الى هذه ، وأن الفضل بينهم كثير ، وكما أن تلك الكهنوت لم تكن تتم الا بالدهن الذى أمر الله به كذلك **هذه الكهنـوت لا تتم الا بنعمة الروح القدس** ، التى هى أفضل من ذلك الدهن وغيره **وقال ان الروح القدس هو الفاعل فى رتبة الكهنوت** » .

ســـــر العماد :

ان السيد المسيح أرسله من صهيون ، فأرسل حواريه عند صعوده ببشارة الصليب ، وقال لهم انطلقوا وتلمـــــذوا كل الامم باسم الاب والابن والروح القدس .

قال السيد المسيح عن يوحنا أنه عمد بالماء وأنتم تعمدون بروح القدس وذكرها هنا شرف المعمودية التى هم مزمعون أن يتقبلوهـــــا بحلول الروح القدس عليهم عندما يعطيهم موهبة الكمال ، وأن يوحنا شرف بالعماد ولكن بالماء وانتم تعمدون بعماد الروح .

أقام المسيح أجناد الرسل وأعطاهم الالسن الجدد ، وجمع اليهم كل أمم العالم ، كيف الآن الى قوة الروح كيف لا ينقص أقنومه من الاب ، لأن المخالفين عندما لم يفهموا وقعوا من الحق وجدفوا على الينبـــوع الالهى ، وصيروا الابن غريبا عن الآب والروح عن الابن ، والكلام الذى يدل على أسوأ الطبيعة صيروا ذلك ضدا .. يقولون أليس هذا ، قال الرب للرســــــل على الروح من الذى لى يأخذ ويوريكم وهذا هو معروف أن ذلك الذى يأخذ هـــو أقل من الذى يأخذ منه ، ولم يفهموا بربنا أنه ليس بناقص . قال أنه يأخـــذ ولكن مثل من هو من طبيعته ، وتلك ثلاثة أقانيم . أخذ من غير أن يؤمـــر ، ومن ثم قال أنه محتاج أخذ الروح منه ليس كمثل من أفترق منه ، ولكن مثل من ليس هو ضد لتدبيره . وان لم يكن كذلك فهو مثل من الآب خرج ومنـــه يأخذ ، فان كان من الآب ينبثق لأنه من طبيعته .

وقال كيف لا يقدر اسم الابن وحده يتم سر المعمودية بغير اتفاق الروح القدس ، فان كان الروح القدس ليس مستويا مع الآب والابن لما قال هـــــذا القـــول ، فمن أجل سرائر الكنيسة بالثالوث تقوم وتتم ، ويجب أن تتـــرك أقوال الطغاة .

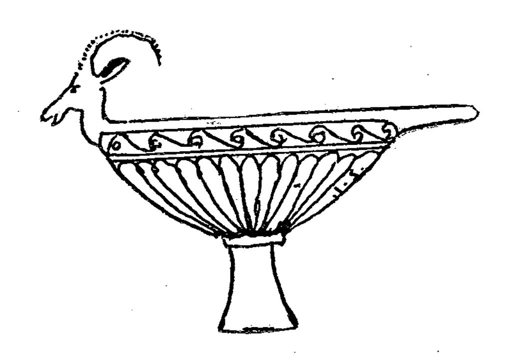
وقال . **« أن الروح القدس يولد المتعمدين بنين الله الآب السماوى »** .

ســـــر التناول :

قال اثناسيوس أنه بواسطة الروح القدس تكمل بواسطته الذبيحـــة الروحانيـــة من مشـــارق الشمس الى مغاربها ومن شـــمالها الى يمينها ،

روح البر والحق البارقليط المعزى المنبثق من الآب ، نسجد له ونمجده مع الآب والابن ، كما سلمت الينا الامانة الارثوذكسية » .

يوضح من كل ما سبق أن القديس اثناسيوس قد سلم الكنيسة الرومانية حينما كان هناك (ليتورجية أثناسيوس) حسب تعاليم الكنيسة الارثوذكسية بضرورة حلول الروح القدس على الخبز والخمر ، وليس حسب هرطقة دير أبى مقار الذى أدخل هذه البدعة ، وهى حلول الكلمة على الخبز والخمر بدلا من حلول الروح القدس السارى الآن » كما يزعمون .



الفصل الثالث

ضرورة العبادة فى أيام الآحاد

حينما وصل القديس أثناسيوس الى روما ، كان الرومانيون ، يفضلون العبادة داخل كنائسهم أيام السبت ، علما بأن جميع الكنائس الرسولية الاخرى فى ذلك الوقت آعتادوا أن يقدسوا أيام الاحاد منذ العصر الرسولى ، وذلك بناء على أوامر الرسل أنفسهم ، وأمروا خلفائهم بحفظ هذا النظام الكنسى . فكان المسيحيون يجتمعون بكل كنيسة بجميع الامصار والبلدان فرحين فى أيام الآحاد يمتنعون عن الصوم ، ويصرفون أوقاتهم بمسرة الروح وبهجة القلب ، تاركين الاعمال الدنيوية ويستعيضوا عنها بأعمال البر والاحسان(١) .

لذلك كان يصر القديس أثناسيوس بضرورة القيام بطقوس الصلاة أيام الآحاد فى روما بدلا من أيام السبت . وكان البعض يتقبل هذا الطقس بسرور ، والبعض الآخر من مسيحى روما لم يكن يتقبل بسهولة هذا التغيير ، وكانوا يتشبهون باليهود فى تقديسهم يوم السبت .

واليهود كانوا يحفظون يوم السبت ويقدسونه تذكارا للخليقة لأن الله فرغ فيه من ابداع المخلوقات واستراح ثم باركه وقدسه(٢) . فأكملت السموات والارض وكل جندها وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه ، لان فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا .

---

(١) ترتليانوس فى الصوم ، ويوستينوس الشهيد فى احتجاجه ١ فصل ١ . ومجمع نيقية قانون ٢٠ .
(٢) تكوين ص ٢ عدد ١ ، ٣ .

العبادة للمسيحيين

يوم السبت أم يوم الاحد

اشار السيد المسيح الى يوم السبت فى انجيل معلمنـــــا مرقص(١) « ثم قال لهم السبت انما جعل لأجل الانسان لا الانسان لأجل السبت اذا ابن الانسان هو رب السبت أيضا » .

ويراد بالسبت فى ذهن أى انسان يوما معينا من الاسبوع يعرف بهذا الاسم « السبت » يقع بين يوم الجمعة ويوم الاحد ، ويتصور أى أنسان أنه لا توجد وصية فى الكتاب المقدس تأمر بغير حفظ يوم السبت الذى جرى عليه اليهود من قديم الزمان ، ويستغرب البعض لماذا لا يحفظ المسيحيين يـــوم السبت الذى ورد ذكره فى الكتاب المقدس بل يحفظون يوم الاحد ، وهـــو لم يرد ذكره ولم ينص عليه فى الكتاب المقدس لحفظه .

وعند دراسة كلمة السبت فى لغتها الاصلية التى وردت فى العهـــد القديم وهى العبرانيه (الآرامية) واليونانية فى العهد الجديد نجد أن اللفظة العبرانية المستعملة فى العهد القديم فى الوصية الرابعة وهى لفظـــة سبت فى العربية وترادف كلمة « شبت » فى الآرامية .. ووردت هـــذه الكلمة فى الكتاب المقدس أكثر من مائة مرة فى العهد القديم . وعند التدقيق فى ما تقصده عند كل استعمال نجد أنها لم تستعمل ولا مرة واحدة عن يوم معين من أيـــام الاسبوع كالسبت العربى . بل يراد به وصف لأى يوم من أيام الاســـبوع يقصد فيه تبطيل الاشغال للتفرغ لعبادة الله . أى معناها (البطـــالة) . فذكر فى عيد الكفارة « فى تاسع الشهر عند المساء الى المساء (فى اليـــوم التالى تسبتون سبتكم) » (لاويين ٢٣ : ٣٢) ، وفى أشعيا « بطل فـــرح الدفوف » ... بطل فرح العود (٢٤ : ٨) . وترجم بمعنى استراح وفرغ (تك ٢ : ٢ — ٣) . وبمعنى كف (مرا ٥ : ١٤) وبمعنى انقطع (يش ٥ : ١٢) . وتوقف (نح ٤ : ٥) . وسكت (مزمور ٨ : ٣) وأخـــلى (لا ٢ : ١٣) . ونزع (حز ٣٤ : ٢٥) وعـــزل (مـــزمور ١١٩ : ٩) . وزال (اشـــعيا ١٧ : ٣) . وبمعنى أعـــدم (را ٤ : ١٤) ، وبمعنى لا شىء

---

(١) مرقص ٢ : ٢٧ — ٢٨ .

٢ مـــل ٢٣ : ٥ . وبمعنى مضى مـــر ٥١ : ١٥ . وبمعنى رد يش ٢٢ : ٢٥) . وكان من الافضل فى الترجمة أن تترجم بمعنى بطالة ، والمعانى السابقة لا تدل على الانقطاع والكف عن الاعمال بغض النظر عما يلى ذلك من الراحة ، أو ما سبقه من التعب .

ومن يراجع الوصية الرابعة فى ضوء ما سبق يتأكد بكل يقين ان الله لم يأمر بأكثر من وجوب حفظ يوم بعد كل ستة ايام تاركا لحكم الظروف تعيين اليوم الذى يبتدىء منه بتعداد الستة حتى يصل الى السابع المراد حفظـــه فتتوالى السلسلة على هذا المنوال . ولولا ظهور رب العهد الجديد وشيوع الديانة المسيحية لبقى تطبيق الوصية الرابعة على يوم السبت المعـــروف تقليدا يهوديا لا غير .

والسيد المسيح لم يجادل اليهود عن يوم السبت بانه كذب او انه تطبيق فى غير محله ، أو أنه اختراع منه ، بل صادق عليه كأنه هو الذى عينه أولا واخـــــذ على عاتقه دوام نفـــوذه على النـــاس .. ابن الانســـان رب السبت أيضا .

وهو لم يعن ابطال حفظ يوم السبت بل عنى بابطال الآراء الفريسية والتضييقات والفرائض الخارجية التى لا حياة روحية لها فيما يختص بتلك الوصية الالهية المقدسة التى لم يمانع من تطبيقها على غيره من الايام .

وذكر يوم الاحد فى العهد الجديد باسمه فى (رؤيا ١ — ١٠) كنت فى الروح فى يوم الرب أو فى اليوم الربانى . كما يقال العشاء الربانى . أى اليوم الذى رتبه الرب يسوع المسيح لا اليوم الذى كان مرتبا للبطالة الاسبوعية من قبل تجسده له المجد . واسم كلمة الاحد فى اللغة اليونانية هو لفـــظ « الربانى » . واستمر ذلك منذ عصر الرسل الى يومنا هذا . ويوم الاحـــد فى العصور التى تسبق السيد المسيح كان يسمى يوم الشمس .

وذكر يوم الاحد « باول الاسبوع » مرات ليست بقليلة حيث يقـــال ان الرسل وكل الكنيسة ، كانوا يجتمعون فى أول الاسبوع ، وان الرب نفسه قام من الاموات فى ذلك اليوم .

ولا يتسنى لأحد ان يثبت أن الايام الستة التى فيها خلق الله السموات والارض كانت أياما كأيامنا على الارض محسوبة بشروق الشمس وغروبهـــا سيما لأنه فى الثلاثة الايام الاولى لم يذكر الكتاب شيئا عن وجود الشـــمس

والقمر ولا عن نسبتها للارض فضلا عن أن ظاهرة جزم بأن اللـــه لم يخلق شيئا من الكواكب والنجوم الا فى اليوم الرابع . وعليه فلا يصح الادعاء بأننا نعرف ما هو اليوم الاول الذى خلق فيه النور مثلا أو ما هو اليوم الســـابع الذى استراح فيه . أما قول الكتاب « وكان مساء وكان صباح يوما واحدا .. وثانيا ... وثالثا فواضح أنه يراد به العــــدد الترتيبى كأنه قال يوما « أولا وثانيا وثالثا الخ . ومع ذلك لم يعين لنا يوما من أيامنا المسماة الان بالاحــد أو الاثنين أو الثلاثاء الخ . ولغة الكتاب المقدس فى العهد القديم لا تعــرف أسماء لأيام الاسبوع على الاطلاق بل تعد أيام الشهر مجرد عدد .

أما بالنسبة للعهد الجديد عن يوم الاحد المترجمة .. « يوم الرب » أو الاصح اليوم الربانى ، كما يقال العشاء الربانى ، صارت منذ أيام الرســل اسما ليوم الاحد بدل اسمه القديم الذى لا يزال فى بعض اللغات « يـــوم الشمس » فان قوله اليوم الربانى ، يدل على انه يوم رتبه الرب يســـوع المسيح ، ولا يسع أحدا ممن يتأملون فى هذه التسمية أن ينكر أنه قد عينه له المجد بموجب وصية موجبة صريحة عدم ذكر نصها فى الانجيل ليس دليــلا على عدم سنها ، بل هذه التسمية ، والاجراءات التى أجراها الرسل وسائر المؤمنين الاولين ، اذ كانوا يجتمعـــون فى كل أول أسبوع ، أدلة كافيـــة وبراهين شافية بأن يوم الاحد تعين باسمه وبذاته ليـــكون يوم البطـــالة الاسبوعية طبقا للوصية الالهية الرابعة المذكورة بين الوصايا العشـــر الادبية بخلاف يوم السبت اليهودى الذى لا يوجد فى كل العهد القديم ما يدل على أن الله أفرزه وعينه كما أفرز يوم الاحد فى العهد الجـــديد . وبزوال الناموس الموسوى ، وانتشار نور الانجيل ، حفظت الكنيســـة أول أيام الاسبوع وهو يوم الاحد ، فكان ذلك بأمر مؤسسها ، وقدسته الكنيســة ، وجعلته عيدا عموميا يحتفل به المسيحيون فى كل مكان ، لأن السيد المسيح رأسها ، قام يوم الاحد منتصرا على الموت والجحيم والشيطان .

وكان تلاميذ السيد المسيح يتناولون فى يوم الاحد من كل اسبوع بعــد القيامة والعشاء الربانى . وفى أول الاسبوع اذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزا خاطبهم بولس ، وهو مزمع أن يمضى فى الغــد وأطال الكلام الى نصف الليل وكانت مصابيح كثيرة فى العلية التى كانوا مجتمعين فيها(١) .

وهكذا كان يجتمع المسيحيون فى أيام الآحاد يجمعون الصـــدقات فى كل اول اسبوع ليضع كل واحد منكم عنده ، خازنا ما تيسر حتى اذا جئت

---

(١) أعمال ٢٠ — ٧ .

لا يكون جمع حينئذ(١) . وقد دعى المسيحيون يوم الاحد بيوم الرب . كنت فى الروح فى يوم الرب وسمعت ورائى صوتا عظيما كصوت بوق(٢) » ودعى القديسين يوم الاحد بملك الايام وعيد الاعياد(٣) .

السبت الكبير :

اما بالنسبة ليوم السبت الذى كان جسد مخلصنا يسوع المسيح فى القبر فسماه المسيحيون بالسبت الكبير . وكان فى هذا اليوم من كل عام ينتهى اسبوع الآلام . ويدعوه الغربيون بالسبت المقدس . ويدعوه الاقباط بسبت الفرح . « بى سبا تو ان ت نى راشى . الذى يحتفل فيه بتذكار وجود جسد المخلص بالقبر ثم نزوله الى الجحيم لخلاص الاسرى(٤) . وكان الامبراطور قسطنطين يحضر بنفسه أثناء الصلاة ، اجلالا واحتراما لهذه المناسبة . وكانت جميع البلاد تظهر بأبدع الانوار والزهور والرياحين . وكان الامبراطور يسهر ويبيت بالكنيسة مع الشعب لتأدية الصلاة حتى صياح الديك . وكان فى هذا اليوم يظهر النور المقدس من القبر فى غضون الجيل الرابع لذلك سمى بسبت النور .

الاحد المقدس

الاحد المقدس ويرمز الى يوم الاحد الذى يلى اسبوع الالام ويسمى بيوم عيد القيامة المقدسة . ويسميه الغربيون بعيد الفصح أو عيد القيامة ، ويسميه الشرقيون بيوم الرب العظيم أو فصح القيامة . وقد دعاه القديس اغريغوريوس الزينزى بملك الايام أو عيد الاعياد أو احتفال الاحتفالات ، لأنه فى يوم الاحد المقدس قام السيد يسوع المسيح من بين الاموات منتصرا على الجحيم والشيطان والموت ، واهبا الحياة الابدية لكل المؤمنين به . وقال عنه فم الذهب أن المسيحيين فى هذا اليوم يواظبون على أعمال البر والاحسان خالين الصيام فى هذا اليوم . وكان المسيحيون يحررون عبيدهم فى هذا اليوم أيضا . وكانت الحكومات تفرج عن المسجونين فيه وتطلق سراحهم ، ما عدا المحكوم عليهم بحكم الموت .

---

(١) كورنثوس ١ — ٢/١٦ .
(٢) رؤيا ١/١٠ .
(٣) اغريغوريوس النزينزى الخطبة ١٩ .
(٤) ابيفانيوس .

الأحـد الجديد : ـ

هو يوم الاحد التالى للاحد المقدس ، ودعى بالاحد الجديد لكونه اول السنة الكنائسية ، ويسمى بأحد توما ، لأنه فيه أتى السيد المسـيح الى التلاميذ بعد قيامته من الاموات وقال لهم . « اقبلوا الروح القـدس من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت(١) . فلم يكن توما الرسول حاضرا فى هذا اليوم حين جاء السيد يسوع المسيح ، ولما أخبـر التلاميذ توما ، بأنهم رأوا الرب قـال ، ان لم أبصـر فى يديه أثر المسامير واضع اصبعى مكان المسامير ، واضـع يدى فى جنبـه لا أؤمن ، فأتى السيد يسوع المسيح فى الاحد التالى من مجيئه الاول والابواب مغلقة ، وقال لتوما هات أصبعك الى هنا ، وابصر يدى ، وهات يدك وضعها فى جنبى ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا ، أجاب توما وقال له ربى والهى . وقال لـه يسوع لأنك رأيتنى يا توما آمنت ، طـوبى للذين آمنـوا ولم يـروا . (يوحنا ٢٠ ــ ٢٦ : ٢٩) .

وفى هذا اليوم اعتاد الشعب المسيحى جميعه ان يلبس ملابس بيضاء ، ودعى بالاحد الابيض ، ويضع الشمامسة شريط موشى بالصلبان المزخرفة يدعى بالبطرشيل ، ويرمز له فى العصر المسيحى فقط بأن لابسه أصـبح مرتبطا ارتباطا وثيقا وكليا بالسيد يسوع المسيح آلاله الخالق .

وقد استمر تقديس يوم الاحد بين الكنائس المسيحية الرسـولية حتى أواخر الجيل الرابع ثم تغير هذا النظام واستمر تقديس يوم السبت بدلا من يوم الاحد فى عهد فكتورينوس أسقف باكونيا فى الجيل الثالث فقط . ونادى كذلك بوجوب أن يصوم المسيحيين يوم السـبت . وقال ان أول من نادى بالصيام يوم السبت كان أوريجانوس(٢) . وقد رد عليه بعض المفسرين بأن قول أوريجانوس يعنى ليوم السبت هو يوم الراحة عندما فرغ الله من جميع أعمال الخليقة واستراح فيه ، ولم يقصد أن يغير نظام الكنيسة المسيحية . ومع ذلك استمرت بعض كنائس البلاد الاوروبية بتقديس يوم السبت .

ويقال ان أول من عارض تقديس يوم السـبت الذى ابتدأ ينتشر بين

---

(١) يوحنا ٢٠/١٩ ــ ٢٤ .
(٢) الجزء التاسع ص ٢٢٩ .

الكنائس المسيحية ، كان اغريغوريوس الكبير الذى قال أن الذين يقدسون يوم السبت ويعطلون أعمالهم العالمية فيه ليسوا مسيحيين(١) .

ولم يستمر هذا الوضع كثيرا حتى وجدنا الكنيسة الكاثوليكية برئاسة البابا كوثديوس ، قد أصدر أمرا كنسيا حسب قوله بصفته خليفة للقديس بطرس ، بضرورة الصيام يوم السبت بدلا من يوم الاربعاء ، بخلاف الاوامر التى سبق أن قررها الرسل جميعهم ، وبالمخالفة لقرارات مجمع نيقية . وبسبب هذا القرار وقع خلاف كبير بين الشعب والكنيسة فى عهده ، وأصبحت بعض كنائس الغرب تنادى بوجوب الصيام يوم السبت والبعض الاخر استمر فى رفضه لهذا الرأى(٢) .

وفى مجمع « ترولليلو » عام ٦٩٢ نظر مجمع فى هذا الخلل وقرر ان الوقوع فى هذا الخطأ يجب اصلاحه عملا بأوأمر الرسل ، القاضية بأنه ان وجد اكليريكى صائما يوم السبت أو الاحد فليقطع ، واذا كان علمانيا فليفرز ، وأستمر الخلاف بالنسبة لصيام السبت بدلا من يوم الربعاء ، فى كثير من الكنائس المسيحية فى العالم حتى اليوم ، ومنهم طائفة السبتين الذين يقدسون يوم السبت ، واعتمدوا فى تشبثهم لهذا الرأى قولهم بأن حفظ يوم الاحد كان بناء على قرار صدر من الامبراطور قسطنطين فى منشور أصدره بذلك ، بدون الاعتماد على أوامر رسولية ، وكان هذا القرار نكاية فى الاسرائيليين .

والكنيسة القبطية منذ أن بشرها القديس مارمرقس ، تقدس يوم الاحد ، وسبق أن أشرنا بأن القديس البابا أثناسيوس حينما ذهب الى روما أجله الشعب ، وكان يرى البابا(٣) آلذى أتى من مصر ، كان يقدس بكنيسة القديس بطرس الملحقة بقصر اللاتيران فى أيام الآحاد . وحين وجد البابا أن البعض كان يقدس يوم السبت ولم يتعظوا بتوجيهاته ، نزلت على يديه من السماء رسالة الى الشعب الرومانى بضرورة تقديس يوم الاحد ، ولأول مرة فى التاريخ نقدم هذا الميمر الرائع للقديس اثناسيوس عن الوصية التى نزلت من السماء ، والتى تنهى العمل الردىء يوم الاحد ، مع حفظ يوم الاحد .

---

(١) رسالة القديس اغريغوريوس الثالثة عشرة .
(٢) أوغسطينوس رسالة ٣٦ .
(٣) كان بطريرك الاسكندرية يلقب بالبابا ، وكان هذا الاسم شائعا منذ أوائل الكنيسة — شرح مجانى الادب القسم الاول من الجزء السابع بيروت ، ١٨٨٦ ص ١٨٠ .

الفصل الرابـــع

وصـــية يوم الاحـــد

رسالة للقديس أثناسيوس البطريرك بمدينة رومية عن وصية يـــــوم الاحد(١) ، أعاننا الله تعالى على العمل بها .

الرســــالة

هذه رسالة عظيمة نزلت من السماء على يد البطريرك الانبا أثناسيوس بمدينة رومية فى سنة الف وسبعمائة وخمسون من سنين الاسكندر ، فى يوم ٢٥ من كانون الاول . نزلت هذه الرسالة على الهيكل الكبير الذى على اسم القديس بطرس وبولس السليحين ، اذ كان النـــاس مجتمعين فى الهيـــكل وكانوا ٣٣٠ أسقف وسبعمائة كاهن والبطريرك أثناسيوس ، وكان جميـــع الناس مجتمعين من علمانيين ومشايخ وشبان وصبيان ، ثلاثة وعشرين ألف نفس قيام فى الهيكل يطلبون الرحمة .

واذ قد اظلم عليهم النهار حتى لم يبصروا شيئا ، وصار النهار مثـــل الليل ، وكان ذلك عجبا عظيما ، وخرج يومئذ البطريرك من الكنيسة ورفـــع رأسه فرأى فوق الهيكل « صحيفة » أعنى « رسالة » معلقة بين الســماء والارض ، فدخل وسجد أمام الهيكل ، ثم قرب الناس من السرائر المقدســة الالهية ، جسد المسيح ودمه المقدس الذى هو للاحياء والاموات . وحينئذ خرج الناس ونظروا الى الصحيفة وهى معلقة فوق الهيكل ففزعوا من ذلك فزعا شديدا ، ولما سمع أهل المدينة الضجة ، أتوا مسرعين لينظروا « ايش »

---

(١) عن مخطوط ينشر لأول مرة .

هو هذا الأمر ، فامتلأت الكنيسة بسبعة واربعين ألف نفس من الشيوخ والشباب والنساء والصبيان ، حتى لم يبق فى المدينة من لم يجىء الى البيعة الا الامرأة التى لها عذر ، ولما فرغوا من تقريب الناس ، رفعوا أصواتهم فى الهيكل بالدعاء والطلبة الى الله سبحانه ، وببكاء حار ، وضجوا وعليت اصواتهم ، وطلب معهم الآباء القديسين ، ورفعوا الصلبان ، وكانت أساسات الكنيسة ترتعد ، وسمعوا صوت لم يسمعوه قط مثله ، ولما سمعوه أخذوا يبكون وينوحون واشتد بكاءهم ونحيبهم جداً . واشتموا رائحة بخور طيبة من المسك فى الهيكل ، وقام البطريرك ، وابس ملابسه البيضاء ، ولبس الكهنة أيضا مثل ملابسه ، ثم أن العلمانيين لبسوا شكل البياض .

وبعد هذا خرج البطريرك من خارج الكنيسة ، وبسط ملابسه الكهنوتية على الارض ، وطلب الى الله سبحانه وتعالى أن يكشف له هذا الامر ، وفى تلك الساعة سقطت الصحيفة التى هى « الرسالة » على ملابس البطريرك ، فأخذها وقبلها ودخل بها الى الهيكل المقدس ، وفتحها وقراها على الناس ثلاث مرات ، فلما سمعوا قالوا قدوس ، قدوس ، قدوس اله اسرائيل الذى تكشف لنا عجائبه .

وكان مكتوب فى الرسالة هكذا « قد ارسلت رسالة اخرى قبل هذه فى سنة أربعين(١) من سنين الاسكندر ، وذكرت لكم فيها أشياء فلم تقبلوها وتعملوا بها ، ولم ترجعوا عن اعمالكم ، ولم تعملوا بشىء منها .

وهذه الرسالة ، اسمعوها واعملوا بما فيها ، وتوبوا وارجعوا عن شركم ، ولا تنطقوا بالكذب ، ولا تتحدثوا خلف الكهنة ، وهم يقدسون القداس ، واحفظوا أيضا يوم الجمعة ، فهو يوم مبارك ، ويوم الاربعاء(٢) ،

---

(١) اى منذ عشر سنوات .

(٢) حفظت الكنيسة القبطية يومى الاربع والجمعة من بدء دخول المسيحية مصر ، وقدستهما للرب بالصلاة والصوم تذكارا للالام وموت السيد يسوع المسيح عنا نحن الخطاة . وذلك لأن يوم الاربعاء تشاور اليهود على تسليم السيد للصلب فالموت ، وفى يوم الجمعة صلب السيد المسيح . وكانت الكنيسة تقدس هذين اليومين بوقار واحترام بقيام الصلاة والقداسات . وكان جميع المسيحيين يبادرون بالحضور الى الكنائس والصلاة بورع وصوم . وكان يكرس المسيحيين كذلك هذين اليومين لتلاوة الكتب المقدسة ، وتفسيرها لفائدة مجموع الشعب ، وقد ذكر سقراط بأن كنيسة الاسكندرية كانت تقدس هذين اليومين . الفصل ٢٢/٥ . وأيد هذا الرأى باسيليوس

وقروهم واحذروا سرعة العقوبة ، فأما يوم الاحد(١) فهـو من السـاعة التاسعة من يوم السبت ، الى صباح يوم الاثنين ، لا تعملوا فيـه شـيئا ، ولا تبيعوا ، ولا تشتروا ولا تعطوا ، بل اعملوا فيه الخير ، والصدقة على المساكين وتعطفوا على الارامل ، والايتام ، ولا تظلموا أحدا ، واحفظـوا أجسادكم من الخطية ، فان فعلتم ذلك ، وحفظتم وصـيتى والا أرسـلت عليكم بردا ، وجرادا ، وموت عنيف وضربات مختلفة ، وأسلط عليكم الدواب الخبيثة لتأكل لحومكم .

واحلف باسمى العزيز ، وذراعى القوى ، انى لا أرد وجهى اليـكم برحمة ، ولولا رؤساء الملائكة المقدسين عندى لكنت فعلت بكم ، ما فعلت بقوم نوح من أجل أعمالهم الرديئة وكذلك أهلكتهم ، وأنتم أيضا أفعل بكم ، ان أنتم لم ترجعوا عن شركم وتوبوا عن ظلم الارامل والايتام والمسـاكين يجيئون ويقفـون على أبوابكم ويصرخون اليكم ، ويسألونكم أن تواسونهم ، فمهما وهبت لكم ، لا تفعلوا ولا تلتفتوا الى كلامهم . وانما أنتم تشـبهون الحية التى تسد أذنيها لئلا تسمع صوت الراعى فتخرج اليه ، وكذلك أنتـم تفعلون بالمساكين .

وقد كنت أعطيت بنوا اسرائيل ناموسى على يد موسى النبى فى طـور سيناء(٢) . وكانوا يعملون به ، ويعشرون أموالهم ، ويعطـون الصـدقة للمساكين ، وحينما أعطيتهم رسم الثالوث المقدس ، أى المسيحية المرضية ، وصرتم تجوزون وصيتى ، ولا تحفظوا يومى الذى هو يوم الاحد المقـدس الذى به تفرح الانفس ، فان لم ترجعوا عن أعمالكم الرديئة وطرقكم النجسة وتعطوا الصدقة للمحتاجين وتوقرون كهنتى ، والا أرسلت عليكم ضربات شديدة من كل لون ، وارسل اليكم السباع لتأكلكم وأولادكم السوء من أيديكم

الكبير الذى قال بأن جميع المسيحيين كانوا يواظبون على الحضـور الى الكنائس فى أيام الاربعاء والجمعة من كل أسبوع .

وللقديس أثناسيوس ميامر رائعة عن هذين اليومين ، وسـوف نؤجل نشر طقوس أسبوع الالام حسبما نظمه القديس أثناسيوس فى الميـامر التى تركها .

(١) لا يجب للنصارى أن يبطلوا يوم السبت مثل اليهود بل ان يعملوا فى ذلك اليوم . واذا وجد قوم من النصارى يعملون كأعمال اليهود فانهـم يكونون مطرودين من وجه السيد المسيح .

(٢) ولا يحفظ السبت مثل اليهود « « نيقية » ٨ كتاب القوانين ص ١٦٥

وتحت أرجلكم وتموتون بأشد موت ، وأرسل اليكم حيات تأكل أجسادكم وألسنتكم ، التى تتكلم بالكذب أمام الكهنة وأنتم تقتربون منهم .

وأيضا أقول لكم أن تحفظوا يوم الاحد المقدس والا أطالبكم بهذا فى اليوم الاخير ، وأيضا أقول لكم ان كل من ترك امرأته وتزوج بأخرى ، فان دم يوحنا ابن زكريا على راسه ، وأن لم ترجعوا وتسمعوا أقوالى التى قدمتها اليكم من أول الدهور ، والا أرسلت اليكم الجوع والعطش والبرد ، وأسلط عليكم نقمة وأنتم غافلون ، ويحل بكم رجز لا يوصف ولا يرى مثله . وتقولون قد تم ما ذكرنا به ربنا وقد كان ، وقد حذرنا منه ولم نقبل .

وان حفظتم يوم الاحد الذى فيه قد تمت قيامتى(١) لا أرسل عليكم ما وضعته لكم . الحق الحق أقول لكم ، ان كل من يعطى بركة فى كنيسة ، وكذلك الكهنة فى هذا العالم ، انى أخلف عليه فى العالم الآتى . وأثبت اسمه فى سفر الحياة . ومن أعطى شيئا بالربا لاحد من الناس يحل به رجزى من السماء ، ولا يكون له غنى أبدا . ومن يحقد على أخيه فى المعمودية ، فلا يحل له أخذ القربان المقدس ، حتى يصطلح مع أخيه فى المعمودية ، فمن يسلم أخيه الى السلطان ، وبخاصة يوم الاحد ، فيكون محروم ، ولا يحل كلامه ، ولا معاملته ويكون تحت اللعنة ، وكل من يجدد الخصومات ويشكل الفتن بين الاخوة المؤمنين بالمسيح ، حتى يخرجوا الى البشر والسلطان ، فليس لخطيتهم غفران .

وفى يوم الاحد المقدس تكونون مجتمعين بمحبة وسرور وفرح(٢) وتوبة نقية مع بعضكم البعض ، بحب المسيح ، حينئذ الروح القدس ترف عليكم .

وفى يوم الاحد المقدس احرصوا على عمل الخير ، تجدوا ذلك أمام كرسى الله العزيز ، تجتمع أمامه كل الامم ، فيدانون بالحق الذى ليس ...

---

(١) فيه تم سر الفداء العظيم باشراق شمس البر بعد احتجابها عن الارض بثلاثة أيام ، تحمينا من رب المجد ورأفة بالجنس البشرى لانتشاله من هذا السقوط الاول اكو ص ١٥ — ٢٢/٢١ .

(٢) القوانين ٢٦ ص ١٦٦ — ولا يجب أن تتكلموا بكلام لا يفيد وأن تفعلوا مالا يصلح ولا سيما فى أيام الاحاد التى فيها يجب أن تفرحوا فرحا روحانيا يقول النبى تعيدوا للرب بفرح وهللوا لله برعدة .

محاباة ، وقروا كهنتكم ، الذين يذبحون خروف الله ، الذين لهم السلطان على غفران الخطايا ، لكى تكون عليكم الرحمة فى يوم الدين .

ومن يحتقر كهنتى يحل بهم رجزى ، لان كهنتى هم ملح الارض ، وهـم يهللون لبنى البشر ، وأن خالفتم وصيتى ، أرسل عليكم امراض مختلفـة ، وضربات مع حيات ملسعة . وأوجاع تولد منهـا الدود ، وأظلم عليـكم الشمس والقمر أمام وجوهكم ، وأصرف وجهى عنكم .

وان سمعتم كلامى وفعلتم وصيتى ، ورجعتم الى وحفظتم يوم الاحد المقدس ، فأنا أبارك أولادكم وأموالكم ، وأرد وجهى نحوكم ، وأكثر زرعكم ، وأبارك عمل أيديكم ، وأرسل أليكم المطر فى وقته مطرا غزيرا طيبا ، هادئا ، وتشبعون من الخير الذى ينحدر من سماء أبى الى دهر الداهرين .

فلما فرغ البطريرك من قراءة الرسالة ، سمعوا صوت من السـماء يقول هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت فاسمعوا له ، وأنصتوا لما قاله وآمنوا به ، ووقروا يوم الاحد المقدس ولا تحتقرونه ، وبعـد سـماع البار ، وشيث ، وملشيصاداك ، كاهن الله العلى ، وبحق الانبياء الذين لم يشم مثله قـط ، وسمعوا صوت آخر ليقول بارك الرب وهو يعلم حيث هو قال الانبا أثناسيوس البطريرك ، اننى سمعت الصوت ، علمت أنه كلام الله تبارك اسمه القدوس .

وكتبت نسخة من هذه الرسالة ، وأرسلت الى كل بلد ومدينة ونواحى الارض شرقا وغربا وشمال ويمين .

وأنا أثناسيوس البطريرك اقول لكم بحق المسيح واجتماع الملائـكة وأجناد الكاروبيم والساروفيم ، وحق القديسين الاطهار الحواريين بطرس وبولس ، وحق الشهداء المكرمين ، بأن هذه الرسالة لم تكتب بأصبع بشرى ، ولم يضعها شخص من الناس . وأطلب أن كل من كانت هذه الرسالة عنـده فلا يمنعها من أحد يريد أن ينسخها ، وكل من سمعها ولا ينقلها لباقى الاخوة المسيحيين يكون تحت العقاب . وكل من لا يؤمن ولا يصدق بها فهو ملعون . وكل من صدقها تحل عليه البركة ، فى ماله وأولاده .

وأنا أبوكم أثنـاسيوس اقـول لكم بحق الصوت العظيم الذى سمع ، وباليد القوية وبصـوت الرعد ، وبأصوات الملائكة المقدسين وبحق نـوح البار ، شيث ، وملشيصاداك ، كاهن الله العلى ، وبحـق الانبياء الذين لم يخطئوا ومواضعهم الشريفة ، وبحق الآباء المختارين وصومهم وصلواتهم ،

وبحسن يوسف ، والسحابة التى نزلت على طور سينا ، وصلوات موسى وهارون أخيه ، وألواح العهد المكتوبة باصبع الله . وبالناموس الذى أعطى لبنى اسرائيل ، بواسطة الملائكة بيد عبده موسى ، بالشريعة الاولى ، وحق الانجيل المقدس وأربعة أنهار الحياة المبشرين متى ومرقص ولوقا ويوحنا التى عليهم أسست البيعة المقدسة ، وبحق الساعة التى وضع فيها يوحنا المعمدانى يده على رأس السيد المسيح ، ربنا والهنا . وبالبطن الذى حمله والثديين الذين رضع منهم اللبين ، وبالصلب والقبر الذى نزل فيه ، وبقيامته المقدسة ، وبصعوده الى أعلى السموات ، حيث كان أولا وهو لم يفارق الاب أبدا . وبحق الاثنى عشر الرسل السليحين ، الصفوة الاطهار المختارين ، ويوم مجىء ربنا على السحب من السماء فى اليوم الاخير ، وبحق اكليل الشهداء الاطهار والمجاهدين الابرار . وبحق السبعة آلاف ربوة من الملائكة المقدسين ، الذين يصلون ويمجدون أمام الرب على الدوام ليلا ونهارا ولا يهدأون أبدا من التسبحة للثالوث المقدس ، الاله الواحد له المجد الى الابد ، بأنه ما كتبت هذه الرسالة بيد أنس بل بأصبع الرب الحى تقدس اسمه العظيم أرسلها اليكم لتتوبوا من شركم وأعمالكم الردية ومن شهوتكم النجسة .

وكل من سمع هذه الرسالة ولا ينسخها لتكن عنده ، فليس هو فى حل وبخاصة الكهنة ، ليقرأوها كل يوم أحد على الناس . ويضع الكاهن قانون فى الكنيسة الطاهرة على العلمانيين بأن لا يبرحوا من البيعة المقدسة حتى يسمعونها فى كل أيام الحدود دائما . ومن خرج ولم يسمعها فهو محروم تحت الرباط ، هذه الوصية التى كتبها السيد يسوع المسيح بأصبعه وانزلها علينا لنرد بها عن العمل الردىء ، ولحفظ يوم الاحد المقدس .

ومن تجاسر وقال انها ليست مرسلة من الله سبحانه وتقدس اسمه وجل ذكره العزيز ، فكرمه لا يراها ، وزرعه لا يحصد ، وتهلك نفسه الشقية عديمة الامانة . ولنصدق وصايا الله المنزلة الينا برحمته ورأفته . وليتحنن المسيح علينا ويخلصنا من شر أعمالنا الردية . لأنه محب البشر ، ويريد اصلاحهم ، اذا سمعوا صوته ، وتبعوا آثاره فمن لا يصدق هذه الرسالة التى له ، فهو تحت الرباط واللعنة ، وكل من يزيد فيها أو ينقص فهو تحت الحرم . ونحن قد أوصيناكم وحذرناكم ، والمجد والسبح لربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، له العظمة والجلال والجبروت والوقار مع أبيه الصالح والروح القدس المحى ، المساوى له فى الجوهر ، الان وكل أوان والى دهر الداهرين آمين .

كملت الرسالة التى نزلت من السماء بسلام من الرب آمين .

الفصل الخامس

فضل يوم الاحـــــد

ولأول مرة فى التاريخ ننشر نص هذا الميمر الرائع للقديس أثناسيوس

بيـــان فضل يوم الاحد

للقديس أثناسيوس الرسولى

كنت قد وعدتك يا حبيب الله ، ليضىء عينى عقلك بنور روح قدســه المعزى ، لتفهم سرائر لاهوته حتى يبين لك كمال فضل يوم الاحد ، فاعلم أنه بدأ كل شىء ، لأن يوم الاحد هو يوم الرب(١) ، وهكذا اسمه عند جميــــع بنى المعمودية ، لأن الجميع يسمونه « كيرياكا » وهى لفظة يونانية تفسيرها يوم الرب . ويوم الرب هو الذى قام فيه من بين الاموات(٢) ولهذا السبب أمرنا أن نبطل(٣) ، ونعيد فيه كل أسبوع عيد روحانى ، ولا يكون لنـــا فيه عمل دنيوى جسدانى ، بل تكون أعمالنا فيه للرب ، لأنه يوم الرب ، وفيــه يعمل أعمال الرب ، التى بها يرث المؤمنون ملك الرب المؤبد ، وحيـــاته التى لا تفنى ، ونعمه التى لا تزول ، والاعمال الجسدانية التى بها ينالوا الحيـــاة فى الدنيا التى هى حياة فانية ، ونعيم زائل ، قال الله ، اعملوا لحياة الدنيا

---

(١) يقدس للعبادة فقط .

(٢) نسب البعض هذا الميمر الى ساويرس ابن المقفع ويضمه كتاب الدر الثمين فى ايضاح الدين هذا خطأ . وقد أخذ هذا الميمر من مخطوط قديم لأثناسيوس الرسولى .

(٣) أى يوم اجازة من الاعمال .

الفانية ، ستة أيام ، وفى يوم الاحد بطلوا الشغل ، واعملوا لى ، لأنه يومى ، وانني أعطى لكم أجرتكم بدل عملكم ، ملكى المؤبد ، وحياتى الدائمة ، ونعيمى الذى لايفنى ، وأبارك لكم فى معيشتكم « الدنياوية » فى الستة أيام التى تعملوا فيها ، أرزقكم فيها أضعاف ما كان يحصل فى يومى الذى هو يوم الاحد ، واصب عليكم الخير والرزق حتى تقولوا كفانا كفانا . وان عملتم أى عمل دنيوى يوم الاحد أفرزكم من ملكى ، ونعمتى المؤبدة ، وأسلط عليكم من يغرمكم ، أضعاف ما قد كان يحصل لكم فى اليوم الذى لى ، من جهة سلطان يظلمكم ، أو من جهة مرض شديد أبليكم به تغرموا فيه أضعاف ما قد حصل لكم . أو من جهة لصوص يسرقوا أموالكم ، أو من جهة مكسب تكسبوه تكونوا خاسرين فى الارض وفى السماء . واذا عملتم عملى فى اليوم الذى لى تربحون فى الارض وفى السماء ، لأننى أنا الذى أغنى وأفقر ، وأقتل وأحيى ، هذا يا حبيب ، قول الله ، من جهة يوم الاحد الذى هو يومه ، الذى يجب أن لا يعمل فيه عمل غير عمله .

وما هو عمله !!

هو مداومة تسبيحه وتقديسه وسماع كتبه المقدسة فى النهار والليل هذا هو عمل الرب . الذى بهذا العمل ، تحيا الناس بحياة دائمة ، فى الارض وفى السماء ، ومن هذا العمل أمرهم الرب أن يبطلوا معاش الدنيا ، ويتفرغوا فيه لهذا العمل . وكثيرين من المؤمنين يبطلوا معاش الدنيا ، ولا يعملوا للرب . لأن الذين يعملون فى معاش الدنيا يكونون معاقبين أعظم من الخطاة ، والذى يبطل من معاش الدنيا يوم الاحد ، ويتفرغ لعمل الرب ، فهو مبارك فى جميع أموره . ويربح ملكه المؤبد وحياته التى لا تفنى ، بتعطيله للرب فى يوم الاحد ، الربح السمائى . والذى يعمل فى يوم الرب أى عمل ، يخسر ربح الدنيا ، وربح الآخرة ، لأنهم تهاونوا بيوم الرب ، وجعلوا الستة أيام التى للدنيا أشرف من يوم الهنا .

فالرب من أجل أشرف يوم عنده ، أمر المؤمنين أن يعملوا فيه ، معاش السماء ، ليكون ربحهم فيه أعظم من الستة أيام(١) . والرب يقول

---

(١) تقديس السبت والاحد هو تذكار للخليقة غير أن الكنيسة قد ميزت الاحد وقدسته عيدا مسيحيا عاما لأن الله ابتدأ فيه بابداع الخليقة محولا الظلمة الى نور — ولان فيه أتم الله ابداع الخليقة الجديدة بالميلاد من الماء والروح .

من أهانني أهنته ومن مجدني مجدته . ومن أهان الرب ، ولم يعمل له عمله في يومه المقدس ، أهانه الرب في الارض وفي السماء . ومن مجد الرب في يومه وعمل له عمله مجده الرب في الارض وفي السماء ، فاعلم يا حبيب أن جميع المؤمنين غافلين عن هذه الوصية ، وجميعهم معاقبين بسببها ، فاحفظها واحترس عليها ، لتخلص من العقوبة ، وتنال الحياة الدائمة في الارض وفي السماء . وأعلم أن يوم الاحد هو يوم الرب قديما ، لأن الرب عمل فيه جميع أعماله في العتيقة وفي الحديثة .

في العتيقة :

أفهم ما أشرحه لك عن ذلك . أما العتيقة(١) فقد شهد سفر الخليقة ، أول أسفار التوراة . أن الله خاق جميع خلقته ، كما بينه لك ذلك في كتاب ايضاح تأنس ابن الله وصلبه ، وأنا أكرره لك أيضا هنا حتى تفهمه .

ففي ذلك الكتاب شهد الله في سفر الخليقة ، الذي كتبه على لسان موسى النبي عبده ، ومقدم أنبيائه ، أنه في يوم الاحد ، خاق السماء العليا ، الذي فيها الملائكة . وفيها خلق السماء وجميع ما فيها ، وفيه خلق النور ، وفيه خلق الطبائع وهي الارض والماء والهواء والنار . وجميع ما خلقه الله في الخمسة أيام خلقه من هذه الاربع طبائع التي خلقها في يوم الاحد . لأنه في يوم الاثنين خلق السماء العليا الفلكية من الماء الذي خلقه في يوم الاحد . وفي يوم الثلاثاء خلق جميع نبات الارض التي خلقها يوم الاحد . وفي يوم الاربعاء خلق الشمس والقمر والكواكب من النور ، الذي خلقه في يوم الاحد ، وفي يوم الخميس ، خلق الاسماك والطيور من الماء الذي خلقه في يوم الاحد ، وفي يوم الجمعة ، خلق البهائم والوحوش وجميع الدبابات من الارض التي خلقها في يوم الاحد ، وفيها خلق آدم وحواء ، وخلق جسدها من الاربع طبائع التي خلقها في يوم الاحد ، وخلق روحها مثل الملائكة من النور الذي خلقه في يوم الاحد . أي أنه في يوم الاحد صنع الرب جميع أعماله في العتيقة فهو يوم الرب الذي فيه عمل جميع أعماله .

---

(١) أي العهد القديم .

فى الحديثة(١) :

وأما فى الحديثة فافهم ما أذكره لك من ذلك . ففى يوم الاحد ولد ربنا يسوع المسيح من مريم العذراء وأشرق نورها على الارض ، كما خلق النور يوم الاحد . وفيه أظهر السيد المسيح نفسه ملكا على اليهود حينما دخل الى مدينة أورشليم راكب على جحش وأعترف جميع اليهود بذلك وصرخوا قائلين .. أوصنا يا ابن داود الذى تفسيره (فرح لنا) لأن اسم يسوع بلغاتهم تفسيرها المفرح ، وهو فى يوم الاحد أيضا سمى بهذا .

وفى اليوم الثامن من ولادة السيد المسيح واختتن فيه كان يوم أحد . وقد سمى بهذا الاسم العظيم ، كما شهد به الانجيل المقدس ، لأنه فى يوم الاحد قام السيد المسيح من بين الاموات ، وأحيا نفوس بنى آدم ، والتى كانت ميتة فى الجحيم ، ونقلهم الى فردوس النعيم .

وفى اليوم الثامن من قيامته كان يوم الاحد ايضا ، وقد تحقق التلاميذ انه قام بجسده ، لما وضع توما يده فى جنبه ، وقد أعطى الطوبى لمن آمن به ولم يره . وفى يوم الاحد فى تمام الخمسين ، أرسل الروح القدس ، على تلاميذه ، وحولهم بنى الله ، واخوته وشركائه فى مملكته ، وارثين بنعمته ، هم والذين يتعمدون بمعموديتهم ، ويؤمنوا ببشراهم ، وحل عليهم الروح القدس ، وبشروا بالمسيح لليهود حتى آمن منهم ثلاثة آلاف نفس ، وعمدوهم فى نفس الساعة .

وبذلك يكون يوم الاحد هو يوم البشارة بالرب ، وهو يوم المعمودية باسمه ، ويوم الايمان به ، وقد وعدنا أن يقيم أجسادنا أجمعين للحياة الابدية . وينعمنا معه فى النعيم الدائم . فهو يوم الرب الذى عمل فيه جميع أعماله ، فى العتيقة والحديثة ، وهو يوم راحته ، والبشارة به ، وهو يوم قيامته لجميع خلقته ، وهو ملكه الاول والاخر . وهو اول الايام التي له فى الدنيا ، وهو أول الايام التى له فى الآخرة .

ومن اجل ذلك آمنا أن لا نعمل فيه عمل غير عمله ، ولا نبطل عمله فى ساعة واحدة ، ونداوم تقديسه .

وأن تقرأ كتبه من باكر الى عشية . وكل نفس لا تذهب الى الكنيسة

---

(١) العهد الجديد .

كل يوم احد تهلك . وانا أبين لك ذلك حتى تفهم ، وتعلمها لجميع المؤمنين من الرجال والنساء ، والكبار والصغار ، والعبيد والاحرار ، ويحفظوه ويعملوا به ، حتى يخلصوا من العذاب المؤبد ، وينالوا الحياة الدائمة ، والملك الذى لا يفنى . وكل من لا يعمل بأقوالى هذه يكونوا كاليهود الذين صلبوا الرب .

والله قال فى الكلمة الثالثة من العشر كلمات أنى فى ستة أيام خلقت جميع الخلق ، وفى اليوم السابع استرحت من جميع أعمالى ، وباركت اليوم السابع ، وقدسته لأنى فيه استرحت . فليسترح الرجل فى ذلك اليوم من أعمال الدنيا ويريح أمرأته وأمه وأبوه وأولاده وعبده وعبدته وحماره والقريب الذى فى بيته ، وكل نفس لا تستريح فى ذلك اليوم من أعمال الدنيا ، والشغل ، تغرز تلك النفس من أمتها . قال الله هذا القول ، وكتبه بأصبعه فى العشر كلمات .

واليهود فعلوا جميع ما أمرهم به ، ولم يخالفوه ، حتى أنهم وجدوا انسان يجمع الحطب يوم السبت ، سألوا الله فيما يجب أن يفعل فيه . فأمرهم الرب أن يرجموه بالحجارة حتى يموت .

وانا أوضح لك ، ما الذى كان الرب قد تعب فيه ، حتى خلق الخلائق فى الستة أيام حتى استراح فى يوم السبت ، وأمرهم أن يستريحوا معه فيه ؟؟ .

وكل من له فهم وعقل يا حبيب الله ، يعلم أن الله لم يتعب فى خلقة الخلائق ، لأنه خلق الكل بكلمته ، فليس بكلمته تعب ، واذا كان لم يتعب فلم يسترح أيضا ، لأن الراحة تدل على تعب كان قبلها ، واذا كان لم يتعب ، فلم يسترح أيضا . وعظم الامر هكذا على كل من لا يستريح معه فى يوم الاحد ، فيكون تحت العقوبة .

بالحقيقة أن الله قد اشار الى ذلك بالتعب والراحة ، لأنه قبل السبت لم يتعب فى خلقة الخلائق ، ولم يسترح أيضا فيه وانما التعب والراحة تشير الى تعبه الحقيقى وراحته الحقيقية فى يوم الاحد .

لأن السيد المسيح كلمة الله المتجسد هو الذى خلق الخلائق ، لأن الله خلق كل شىء ولم يتعب فيه ، لأنه لم يكن جسدانى ولا ذو دم ولحم ، ولا يناله تعب فيما يعمله ، بل هو يعمل كل شىء بغير تعب بمشيئته وقوته . فلما

تجسد وتأنس وصار له لحم ودم ، وصار ملموس منظور ، قبل التعب الحقيقى قبل يوم الاحد ، حتى فدانا بنفسه ، وفى يوم الاحد استراح ، وأراحنا معه . وذلك أنه فى يوم ليلة الجمعة بذل نفسه عنا بارادته الى الآلام . فقبل التعب من أجلنا ، فربطوه ومضوا به الى دار رئيس الكهنة ، وأقاموا الليل جميعه يهزأون به ويضربوه ، ويتفلوا فى وجهه ، وعند صباح يوم الجمعة ، حكموا عليه بالموت ، وأسلموه الى بيلاطس الوالى الرومى . وذكروا عنه أنه يريد أن يأخذ الملك لنفسه من الروم . وشهد عليه ضد الوالى حتى أغضبوه بسوء كلامهم . وجلدوه وهزأوا به ، وصلبوه على خشبة عريان مسمر اليدين والرجلين . وابتدأوا يهزأوا به ويعيروه بالضعف وقلة المقدرة ، ويسقوه خل الممزوج مع المرارة ، حتى مات عنا بارادته ، فى تاسع ساعة من يوم الجمعة . وبعد ذلك طعنوه فى جنبه حتى أهرقوا دمه ، ثم قبروه فى قبر عشية يوم الجمعة .

وفى يوم الاحد قام من بين الاموات ، وأصعد جميع النفوس الذين كانوا فى الجحيم ، ومضى بهم الى فردوس النعيم ، نفس آدم وجميع ذريته ، الذين توالدوا على الارض ، من مدة خمسة آلاف وخمسمائة سنة واستراح من تعبه ، وريح آدم وجميع ذريته من التعب . وهذا هو يوم الراحة الحقيقى له ولجميع بنى آدم الذين خلقهم على صورته ومثاله . وليس تعبه فى خلقة الخلائق ، ولا راحته فى يوم السبت .

ويا حبيبى ، أن الانسان الذى لا يستريح فى هذا اليوم ، يهلك من أمة المسيح ، ولو كان شهيدا أو قديسا ، وأفهم كذلك ان الراحة ليست هى البطالة من عمل الدنيا فقط ، ولكن يجب أن يلازمها التسبيح والتقديس ، وقراءة الكتب المقدسة فى يوم الاحد جميعه ، فهى تنير العقل الذى ينال به الانسان الحياة .

وأفهم كذلك أن الملك المؤبد أفضل من شغل الدنيا الفانى الذى به ينال الحياة الفانية . لأن قول الله استريحوا لم يعن به راحة الجسد ، بل راحة الروح ، لأنه فى هذا اليوم أراح الارواح التى كانت فى الجحيم من تعبهم المؤبد ، وفيه يجب أن يريح المؤمنين أرواحهم بالراحة المؤبدة التى هى تسبيح الله وتقديسه وسمع كلامه ، النهار كله ، لأنى قد بينت لك فى كتاب « بيان قتال الشيطان للمؤمنين »(١) . ان الله خاق روح الانسان كالملائكة وجسده كالبهائم ، حياة روحه للتسبيح والتقديس ولسماع كلام الله . وحياة

---

(١) لا نعرف مصدر هذا الكتاب حتى الآن .

جسده الاكل والشرب مثل البهائم . فاذا أعدمت الروح التسبيح والتقديس وكلام الله ، ماتت من حياة الله ، كما يموت الجسد من حياة الدنيا الفانية ، اذا عدم الاكل والشرب ، لأنه يريح الجسد مثل البهائم .

أما كلام الله هو راحة الروح مثل الملائكة .

لذلك قال الله اعملوا ستة أيام لمعيشة الجسد البهيمى لكى يحصل على التبن لحياة دابته ، يعنى حمارته . وفى يوم الاحد أعملوا لحياة الروح الدائمة ، لكى يحصل على القمح ، يكون ذلك أفضل تحصيل من التبن للدابة ، لأنه اذا حصل لها التبن ، ولم يحصل لنفسه القمح مات . ولم تقدر دابته أن تعيش بعده ، ولا تستطيع أن تحيا ، واذا حصل القمح لنفقته أولا عاش ، وما دام حى فهو يقدر أن يحصل على التبن لدابته ، يعنى حمارته . كذلك قال الرب أولا ، أطلبوا برى وملكوتى ، فأنا أزيدكم ، ما تحتاجون من أمور الدنيا .

وحقا ان الذى يلازم التسبيح ، والتقديس وسماع كلام الله ، تنال روحه الحياة المؤبدة ، والرب يرزق جسده ، ما يحتاجه من أمور الدنيا ، الذى لا بد منها ، لأن الرزق بيده ، وهو القادر على كل شىء وهو صادق بما وعده ، فهو قادر ، صادق ، ويوفى لمن أطاعه بما وعده .

والآن يا حبيب ، افهم ان قول الله ليستريح الانسان يوم الاحد يعنى بذلك يلازم تسبيحه وتقديسه ، وسماع كلامه النهار جميعه . وان هو اشتغل عن ذلك معيشة الجسد البهيمى واتفق موته قبل يوم الاحد ، هالك من أمة الله ، ولم ينفعه ما قد حصله لجسده البهيمى من الرزق الفانى ، لأنه اذا أراد أن يحى دابته ويقتل نفسه مات هو بارادته ، وقتل الله دابته ، التى اختار حياتها على حياة نفسه ، وان هو ندم على ما فعل وتاب وأحياه الله الى يوم الاحد الآخر . والتزم ما قد أمر به لمعيشة نفسه ، واستراح من الخطية ، وما دام ملازم عمل الرب فى يومه التى أختصه لنفسه ، دون الستة أيام ، قال الله .. يستريح الانسان فيه ، ملازمة التسبيح ، والتقديس والقراءة فى كتبه المقدسة ، ولا يشتغل عنه بالمعاش الفانى ، يهلك من أمة الله . كما قال الله ان كل نفس لا تستريح ، فمن أجل ذلك ، يجب علينا أن نبكر الى الكنيسة فى يوم الاحد ، وكل يوم أحد . ويلازم ذكر الله بالتسبيح والتقديس بغير فتور ، ولا اشتغال بالمعاش الفانى . واذا فرغ القداس ، يلازم القراءة فى الكتب المقدسة النهار جميعه لأنه يوم الرب .

قال الله على لسان داود النبى فى المزمور ١١٧ . ان هذا هو اليوم

الذى صنعه الرب . هلموا لنفرح ونسر فيه ، يعنى بذلك الفرح الروحانى ، وقراءة كتب الله ، التى هى راحة الله . وقال الله ، انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . فكلام الله هو حياة الروح ، كما أن الخبز حياة الجسد . واذا كان الانسان يحسن القراءة ، فكل من يقرأ ، يعطيه الله الاجر فى ملكوت السموات ، ويكون أجره عظيم أعظم أجـــر ، وأعظم منفعة . وان من يقيم الموتى يقيم أجساد ، ولا بد أن يموتوا بعـــد ذلك .

أما الذى يقرأ كلام الله يوم الاحد ، هو يقيم النفوس من موت الخطية ، ليحيوا الى الابد ، وهو يقدم صدقة ، أعظم من الصدقة التى تطعم الجيعان ، ويسقيه لأن ذلك أشبع وأروى للجسد الفانى ، هذه أروى وأشـــبع للروح الدائمة الى الابد .

ولتعلم يا حبيب الله مقدار النعمة التى ينالها ، من يقرأ يوم الاحـــد ، كلام الرب ، على من لا يحسن القراءة . والذى لا يحسن القـــراءة ، يجب عليه أن يسعى باجتهاد الى أن يحسن القراءة للكتاب المقدس .

واذا لم يوجد فى البلد من لا يحسن القراءة ، يمضى الى بلد اخرى الى من يحسن القراءة ، هذا يشبه السعى من البلد التى لا يوجد فيها المعـــاش الفانى ، الى البلد الاخرى التى فيها المعاش ، ولا تتهاون بمعيشة روحك . فانه قد قال ، ووعد وهو صادق ، وقادر الله أن برزقه ، اذا حفظ وصـــية يوم الاحد ، هذه هى المعيشة الحقيقية ، وكثرة الرزق ، ودوام الخيـــر فى الارض ، وفى السماء ، والرب يعوضه من الستة الايام ، أضـــعاف ما كان يرجوه فى ذلك اليوم ، ويبارك له فى معيشته ويعينه عليها .

وكما قال الله ليستريح الانسان فى هذا اليوم ، يريح أهله وعبده وبنوه ، وكل من معه ، ولا يشغلهم عن التسبيح والتقديس ، لشغل من اشـــغال الدنيا ، بل يمضى بهم معه ليستريح أرواحهم بكلام الله مثله .

ويطالبه الله بذنوبهم ، ويجب أن يجاهد الانسان فى ملازمة تسبيح الله وتقديسه ، وسماع كلامه ، ولا يشتغل عن ذلك بالامـــور الجســـدانية . ولا يفعلوا من أفعال الجسد الا الضرورية مثل الاكل والشرب . ويـــكون الاهتمام بذلك منذ الليل فى التسبيح والتقـــديس ، من يـــوم السبت ان استطاعوا لأن الله قال « استريح أنت وبيتك ودابتك ، راحة جسدك ، الذى هو نفسك ، لأنه اذا جاع احتج على الروح بالجوع والتكاسل عن معيشتها ، كذلك أمرنا الله أن نطعمه ، ونسقيه ، ولا نصومه فى يوم الاحـــد ، أبدا .

ولا نتعقبه بسجود ولا مطانوات ، لأنه جسد ضعيف وهو يحتج عليـــه اذا ضعف ، يحتج عليه بحجة ، فأنظر يا حبيبى ما قد شرحته لك وتميزه ، وأفهمه وعلمه من جهة الله ، لكل من يقدر عليه ، فهو أساس الحياة المؤبدة ، والحياة الدنياوية ، وأصل النعمة فى الارض وفى السماء . والخلاص من العقوبتين والراحة من التعب ، والغنى من الفقر فى الارض وفى السماء .

ولا بد أنك تعلم المكتوب فى أسفار الملوك ، أن الله ظهر لسليمان وقال له تمنى متى ما أردت . قال له سليمان انى أتمنى منك أن تعطينى قلب حكيم ، حتى أحكم بين هذا الشعب العظيم . قال الكتاب ان هــــذا الكلام أرضى الله لأنه طلب منه امر سمائى ، ولم يطلب من الله شيء أرضى . قال اللـــــه لسليمان ، كما انك طلبت هذا الامر ، ولم تطلب غنى ، ولا نفوس أعدائك ، انا أعطيــك الحــكمة التى طلبتهـــا منى ، ما لم أعطيها لأحـــد قبــــلك ولا بعــدك .

انظر يا حبيبى ان سليمان لما قصد الامر الباقى لم يطلب شيء ، فأعطاه الله كل ما تمناه ، وزاد على ذلك الذى لم يتمناه ، لعلم الله أنه محتــــاج لــــه .

وكذلك قال الله فى الانجيل المقدس ، اطلبوا أولا برى وملكوتى ، وكلما تحتاجوه يكون لكم . ان الاكل والشرب واللبس يفنى . وكل من يــــلازم التسبيح لله وتقديس أسمه وسماع كلامه فى يوم الاحد ، حقيقة يقصد بذاك ملك السموات ، والرب يعطيه ذلك ويزيد عليه هنا ، راحة جميع أمـــور الدنيا ، الاكل والشرب واللبس ، كما فعل سليمان .

ومن لا يلتزم بذلك يا حبيب المسيح ، يكون مدان ، والذى يلازم يـــوم الرب ، الذى هو يوم قيامته ، هو أيضا يكون من نصيبه ملكه الابدى . والذى لا يلتزم بالتقديس والتسبيح وسماع كلام الله يسقط من أمجاد وكرامـــة السماء ، كما سقط ابليس وجنوده فى يوم الاحــد ، فانهم خلقوا فى هــــذا اليوم ولكنهم سقطوا .

كذلك يسقط كل من لا يلازم التسبيح والتقديس صلاة نصف الليل ، ليلة الاحد ، وملازمة التقديس والتسبيح فى الاوقات الخمسة ، التى فى نهار باكر ، والثالثة ، والسادسة ، والتاسعة ، والغروب ، وملازمة قـــراءة الانجيل جميعه ، وأما باقى الستة أيام الاخرى فلا يلزمهم ذلك ، فيصلوا حيث كانوا على قدر قوتهم ومعرفتهم وهم مشتغلين فى معيشتهم ، والله يستجيب

لهم ذلك ، وهذه يا حبيب المسيح فضل يوم الاحد ، قد أظهرته لك ، وبه حيوة المؤمنين ونعيمهم على الارض وفى السماء فافهم واعمل به ، وعلم كل من قابلت من سائر المسيحيين ، وسأظهر لك سبب صوم الاربعاء والجمعة فى رسالة تالية .

والمجد لله والشكر والجلال للرب الاله ، الوحيد الآن وكل أوان والى دهر الداهرين آمين .

كملت وصية يوم الاحد بسلام من الله .. امين ..



الفصل السادس

تبادل الثقافة المعمارية بين روما

والاقبـــــاط

الكنيسة القبطية من وقت انشائها حتى الآن فى حركة ديناميكية ، لم يكن الصراع اللاهوتى حائلا بين أن يشق القبطى حياته الخاصة ، فيعمـــل أعماله الدنيوية لكى يعيش هو وأسرته ، ويضم المجتمع القبطى كثيـــــر من أعظم الكفاءات والمهارات ، سبق أن عرفنا بعضا من هذه الامثلة الرائعـــة من الاطباء الذين كانوا فى صحبة القديس أثناسيوس ، وهناك كان فى صحبته كذلك كثيرين من المهندسين والفنانين والمعماريين الذين كانوا يصممون فى مصر أعظم المبانى الرومانية ويصممون الاعمدة الفاخرة والحجارة اللازمـــة لها من أعظم المحاجر ومن أندر الحجارة المصرية وخاصة الموجـــودة بجبال ووديان وادى قنـــا ، والتى ســـوف ترى منها أمثلة حية فى الجزء الخاص بكاتدرائيات وكنائس ومدن هذه المناطق القبطية القديمة .

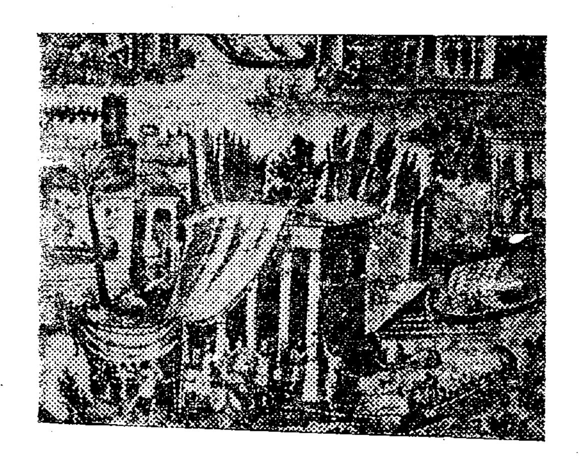
ومع وجود نفور نشأ بين اليونانيين والاقباط فى فتـــــرات كثيرة من العصور حتى أن المصريين القدماء كانوا يعدونهم نجسين لانهم يأكلون الخنزير ، فيمتنعون عن لمسهم هم ومساكنهم وآنيتهم(١) ، الا أن الاقباط اندمجـــوا بين فئات الشعب الرومانى ، لذلك انتقلت وسائل المعيشة المصرية هنـــــاك ، وحينما أتوا الى مصر ، صوروا حياة الاقباط المعيشـــــية على الموزايك ، صوروا جمال النيل وفيضانه ، وصناعة القوارب من البردى ، صوروا نخيل مصر الجميل الذى يكثر فى أراضى مصر ، صوروا المعابد الفرعونية حتى الماشية التى كانت تستعمل داخل القرية المصرية صوروها ، تعلموا فن صناعة التيجان

---

(١) شامبليون فيجاك ــ مصر القديمة . ص ١٧٥ .

والاعمدة التى تقام داخل المعابد المصرية ، صوروا التيجان كما كانت تزين رؤوس كبار القوم من الاقباط ، والتى كانت ترمز الى العظمة التى يتمتع بها المصرى .

فنقلوا الفن القبطى الاصيل الذى يمتاز به فى العصر القبطى ، ومنها قصة العذارى الحكيمات الخمس اللاتى يحملن مصابيحهن المنيرة ، فكانت توضع على رؤوسهن تيجان(١) ، هذا التصميم القبطى كان فريدا ، لم يكن يضاهيه مثيل له فى أوروبا ، فقد عثر على صور للعذارى الحكيمات فى شمال فرنسا وهذا عن التصوير الاوروبى لهذه القصة التى صممها الغرب بأن الكل متساوون بدون التمييز بين الحكيمات والجاهلات . وقد نقل الاقباط فكرة نظام القنوات المعلقة لنقل المياه بين المناطق الجبلية فى روما ، والتى كانت تشتهر بها ، والتى كانت تشيد من طابقين لتوصيل المياه عبر الجبال الى الوديان لاستخدام المياه للشرب والزراعة بين منطقة وأخرى .

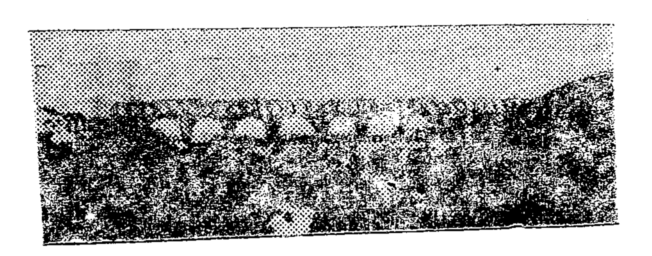


صورة عن حياة الاقباط فى مصر وجدت فى روما من الموزاييك توضح صورة المراكب ، والنخيل ، وفيضان النيل ، والمبانى الفرعونية ومساكن القرى ، وركوب الماشية فى القرية .

---

(1) Medival Architecture. P. 43. Legacy Of The middle Ages. C. g. Crump and E. F. yacoB. Oxford 1943.

من ضمن الاثار القبطية النادرة من القرن الرابع فى مصر . متحف كنسنجتن .



القنوات المائية المعلقة طولها ٨٨٠ قدم(١) .
وهى فى ايطاليا واستخدمت هذه الفكرة فى مصر وانطاكيا .

فأخذ المهندسون الاقباط هذه الفكرة وهذا التصميم واستخدموها فى انشاء القنوات المعلقة عبر شوارع مدينة الاسكندرية ، لتوصيل مياه الشرب الى المنازل ، وكانت تعد الاجزاء العليا من هذه القنوات التى تجرى فيهـــا مياه النيل من الرخام . واستمر هذا الحال ونقل المياه من الترعة المخصصة لذلك حتى أنها أصبحت غير صالحة للعمل لكثرة رسوب الطمى بها ، فقـــل ورود الماء للمدينة ، فيقال أن الانبا شنودة الثانى البطريرك القبطى ، أعاد حفرها مرة اخرى على حسابه الخاص ، فسميت بترعة الانبا شنودة . وهى الموجودة الآن باسم الترعة المحمودية .

وهى التى تصل الى مدينة الاسكندرية متفرعة من فرع رشيد حتى الميـنـــاء . واستمرت هـــذه التسمية لفترة كبيرة باســـــم ترعـــة الانبـــا شنودة .

وعمر جميع مجرى المياه داخل شوارع مدينة الاسكندرية لاستمرار تدفق الماء العذب الى كل مكان بشوارع المدينة .

وفى يناير سنة ١٩٩١ ارسل المتنيح القمص بولس خطابا للمؤلف لكى أترك له مساحة لكى أنشر له بحثا فريدا عن هذه القنوات المعلقة ، لولا أن وافته المنية ، ولم يصل لنا هذا البحث .

وقد أخذ السوريون هذا النظام عن الرومانيين فأنشأوا كذلك مجـــرى للمياه يسير فوق قناطر فى مدينة الادوكية .

---

(1) Pont Du Gard, Nimes.



مجرى العيون بمصر القديمة

تصميم قبطي حسب النموذج الروماني

وفي عهد صلاح الدين الايوبي كلف أحد المهندسين الاقباط ويدعى أبو المنصور لكي يتولى بناء قلعة القاهرة ، واشترك معه زميله المهندس أبي مشكور . ووضع كل التصميمات للابنية والجسور والخلجان والترع التي أنشئت في عهد هذا السلطان ومد سور القاهرة . وكانت فكرة توصيل المياه من النيل بفم الخليج عمل هندسي رائع ، عبر القنوات المعلقة التي أخذ تصميمها من التصميمات الرومانية القديمة والتي كانت معاصرة للقديس أثناسيوس والتي نقلت تصميماتها الى شوارع مدينة الاسكندرية منذ عهد القديس أثناسيوس وبعده . وكانت تصب هذه المياه من فم الخليج حيث البئر المعروفة حتى الآن في القلعة ببئر يوسف(١) . وقد أجاز السلطان

---

(١) وهو الذي حفر للسلطان صلاح الدين هذا البئر أيضا .

صلاح الدين المهندس القبطى أبو المنصور وزميله أبى المشكور بجوائز مالية حسنة أنفقا أكثرها على ترميم كنائس القاهرة .

بئر يوسف

وقد سمى المهندس أبى المشكور بئر يوسف بهذا الاسم ربما لأن اسم والده يدعى يوسف أو ربما يكون مطران أسيوط كان يدعى بهذا الاسم حيث أن المهندس أبى المشكور كان من أبناء مدينة أسيوط . وبئر يوسف تمتد الى عمق ٨٩ متر تحت الارض أى ما يوازى ٣٠ طابق فى احدى عمارات القاهرة الآن ، وتعلو البئر ساقية لرفع المياه ، وهى نفس نظام السواقى التى كانت تشتهر بها مصر منذ عهد الفراعنة .

وان كان ينسب البعض بناء البئر الى السلطان لانه أنفق الاموال فى حفرها . وكان يشرف على هذا البناء بهاء الدين قراقوش وزير صلاح الدين الايوبى ، وكانت تعد لكى تكون مصدرا دائما للمياه ، خلال المعارك الكبرى اذا هوجمت من المغيرين . وكانت الثيران تدير السواقى ، ويرفع قادوس المياه من قاع البئر ثم توزع المياه الى باقى أماكن القصر ، والقلعة ، ولكن أراد الله أن يخلد ذكرى المهندس أبى المشكور ، فسكت العملة الرئيسية المعدنية فى مصر الآن للقلعة التى صممها وأنشأها أبو المشكور المهندس وزميله القبطى المهندس أبو المنصور .

الاديرة والكنائس فى روما وأوروبا

كانت تشيد حسب النظام القبطى

ويلاحظ أن معظم مبانى الاديرة والكنائس فى روما وفى أوربا على وجه العموم والتى كانت تشيد هناك ، حسب النظام القبطى ، وانتشرت هذه النماذج ، بعد انتشار الرهبنة على النظام الانطونى بعد القرن الثالث الميلادى . وخاصة وجود نظام القباب وواجهات هذه الاديرة والكنائس ، حتى انه قيل أن النظام القوطى فى فن البناء الذى انتشر فى العصور الوسطى فى أوروبا هو مأخوذ أصلا من تصميم فن انشاء المبانى فى العصر القبطى بالذات .

حتى أن الصور الرئيسية داخل أعظم الكنائس والاديرة بعد صـــور الرسل والتلاميذ والسيد المسيح ، كانت صورة القديس الانبا أنطونيوس عند زيارته للقديس الانبا بولا ، واستمر هذا التأثر بالفن القبطى حتى بعـد العصور الوسطى .

ومن أمثلة ذلك أنه عند بناء كنيسة القديس دنيس بفرنسا فى عـام ٩٠٠ م اختـار الفنان صورة القديس الانبا بولا مع القـديس الانبـا أنطونيوس(١) .

ويقول ليتـابى أنه واثـق من أن فن البناء والرسـم قد تقـدما(٢) كمحاولة فى فن البناء فى العصور الوسطى ، ومن السهولة القول أن هـذا العمل الذى تغير عن الاخذ من الطريقة الهللينية ، فقد تغير الى الطريقـة المتشابهة لفن البناء المصرى ، ومن خصوبة الاعمال التى قدمها مسيحيوا مصر (الاقباط) والتى أصبحت أبحاثها معروفة للكاتب ، فى خلال النصف الاخير من هذا القرن ، وقال ان فن البناء لمسيحيوا مصر الاقباط على الاخص كانت ذخيرة عظيمة أنعشت روما .

بل وأعظم شىء غير عادى أنهمكت به أوروبا فى العصور الوسـطى ، هو الاستمرار بالاخذ بفن البناء القبطى ، من الشرق وهذا بسبب انتشـار نظام المبانى الرهبانية والتى كانت بالنسبة للغرب كالبذار الجديد .

وكمثال لذلك أنه عندما أعيد بناء كنيسة دنيس بفرنسا بواسـطة الفنان Albot Sugar فى عام ١١٤٤(٣) ، كانت هذه الكنيسة فى العصور الوسطى المثال الذى يحتذى به فى فرنسا وباقى أوروبا ، فقد تصدر صور الانجيليين الاربعة وصورة السيد المسيح وهو يحكم العالم فى اليوم الاخير ، الا أن صورة القديس الانبا بولا والانبا أنطونيوس قد أعيد تصميمهما داخل الكنيسة .

---

(١) The Legacy Of the middle Ages, Edited By CG. Crumb and E. yacob. Oxford 1943. p. 40, 42.

Medieal Architécture, By the Late W. R. Leta By, Suveyor of Westminester ABBY.

(٢) نفس المرجع السابق ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ .

(٣) The Church of St. Denis. p. 70'71'72

« Another Subjectwas the meetings of ss. Paul and Anthony that is the Foundation of monasticism. »

وقد استمر تأثر الكنائس والاديرة الغربية ، بحياة القديسين الانبا بولا والانبا أنطونيوس بسبب ميامر القديس أثناسيوس التى كتبها عن حياة هذين القديسين فى روما ، وقد أثر حياة هذين القديسين على فن الرسم كذلك .

وقال بعض العلماء الغربيون ان هذا الفن الذى وصل الى أوروبا يسبق عصرهم لحوالى أربعة آلاف عام(١) ، وقالوا أن هذا التأثير سوف يستمر الى عدة قرون أخرى ، وقالوا أن المدنية القبطية تسبق مدنية أوروبا بأربعة آلاف عام ، وليست المدنية الهللينية التى يتطرقون اليها ، لانهم كانوا بالنسبة لمصر كالاطفال(٢) .

وعندما يرجع القارىء الى الجزء الخاص بكاتدرائيات وكنائس والاديرة والمدن القبطية بوادى قنا ، وآثار المبانى لمحطات الاستراحة التى كان يقيم بها المستعمر اليونانى ، يشعر بعظمة الفنان القبطى ، علما بأن هذه الانشاءات القبطية كانت قد تمت تحت ضغط قهر الاسر الاستعمارى ، والعالم كله شرب من منهل حضارة الاقباط .

بل سوف يتأكد كل قبطى أن أعظم المبانى الرومانية واليونانية والتى أصبحت مثالا للحضارة الاوروبية كما يقولون ، أنها من صنع الاقباط الذين كانوا يعدون ويصممون الحجارة والاعمدة من المحاجر المصرية والتى كانت تضم أعظم وأندر أنواع الحجارة فى العالم . والتى كانت تصدر الى أوروبا عن طريق وادى قنا ثم الى ميناء قنا ثم الى ميناء الاسكندرية عن طريق النيل .

وطريقة القباب التى نادى بها الدكتور حسن فتحى ليست جديدة ، بل سبق أن طرقها الاقباط الفراعنة منذ ستة آلاف عام ، وجميع الكنائس القبطية وقباب الاديرة والمبانى القبطية تشهد على ذلك .

---

(1) Everg thing Has a History By J. B. S. Haldane P. 88.
(2) Progress and History F. S. marvin. Oxford 1923. P. 68.

الباب الخامس

الفصل الاول

الرهبنة فى عصر القديس

أثناسيوس

سبق لكثير من الكتاب فى مصر والخارج أن كتبوا كثيرا عن موضوع الرهبنة والرهبان والاديرة فى مصر . ونحن لا نريد أن نكرر ما سبق نشره ، عن نظم الرهبنة ، ولكن يهمنا بالاكثر أن نقدم الجديد فيما لم ينشر عن هذا الموضوع ، وخاصة القصص المعاصرة للقديس أثناسيوس الرسولى عن الفترة ٣٣٩/٣٤١ أو عن الاحداث التى استمرت آثارها لأجيال تالية . فنقدم الميامر النادرة التى تركها القديس أثناسيوس والتى كانت لها الاثر على الشعب المصرى وشعوب أوروبا عن الانبا أنطونيوس والانبا بولا وغيرها .

وسبق للقديس أثناسيوس أن كتب أعظم ثلاثة رسائل الى أساقفة ورهبان مصر الموجودين بالخمسين دير . فقد تم حصر هذه الاديرة المعاصرة لهذا القديس على قدر الامكان . فنوضح على وجه الخصوص الاديرة التى أنشأها القديس الانبا أنطونيوس وكانت تأخذ عبر التاريخ اسمه الطاهر ، والتى لم ينشر عنها شيئا حتى الآن والتى استمرت من القرن الرابع ولا زال أنقاض أكثرها موجودا حتى الآن . ونعتذر عن سرد ما يخص دير الانبا أنطونيوس الحالى فسبق أن كتب عنه كثيرين غيرى . أما بعض المواضيع التى كانت مصدر اختلاف فسوف نكتب عن أوجه الاختلاف والآراء الصحيحة ، وخاصة فيما يتعلق عن جسد القديس الانبا أنطونيوس بعد وفاته .

ونقدم فكرة وجود نظام الرهبنة منذ توطن اليهود فى مصر . ونقدم

كذلك الابحاث المختصرة عن وجود أقدم دير فى العالم وهو الدير الموجـــود بطموه بالجيزة ، وقد أصبح دير قبطى ، وقد استمر اليهود عبر التـــاريخ فى زيارة هذا الدير فى عيد سنوى ، يحضروا الى مصر من كل أنحاء العـــالم يأخذون البركة ويستظلون تحت الشجرة الضخمة الموجـودة حتى الآن بدير طموه ، لأنهم يعتقدون بأن هذه الشجرة كانت سابقا العصا التى تخص موسى النبى وأورقت فى هذا المكان ، والذى كان على أنقاض القصر الذى أقام فيــه يوسف الصديق . ذكر هذا السلطان حسين كامل سلطان مصر حينمـــا كان ناظرا للمعارف ، وكان وكيل نظارة المعارف على باشا مبارك ، وقد كتبــوا رأيهم هذا وما شاهدوه من وجود اليهود حتى تاريخ نشر كتابهم الذى ضـــم هذا الرأى ، النخبة الوافية .

وقد حاولت الذهاب شخصيا الى مناطق تعد من أعز المناطق وأغلاها للتاريخ القبطى . فمنذ ٤٣ عـــام ، ذهبنا الى الواحات ، والصحراء الغربية والشرقية .

فمن ناحية الصحراء الشرقية ، تضـــم ولا زالت ، أنقـــاض أديرة وكاتدرائيات ومدن قبطية قديمة وجبانات قبطية لا زالت الشواهد تعلوهـــا باللغة القبطية ، والذهاب اليها عن طريق وادى قنا وجبالها وأوديتهـــا ، ولا زالت بعض كنائسها محتفظة بكيانها حتى الآن ، وحيث أنه قد عثـــر على نقوش على الجرانيت فى احدى كاتدرائياتها ومعاصرة للقديس أثناســـيوس والقديس سرابيون أسقف دندرة والانبا هارتس أسقف قنا ، والذين كانـــوا متواجدين فى هذه المنطقة هربا من الاريوسية والاريوسيين عام ٣٤١/٣٣٩ . وهى الفترة التى كان القديس أثناسيوس يحارب من أوسابيوس وذهب الى روما ، لذلك سوف نطرق لوصف هذه المنطقة بالتفصيل وسوف أوضح ذلك بخريطة ، ولم يطرق أحد هذا الموضوع قبل ذلك اطـــلاقا ، شرقا أو غربا ، وفى هذه المنطقة قد تم رسامة الانبا موسى اليمنى المشهور بأسقف الخيام بناء على موافقة القديس أثناسيوس .

وفى هذه المنطقة يوجد أديرة جبل أدريبة والذى كان متصلا بطريق عبر الوديان والجبال الى أخميم . وأول طريق يصل الى دير الانبا شنودة شرق أخميم بالجبل ، والذى يقال أن القديس الانبا ثاوفيلس البطريرك قد وضـــع بها رفاة بعض الرسل والقديسين حسب أوامر القديس أثناسيوس وســـوف نذكر ذلك بالتفصيل .

ولا شك أن كل هذه الرحلات الشاقة لن تتكرر ، فقد هدم الانجليـــز

السكك الحديدية التى كانت مقامة داخل هذه الوديان ، والتسهيلات التى كانت تقدم لنا من الكثيرين منذ عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٥٢ لن تتكرر مرة ثانية .

من ناحية الصحراء الغربية ، فى رحلاتى الى أديرة وادى النطرون الاربعة لم تكن الهدف لذلك لدراستها ولكن كان يوجد داخل الصحراء اديرة اخرى لا حصر لها . لقد عاوننى بعض رهبان هذه الاديرة للذهاب الى بعض آثار الاديرة الغربية ، أما الاديرة البعيدة التى كانت منتشرة عبر الوديان داخل الصحراء والتى يمكن للمسافر أن يذهب عن طريقها الى واحة سيوة ، لا يطرقها الا « العربان » . فمهما كان يعرض لهم من نفقات فانهم كانوا يرفضون بسبب وجود الالغام المنتشرة فى كل مكان . وسبق أن عرض عليهم خال والدى المتنيح الانبا باسيليوس أسقف ورئيس دير الانبا بشوى المساهمة المالية لهذا الغرض ولكنهم رفضوا . وكان تشجيع القس داود المقارى رحمة الله لنا بلا حدود . ومع ذلك وبسبب وجود الموانع التى ذكرتها لم يمكننا أن نزيد شيئا من الدراسات أكثر مما قام به قبلنا الامير عمر طوسون عن المناطق الرهبانية القريبة من الاديرة الاربعة .

وللتاريخ أذكر واقعة جميلة حدثت من والدى ، فانه أراد أن يجامل خاله الانبا باسيليوس أسقف ورئيس دير الانبا بشوى السابق لمساعدته لى فى أبحاثى فأصدر قرارا بالموافقة لسفر جميع رهبان أديرة وادى النطرون على سيارات شركة الطرق الصحراوية كفورى مجانا وبلا حجز مسبق ، ذهابا وايابا ، وحينما علم بذلك ابى الحبيب المرحوم القس داود المقارى ارسل لى الخطاب الآتى : —

٢١ توت ١٦٦٦

أول أكتوبر ١٩٤٩

حضره الابن المبارك الاستاذ صبرى

نعمة وبركة وسلام من الرب يسوع المسيح مع صالح الدعاء ، وأتعشم بمراحم الرب ، أن تكونوا بخير وعافية ، معافين النفس والروح والجسد ، بناء على خطابكم المؤرخ ٢٨ سبتمبر ١٩٤٩ بخصوص تشهيلات السفر الى الاديرة بسيارات شركة الطرق الصحراوية والمساعدة الجايلة التى قدمها والدكم العزيز لدى الشركة المذكورة . وانى أشكركم كثيرا على همتكم ، وأرجو تبليغ والدكم تسليماتى الروحية ، وشكرى مقدما على تعبه ، والرب

يكافئه ويبارك حيــاته ، وأشكركم والرب يعوضكم أجرا صالحا فى ملكوت السموات ، وتسليماتى الى والدكم العزيز ولشخصكم الحبيب والرب يكون معكم ...

القس داود المقــارى

شارع الانوار — بجوار كنيسة العذراء

الجديدة بروض الفرج

ويلاحظ أن دير أبى مقار ، له موقع فريد ومشهور منذ عهد الفراعنة وربما يكون قد تم بناءه على أنقاض معبد فرعونى قديم ، فهو بداية للطريق الذى تدخل فيه القوافل التى كانت تأتى من أهرآمات الجيزة ، لكى تعبـــر الصحراء الغربية متجهة لواحة سيوة ، هذا الطريق استمر فى اتخـــاذه لأكثر من سبعة آلاف عام ، يصل من بعد دير أبى مقار الى وادى الغارة ، ثم الى الجارة ثم الى واحة سيوة ، أما فى رحلة العودة فتمر القوافل متجهــة الى دير الانبا بيشوى ثم تعود مرة أخرى الى أهرامات الجيزة .

مناطق الواحات :

تم عمل دراسات فريدة قمنا بنشر كثير منها فى كتاب حياة القـــديس مارمرقص فى ذكرى مرور ١٩ قرن على تأسيس الكنيسة القبطية ، وبعدهـــا قمنا مع القمص بولس بولس أثناء وجود السيد ابراهيم شـــكرى ، وكان محافظا للواحات وهو من أصدقاء المرحوم القمص بولس ، باكتشاف أديــرة كثيرة ومواقـــع لكنـــائس أثرية ، وقد وجـــدت بعــض النقـــوش على أحجار دير من الاديرة ، عن القديس أثناسيوس ، مما يثبت أن القـــديس أثناسيوس ذهب أيضا الى هناك . وحيث أنها لم تكن معاصرة لتاريخ كتابة هذا الجزء فسوف تنشر فى الاجزاء التالية .

وسبق أن تم نشر ميمر كتبه القديس أثناسيوس ، فى رســـالته الى القديس أدلفيوس الاسقف المعترف(١) ، الذى كان أسقفا على الواحـــات فى عصر القديس أثناسيوس .

---

(١) الجزء الثانى لحياة القديس أثناسيوس — دائرة المعارف القبطية — ابراهيم صبرى معوض ص ٦٥ .

اديرة الصحراء الشرقية :

وسوف نقدم فى هذا الجزء دراسة مختصرة عما وجدناه من اديرة وكاتدرائيات ومدن قبطية داخل الصحراء الشرقية ، وهى تنشر لأول مرة فى تاريخ الكنيسة القبطية مؤيدة بالصور والخرائط ، وحيث أنه قد عثر على على نقوش لها صلة بالقديس أثناسيوس والقديس أمونيوس والقديس بفنوتيوس والقديس الانبا سرابيون الطبيب أسقف دندرة فى الفترة من عام ٣٤١/٣٣٩ ، لذلك كان المناسب أن يوضع هذا البحث فى الجزء الثالث لكتاب أثناسيوس ، وبطريقة مختصرة ، لهذه الاماكن المقدسة الموجودة داخل الجبال والوديان بوادى قنا ، وللاسف أن معظمها تستعمل الآن كاستراحات للعربان وجمالهم .

ومن الذين كان لهم الفضل فى نجاح هذه الرحلات منهم الاب الورع القديس القس داود المقارى والطيار الانجليزى مستر كنج وهو أحد جيراننا بمنزلنا بعزبة النخل فى ذلك الوقت ، والذى غادر مصر هو وأسرته لانجلترا ، ثم أستاذى وحبيبى سامى تاوضروس وهو المرحوم الانبا باسيليوس .

وكان وجود السكك الحديدية الضيقة التى كانت تحت اشراف الجيش الانجليزى عبر وادى قنا ، قد ساعدنا ذلك كثيرا فى التنقل وأيضا تم تكملة الرحلات عن طريق الجمال .

وقد تم نشر بعض أخبار القديسين عن شهداء وقديسى أخميم الذى صدر عام ١٩٥٨ والذى كتب مقدمته الدكتور زاهر رياض الاستاذ السابق بمعهد الدراسات القبطية والعميد السابق لمعهد الدراسات والبحوث الافريقية بجامعة القاهرة ، وقد أشرنا فى هذا الكتاب الى أديرة السبعة جبال والسبعة أودية ومنها جبل أدريبة والتى اشار اليها تلميذ الانبا شنودة ، الارشيمنتريدس جبل أدريبة ، الانبا ويصا .

المؤرخون المصريون والاجانب

لم يكتبوا عن هذه المنطقة حتى الآن

المؤرخ لبيب حبشى : قد استبعد المرحوم الاثرى لبيب حبشى فى كتابه عن ديرى الانبا انطونيوس والانبا بولا ص ٥٨ بأنه يوجد بوادى عربة من قديم الزمان مسكنا لكثير من المتوحدين ، والتى كانت تأتيهم المؤن على عربات ، وكانت الطرق ممهدة لجلب كميات كثيرة من الرخام على عربات أيضا وهذا

حسب ما ذكره فانسليب ، واستبعاده للرأى السابق ينصب على وادى عربة فقط . ولم يذكرا شيئا عن آثار الرهبنة من أديرة وكنائس وكاتدرائيات ومدن قبطية ومدافن قبطية تملأ وادى قنا وينطبق عليها الطرق الممهدة لجلب كميات الرخام على عربات .

وقال فانسليب عن وادى عربة ، أنه عبارة عن منخفض من الارض يبلغ عرضه كيلو مقر ولكنه طويل جدا ولا يدرك البصر مداه وقال اننا علمنـــا أن القوافل تمر بهذا الوادى(٢) .

وقال لبيب حبشى فى صحيفة ٥٩ بأن سيكار ذكر بأن الفراعنة والفرس ومن بعدهم اليونان خلفاء الاسكندر ثم الرومان اثناء سيطرتهم على مصـــر كانوا يجلبون من جبل الجلالة القريبة من الوادى كميات كبيرة من الرخـــام يحملوها على عربات تمر فيه(٣) .

وتعليقا على ذلك نشير ان هذا الوصف لا ينطبق على وادى عـــربة أو جبل الجلالة ولكن ينطبق على جبال ووديان وادى قنا . وقد اوحـــظ فى رحلاتنا الى هذه المنطقة وجود مقابر لأجانب غير المقابر القبطية والقريبة من المدن القبطية وهذه المقـــابر لا يوجد عليها الشواهد باللغة القبطيـــة أو باليونانية ولهم طرق مختلفة فى الدفن تختلف عن طرقنا . لذلك يمـــكن القول أن هذا الوصف ينطبق على وادى قنا وليس على وادى عربة .

من ناحية الطرق والنقل بالعربات :

وعلق المرحوم لبيب حبشى على الآراء السابقة أن مجرد رأى العالمين الاجنبيين مجرد خيال لان المؤن التى يحدثنا عنها فانسليب والاحجار التى كان يجلبها الملوك كما يقول سيكار يستحيل حملها على عربات وذلك لان المسافة التى تفصل تلك الجهة عن النيل طويلة جدا وقليلة الابار وفضلا عن ان بهـــا كثيرا من المرتفعات والمنخفضات التى يصعب معها اجتياز العربات .

وقال كذلك ان التعليلين لا يرتكزان على صيغة ثابتـــة ، والاغلب انه ليس لها أصل ثابت وان كان لها أصل فقد ضاع منذ زمن بعيد .

---

(2) Vansleb. P. 181.

(3) Miss Dans Le Levant, V. P. 160.

ونحن نرد على تعليق لبيب حبشى بأن العربات المصرية من صناعة المصريين كانت موجودة وفى درجة من المتانة أنها كانت تحمل أعمدة عبر وادى قنا تصل الى ٢٠٠ طن للعمود الواحد وقد نشرنا صورة لأحد هذه الاعمدة بهذا الكتاب ، أما المسافات الطويلة بين الوديان المختلفة بوادى قنا كانت ممهدة بحجارة الجرانيت ولا زالت آثارها موجودة حتى الآن ، أما الآبار والمياه الصالحة للشرب فهى كثيرة وعذبة وكان يعتمد عليها سكان المدن القبطية فى الزراعة ايضا نتيجة تجمع سقوط الامطار بالجبال فى هذه المناطق كل ذلك دليل أن ما كان يقصده العالمان كان عن وادى قنا وليس وادى عربة .

جبل ادريبة :

وقد ذكر اميلينو عن دير جبل أدريبة الموجود حاليا داخل وادى قنا ، آراءا بعيدة عن الصواب والواقع فقال :

(أ) ان أدريبة Atrhpe قريبة من منف(٤) .

(ب) انه عندما سرد قصة حياة الانبا شنودة لم يذكر الانبا ويصا تفاصيل عن قرية أتريبى ، ولكنه ذكر كلمة موسى وقال ربما يكون المكان الذى كلم الله مع موسى(٥) فى جبل سيناء فيكون جبل أدريبة هو جبل سيناء ، وهذا خطأ . وقال تعليلا آخر وهو ربما تكون قرية أتريبى بجوار طوخ التى تشير الى آثار مدينة اتريب ببنها . Atrhpi وهذه القرية خربت وربما يكون قد سكنها مسيحيوا بنها وبنوا كاتدرائيتهم هناك(٦) .

وقال عن جبل اتريب بان شامبليون وكاتر ميلبر يشيرون على ان هذا

---

(٤) اميلينو ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٥) سبق أن أشرنا فى كتابنا عن شهداء وقديسى أخميم ان موسى الراهب هو الطبيب المشهور بجبل أخميم ، وكان ديره بمثابة مستشفى تعليمى للرهبان عن علم صناعة عقاقير الدواء — دائرة المعارف القبطية مجموعة ١٩٥٧/٣ . ويلاحظ أن اميلينو أشار أن جبل أدريبة أو جبل موسى فى نظرة هو جبل سيناء — لذلك قد بعد بعداً شاسعا عن تحديد مكانه .

(٦) ومن التخبط بهذا الراى أن ما ذكر بجبل أدريبة وأخميم جعله فى بنها التى لا يوجد بها جبال .

المكان يقع مكان البحر الابيض . ويلاحظ ان كل هذه التخمينات التى ذكرهــا العلماء ، لم يهتدوا الى جبل أدريبة التى كان يتخذها القــديس الانبا شنودة مكانا لادارة رهبانه ، والتى اتخذها المسيحيون قبل الانبا شنودة ، مــكانا آمنا لهم بعيدا عن بطش طغاة الرومان أو الاريوسيين .

واميلينو ولو انه قد بذل جهدا فى كتاباته ، لــكن بعضها قد جانبــه الصواب .

الاديرة كانت أماكن طاهرة

تضم رفاة الشهداء والقديسين

هناك موضوع هام بالنسبة لأديرة الاقباط ، وهو أن الاقباط اشتهروا باهتمامهم بالاحتفاظ بأجساد الشهداء والقديسين بها وخاصة منذ عصر القديس أثناسيوس ، وامتد هذا الاهتمام بالاحتفاظ والعناية الشديدة بأجساد رجال قديسى الكتاب المقدس . فنقل جسد القديس يوحنا المعمدان فى عصــر القديس أثناسيوس وأشار الى كاتبه وتلميذه القديس ثاوفيلس انه بعــد وفاته يقيم كنيسة على مكان البستان الذى تركه له والده بمدينة الاسكندرية ، ويضم اليها رفاة يوحنا المعمدان .

وقد اهتم الانبا ثاوفيلس بنقل أجساد الثلاثة فتية القديسين هم وأجساد الرسول سمعان القانوى وبرثلماوس الرسول فنقلهم ودفنوا فى دير القديس الانبا شنودة الشرقى بأخميم وهو مكان آمن بعيــدا عن العبث . ولا زالت الاجساد موجودة حتى الآن داخل احدى الاعمدة المجوفة الضخمة من الناحية البحرية للكنيسة المقابلة للهيكل .

علق أميلينو عما صنعه القديس الانبا ثاوفيلس عن نقله لاجســـاد الثلاثة فتية الذين دفنوا فى كنيسة الانبا شنودة الاثرية بأخميم فقال « انه بعد انتهاء عصر الشهداء عمد الناس الى البحث عن رفاة ادعوا أنهــا رفــاة الشهداء ، فكانوا يكشفون عن الموتى ، والذين يقفوا بجوار اى قرية مــن القرى ويقولون عنهم أنهم من الشهداء ، وقال حتى أن البطريرك الاسكندرى المسمى ثاوفيلس كان يرسل القس حنا ليبحث عن جثث الشبان الثلاثة الذين القاهم فى الاتون بختنصر ملك بابل ، غير أن القوم لم يكن فى وســعهم أن يتعرفوا على رفاة أولئك الموتى المشهورين ، وكانوا يكشفون بما يصادفهم

من الجثث المجاورة » . وكان يقصد اهتمام الانبا ثاوفيلس بنقل رفاة ميساك وسدراك وعبدنغو ، الى مصر ، ووضع رفاتهم بكنيسة الانبا شنودة شــرق أخميم .

علق على أميلينو صاحب كتاب مصر فى عهد الرومان فى الصحيفة رقم ١٦٧ « بأن ما كتبه المؤرخ الاثرى اميلينو فى تاريخ اضطهاد الاقباط أنه يظهر فى كلامه خلط بين صحيح الاخبار وسقيمها وحكم عليها حكما واحداً .

ونحن نقول أن اميلينو بذل جهدا كبيرا فى كتبه لكنه جانبه الصـــواب وكان متجنيا على الاقباط وكنيستهم بطريقة سقيمة مست شــعورهم بالاسى وللعــلم أن قديسى ورســـل الكتاب المقدس بعهديه كانت توضـــع فى توابيت من الحجارة منقوش عليها أسم كل شخص ، وجميــع الصناديق التى عثر عليها بفلسطين وجدت جميعها فارغة ، وأودع الانجليز أيام الحـــكم البريطانى هذه التوابيت بمتحف فلسطين .

وبذلك يكون كل ما كتب بالكتب القبطية القديمة مطابق لواقع هـــذه البحوث ، والتى تفيد بأن الاديرة القبطية ، بالاضافة الى اهتمامها بالعبادة ، كانت مكانا طاهرا لحفظ رفاة أجساد شهدائنا وقديسى المسيحية ورسلها عبر جميع العصور .

أحس الانبا انطونيوس اهتمام الاقباط الفراعنة بأسرارا بالتحنيـــط لحفظ أجساد المتوفين فطلب من أبنائه الرهبان عدم تحنيط جسده حتى لا يهتم المصريين باكرامه كما حدث أيام الفراعنة . وقد دفن جسده بطريقة عـــادية ونقل باكرام من مكان دفنه الى دير الميمون ثم الى مدفن البطاركة بالاسكندرية ، كما سوف نذكر بالتفصيل .

ومع ذلك وجد فى بعض الاديرة الاثرية القديمة عشرات من أجســـاد القديسين الاقباط محنطة ولا زالت موجودة حتى الان ، وقد أشار الاســـقف المختص بعدم الذكر عنها الان للصالح العـــام . وهذا مما يؤكد أنه منــــذ العصر المسيحى فى مصر وحتى عصر القديس أثناسيوس احتفظ الاقبـــاط الفراعنة بسر التحنيط حتى القرن الرابع الميلادى . وقد وجد جســـد لأحـــد القديسين بالواحات محنطة وبحالة جيدة ، وموضوعة الان بمتحف الواحات .

ولا يمكن اغفال ما قاله الاسقف المؤرخ ابو المكارم بأنه يوجد بدير الانبا شنودة ، كنيسة رحبة تسع آلاف المصلين تحوى جسدى برثلماوس الرسول وسمعان الكنعانى — القانوى .

وعند قراءة السنكسار طبعة جمعية المحبة — ذكر فى ١٥ بشنس الجزء الثانى شهادة القديس سمعان الغيور الرسول الشهير بسمعان القانوى — وذكر أنه المدعو نثنائيل وتحت الهامش رقم ١ قيل أنه أجمع المؤرخين على أن برثلوماوس هو نثنائيل . وذكر فى الجزء الاول يوم أول توت عن نياحة القديس برثلوماوس الرسول وبذلك نجد أن برثلوماوس قد استشهد ومات مرتين يوم أول توت ويوم ١٥ بشنس ، من هذه المصادر المتضاربة يحكم الغرب على عدم صحة تواريخنا .

الرهبنة والعزلة فى مصر

قبل دخول المسيحية

عرف المصريون طريقة التعبد والعزلة منذ زمن بعيد ، ويقال ان اليهود أخذوا طريقة الرهبنة عن المصريين القدماء . فقد وصف فيلون اليهودى قوما من اليهود عاشوا بضواحى الاسكندرية بالقرب من بحيرة مريوط ، عرفوا باسم المتأملين بالالهيات ، وقالوا انهم كانوا يتعبدون لله بطهر وعفاف . وقال ان النساء كن يحافظن على عفتهن بمحض ارادتهن واختيارهن للرهبنة حبا فى العلم والحكمة .

وكان الرهبان يزهدون فى كل شيىء فى العالم ، يتركون كل ما يمتلكون من متاع الدنيا ، ويتنازلون عنها لذوى قرباهم أو للفقراء ، ويأوون الى الجبال .

وفى العصر الرومانى واليونانى كان الرهبان يقدمون الصلاة بعيدين عن طرق الفساد والفجور التى كان اليونانيون ينغمسون فيها كجزء من عبادتهم ، ولم يكن هناك سمير للرهبان فى عزلتهم سوى كتاب المزامير وكتب الانبياء وغيرها من الكتب التى تغذى العقول بالفضيلة والكمال فى العصر المسيحى .

وكان الرهبان يقضون النهار كله يتأملون فى الحكمة الالهية ويسبحون رب البرية بالاناشيد والتراتيل .

والرهبنة قبل عصر المسيحية كانت فى نظرهم نوع من أنواع التصوف أى تصفية القلب ومفارقة الاخلاق الطبيعية واخماد الصفات البشرية ، وكان الرهبان لا يسكنون المدن ويلبسون أثوابا قاتمة كأثواب الحكماء القدماء .

قصر يوسف الصديق فى طموه

اقدم دير فى العالم

ومن الاماكن القديمة التى حولها اليهود الى دير للتعبد والرهبنة قبل دخول المسيحية فى مصر هو القصر الذى كان يقيم فيه يوسف الصديق ومكانه فى مدينة منف — طموه حاليا(٧) .

وقصة يوسف الصديق ومقابلته لاخوته ووالده يعقوب ، وباقى أفراد عائلته بمصر فهى معروفة ، فقد ذكرت قصتهم بالتفصيل فى سفر التكوين ، والتى توضح اضطهاد اخوة يوسف له ومحاولتهم التخلص منه وانتهت بالقائه فى البئر ، ثم بيع للتجار الاسماعيليين(٨) ، أما يوسف فأنزل الى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون ، رئيس الشرطة وهو رجل مصرى ، اشتراه من يد الاسماعيليين الذين أنزلوه الى هناك ، ويظن أن ذلك حدث فى وقت تولى العائلة الخامسة عشرة الهكسوسية التى عمرت من عام ٢٠٠١/١٨٤٢ ق.م . وقال البعض ان ذلك حدث فى عهد الملك ابيى ابوفيس آخر ملوك هذه الاسرة ، وربما كان هو الملك الذى ذكر عنه فى سفر التكوين بأنه رأى حلما أنبأه عن الجوع والقحط الذى كان عتيد الحصول(٩) .

وكان سجن يوسف بسبب طهارته وعدم موافقته على الانغماس فى الرذيلة ، وقد ترك ثوبه فى يد امرأة فوطيفار رئيس شرطة فرعون ، وقوله لها ، كيف أخطىء الى الله . وعند وجوده بالسجن تعرف على كثيرين من أسرى الملك ، الذين كانوا يعملون بالقصر ، وكان هذا السجن بجوار سقاره(١٠) .

ثم خرج من السجن يفسر الاحلام . وبعد أن فسر احلام

---

(٧) تاريخ حياة القديس الشهيد مارمرقص الانجيلى فى ذكرى اليوبيل العالمى على مرور تسعة عشر قرنا على تأسيس كنيسة الاسكندرية دائرة المعارف القبطية — ابراهيم صبرى معوض ١٩٥٨ . ص ٣٠ .

(٨) تكوين ٣٩ — ١ .

(٩) تكوين ٤١ — ١/٣٢ . وقال العلامة أرمان أن يوسف كان فى عهد — أبابى — تاريخ سوريا — الدبسى — جزء ١ — ص ٢٤١ .

فرعون ، قال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ، وقال له كذلك أنت تكون على بيتى ، وعلى فمك تقبل جميع شعبى ، الا أن الكرسى الذى اكون فيه أعظم من كرسيك ، ثم قال له ، أنظـــــر قد جعلتك على كل أرض مصر ، وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف ، والبســـه ثياب بوص . ووضع طوق ذهب فى عنقه ، ودعا فرعون اسم يوســـف صفنات فعنيح(١١) . واستنبط من التواريخ القديمة أنه كان ليوســف فى كل شهر عيد عظيم لمولده ، يحتفل بشعائره فى القصر الملكى(١٢) . وأول عمل قام به يوسف الصديق أنه حفر خليج الفيوم وكان عمره ثلاثون سنة ، ويقال ان لقب فرعون وضع عليه بعد حفر هذا الخليج(١٣) . وأعطى فرعون ليوسف أسنات بنت فوطى فارع كاهن أون زوجه(١٤) .

وعند مقابلة يوسف لاخوته كانت من غير بغض ، وقال لهم ، أنا يوسف أخوكم . الذى بعتموه الى مصر الآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتمونى الى هنا لأنه لاستبقاء حياة أرسلنى الله قدآمكم ، الان وليس أنتـــم الذين أرسلتمونى الى هنا بل الله ، وهو جعلنى أبا لفرعون وسيدا لكل بيتـــه ومتسلطا على كل أرض مصر(١٥) . وحينما ذكر يوسف لأبيه اسمى ابنيــه أفرام ومنسى قال يعقوب ، لم أكن أظن انى ارى وجهك . وهوذا اللـــه قد أرانى نسلك أيضا . ووضع يده اليمنى على منسى واليسرى على أفرايم ، وقال عن الابن الاصغر أنه يكون أكبر منه ، ونســـله يكون جمهـــورا من الامم(١٦) .

ثم بارك يوسف أيضا وقال يوسف غصن شجرة مثمرة ، وبعد وفـــاة

---

(١٠) النخبة الواقية ص ٢٢١ .

(١١) معناها ينبوع الحياة او رئيس بيت الحياة ، او حاكم على بيت المعونة ، وكتبت فى الترجمة السبعينية ما معناه ، مخلص العالم .

(١٢) عنوان التوفيق فى قصة يوسف الصديق ص ١١ . وهو ما نشير اليه بأن مكانه الحالى دير طموه .

(١٣) مخطوط تاريخ ٤٠ دار الكتب الخديوية (FOL. I.S.B.) وسمى باسم — بحر يوسف ، وقال آخرون أن بحر يوسف سمى باسم الاب يوسف البطريرك الاسكندرى ٨٣١ م ، والذى اهتم بمشروع انشاء هـــذا البحر — مجلة عين شمس الاثرية ص ٢١٧ .

(١٤) تكوين ٤١/٤٥ .

(١٥) تكوين ٤٥/١ — ١٣ .

(١٦) تكوين ٤٨/٢٠ .

يعقوب حفظ يوسف جثة أبيه وارسلها الى الشام(١٧) وأقام يعقوب بمصر سبعة عشر سنة(١٨) وسكن يوسف فى قصره بجوار مدينة منف فى المكان الذى يوجد به دير طموه الحالى بالجيزة(١٩) ومات يوسف متأثرا بمرض الحمى فى قصره بمدينة منف ، وكانت زوجته تلازمه أثناء مرضه وهى تدعى سناط(٢٠) ، وحضرت من مقصورتها وهى تبكى ، فلما رأت ضعف جسده ، خرجت خارج الباب تبكى ، فسمعت صلاته ، حينما قال لله ، أنت الذى خلصتنى من جميع شدائدى ومرارة رق العبودية ، وأنقذتنى وأخرجتنى من السجن وأطلقتنى ، واقمتنى ملكا على سائر ديار مصر . وأنت الذى جمعت شملى بوالدى واخوتى ، وجعلت رحمتك فى قلب فرعون حتى أعطى اخوتى ، أرضا طيبة خصبة ، فوجدوا فيها قوتهم وكفافهم ، وقد علت أخوتى من القحط والجوع العظيم بغير تعب ولا كلفة ، كما الهمتنى عنايتك أيضا .

أسألك يا الهى أن تكون مع زوجتى هذه وأولادى ، لأنهم غرباء فى هذه الارض احفظهم ، فلما سمعت زوجته سناط ذلك لم تملك الصبر(٢١) ، بل خرجت باكية .

ولما علم فرعون ، ركب مع بعض خواصه ومضى الى قصر يوسف(٢٢) . فلما دخل عليه ، وجده على سريره فجلس بجواره ، وقام يوسف وقبل يدى فرعون ، فلما رآه فرعون محموما تأسف عليه ، وتنهد بكل قلبه ، ودمعت عيناه ، وقال يا يوسف يا حبيبى ، لو أمكن أن أفديك بكل ما تحتويه مملكتى لفعلت ، ولكنى أسألك أن تطلب لنا من الهك .

وطلب يوسف من فرعون أن يأتى بأولاده لأنهم يتعلمون ويقيمون عند اخوته ، واراد أن يشاهدهم قبل الموت(٢٣) .

ولما وصلوا الى منف وجدوا أمهم تبكى ، وقد نزعت جميع حليها

---

(١٧) تكوين ٥٠/٢ .
(١٨) مخطوط ٤٠ دار الكتب FOL. 20. FO. 20
(١٩) حياة القديس مارمرقص — دائرة المعارف القبطية — ابراهيم صبرى معوض ص ٣٤ ، النخبة الوافية .
(٢٠) قصة نياحة يوسف الصديق مخطوط ٥ تاريخ ٥٤٥ عمومية ، مكتبة المخطوطات بالدار البطريركية بالقاهرة ص ٣٩ .
(٢١) المخطوط ٥٤٥ عمومية — الدار البطريركية . ص ٣٩ .
(٢٢) مكان دير طموه بمنف — أى بالجيزة — كما سبق أن ذكرنا .
(٢٣) الذين كانوا موجودين بأرض جاسان بالشرقية .

وقال يوسف لمنس ، ادن منى ، لتسمع كلامى ، وتخاطب أعمامك ، وتقول لهم ، ان ما جرى لى منذ البداية كان تدبيرا من الله لتدبير حياتكم ، ونسائكم وأولادكم ، وقد تفضل سيدى الملك على وعليكم ، وأعطاكم أرض خصبة طيبة ، ثم أوصاهم على أنفسهم ، ثم ثقل لسانه من الكلام عند منتصف النهار . ثم فتح فاه وأسلم الروح ووضعوا جسده بجوار حماه فوطيفارع ، وهذا كما أشارت به زوجته سناط .

علم الآثار المصرية

وصحة هذه القصة

نشر العلامة الاثرى بروجش بك فى جريدة الجازيت يوم ٦ يوليو ١٩٠٨ بأنه اكتشف اكتشاف مصرى غريب ، بأنه وجد فى الاثار المصرية ما يدل على صحة ما جاء فى التوراه من حصول مجاعة شديدة فى مصر دامت سبع سنوات وذلك فى عام ١٧٠٠ ق.م على عهد يوسف الصديق وابيبى الاول ، أحد الفراعنة الرعاة ، قال ان هذا أعظم الاكتشافات التى اكتشفت حديثا ، واظهرها انطباقا على روايات التوراة . وقد جاء فيه أنه مر على الديار المصرية زمن شح فيه النيل سبع سنوات ، فخلت الارض من كل محصول ، وأصيبت بكل داء . وقد وافق تاريخ الحوادث المذكورة فى هذه الكتابة الاثرية ١٧٠٠ قبل المسيح وهو عين التاريخ الذى يؤخذ من التوراة ، وأنه لمن المدهش أنه يتفق التاريخان كل هذا الاتفاق ، ولكنه اتفاق صحيح لا ريب فيه ، ويصح أن يكون دليلا جديدا على صحة التوراة . فانه يؤخذ من سفر التكوين أن بيع يوسف للمديانيين كان فى سنة ١٧٢٩ ق.م . وبعد أن أقام سنة واحدة فى خدمة فوطيفار ، القى فى السجن بعد تلك التهمة الكاذبة التى اتهمته بها امرأة سيده المشار اليه ، وبعد سبع سنوات من ذلك التاريخ أى سنة ١٧٥٠ فسر فى سجنه حلمى الساقى والخباز الى آخر ما هو معلوم فى التوراة وفى عام ١٧١٥ ، حلم فرعون حلمه المشهور فتذكر الساقى ما كان قد أوصاه به يوسف ، وفسر الحلم بأنه سيمر على مصر سبع سنين شبع ، وسبع سنين جوع الى آخر ما جاء من بناء المخازن استعدادا لخزن المحصول لحين المجاعة كما ألمحت اليه الاثار بعض التلميح وصرحت فى بعضه كل التصاريح . والثابت من رواية التوراة ان سنين الشبع انتهت فى عام ١٧٠٨ ق.م وأن عائلة يوسف حضرت الى مصر من سوريا لتشترى قمحا فى عام ١٧٠٧ ق.م . وأن هذه العائلة استقرت فى أرض جاسان ١٧٠٦ ق.م . ثم

أنتهت سنين الجوع عام ١٧٠٠ وهو عين التاريخ الواضح من الآثار .

وبعد وفاة يوسف الصديق بقصره بطموه ، أصبح هذا المكان مقدسا لليهود ، حولوه الى دير للرهبنة اليهودية ثم أصبح فى العصر المسيحى دير قبطى .

المؤرخ عبد اللطيف البغدادى

ورايه فى دير طموه

وقد ذكر فى كتاب الافادة والاعتبار ، فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر لعبد اللطيف البغدادى(٢٤) ، أنه كان بجوار قرية بالجيزة ، قريبة من المدينة تدعى دموه ، بأنه كان بها دير لليهود ، ومقدار الذهاب اليها مسيرة نصف يوم من الجيزة ، وكانت عامرة زمن يوسف وموسى عليهم السلام .

طموه :

ودير طموه Tammwo بالقبطية وبالهيروغليفية (توم) وهى ترمز للشمس الغاربة ، قال عنها اميلينو أن طموه بمدينة منف ذكرت فى قصة الانبا بولا من طموه . فى ٧ بابة . وهذه البلدة من البلاد المصرية القديمة التى تتبع مدينة البدرشين حاليا بمديرية الجيزة .

وقال المقريزى ، كنيسة دير طموه بالجيزة بها كنيسة على اسم قزمان ودميان ويسميه العوام الخمسة وأمهم وهم قزمان ودميان واخوتهما أنثموس ولاونديوس واراسيوس وأمهم ثاودورة من بلدة من بلاد العرب ، استشهدوا فى هذه المدينة . وقال المقريزى أيضا أن بهذا الدير ، توجد كنيسة يصلى بها قسوس علمانيون باسم الشهيد مرقوريوس(٢٥) . ويقال أن جسد

---

(٢٤) مخطوط طرف ابراهيم صبرى معوض .
(٢٥) سنكسار ٢٢ هاتور ، ٢٥ هاتور ، ٩ بؤونة ، ٢٥ أبيب .

القديس أبو سيفين نقل الى كنيسة فى مصـــر فى عهد رئاسة البابا يؤانس الرابع والتسعين(٢٦) .

على باشا مبارك ودير طمـوه

ورئيس الوزراء القبطى يوسف ابن مكراوه

ذكر على باشا مبارك أن احد وزراء الاقباط يعرف باسم ابن طنبور كان مشهورا باسم أبو اليمين يوسف ابن مكراوه ابن طنبور . وبعد أن أصبح رئيسا للوزراء ، جدد دير طموه فى عهده . وكان رئيس الوزراء القبطى يوسف ابن مكراوه مشهورا باسم أمين الامناء . وكان أمينا على خزائن الخليفـــة . ثم تولى نظارة الريف المصرى بالوجه البحرى .

وقيل أن من مآثره العديدة وأياديه البيضاء الكثيرة على أبناء جنســه الاقباط أن أعاد انشاء دير طموه ، ووسع زمامه فى احسن نقطة وأجمل موقع ، وسمى هذا الدير بدير أبى سيفين بطموه ببر الجيزة ، وأحاطه ببســـاتين واسعة . وكان هذا الدير غاية فى البهجة والرونق ، وكان من أعظم المنتزهات وأجملها للاقباط . وكان هو يتردد على هذا الدير ، ويقيم فيه أياما ترويحـا للنفس من عناء الاشغال .

وكان رئيس الوزراء القبطى رأس عائلة كبيرة اشتهرت بالاشـــغال والجسد والكرم وسعة الحال والغنى الوافر واستمرت العائلة بعــــده فى رئاستها حتى عهد المماليك . أى أنها مكثت فى رئاسة الوزارة ابتداءا من حكم صلاح الدين والعزيز والمنصور والعادل والكامل حتى بداية عهد المماليك ركن الدين الظاهر بيبرس وعاصرت العائلة من البطاركة يوحنا السادس وكيرلس الثالث وأثناسيوس الثالث وغبريال الثالث ويوحنا السابع .

---

(٢٦) كان الامل أن يتم عمل حفريات فى بعض أجزاء الدير ، فانه كان يمكن العثور على اجساد بعض الشهداء والقديسين ، ولكن ما تم من عمـــل صبات من المسلح ، قد غير أوضاع كثيرة ، وكانت بطريقة غير علمية أثريا .

الاسرائيليون الذين ترهبوا فى عهد

القديس أثناسيوس

ومن الاسرائيليين الذين اعتنقوا المسيحية فى عهد القديس أثناسيوس ، وأصبحوا من أقطاب الرهبنة هو الانبا هرساسيوس والذى لقبته الكنيسة بلقب عديل الملائكة . فقد ذكر فى مخطوطات الدير المحرق عند ذكر قصة حياة القديس الانبا شنودة كما يلى ، « اعلموا أن أبانا الطاهر النقى النبى ذو التذكار الحسن الانبا شنودة الذى نعيد له اليوم من قرية تدعى شنلالة من تخوم مدينة أخميم . وقد شهد لنا من قد رأى فى ذلك الزمان أن الانبا هرساسيوس عديل الملائكة ، المنعوت بالاسرائيلى انحدر من ديره الى بحرى ... » .

وهناك من القديسين الانبا جيفير ، الذين ذكرهم باركيه عام ١٨٧٧ ولايوسبوس وأبروس العبرانيين الذين أظهروا أعمال مخلصنا ، وأيضا أبرا بن فانس العبرانى .

القديس انطونيوس أسقف

طمـوه

ومن القديسين الذين اشتهرت بهم مدينة طموه القديس الانبا انطونيوس ، أسقف طموه ، وتذكار نياحته ١٢ من شهر برمودة .

رئيس الوزراء أثناسيوس اتخذ

طمـوه مركزا له

قال أحمد باشا زكى سكرتير أول مجلس النظار فى عهد السلطان حسين كامل عام ١٩٠٨ ، أنه كان يوجد رئيس وزراء قبطى . وهو كان أمينا على بيت المال . وهو اشبه بوزارة المالية اليوم رجلا من الاقباط اسمه

فى تاريخ مصر ويدعى اثناسيوس(٢٧) ، فى أيام عبد العزيز آمر مصر من قبل والده الخليفة مروان ، ذكر أنه حينما تفشى الطاعون أتى الى حلوان ثـــم الى طموه ، فأعجبه موقعها واتخذها داره ونقل اليها بيت المال ، وكان أمينـــــا عليها ، هذا الرجل لم يعزل آلا بعد موت العزيز .

دير طموه كان مزارا عالميا

يحج اليه اليهود كل عام

وكان دير طموه مزارا عالميا وبقى كذلك طوال عصور التاريخ حتى وقت السلطان حسين كامل ، الذى كان معاصرا للانبا كيرلس الخامس . ذكر فى كتاب النخبة الوافية ص ٢٣٠ — الذى أصدره حينما كان ناظرا — أى وزيرا . للمعارف قبل أن يصبح سلطانا على مصر . وقد أشرف على هذا الكتـــــاب مستشاره على باشا مبارك وقد طبع الكتاب بمطبعة المدارس الملكيـــــة — الطبعة الاولى ، وقال عن طموه أنها على الجانب الايسر للنيل وعلى الشمال الشرقى لميت قادوس بنحو ثلاثة كيلو مترات ، واسمها فى كتب التاريخ طموه السباع ، والتى كان بها مستقر موسى ، حيث بعث الى فرعون ، وكان بهـــا شجرة عجوز جدا كان اليهود يزعمون أنها عصا موسى ، زرعها موسى بيده ، فنمت نموا عجيبا ، وكانوا يعيدون تحتها عيدا كل سنة .

ولم يمكنا معرفة تاريخ اليوم المقدس الذى كان اليهود يأتون فى مناسبته لزياره هذه الشجرة بهذا الدير ، وذلك بسبب عدم وجود من يعتمد عليه من اليهود القدامى لمعرفة هذا التاريخ . وأتمنى أن يكون ذلك ميسورا مستقبلا . وتوجد مؤشرات عن وجود آثار لاماكن مقدسة لقديسين مدفونين بهذا الدير ، الا أنه قد تم عمل خرسانة مسلحة مكان هذه الاثار بالمخالفة للمبادىء الاولية لعلم الآثار ، قام بتوجيهه مدرس اعدادى لا يمت الى التاريخ أو الاثار بصلة . وهناك مواضيع أخرى عن دير طموه سنذكرها فى كتاب خاص بعد ذلك .

---

(٢٧) كان معاصر للبابا متاؤوس الاول الذى استمر فى البابوية لمـــدة ثلاثين عاما .



دير طموه أقدم دير في مصر — به شجرة موسى المقدسة

الدير المعلق باسيوط — بأبنوب

كان هذا الدير ضمن الخمسين دير الذين ذكرهم القـــديس اثناسيوس فى الميامر الثلاثة المرسلة الى أساقفة ورهبان مصر الموجودين بالخمسين دير . وسوف ننشر دراسة خاصة عن الخمسين دير بالتفصيل ضمن المجلد العاشر وسوف نشير الى أسماءها واقطاب مؤسسيها القديسين ورهبانها الخ . . . وكان الدير المعلق يسهل الوصول اليه عن طريق النيل حيث أن هذا الدير كان مقابل لميناء منفلوط القديم ، وكان هو المدخل لكنائس وأديرة أسيوط الموجودة فى الجهة الغربيـــــة للنيل ، وآثار هـــــذا الميناء كانت موجودة حتى وقت وصول الحملة الفرنسية ، وللميناء صورة فريدة طرفنا ، كانت مرسومة بيـد أحد فنانى الحملة الفرنسية . وعلى أنقاض هذا الميناء أقام الانبا ثاوفيلس مطران منفلوط المتنيح مدرسة للاقباط لا زالت موجودة حتى الآن . والانبـــا ثاوفيلس كان راهبا بالدير المحرق وتسمى باسم القمص اثناسيوس المحرقى ، وهو ابن أخو جد المؤلف — سعد ابراهيم — ولد عام ١٨١٨ وتوفى عام ١٩٣٦ ، وكان جميـــع الاجداد من أبروشـــية صنبو .

أما المتنيح الانبا ثاوفيلس فتوفى عن عمر ٥٠ عام . وكان الميناء مقـــابل للدير المعلق . وكان هناك طريق آخر يمر بالجهة الشرقية للنيل يمر بهـــذا الدير ويسمى الجسر القديم الذى كان يصل من منف الى الحبشة . جدد هذا الدير الانبا لوكاس الثالث مطران أبنوب والفتح . وأقام مبنى جديد من أربعة طوابق ، وله سور حجرى ليساعد الصاعدين الى الدير . كان القـــديس اثناسيوس حين زيارته لهذه المنطقة يصاحبه الشمامسة والرهبان والكهنـة والاساقفة ، ينشدون الترانيم وبمصاحبة الدفوف وخاصة حينما كان ينتقل من دير الى دير . ويقال أنه كان فى صحبته كثير من الاساقفة القديسين المعاصرين .

وبهذه المنطقة أربعة اديرة مشهورة كالدير المعلق ، معظمها كان ملجـأ للبطاركة الارثوذكسيين الذين آتوا من الشرق ليكونوا فى حماية القـــديس اثناسيوس وشعب مصر فى أسيوط — وكان منهم بطريرك أنطاكية ؛ هـــذه الاديرة كانت حصنا لأقطاب الارثوذكسية فى العالم . ومنها ديـــر الجبراوى بأسيوط ، والمؤلف مكث ثلاث سنوات كاملة فى دراسة هذه الاماكن الطاهرة .

والثلاث رسائل التى كتبها أثناسيوس فى هذه المنطقة تعد أعظم ما كتبه الى أساقفة ورهبان مصر الموجودين فى الخمسين دير . وسوف تنشر باذن الله فى الكتب التالية .

الفصل الثـــانى

اعتناق ابناء ملوك روما الرهبنة
اقتداءا بالقديس الانبا انطونيوس والانبا بولا
والالتحاق بأديرة مصـــــر

كتب الاستاذ رافت عبد الحميد فى كتابه . ملامح الشخصية المصرية فى العصر المسيحى ص ٤٤ » . يحدثنا أثناسيوس فى كتاباته وكذا المصـــــادر التاريخية المعاصرة عن الاثر الكبير والانطباع الغريب الذى تركه هـــذان الراهبان المصريان على نفوس أهل ايطاليا والغال فى كل مدينة حلا بهـــا بأرديتهم البسيطة بمسوح الزهد والتقشف ، وبمسلكيهمـــا المتواضـــع ، وبحرصهما على أداء طقوس العقيدة ، بحديثهما والصمت ، بانصرافهمـــا عن دنيـــا الناس الى عالم آخر ... كل هـــذا بلا شك دفع نفرا ، وان كان فى بادىء الامـــر يسيرا ، من أهـــل الغـــرب ... الى محاكاتهم ، والسير على نهجهم .

تأثير القديس أثناسيوس
على علمـــاء روما

ومن آثار وتأثير القديس أثناسيوس الرسولى على الشعب الرومانى ، هو انتشار قصة الرهبنة القبطية وقديسيها ، وان كثير من العلماء الرومانيين التحقوا بالاديرة المصرية وآثروا معيشة القداسة ومنهم روميلوس Romelos والانبا فارمنيوس Farmemios والانبا فيرموس Firmos والانبا دومنيوس Domnios . وكان هؤلاء العلماء الغرباء عن مصـــر من أماجد القوم فى روما الذين رغبوا أن يعيشوا مع المسيح فى زهد فى برارى مصر . فنبذوا التهذيب الفلسفى الرومانى ، والثقافة الدنيوية ، وتحولوا الى تعلم مبادىء الســـمو الروحى والاداب المســـيحية وكانوا فى الكنيسة كالكرم الجيد .

القديسان مكسيموس ودوماديوس

وقد أثرت انتشار قصة القديس الانبا أنطونيوس والقديس الانبـــا بولا على أبناء الشعب الرومانى ومنهمـــا اعتنقـــا القديسان مكسيموس ودوماديوس مبادىء الرهبنة ، وهما من أبناء رئيس حرس الملك ، أثناء وجود القديس أثناسيوس فى روما ، وكان يدعى والدنديانوس ، وكان مع شـــدته كان عادلا ، لذلك اختاره الشعب الرومانى بعد ذلك ملكا عام ٢٦٤ م . وقد ذكر أسمه بأنه فالنتينوس ابن الملك يونيانوس .

وكان هذا الملك له ولدان ، يدعى أولهما مكسيموس والثانى دوماديوس ، وتربى الابنان بخوف الله وأدبهما بكل فضيلة ، فالتزما بالقيـــام بالصلوات ومطالعة الكتب ، ثم اختارا طريق معيشة الرهبانية ، ووجدا أنه لا فائدة من السير فى طريق العالم الزائل وكل مجده .

فاتفق الاخوان على مغادرة روما بأن احتالا على أبيهما ، فنسجا قصة يخبروا بها والدهما ليسمح لهما بالذهاب الى مدينة نيقية ، ليزورا مـــكان المجمع المسكونى الاول الذى انعقد فى عام ٣٢٥ م ، ويصليا فى مكان المجمـع المقدس ، فصرح لهما والدهما بالذهاب ، وأرسل معهما عســكرا وغلمانا ، كعادة أولاد الملوك . وحينما وصلا الى هناك أعادا الاثنان العسكر الى أبيهما حينما وصلا الى مدينة نيقية .

ثم سارا سويا بعد ذلك الى سوريا ، حيث كان يوجـــد القـــديس أغابيوس ، وأقاما عنده ، حيث كان عنده مركزا من المراكز الرهبانية القبطية بسوريا ، وكان يشرف عليها القديس القبطى أوكين من أبناء القلزم(١) .

وقد علمنا من قصـــة أوكين أنه قد ذهب الى سوريا والعراق هـــو وسبعون راهبا من أبناء القديس الانبا أنطونيوس لذلك ساعدت وجود هـــذه البعثة الرهبانية ، فى انتشار الرهبنة القبطية هناك . وكان ذلك أثناء حيـــاة الانبا أنطونيوس وقسطنطين ملك روما ، والقديس أثناسيوس الرسولى ، ويقال أن أيلاريون الذى اعتنق المسيحية واعتمد بمدينة الاسكندرية ، وترهب على يد القديس الانبا أنطونيوس . قد عاون هذه البعثة القبطية .

---

(١) ذكر البعض انهما تقابلا مع قسيس يدعى حنا ، وكان راهبا وهذا يخالف ما جاء بالمخطوط .

وقد أقاما القديسان مكسيموس ودوماديوس ، حيث مكان رهبنـــة القديس أغابيوس ، فألبسهما شـــكل الرهبـــان ، وأقاما عنـــده فتـــرة ، ثم عرفهما أنه رأى القديس مكاريوس الكبير يطلب منه ارســـالهما الى برية الاسقيط ، فذهبا الى هناك . وتتلمذا على يد القديس مكاريوس ، كما ذكر عن سيرتهما المطولة فى السنكسار ، ونسخة من هذه السيرة العربية محفـوظة بدار الكتب الاهلية بباريس .

وهناك رأى آخر ذكر بأن القديس مكاريوس الكبير هو الذى طلب من أغابيوس أن لا يرسلهما الى القسطنطينية ، وأمره أن ينزلا الى مصر ، حتى يسكنا بالقرب منه ، وقال له أن السيد المسيح قد عينهما له أولادا .

وكانت توجد ببرية الاسقيط أديرة مخصصة لكل طائفة مسيحية تريد الرهبنة ، فمنها طائفة الروم والسريان والارمن والحبش الخ .

وكان مكان اقامتهما بالموقع الذى يوجد به الان دير البراموس . وقد سمى هذا الدير بهذا الاسم لأن كل البرية الغربية ، كانت تســـمى بـــرية مكاريوس ، فلأجل تمييز الديارات من بعضها كانوا يسمونها بأسماء وتعريفات خاصة ، انطلقت عليها من ذلك الحين ، وصارت علما على هذا الدير للتمييز فقط ، أما أسم هذا الدير الحقيقى فهو دير مكاريوس أو دير مكســـيموس ودوماديوس الرومانيين .

وكلمة « برموس » تتكون من كلمتين قبطيتين الاولى PARA أى قبل موسى Mwoce أى موسى وأضيفت اليها أداة التعـــريف العربية وأدغمت اللفظة ببعضها فأصبحت البرموس وصار الاسم المعروف المشهور بأنه الدير الذى قبل دير موسى ، لأن الدير الذى كان يليه باســـم القديس موسى الاسود(٢) .

وكان جميع الاقباط الذين يريدون أن يتباركوا بهذا الدير أن يخرجـــوا اليه للصلوات ثلاثة مرات فى السنة . فى عيد الصليب ١٧ توت وعيد الغطاس ١١ طوبة والثالث يوم عيد الفصح وشم النسيم .

وكان يوجد على أسم هذين القديســـين ، مكسيموس ودوماديوس

---

(2) ETude Sur Le Wadi Natroun. Prince Omar Toussoun. Alex. 1931. P. 44.

كنيسة باسميهما بدهشور ، وهى أثرية يحمل اليها الاقباط كثير من الغلال والنذور ، وفى وقت لا نعلمه تحولت هذه الكنيسة الى جامع يدعى مسجد موسى ، أما الدير فقد تلاشى مع فيضان النيل .

وكانا هذان القديسان يعيشان من ثمن تعب أيديهما فى صناعة قلوع المراكب ، وكانا يوزعان الفائض على الفقراء والمعوزين ، وشاع خبرهم جميع المسكونة ، وخاصة بين التجار والمسافرين ، وكان أصحاب المراكب يكتبون اسماء القديسين مكسيموس ودوماديوس على قلوع المراكب التى توضع عليها تبركا . وبعض التجار كانوا يكتبون اسم القديسين على الحبال ويعلوهما على شكل صليب وسط شراع السفينة .

ويقال انه فى ذات يوم خرج أحد حجاب الملك الى البحر فرأى احدى هذه القلاع مكتوبا عليها مكسيموس ودوماديوس . فعرف الحاجب من صاحب المركب ، قصة حياتهما فأسرع للملك وقص عليه قصتهما . وتقول بعض القصص أن هذا الحاجب كان أصلا من مصر .

فأرسل اليهما والدتهما وأختا لهما ، فرأتهما وعادتا الى موطنها . بعد ذلك تنيح بطريرك رومية فتذكروا مكسيموس ليجعلوه بطريركا على رومية ، فلما اتصل الخبر بهما غيرا وجهتيهما وذهبا الى القديس مكاريوس ببرية شيهيت كوصية أبيهما الانبا أغابيوس ، وسارا وهما لا يعرفان اين يتوجهان .

وكان القديس مكاريوس يظن أولا انهما لأنهما أولاد ملوك لا يستطيعان القيام فى البرية ، لتحمل شظف العيش لكنهما تحملا ، وكانا يعيشان كل منهما فى قلاية .

وبعد أن مكثا ثلاثة سنين فى الوحدة وهما فى أعلا حالات القداسة والتفرد ، وكانا يجيئان فقط الى الكنيسة من يوم الاحد للاحد لاخذ القربان وهما صائمان . وفى يوم ذهب أبو مقار وبات عندهما وعرف عملهما ، وألبسهما الاسكيم المقدس ، وانصرف عنهما قائلا لهما صليا من أجلى وضربا الاثنان للقديس مكاريوس مطانية وهما صامتان .

ثم مرض مكسيموس وتنيح فى ١٤ طوبة ، ودوما ديوس فى ١٧ طوبة ورأى القديس مكاريوس جماعة القديسين والانبياء والرسل الذين حضروا لأخذ نفس كلا منهما ، فصاح أبو مقار وقال طوباك يا مكسيموس ، طوباك يا دوماديوس ، وأمر القديس أبو مقار أن يدعى الدير على اسميهما .

وبعد وفاة مكسيموس ودوماديوس بعث والدهما الملك الى دير البراموس أموالا طائلة ليبنى على اسميهما كنيسة بالدير .

الانبا كيرس الملك

ومن الملوك الذين ترهبوا بدير البراموس ، القديس العظيم الانبا كيرلس أخو الملك تاؤودوسيوس الكبير ٣٧٨/٣٩٥ . وقد أدرك بتقواه فساد العالم وسرعة زواله . فترك كل ماله وخرج على وجهه لا يقصد أى جهة معلومة فأرشده الروح القدس للذهاب الى البرية الجوانية ببرية شيهيت ، فسكن هناك وحده لعدة سنين . ولم يبصر أثناءها انسانا على وجه الاطلاق .

وكانت توجد ايضا ببرية شيهيت القديسة ايلارية الراهبة ابنة الملك زينون الذى كفنها وقت وفاتها القس بموا . ويقال أن القس بموا اشتهى أن يرى عبيد الله السائحين فى اطراف القفار . فسأل عنهم فى البرية واحدا فواحدا ، حتى وصل الى الانبا كيرس آخر الجميع ، فناداه من داخل قلايته بالمغارة التى كان يسكن بها ، ورحب به ، وقال أهلا بك يا بموا قس برية شيهيت . فدخل اليه متعجبا ، وبعد السلام سأله الانبا كيرس عن أمور العالم ، وأحوال الولاة . وعند ذلك نحو المساء ، صلى الى الله وسجد على الارض وأسلم الروح . فبكاه الانبا بموا وكفنه ثم عاد الى البرية ، وأخبر الرهبان بما رأى وسمع ، والكنيسة تحتفل بذكرى وفاته يوم ٨ أبيب .

وعندما علم الملك زينون الذى كان ملكا على القسطنطينية بخبر ابنته ، فعضد البابا يوحنا ٢٩ على نشر الامانة الارثوذكسية فى كل أعمال مصر . وكان يرسل كل عام الكثير من الزيت والقمح والغلال والحبوب والخمر اللازم للاسرار الالهية لبرية القديس مكاريوس ، ولدير البراموس . وقد أنشأ الملك قصرا بديعا بدير البراموس .

الفصل الثالث

أديرة وكاتدرائيات ومدن وكنائس

الصحراء الشرقية

يبدو لأول وهلة حينما يقرأ أى فرد عن أديرة الصحراء الشرقية أنها تنحصر فقط على ديرى القديس الانبا أنطونيوس والانبا بولا الموجودين على ساحل البحر الاحمر وبعض القلايات المتناثرة هنا وهناك بوادى عربة ، والتى كان بعضها مكانا لسكنى بعض الرهبان .

ولكن فى هذا الجزء ينحصر البحث عن الاديرة والكاتدرائيات والمدن والجبانات القبطية المنتشرة داخل الصحراء الشرقية بوادى قنا ، فى المنطقة المحصورة من النيل والبحر الاحمر ، وسوف نشرح ونوضح أماكنها على الخريطة المعدة لذلك . والتى لم ينشر عنها بالنسبة للتاريخ المعاصر فى مصر أو فى الخارج . وسوف ننشر جميع الخرط الصادرة فى مصر والخارج لجميع العلماء والهيئات والتى جاءت خالية من الاشارة اليها . وقد أخذت هذه الاماكن الاثرية أرقام مسلسلة على نفس الخريطة وحسب الارقام المسلسلة لشرحها فى هذا الفصل .

وقد أضفنا هذا الجزء الشيق والنادر بهذا الكتاب للاسباب الاتية : —

١ — تم العثور على نقوش قبطية منقوشة على بعض الصخور الجرانيتية بهذه المناطق الاثرية الموجودة بالجبال والاودية ، ونوضح أن هناك صلة بهذه الاماكن بالقديس أثناسيوس فى نفس الحقبة التى يضمها فصول هذا الكتاب وخاصة من عام ٣٤٦ وما بعدها وهى الفترة التى غادر فيها أثناسيوس مصر وذهب الى روما . وتضم هذه النقوش أسماء أقطاب الكنيسة المعاصرين للقديس أثناسيوس ، مثل القديس الانبا سرابيون أسقف دندرة ، وصديق القديس الانبا أنطونيوس ، والقديس هارتس مطران قنا ، والقديس ديديموس ، وتوضح كذلك أن معظم هذه الاماكن كانت ملجأ للاقباط هربا من الاريوسية والاريوسيين الذين انتشروا بالصعيد فى هذه الفترة .

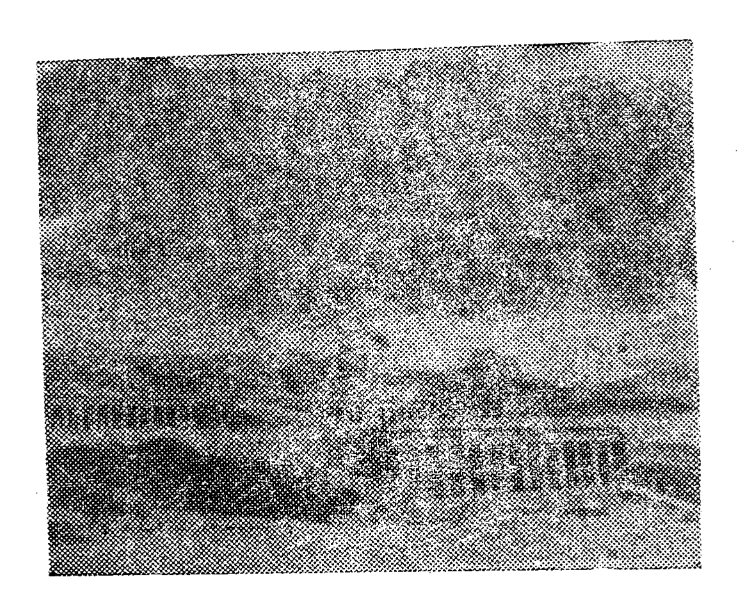
٢ — شهدت هذه المنطقة رسامة بعض أساقفة مصر الارثوذكسيين مثل القديس الانبا موسى اليمنى الذى كان يدعى بأسقف الخيام ، على يد أساقفة مصر الاقباط وعلى رأسهم الانبا اسطفانوس المطران القبطى الذى كان يشرف على منطقة الهند الكبرى والتى كانت تتكون هذه الابروشية من ساحل الهند وايران واليمن والتى أستمرت تابعة للكنيسة القبطية حتى القرن الخامس عشر . وتمت هذه الرسامة بجبل أدريبة والتى أصبحت بعد ذلك مركزا لرهبانية القديس الانبا شنودة .

وكانت منطقة جبل ادريبة هى منطقة التقاء البعثات المسيحية العابرة الى أخميم وباقى أبروشيات مصر وبين البحر الاحمر ، وهذا للراغبين فى امتداد نطاق خدماتهم لمنطقة الهند الكبرى بواسطة السفر عن طريق السفن القبطية من ميناء تادرس ، ومكانها الان قريب من قرية مجاويش السياحية . وهذه المنطقة كانت الطريق الرئيسى الذى كان يسلكه الرسل منذ القرن الاول الميلادى .

٣ — وصف الاديرة الموجودة بهذه المنطقة تتفق مع الميمر الذى وضعه القديس أثناسيوس عن القديس الانبا أنطونيوس ، وتسمى هذه المنطقة بطيبة الخارجية ، والتى تنتهى الى آخر حدود مصر ، وهى سواحل البحر الاحمر فى ذلك الوقت . وكان مركز أديرة القديس الانبا أنطونيوس ورهبانيته بالدير البحرى ومكانه معبد حتشبثوت بالاقصر . وكان يتم السفر قديما بين هذه الاديرة جميعها عن طريق الجمال كما هو موضح بالميمر حينما كان القديس أنطونيوس يزور أبنائه الرهبان ، لذلك أشتهر القديس الانبا أنطونيوس فى مصر والخارج ، بأنه القديس الانبا أنطونيوس الطيبى من مصر أبو الرهبان(١) .

---

(1) Anthony OF Thebes. 251 — 365. Christian Saint and Hermit generally knawn as, St. Anthony the great — Universal Harmworths, P. 456. 166.



الدير البحرى — معبد حتشبثوت — دعى بدير الانبا انطونيوس

ومن أديرة هذه المنطقة التى تشد انتباه القارىء ، دير الفلسبار بجبل دخان ، والذى اختاره القديس بفنوتيوس للتعبد فيه ، والتى أصبحت بعد ذلك كاتدرائية كبرى . وكان القديس الانبا بفنوتيوس قبل اختياره لهذا المكان مركزاً لرهبنته ، كان يعمل بمناجم الفلسبار والذهب بجبل دخان ، كأسير ، وعذب هناك أيام أضطهاد الرومان . وكان القديس الانبا أنطونيوس يعد هذا الدير من الاديرة المحببة له ، وكان يزور هناك الانبا بفنوتيوس قبل رسامته أسقفا .

٤ — وجود آثار للطرق المعبدة الفرعونية من قديم الزمان بهذه المنطقة ، والذى كان ينقل عن طريقها أحجار المعابد الغالية والعواميد والمسلات ، والتى استعملت بعد ذلك أثناء الاحتلال اليونانى والرومانى لمصر داخل وادى قنا وجبالها — وكانوا ينقلونها الى ميناء قنا وعن طريق النيل تصل الى الاسكندرية ، ومنها الى أوروبا .

وقد سهل هذه الطرق انتشار الاماكن الرهبانية والاديرة والكاتدرائيات فى هذه المناطق .

وقد خلف هؤلاء المستعمرون كثير من الاعمدة المنقوشة والصخور التى

كانت معدة لتصديرها ولم تصدر ، بعضها يحوى النقوش اليونانيــة والتى توضح مدى دقة الصانع القبطى حتى ولو كان فى الاسر .

وتتباهى جميع دول الغرب بوجود هذه الاثار عندهم بأنها نتيجة تقدم مدنية الغرب ، وفى الحقيقة توضح بصمات الاقباط بأنهم هم الذين حفــروا بأيديهم أساس مدنيات العالم ، وكانوا من صانعى الحضارة العالمية . وسوف نوضح بالصورة لهذه النقوش والاثار النادرة .

٥ ـــ وجود المناخ القبطى الملائم فى القرن الثالث والرابع الميلادى ، والطرق المعبدة فى هذه الاماكن ، ساعد ذلك على نقـــل أجساد الرســل والقديسين الذين استشهدوا فى اليمن أو ايران أو الهند ، لكى يســتريحوا داخل كنائس مصر ، بناء على توصيات القديس أثناسيوس الذى كان مغرما بجمع رفات الرسل والقديسين ونقلهم الى مصر . عن طريق مينـــاء تادرس وكان يوجد بقرب هذا الميناء بئر تادرس ، تستقى منه القــوافل الوافدة من أفراد وجمال . ومن داخل هذه الاماكن المقدسة نقلوا بعد ذلك هذه الاجساد الى داخل أخميم ، ويضم دير القديس الانبا شنودة الشرقى بأخميم أغلى تراث من أجساد الرسل والشهداء والقديسين ، منهم أجساد سمعان الغيـــور ، والقديس توما ، والثلاثة فتية القديسين ، وقد تشكك أميلينو عن هذا فقــال ان الاقباط اعتادوا نقل أجساد الموتى من مدافنهم بالقرى وينسبون أنهم من الشهداء والقديسين ، وأنه لم يصدق أن الانبا ثاوفيلس البطريرك قد نقــل أجساد الثلاثة فتية ووضعهم بدير القديس الانبا شنودة بشرق أخميـــم . على أى حال ان كنيستنا تقليدية ولا يمكن أن تنقل أى اخبار غير حقيقيــة ، وسبق أن أفردنا فى الجزء الثانى ، أبحاث اللجان المختلفة للعلمـــاء الاجانب الذين يبحثون عن مصير رفاة القديسين والرسل ، علما بأنه وجد أن جميـــع الانية الحجرية التى عثر عليها بفلسطين كانت مبعثرة .

وهى كانت مخصصة لوضع عظام القديسين والرسل ، وقد وجــــدت خاوية ، وهى موجودة بمتحف فلسطين الان ، بدون وجود أى رفاة بها ، علما بأنه منقوش على كل واحدة اسم الرسول أو القديس وبعضها باسم المريمات .

٦ ـــ توجد نقوش على الجرانيت بجوار مدخل كاتدرائية جبل دخـــان تفيد بأن القديس الانبا أمونيوس كان يوجد بهذا المكان ، وكان من القديسين المحببين للقديس الانبا أنطونيوس ، وسوف تقرأ عنه بميمر القديس أثناسيوس عن القديس الانبا أنطونيوس .

٧ — لا زالت توجد ببعض هذه المناطق آثار السجون ، التى كان يوضع بها الاسرى الاقباط رجالا وسيدات . وكانوا من أفضل أبناء الاقباط ، الذين تمسكوا بالايمان المسيحى ، أعترفوا باسم المسيح الههم الحبيب ، ومع ذلك لم ينفذ فيهم حكم الموت ، مكتفين باستغلالهم واذلالهم بالعمل بدون أجر بمناجم الحجارة والمعادن ، وبعضهم كان من كبار المهندسين والفنانين الاقباط . وبعد زوال هذا الاضطهاد ، عمروا هذه المناطق فأقاموا الكنائس والاديرة ، وتكونت هناك مدن قبطية ، ولما انتشرت الاريوسية تحولت هذه المدن كملاجىء آمنة للاسر القبطية فأقاموا بها وتعبدوا فى كنائسها .

٨ — تم وضع خريطة لهذه المناطق نتيجة هذه الدراسات والبحوث والرحلات والتى تمت منذ عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٥٢ . وكانت هذه الرحلات الثلاث بالصحراء الشرقية بوادى قنا ، كنت مصاحبا لاحد الطيارين الانجليز الذين كانوا يقطنون بجوار منزلنا بعزبة النخل ، والذى كان مغرما بارتياد هذه المنطقة ، ولا شك أن ذلك وفر اجراءات التصاريح التى كان يجب استخراجها لدخول هذه المناطق ، ثم أن وجود خطوط السكك الحديدية الضيقة داخل وديان قنا وكانت مخصصة للجنود ساعد ذلك ارتياد معظم هذه المناطق ، وكان من السهولة تكملة ارتياد المناطق التى لا يوجد بها سكك حديد ، باستخدام الجمال . وقد علمت أن هذه الطرق الحديدية قد خربت بعد خروج الانجليز .

وكنا نعثر على عملات مختلفة داخل المدن القبطية ، وكان لمستر كنج النصيب الاكبر فى حفظها . أما النقوش التى كان يعثر عليها فقد ساعدنا فى دراستها الاستاذ الفاضل سامى تاوضروس — الذى سيم مطرانا على القدس باسم الانبا باسيليوس . علما بأن الاستاذ سامى تاوضروس كان أول من قاد خدمة مدارس الاحد بعين شمس وعزبة النخل والمرج الخ .

وكان بسبب تعليمه لنا اللغة القبطية ، ساعدنا ذلك فى جميع دراساتنا ، ولم يكن لدينا فكرة لنشر هذا الجزء أو الخريطة المنشورة بهذا الكتاب ، لأنه لم يكن هناك أى أمان بسبب كثرة محترفى السطو على مؤلفاتنا بدون النظر للحقوق التى كفلها القانون لحفظ حق المؤلف . ورأيت أن بعض أساتذة معهد الدراسات القبطية قام بالسطو على حقوق بعض المؤلفين الذى استصدر حكما بالادانة ، وأبلغ هذا الحكم بعض جامعات المانيا . وحينما قام أحد الاساقفة الراحلين بمساعدة الدكتور عزيز سوريال بالاعتداء على حقوقى بأن أصدر دائرة المعارف القبطية بأمريكا ، ناقشته فى هذا الامر فقال أن غرامة هذا الاعتداء ٢٠ جنيها . علما بأن كل ما تم انجازه عن طريق دائرة

المعارف القبطية قد تم تسجيله بمأموريات الشهر العقـــــارى والتوثيـــــق بالقاهرة ، ودار الوثائق القوميـــة ، وهذا قبل أن يقوم الدكتور عزيز سوريال بالسفر الى أمريكا أصلا .

ولولا صدور القانون رقم ٣٨ لعام ١٩٩٢ بتعديل أحــــكام القـــانون ١٩٥٤/٣٥٤ الخاص بحماية حق المؤلف ، لما قمنا بادراج أجزاء كثيـــرة من هذا البحث خوفا من الاعتداء عليها . وقد أصبح الاعتداء على حـــق المؤلف الحبس والغرامة ، وسوف تتخذ جميع الاجراءات اللازمة طبقا للقانون .

ومن المؤسف أن نجد أحد مدرسى اللغة الانجليزية بالمدارس الاعدادية يشجع هذا النوع من الاعتداء ، حتى أن كثيرين من الاخوة المخلصين قبـــــل صدور قانون حق المؤلف ، أشار بعدم اظهار أى من هذه الابحاث لأنه سوف يسرع لبعض المسئولين بالدار البطريركية وينسب هـــــذه الابحـــاث له . فشــــكرا لواضعى هذا القانون الذى جعل حتى من ترديدها شــــــفويا عرضة للعقاب .

ثم ان الزمن قد اختلف منذ عام ١٩٥٩ فلم يكن المجال فى الكنيسة يساعد على القيام بأى مشروع . ولكن لا شك أنه فى هذا العصر قد وجدنا تشجيعا من غير حدود برعاية الدكتور وهيب عطاالله جورجى وكيل الكلية الاكليريكية — الانبا اغريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمى حاليا — وبتشجيع من المرحوم الاستاذ عبد الحليم الياس نصير — والاســـتاذ لويس زكرى ويصا المحامى والاستاذ الدكتور ابراهيم فهمى هلال المحامى ، والدكتور وهيب جورجى وغيرهم .

فتم تنفيذ مشروع اليوبيل العالمى لمرور تسعة عشر قرنا على تأسيس كنيسة الاسكندرية ، على يد القديس مارمرقص ، وأصدرت دائرة المعارف القبطية فى ذلك الوقت كتاب اليوبيل . وتم اعداد المشروع التالى له فى ذكرى مرور ستة عشر قرنا على نياحة القديس أثناسيوس الرسولى وارجــــاع جسده الى مصر واعد لذلك ستة عشر مجلدا غير الفهارس الخاصة بهـــم ، ونفذ المشروع ، وسجلت كل هذه المشروعات بمأمورية توثيق القاهرة .

وبعد مرور أكثر من ثلاثة وأربعين عاما على هذا الجهد لا زلت اشعر بأن هذا التراث العملاق يعد فى أول الطريق . وأن الاعداد والبحث والاستمرار فى هذا العمل العملاق وعن هذه الكنوز الكنسية ، لا يكفى لاتمامها الاجيـــال القادمة ، وتحتاج الى رصد ملايين الجنيهات لذلك ، وسبق أن أبدى أحـــــد

المحامين الافاضل بمنزلى تشجيعه لهذه المشروعات النادرة ولكنه أشار أن ذلك يحتاج الى تروى خوفا من أى تمتد اليها يد العبث .

والكنيسة طوال عصورها المختلفة ، تمسكت بحقها فى تراثها ، حتى فى أيام العصر التركى ، الذى لم يعجب بعض قواد الكنيسة ، انهم أصـــدروا الفرمانات للمسئولين للحفاظ على كنائسنا وأديرتنا وتراثنا ، بل أضافـــوا مكارم لم يصل اليها أحد ، فقد أوقفوا آلاف الافدنة للصرف منها على الاديرة والكنيسة القبطية ، وأثبتوا أمام العالم فى عصرهم بحسن نيتهم تجاه الاقباط وكنيستهم وسجلوا فرماناتهم بحق المسيحيين فى حرية العبادة والحفاظ على مقدساتهم ، وأبلغ بذلك سعيد باشا واسماعيل باشا وتأييد هـــذا الفرمان فى معاهدة باريس فى ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ . وصدر الفرمان الشـــامل للخديوية المصرية فى ٨ يونيو ١٨٧٣ أيد ما جاء سابقا ولم يغيـــر شيئا من اختصاص البطريركخانات ، وفى معاهدة برلين المؤرخة فى ١٣ يوليو ١٨٧٨ أيد بما جاء بجميع الفرمانات السابقة ، وأوضح أن الباب العالى أظهر رغبته فى ابقاء أصول حرية الديانة وتوسيع مداها توسيعا مطلقا ، وأرسلت هـــذه القوانين للخديوى فى مصر ، وأرسل كل خديوى منشورا الى النائب العـــام فى مصر لتنفيذها ومنها ما جاء فى الفقرة الثانية من المادة ١٦ « والديانة المسيحية تكون من كل الوجوه حرة كالاول ولا يحصل ممانعة لاجرائها قط ولا يمنـــع احداث كنائس جديدة ولا ترميم الكنائس القديمة . وذكر فى الفترة الثـــانية من المادة السابعة عشرة : لا يصير أدنى تعـــرض وتضـــييق على ديانة المسيحيين ، ولا يحصل ممانعة بوجه ما فى أمر تعيين وتجديد الكنـــائس — وجاء فى فرمان ١٨ فبراير ١٨٥٦ فى المادة الثانية عن أصول الانتخابات الجارية الان للبطاركة يصير اجراء كافة الاصول اللازمة فى نصبهم وتعيينهم بالتطبيق لأحكام براءة البطريركية العالى مدى الحياة ، وذكر فى المادة الرابعة ، واذا كانت قرية أو بلدة أو مدينة مركبة أهاليها من أديان مختلفة يمكن لكل طائفـــة منهم ترميم وتعمير كنائسها واسبتالياتها ومقابرها .

وهناك موضوع هام وهو ما ينادى به البعض بأنه لا يوجد أى دير آخر على اسم القديس الانبا أنطونيوس سوى ديره الموجود حاليا بالبحـــر الاحمر . ولكن حينما نرجع الى النص الذى ذكره القديس أثناسيوس عـــن ذلك بفيد بأن للقديس الانبا أنطونيوس أكثر من دير قال « ان الاديـــرة التى شيدها أنطونيوس قد امتلأت من الرهبان الذين كانوا قد قضـــوا حياتهم فى التراتيل والدروس والصـــوم والتأمل محـــافظين على اتحاد الروح برباط السلام » .

ويثبت هذا الرأى النقوش التى عثرنا عليها على الجرانيت بوادى قنا ،

ومعاصرة للقديس أثناسيوس والقديس أنطونيوس ومع مقارنتها بالميمر الذى كتبه القديس أثناسيوس عنه ، تتفق تماما بأن القديس أنطونيـــــوس قد زار أولاده ومحبيه بل وبعض أقطاب الرهبنة الاخرين فى الاديرة التى ســـــوف نشرح أخبارها باختصار مستقبلا . وهى النقوش الموجودة بكاتدرائيـــــات وأديرة جبل دخان وجبل مارجرجس (أبو حربة) وجبل أدريبة آلخ .

ثم أن المقريزى ذهب الى هذه الاديرة القبطية ، وكانت وقتها عامـــرة بالرهبان ، والتى قال عنها بأنها أديرة السبعة جبال والسبعة أودية بأخميم ، وشرحه لدير جبل دخان ينطبق تماما لكل من يذهب الى هذا المكان الطاهـــر حينما قال انه دير عالى بين جبال شامخة ، ولا تشرق عليه الشمس ، الا بعد ساعتين من الشروق ، بعلو الجبل الذى فى لحفه ، واذا بقى للغـــروب نحـــو ساعتين ، خيل لمن فيه ان الشمس قد غابت ، وأقبل الليل فيشعلون حينئذ الضوء فيه ، ولهذا الدير من خارجه عين ماء عذب تظللها صفصافة وأشجار بان ، وييعد عن هذا العين دير آخر على بعد ثلاثة ساعات من الاول ، وهو فى أعلى الجبل ، وقد نقر فيه ولا يعلم له طريق ، بل يصعد اليه فى نقور فى الجبل ولا نتوصل اليه الا كذلك .

وقد تصور البعض أن هذا الوصف ينطبق على الدير الابيض الذى يبعد عن دير الانبا شنودة غربى سوهاج ولكن المتمعن فى الوصف السابق يجـــد أن طبيعة المكان من ناحية وجود جبال شاهقة ونقور وغيرها لا تنطبق على هذا الدير بتاتا : ولـــكن ينطبق على الدير المجاور بجبل دخان وهو ديـــــر أبو حربة (مارجرجس) الذى يبعد عن كاتدرائية جبل دخان بحوالى ثـــــلاث ساعات بالجمال ثم أن هذه الاديرة شرق أخميم أما أديرة الانبا شنودة والدير الابيض موجودان فى سهول منزرعة غرب سوهاج .

وما يحزن أن واضعى المؤلفات الكنسية الآن تغترف من كتاب الغرب ، مما يثير الاشمئزاز واليكم مثالا بسيطا ، فقد تهكم أكثر من عشرات المؤرخين الغربيين على القديس الانبا شنودة المتوحد على ما ورد بالميمر الذى كتبـــه عن رهبنة عدد ألفين وثمانمائة راهبة بدير جبل ادريبة وكان موضع الاندهاش ، أنه كيف وصل هذا العدد من سيدات وفتيات مصـــــر للذهاب بديره الذى خصصه لهن . وعملوا احصائيات عن عدد المترهبات فى مصر طوال سنين عديدة ولم يصلن الى هذا العدد .

ولكن ثبت أنه قبل أن يخصص القديس الانبا شنودة ديره بجبل ادريبة ، كان عدد المقبوض عليهن من الاسيرات الاقباط وكن من أفضل بنات القبط وكن

يعملن بالمناجم المجاورة لكاتدرائية وأديرة جبل ادريبة ، وذقن المرارة مـــن المعاملة المخزية التى حدثت فى الاسر ، وبعد زوال الاضطهاد فضلن عيشـــة الرهبنة حينما نادى بها أقطاب الرهبنة فى أديرة وادى قنا ، ولا زال آثار هذا الوضع المشين تنطبق به النقوش الموجودة على جدران المدن والكنـــائس والاديرة والكاتدرائيات الموجودة بهذا المكان ، وجميع شواهد المقابر المنتشرة عبر هذه الصحراء تشير الى قداسة هؤلاء المعترفات ، اللاتى قاسين مرارة الاضطهاد من أجل السيد المسيح الهنا الحبيب .

وسبق أن أوضحت ذلك بالتفصيل فى الكتاب الذى صدر عن دائـــرة المعارف القبطية عن حياة القديس الانبا شنودة .

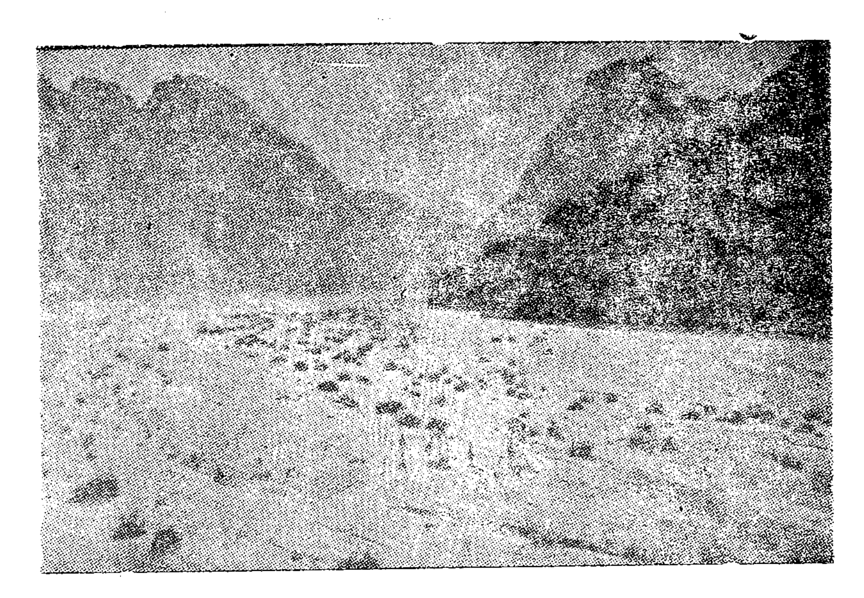
وانى أقدم مذكرات مختصرة عن كاتدرائيات وكنائس واديرة ومـــدن الاقباط فى الصحراء الشرقية الموجودة بوادى قنا .

— ١ —

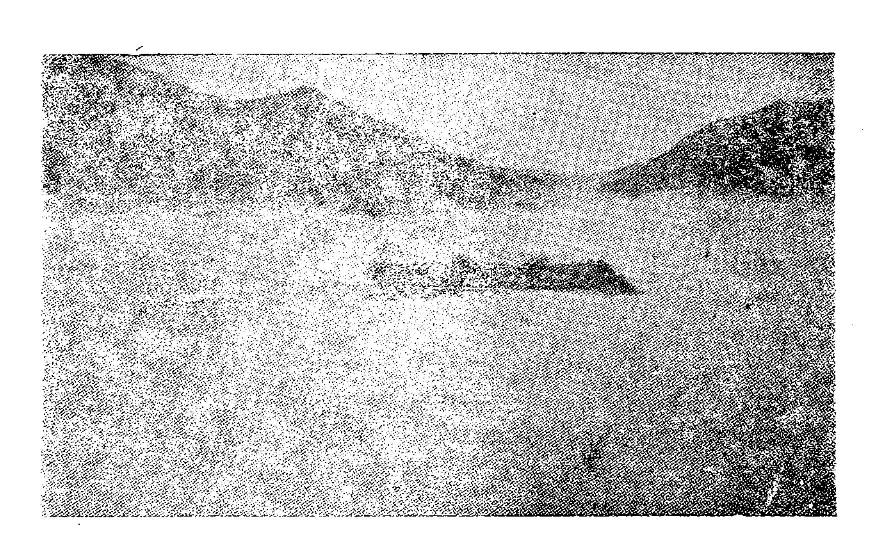
كاتدرائية وادى الاطرش

يوجد بوادى الاطرش كاتدرائية كبرى ، توجد على جدرانها أشعـــار قديمة باللغة القبطية .

ومكان وجود هذه الكاتدرائية بين جبل قطارة وباب المخينـــج ، وقطن هذه المنطقة كثيرين من الاقباط بعد أن تركها اليونانيون فى القرن الثـــانى الميلادى ، وتوجد بهذه المنطقة أبنية قبطية محطمة ، وبين هذه الآثار القبطية توجد آثار الطرق الفرعونية القديمة ، والتى استعملهـــا المستعمر الرومانى بعد ذلك وجددوها ومهدوها لنقل الاعمدة الضخمة والحجارة الغـــالية من المناجم الى روما واليونان عن طريق ميناء قنا ، ثم منها الى الاسكندرية ومنها بالسفن ألى أوربا .



اماكن تخزين الميـــــاه
بوادى الاطرش وتعـــــد من
احسن الاماكن للزراعة



كاتدرائية وادى الاطرش

— ٢ —

كاتدرائية جبـــل دخـــان

وآثار أديرتها ومدنها القبطية

تشهد هذه المنطقة بفخامة أنواع الحجارة الموجودة بها ، عبر العـــالم كله . ولذا أنشأ الفراعنة ثم بعدهم المستعمر اليونانى والرومانى الطـــرق المهدة لنقل هذه الحجارة لبناء أفخم المعابد والاعمدة . ويوجد حول هـــذه الطرق علامات مميزة من الحجارة ملقاة توضح معالم الطرق بها . ويوجـــد بجوار بعض الطرق مبانى كان يخصصها الرومان كاستراحات لهم تحـــولت الى دير . وبجوارها كاتدرائية أم سدرى القبطية ، وكانت عامرة بالرهبان الاقباط والذين بنوا حولها كثير من القلالى والتى تمتد الى حوالى نصـــف كيلو متر . وبهذه المنطقة توجد أماكن لتخزين المياه ، التى تسقط بها الامطار ، وأحيانا تمكث بها الامطار لاستخدامها حوالى عامين .

وهذه المنطقة البركانية ، ينتشر بها أحجار الجرانيت الرمادية اللون ، وبها أنواع نادرة من الحجارة وخاصة الفلسبار الابيض والكاريستال .

وبعض هذه الاديرة الموجودة بالجبال لا ترى الشمس ألا قليلا ، وتظهر بلون السواد معظم الاوقات وتنطبق تماما لما ذكره المقـــريزى عن أديـــرة هذا المكان .

وتوجد تماثيل يونانية قديمة ملقاة ، وبه آثار لمعبد سيرابيس اليونانى ، أما المدينة القبطية فتوجد فى منطقة ابو محمل والتى كانت معدة لسكنى العمال الاقباط الاسرى الذين كانوا يعملون فى هذه المناجم وقت الاضطهادات الرومانية ولا زال يوجد بهذه الاماكن آثار المبانى التى كانت مخصصة لحبس الاقبـــاط ويوجد حولها كثير من الاكواخ المتناثرة .

وجميع أنواع الحجارة التى كانت تقطع من جبل دخان ، كانت بواسطة هؤلاء الاسرى ومنهم الفنانين الذين ينقشون على الاعمدة ما يطلب منهـــم ، ومنهم المهندسين المتخصصين فى الاعداد الفنى للكتل التى تخصص لكل نوع

من أنواع المبانى والمعابد أما الاسرى الموثوق بهم جدا فيخصصوا للعمـــل بمناجم الذهب لاستخراجها من جبل دخان .

وكان هؤلاء الاسرى من الاقباط الذين يساقون للعمل بهـــذه المناطق يعاملون معاملة قاسية ، وفى نظر هؤلاء آلرومان أن ذالك يعد معاملة أفضـــل بدلا من اعدامهم .

وفى أحد المنازل القبطية القديمة بمنطقة جبل دخان توجد نقـــوش من الجرانيت توضح أنه كان يوجد بهذه المنطقة قديس يسمى باسم أمونيوس ، وهذه النقوش توجد بجوار الطريق الموصل للباب العمومى . وبجوار هذه المنطقة يوجد دير يسمى بدير الفلسبار .

دير الفلســبار

وسمى هذا الدير بهذا الاسم نسبة لانتشار أحجار الفلسبار الغـــالية به ، وبالرجوع للمراجع العالمية وجد أن القديس بفنوتيوس المعترف المصرى ، عضو مجمع نيقية ، كان قد ترهب بدير بيسبار ، بمنطقة طيبة الخارجية ، آخر حدود مصر . وحينما تشاهد الخطريطة المرفقة نجد أنها قريبة من البحر الاحمر والتى كانت تعد من حدود مصر . وكان القديس الانبا أنطونيـــــوس يزوره ويعزه جدا . وكانت منطقة طيبة الداخلية يوجـــــد بها الدير الرئيسى للقديس الانبا أنطونيوس والذى يسمى الان بالدير البحرى والذى أعد على أنقاض معبد الملكة الفرعونية حتشبسوت . ولذا سمى القديس أنطونيوس أبو الرهبان المصرى الذى من طيبة أو الطيبى نسبة الى أديرته الموجودة بهذا المـــكان .

القديس بفنوتيوس

المترهب بدير الفاسبار Pisper

فى طيبة الخارجيـــة

القديس بفنوتيوس العظيم المعترف كان من بين الاساقفة الاقبـــاط الذين حضروا مجمع نيقية هو والقديس بوتامون أسقف هيراقلية بأعـــالى النيل (النسوبة) ، كانا هذان القديسان ، من الذين عذبوا أيام الاضطهادات الرومانية .

وقد قلعت عيناهمـــا بالسـيف وكويت حواجبهمـــا بالحـــديد والنار(٣) وسمى القديس بفنوتيوس (بفنــوتى) أو ببفــوده اى رجـــل الله ، ودعاه الغرب باسم Paphnuce الاسقف المصرى ، وقد قـــرن اسمه بصفات الشهامة وقوة الحجة ، وكان على جانب عظيـــم من التقى والعلم ، عاشر القديس أنطونيوس أبو الرهبان ، وكان يمدحه ، ســـاعد القديس الانبا أثناسيوس فى مجمع نيقية ضد الهرطقات الاريوسية ، وقـــام فى المجمع يدفع حجة القائلين بعدم زواج الكهنة ، واخذ المجمـــع برأيه . وبعد المجمع استمر فى صـــداقته للقديس أثناســـيوس بطل المســـيحية والارثوذكسية .

وقد شهدت جميع المراجع والفهارس العالمية ســـمو مداركه وذكرت سنكسارات تاريخ الشهداء والقديسين الافرنج ، أن بفنوتيوس الاســـقف ولد بالديار المصرية ، وشملته العناية الالهية من طفولته ، فترهب فى ديـــر فسبير Pisper الفاسبار فى حدود مصر العليا(٤) ، وصـــار أســـقفا قبل أيام اضطهاد مكسيميانوس فقلعوا عين الاسقف القبطى وقطعوا بطـــن ساقه ، وحرقوا حواجب عينيه بالحديد والنار ، وارسلوه ليشتغل فى المعادن فى مناجم مصر .

---

(٣) دائرة المعارف القبطية — ابراهيم صبرى معوض — الكتـــاب الاول عن القديس أثناسيوس ص ١١٤ .

(٤) مكث فترة رئيسا لاديرة الفيوم بأمر وبتوجيه صريح من القـــديس الانبا أنطونيوس .

ودير الفلسبار الذى ذكرته كل السنكسارات الاجنبية تشير بكل تأكيد على ديره الموجود باسمه بجبل دخان .

وذكر فى كتاب الكنز الثمين فى أخبار القديسين فى اليوم التاسع عشر من أبريل أن بفنوتيوس ولد فى مصر بعد منتصف الجيل الثالث ، ومضى الى الدير المدعو « بيسبار » فى آخر حدود الاقليم المصرى الاعلى فى « تبايس الخارجية » أى طيبة الخارجية ، وسبق أن ذكرنا أن الدير البحرى ، كان مركزا لجميع الاديرة الاخرى المنتشرة حول طيبة وداخل الصحراء الشرقية والتى أسسها القديس الانبا أنطونيوس لذلك سمى الانبا أنطونيوس لذلك السبب باسم آلانبا أنطونيوس الطيبى فى جميع المراجع العالمية ، فانتسب الى اديرة طيبة ، ولم ينسب الى مكان ولادته .

وقال كذلك « وكان يدير سكان ذلك الدير ورهبانه — أى دير الفلسبار ، القديس الانبا أنطونيوس الكبير بزيارته لاديرته — وفى المرة التى أقام بفنوتيوس بدير فلسبار ، كان يعد أحد معلمى السيرة الروحية » .

« فأختير لسمو مداركه أسقفا لاحدى مدن اقليم تبايس الاعلى ، وقد ناله فى اضطهاد ديوكلاديانوس ، ومكسيميانوس القيصريان عذابات مختلفة الاشكال فقلع عينه اليسرى ، وقطعت مفاصل ركبته اليسرى ، وربطه بالسلاسل وأخذ ليعمل فى أمكنة حفر المعادن — للبحث عن الذهب — ومقاطع الرخام — وهى الاماكن التى يوجد بها الفلسبار — ولذلك دعاه العالم الشهيد بين الكهنة » .

وقد أعتبر فى عينى الملك قسطنطين فى المجمع المسكونى الاول ، اعتبارا عظيما ، فكان يدعوه مرات كثيرة أليه فى بلاطه لكى يصنع التدابير الملائمة لراحة الكنيسة الجامعة ، ولتأييد الايمان القويم » . وقال الكاتب . « لم يعرف كم من السنين عاش ، وقال ومع ذلك يوجد اساس متين من اليقين بأن هذا القديس قد عاش مدة من السنين كبيرة » .

وقال كتاب مروج الاخيار فى يوم ١١ سبتمبر . « أن القديس بفنوتيوس كان متحدا بالالفة والوداد مع القديس أثناسيوس بطريرك الاسكندرية ، ورافقه مع القديس بوتامون الذى من هيراكليا ومعه سبعة واربعين اسقف ذهبوا الى مجمع صور .

وقال « قبل أن يفترق الاساقفة من مجمع نيقية دعاهم الامبراطور قسطنطين يوما الى وليمة وأجلس بالقرب منه أولئك الاساقفة الذين

تعذبوا من أجل الايمان ، ولم يـــكن يفتر عن تقبيل آثار الجراحـــــات التى احتملوهـــا .

وقال عن بفنوتيوس المؤرخ الكاثوليكى داراس فى كتابه عن الخليقـــة الجزء التاسع ، قال ان سقراط المؤرخ ذكر فى الكتاب ١/١ فصل ١١/ ، عـــن زواج الكهنة ، أن بفنوتيوس الاسقف الذى من صعيد مصر قام وتكلم ، وكان شيخا قديسا محبوبا من الله والناس يروون عنه أنه عمل معجزات كثيـــرة حدثت على يديه وبواسطة توسلاته وصالح دعواته . وقد قلعت له عين أيام اضطهاد دقلديانوس ، وقد احترمه قسطنطين الملك احتراما عظيمـــا ، حتى انه قبل آثار جراحه ، وقال أنه يكفى فى مجمع نيقية أن أصدر قانون بزواج الكهنة ، على حسب التقاليد القديمة للكنيسة » . وقال « ولو أن بفنوتيوس هو الذى كان يتكلم هكذا ، لم يتزوج مطلقا ، وقد أمضى أيام حداثته وشبوبيته فى أحد الاديرة ، وكان كل أيام حياته عفيفا بمعنى الكلمة .

وقد ذهب الى هذه المنطقة القديس الانبا سرابيون(٥) أســـقف دندرة هو وأسقف قنا كما ذكرت النقوش الموجودة على الجرانيت ، بأنه فى الفترة منذ عام ٣٤١/٣٣٩ م فى عهد هاترس مطران قنا ، بعد أن استولى هرمينوس الاريوسى على مقر أسقفية قنا ، وأنشئت الكاتدرائية ، والاديرة الموجـــودة هناك بوجود الانبا سرابيون أسقف دندرة وفى عهد القديس اثناسيوس .

وتوجد مدينة قبطية أيضا بجوار هذا المكان يبعد عنها بحوالى ٣٠ كيلو متر ، وتوجد كذلك مقابر قبطية منقوش عليها أسماء لكثير من القديسين(٦) .

وقد تغير الوضع بالنسبة للاقباط الاسرى الموجودين بهذه المنطقـــة ، بعد اعتلاء الامبراطور قسطنطين الحكم للدولة الرومانية ، ففكت قيـــود

---

(٥) قال القديس اثناسيوس فى ميمره عن القديس الانبا انطونيـــوس « أن الانبا سرابيون كان يشاهد القديس الانبا أنطونيوس حينما كانت تظهر له رؤيا أو رأى أمورا تحدث فى مصر . وقال أسقف تنتريس أنه فى خـــلال المدة التى أقامها مع القديس الانبا أنطونيوس رآه مشتغلا بصفة جدية بالرؤيا أياما عديدة » .

(٦) داخل مدافن الاقباط بالجبل الاحمر يوجد مدافن للهنود ، كثـــر الاهتمام الدولى بها حتى تاريخه — ان آبائنا الاقباط وقد يسينا يجب أن يحافظ على رفاتهم من عبث بعض المسئولين من هيئة الاثار ، لو امتدت أيديهم الى هذه الاماكن مستقبلا .

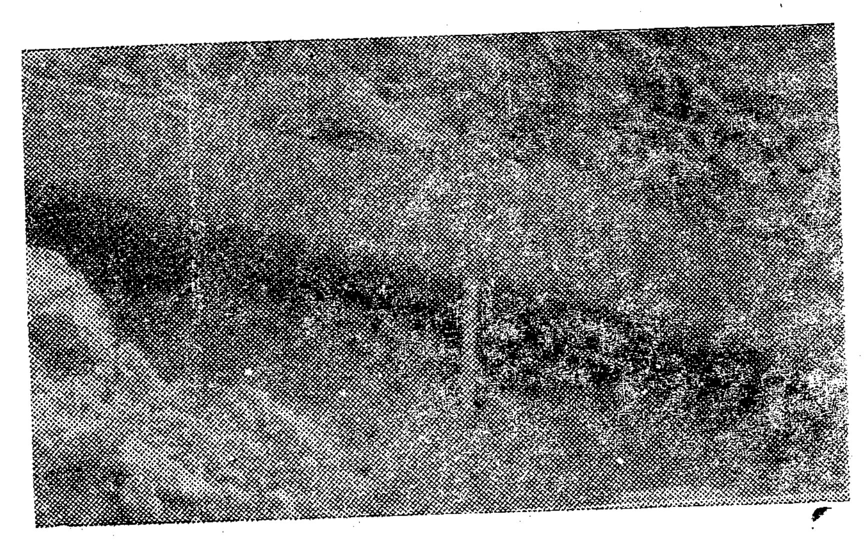
الاسرى ، واصبحت المنطقة عامرة ومن أراد العمل فى استخراج المعـــادن والذهب من المناجم ، واعداد الحجارة للتصدير يكرموا وتوزع عليهم النقـــود الذهبية،التى يقال أن ما سك منها بمدينة الاسكندرية ووزعت على هذه المناطق ¼ النقود الذهبية والفضية . وهذا لتصدير هذه الكنوز الموجودة فى صـــحراء مصر الى اليونان وايطاليا . وعثر مستر كينج فى كل منطقة نزورها على كثير من هذه العملات التى تحمل اسم الامبراطور وأخذها معـــــه . وللاسف لم يسمح لى بأخذ أى شيىء منها وكان يعتقـــد أنه يكفى ذهابى معـــه الى هذه الرحلات ، وتكفله بمواصلاتى وأكلى الخ ، مجانا .

وقد عثر على بعض النقوش الموجودة على حجارة تحكى عن القديس ديديموس ، وصلاته بالكنيسة الجامعة ، وكانت رسائله تصل الى المسيحيين الارثوذكسيين الذين انتشروا فى مدينة أورشليم . وقد كتب عن وصف هـــذا النقش فى زيارته لهذه المنطقة عام ١٨٢٠ أحد الباحثين الاجـــــانب ويدعى Sir Gardener Willkinson ونرجو أن لا تمتد الى هذه النقوش يد العبث .

وتوجد مدينة قبطية يوجد بها كثير من الآثار القبطية وهى تمتـــد الى حوالى ١٢٠٠ متر ، نخشى كذلك أن يمتد اليها يد التخريب ، ويوجد بجوارها تمثال لايزيس مكسور الى عدة قطع واقامته كانت معاصرة لحكم الامبراطـــور تراجان عام ١١٣ م .

وبجوار المحاجر القديمة يوجد عمود لم يكتمل اعداده ويزيد وزنه عـــن ١٠٠ طن ، وعليه نقوش يونانية ، وهى شاهدة على علو منزلة الاقبـــــاط الفنانين حتى وهم فى أسرهم ، أرى أن يحكم العالم بأن حضارة الغرب الذين يهللون بها عندما يرون هذه الاثار بمدنهم ، بأن هذه الحضارة هى أصـــــلا حضارة اقباط مصر .

وأن أسر الامبراطور للاقباط بعد ذلك ، وتشغيلهم بهذه المناجم فى نظره ، هو أكثر رحمة . لأن معاداته للارثوذكسيين كانت صادقة ، فالارثوذكسيين بالقسطنطينية أرسلوا رسلا ليقدموا شكوى اليه يحتجون على ما أصـــابهم من أذى وعدوان ، فأمر رئيس جيشه فى حشد ثمانين شخصا من قسوســـها وشمامستها فى سفينة ، ولما توغلت السفينة بهم اقصى البحر اغرقوهم كلهم أجمعين .



هذا العمود شـــاهد على حضـــارة الاقباط وليست لحضارة الغرب

وقد دعا الامبراطور كلوديوس منطقة جبل دخان فى وقت من الاوقات باسمه ، لأنه كان مهتم بهذه المنطقة ، وأنشأ الموانى على البحر الاحمر ، وعمر المحاجر الغنية بالفلسبار .

ويلاحظ كما سبق أن ذكرت أن كلوديوس هو الذى أنشأ دارا لضرب النقود فى مدينة الاسكندرية ، وكان معظمها من الفضة وكانت تساوى ثلاثة دراهم . وما كان يتداول فى مدينة الاسكندرية من العملة فى وقته يقدر بنصف ما كان يتداول من النقود فى باقى أنحاء الامبراطورية . وقد نقش اسمه على كثير من المعابد القديمة فى فيلة ودندرة والنوبة واسنا وادفو .

٣ — جبل مارجرجس

« أبو حـــربة »

هذه المنطقة تلى منطقة وادى الاطرش بها بحيرة ، وهى امتداد لوادى دخان ، ماءها عذب جدا . وتشتهر بوجود الجرانيت الاحمـــــر والكوارتز فى محاجرها وجبالها . ويوجد بها بئر يسمى بئر مارجرجس يستقى منه جميـــع الافراد الذين يمرون بهذه المنطقة ، وقطعان الاغنام ورعاتهم . وبها أشجار

كثيرة ونخيل ، وتسمى هذه المنطقة بواحة الملاحة . وبعض الاشـجار التى تنمو بها يؤخذ أوراقها كغذاء رئيسى . أما الاشجار التى تنمو فى منطقـة أبو مسيحة فتكثر أشجار الفواكه . وتكثر المياه فى هذه المنطقة نتيجة تساقط الامطار ، وتكثر قلايات لسكنى الرهبان وبجوار معظمها توجد خزانات من الحجارة مملؤة بالمياه العذبة ، وبعضها طبيعى نتيجة وجـود فجوات كبـرى داخل أحجار الجرانيت ، وتستعمل للشرب . وفى بعض التلال القريبة كذلك توجد قلايات وأكواخ كانت مخصصة لسكنى الرهبان . وبالقرب من كل ذلك توجد كنيسة باسم مارجرجس وتعد أقدم كنيسة انشئت على اسم هـذا القديس لا زالت تحتفظ بشكلها القديم ، ويوجد حولها أكواخ كذلك مبنية من الحجارة وقلايات للرهبان .

ويوجد دير قبطى قديم ، ذكره جاردنر عام ١٨٢٣ كان يسـكنه بعض الرهبان ، من أندر الاديرة القبطية ولا زال يوجد بالدور الثـانى العارضـة الخشبية ، وهى تشبه ما يوجد بباقى الاديرة القبطية القديمة — بما نسـميه الآن القصر القديم بكل دير — حيث أن الباب الذى يدخل منه الرهبان لا يفتح فى الطابق الاول ، بل يفتح فى الطابق الثانى أمام العارضة ، وتوضع هـذه العارضة الخشبية لكى تتحرك على مفصلات ضخمة فى مسـتوى رأسى ترتكز على عتبة الباب ، فاذا نزلت العارضة ، تكونت قنطرة متحـركة ، واتصلت بالبناء . وعند جذب هذه العارضة تمنع صعود أى فرد الى الدير ، ويوجد بهذا الدير كنيسة ، وتوجد نقوش قبطية كثيرة على الجـرانيت - نرجو الا تختفى مع الزمن — لحين الانتهاء من تعميرها بواسطة الرهبـان الاقباط ، كما تم تعمير دير سانت كاترين بالرهبان الاجانب اليونانيين طبقـا للمواثيق الدولية . وأجمل وأندر ما فى هذا الدير والفريد منه فى العـالم أن العارضة الخشبية حينما ترفع وينفصل الدير عن المبنى الحجرى الذى أمامه انه يوجد قناة مملوءة بالمياه ، فيكون حاجز طبيعى يجعل الدير فى مأمن من أى هجوم ضد الرهبان الاقباط .

= ٤ = كاتدرائية واديرة وكنائس

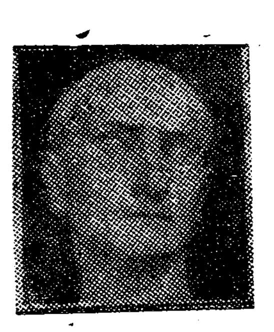
وادى ام سـدرى

وتصل الى هذه المنطقة عن طريق جبل دخان ، ويوجـد بها أماكن فسيحة لتخزين مياه الامطار ، وتحوى هذه المنطقة نباتات نادرة لا توجـد فى أى مكان آخر من وادى النيل ويوجـد بمنـاجم جبالها ، الفلسـبار والكريستال .

وتوجد بهذه المنطقة آثار لمدينة قبطية سكنية كاملة وآثار من القرنين الاول والثانى الميلادى ، وربما تكون هذه المدينة القبطية معاصرة لوجود العمال الاقباط الاسرى الذين وقعوا بسبب ايمانهم بالسيد المسيح ابن الله الحقيقى(٧) ، شفاعة هؤلاء المعترفين تكون معنا .

وتوجد بهذه المنطقة كاتدرائية أم سدرى ، ويكثر بجوارها الآن آلاف القلايات التى كان يسكنها آلاف الرهبان الاقباط ، وربما تكون هذه الكاتدرائية قد بنيت على أنقاض مبانى كانت قلعة رومانية — وبجوارها يوجد تمثال مكسور لايزيس .

وبجوار هذه المنطقة توجد آثار لمعبد رومانى قديم باسم سيرابيس ولا زال يوجد فيه أنقاض لعواميد لا زالت مقامة ، وبعضها محطم منقوش عليها تاريخ الحاكم عام ١١٧ / ١١٩ م وهذه الاثار معاصرة لتراجان الذى جدد حفر القناة الموصلة بين النيل والبحر الاحمر وسميت القناة بعد اعادة تجديد حفرها باسمه .



تراجان

واستخرج تراجان حجر البورفير والصوان من جبل دخان ، وكانت تصل الاعمدة التى تم اعدادها الى رومية عن طريق الطرق الفرعونية القديمة المهدة التى سبق أن ذكرتها قبل ذلك والمنتشرة من هذا المكان الى داخل وادى قنا الى مدينة قنا .

---

(٧) فى عهد الامبراطور قسطنطين ، أرسل رسلا الى جميع نواحى المملكة ليحصى عدد الشهداء الذين قتلهم دقلديانوس فوجد أن هناك ٤٥ ربوة من المعترفين ، لا زالوا فى السجون ، فأطلق سبيلهم .

وكان الرومانيون يستغلون الكثير من أبناء الاقباط كما حدث فى باقى المناطق الاخرى ، وهذا للعمل بهذه المناجم .

وبعد انتشار المسيحية فى العالم وزوال الاضطهاد فى مصر تحول كثير من هؤلاء الاسرى وهم من خيرة أبناء الاقباط الى رهبان فأقاموا قلاياتهم أيضا بهذه المنطقة ، وبانتشار عدد الاقباط المتواجدين بهذه المنطقة تحولت الى مدينة قبطية تدعى بأم سدرى ، وجد بجوار بعض منازلها القديمة ، نقوش على الجرانيت باسم ثلاثة أشخاص باسم سقراط وهيراقليوس وأيوبونيوس ، والمدينة القبطية لا زالت متكاملة ، أبوابها وشبابيكها سليمة وحتى آخر زيارة لها عام ١٩٥١ / ١٩٥٢ وجدت المبانى المتلاصقة يوجد بها كثير من السلالم الموصلة للحجرات وهى سليمة تماما .

وتتكون هذه المدينة من ثلاثة أقسام ، واسقف بعض المنازل بهذه الاقسام لا زال سليم ، والبياض لا زال موجود بالمبانى على حاله ، ومغطى باللون الابيض ، وجميع الطرق الموصلة لأقسام المدينة مغطاة بالحجارة بطريقة جميلة ، وبعض المبانى به أعمدة لا زالت قائمة ومحتفظة بحالها .

وربما تكون هذه المدينة قد أنشئت وشيدت أيام الرومان لاستخدامها مركزا لسكنى العائلات والافراد الاقباط الذين كانوا يعملون فى قطع الاحجار وخاصة النادرة منها ، والتى ذاع شهرتها فى كل أرجاء العالم .

= ٥ = كاتدرائية ومدينة هرمس

وميناء تادرس

يوجد هذا المكان على أنقاض معبد وقلعة مايس هرمس الرومانية . ويوجد على ساحل البحر الاحمر الميناء القبطى القديم ميناء تادرس ، وبعيدا عن البحر الاحمر وقريب من المدينة القديمة يوجد بئر تادرس . وتوجد آثار لبقايا أوانى فخارية قديمة محطمة بجوار المدينة القديمة . وهذه المنطقة تتصل عن طريق الطريق الفرعونى القديم المهد عبر وادى قنا ، مباشرة الى جبل دخان . وعرض الطريق الفرعونى القديم حوالى عشرة أمتار . واحتمال ان يكون قد تم تجديد هذا الطريق زمن بطليموس فيلادلفوس وهو الذى أعاد بناء جميع حصون البحر الاحمر تخوفا من المغيرين . ومن المؤسف أن سمى الاتراك هذا الميناء بميناء تدنس ، ويوجد بعد المدينة بحوالى

ثلاثة أميال قلعة ميوس هرمز . وكان الطريق الفرعونى القديم عبر وادى قنا بطول ١٢٠ ميل أو أكثر ، وله عدة معابر داخل الجبال ، ذكر هذه المنطقة سير فلندرزبيترى عن المناطق القبطية . ومن السهولة أن يرى الانسان الموجود فى وادى هرمز جبال سانت كاترين التى تبعد حوالى ١٠٠ ميل عن هذا المكان ، وكان هذا المكان من الاماكن المحببة لليونانيين المستعمرين من وقت طيباريوس وكاليجولا حتى فترة متأخرة من العصر القبطى .

وقد حولت القلعة فى وقت انتشار المسيحية فى مصر الى كاتدرائية قبطية يقام بها القداسات القبطية وطول هذه الكاتدرائية ٣٠ متر طولا × ٢٥ متر عرضا . ولا زال يوجد بها أبواب فى شمال وجنوب المبنى وهى تشبه تماما الاديرة القبطية القديمة . وجميع الحجرات داخل المبنى لا زال على حاله ، وحيطانه مغطى بالجبس كما كانت تبطن حيطان الاديرة القبطية القديمة .

وتبعد عن هذا المكان منطقة جبل دخان بعد ٢٠ ميل ويلاحظ أن ميناء تادرس كان الصلة بين الابروشيات القبطية بالهند الكبرى والتى كانت تتكون من ساحل الهند وايران واليمن — وكما ذكرت أنه بسبب هذه الرحلات الرائعة ان انتشرت المسيحية هناك ، وكان الرهبان ورجال الدين أكثر الناس تعرضا للتنكيل بهم عقابا لهم لما قاموا به من أعمال فى سبيل نشر دينهم ، وكانت هذه الاعمال موضوعا هاما لكتابات رسل المسيحية خلال فترة طويلة من الزمان ، ومن شهدائهم بريخ يشوع ، ويونان مع سبعة آخرين عام ٣٢٨ م . فكتب سيرهم شاهد عيان هو أشعياء ، وفى عام ٣٤٠ م استشهد عدد من أساقفة الفرس فسجل سيرتهم الاسقفان ماروثا وآص .

وقد أثبت فلندرزبيترى بأن هناك آثار لأشعار موجودة بهذه المنطقة من القرن الاول الميلادى فى عهد طيباريوس وكاليجولا ، لامرأة تدعى ايسيدورا .

= ٥ = كاتدرائية كلوديانوس

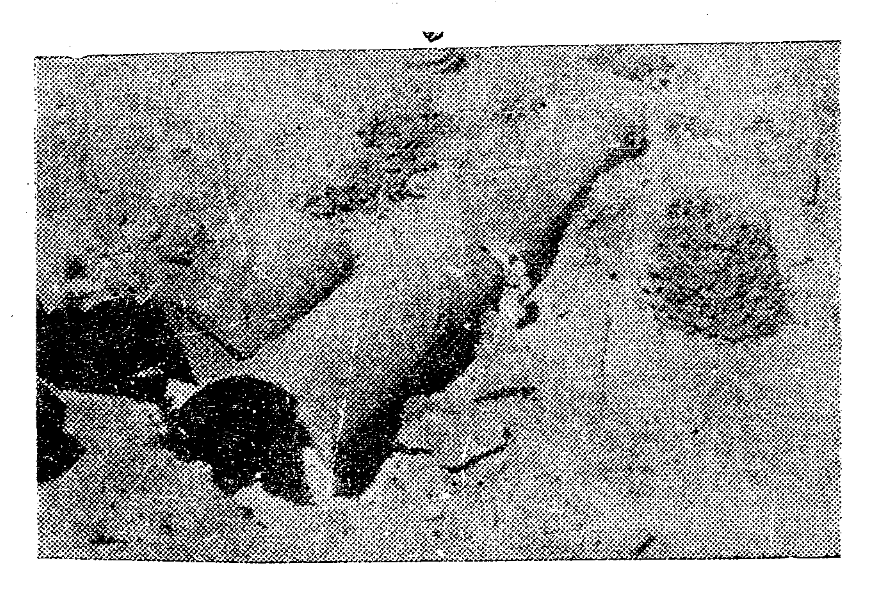
على أنقاض احدى المبانى الرومانية القديمة ، والتى خصصت أحيانا لتكون من احدى القلاع الرومانية ، أقيمت أعظم الكاتدرائيات الموجودة بالصحراء الشرقية وسميت باسم كاتدرائية كلوديانوس ، وتعد أفضل ما تبقى من مبانى هناك طولها ٨٠ متر × ٢٧ متر ويوجد فى كل

جهة من جهاتها الاربع يوجد برج ، ويوجد طرق داخلها ، ومبنى جـدار حول الكاتدرائية ارتفاعه حوالى ثلاثة أمتار ونصف . وباب دخول الكاتدرائيـة من الغرب ويدخل منه الشخص الى الشارع الرئيسى والذى يتفـرع الى شوارع ضيقة جانبية ، وحجرات الكاتدرائية لا زالت على حالتها الى حـد كبير ، لكن معظم أسقف الحجرات قد أزيلت وسقطت الحجارة التى كانت تغطى الاسقف على الارض وبعض الحوائط مبنية بالطين .

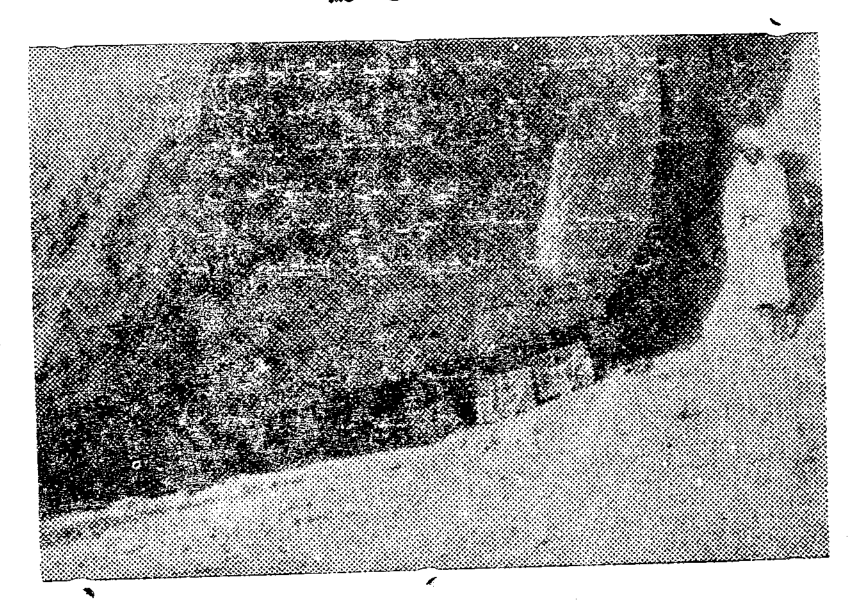
ويوجد أحواض داخل الكاتدرائية مخصصة للمياه فارغة . وتبعد عن قنا بحوالى ١٠٠ ميل .

حجارة هذه المنطقة من أحسن الانواع الموجودة فى العالم فاختارهـا الرومانيون لتشييد أجمل المعابد الرومانية والتى لا زالت آثارها موجـودة بروما حتى الان وهو معبد الباناثيون Pantheon وقد أعـدت فى عهد تراجان . وكانت هذه الحجارة النادرة والاعمدة الفريدة ، تنقل بواسطة عربات مخصصة لذلك ، خلال الطريق الفرعونى القديم والمعبد داخـل الصحراء الشرقية بوادى قنا ، الى مدينة قنا ، وتنقل بعد ذلك من مينـاء قنـا الرئيسى على النيـل بطريق المراكب ، حتى مدينـة الاسـكندرية . ومنها الى ايطاليا .

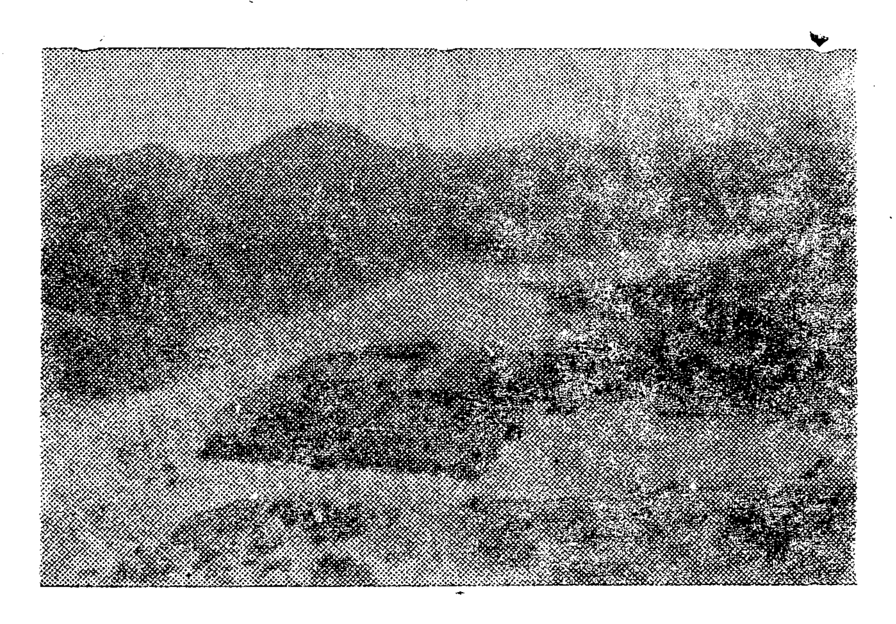
ولا زال يوجد كثير من الاعمدة تحمل نقوشا يونانية ملقاة حتى اليـوم داخل الجبل ، ويوجد عمود وزنه حوالى ٢٠٠ طن لا زال منقوش عليه كتابة يونانية ، ويتراوح عمره ١٦٠٠ عام . ويوجد حوله ١٦ عمود ملقى ربما كان قد أعد منذ القرن الثالث أو الرابع الميلادى ، وقد حاولنا نقل بعض هـذه النقوش ، وعرضها على الجالية اليونانية التى كانت تقطن بعزبة النخـل ولم يستدل أحد منهم عن المعنى الحقيقى لها . ولوحظ أن اللغة اليونانيـة التى كتبت بها هذه النقوش تختلف عن اللغة اليونانية التى يتكلم بها اليونانيون الآن فهى مختلفة ، وربما بعد أن احتلتها تركيا ، حيث أن جزء كبير من كيانها قد انهار ، ولم تستقل الا فى أواخر القرن الثامن عشر . والله لم يترك دماء القديس ديوسقورس ولم يترك ما تعرض له الاقباط على أيديهم ، فتعرضت للذل والهوان مدة كبيرة .



عمود ضخم يقع بجواره ستة عشر عمودا
كانوا تحت التشطيب ولم يتم تصديرهم الى الخارج
الوزن ٢٠٠ طن تقريبـــا



صورة لأحد الكتل النادرة الضخمة من الحجارة تبين كيفية قطـــع الحجارة بالجبل حسب الطريقة الفرعونية .. وهى أفضل من قطع الاحجار عن طريق الديناميت . وهى طريقة اخلاء الاجزاء السفلى من الكتلة الحجرية ، وتحشر بأنواع معينة من الاخشاب ، ثم تسقى بالماء ، فتنفصل هـــذه الكتل بسهولة ـــ صورة نادرة من داخل وادى قنا .



مكان الكاتدرائية الكبرى القبطية بجبل كلوديانوس

على انقاض القلعة الرومانية القديمة

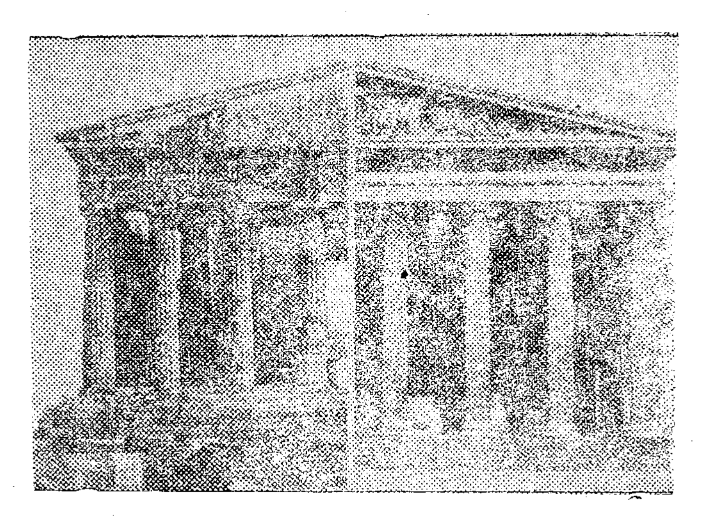
معبد البارثينون ومعبد البانثيون

شيدا من حجارة هذه المنطقة

اعدت وأخذت حجارة البارثينون والبانثيون والاعمدة المقامة لواجهة هذين المعبدين من اجمل وأندر الحجارة المأخوذة من هذه المنطقة . وكان من عادة اليونانيين والرومانيين أن يصمموا شكل المعبد الضخم وينفذوه فى هذا المكان بأيدى المهندسين المهرة الاقباط ، الذين كانوا يعملون كأسرى بهذه المنطقة وبعد انتشار المسيحية وفك الاسر لابناء الاقباط الموجودين بهذه المناطق ، لم نسمع على الاطلاق أن شيد أى معبد ضخم داخل مصر أو خارج مصر . فان جميع الفنانين الاقباط سئموا هذه المذلة ، فضاع أكبر خبرة كانت موجودة

بمصر منذ عهد بناة الاهرام(٨) . وكان يصمم اى معبد على هيئة مستطيل مثل معبد البانثيون ، ويلاحظ أن المتحف البريطانى صممت واجهته لكى تشـــبه واجهة معبد البارثينون . والصورة المرفقة توضح تشابه واجهـــة معبـــد البارثينون والمتحف البريطانى . وكان مفخرة أن يختار المتحف البريطانى هذا الشكل الذى يمثل حضارة الاقباط أصلا وليس حضارة أوروبا ، علما بأننـــا نعلم أن المتحف له دراية بأن حجارة وأعمدة البارثينون قد قطعت من جبـــال صحراء مصر الشرقية من جبل كلوديانوس .

والجانب المصرى من المتحف البريطانى يتكون من ست حجرات كبيرة أقيمت بهندسة مصرية قديمة وبعض أعمدتها وجدرانها من الصخور المصرية القديمة ، ومعروض بها حجر رشيد .



معبد البارثينون حجارته وأعمدته من مصر

من الصحراء الشرقية — أعد بأيدى الاقباط وصممت

واجهت المتحف البريطانى لتشابه معبد البارثينون

---

(٨) استبعد علماء العالم فكرة مجىء أحجار الاهرامات وأبى الهـــول من محاجر مصر . وقالوا هل جاءت من المريخ ، فقام بعض العلماء الاجـــانب لكى يربطوا بين حجارة الاهرام وأبى الهول وبينها — الاهـــرام ص ١ — ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٩٢ . وقد نسى العالم أن أندر حجارة فى العالم التى شيد بها الاهرام وأبى الهول ومعابد أوروبا — قد أخذت من الصحراء الشرقيـــة وصممت بأيدى الاقباط الفراعنة ..

أن معبد البارثيون فقد كان قد تم بناءه فى عام ٢٧ ق.م . وبعد هدمه أعيد تجديده ، من حجارة وأعمدة جبل كلوديانوس من الصحراء الشرقية بأيدى الاقباط .

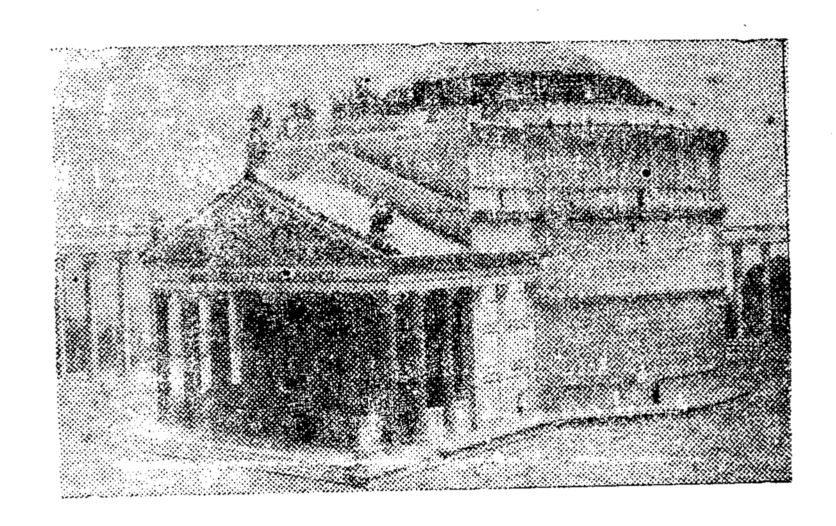
وقد أراد الامبراطور الرومانى أن يحدث تغيير فى نظام بناء المعبد ، فبدلا من اقامته على هيئة شكل المستطيل الذى كان معمولا به عند اليونانيين ، أنشأه على شكل دائرة تشبه أكواخ آلفلاحين(٩) . وكانت تتكون الواجهة من كتلة حجرية ترتكز عليها الاعمدة حسب النظام القبطى تماما . أما القبة فقد بنيت مشابهة للقباب الموجودة فى المبانى القبطية والمشهورة فى مصر منذ عصر الفراعنة وطوال آلعصور القبطية ، ولكنها كانت ضخمة قطر دائرتها ١٤٠ قدم وترتفع عن سطح الارض ١٤٠ قدم . وكانت أروقة المعبد ضخمة ، وعند تجديد المبنى صممت القبة لتكون ثلاثة أضعاف ما كانت عليه عند انشاء المبنى الاصلى . وقد انعكس تصميم الابنية آلتى من هذا النوع الدائرى وللمعابد ، على ما أنشىء بعد ذلك من كنائس مستديرة بانجلترا .

الدكتور حسن فتحى والقباب :

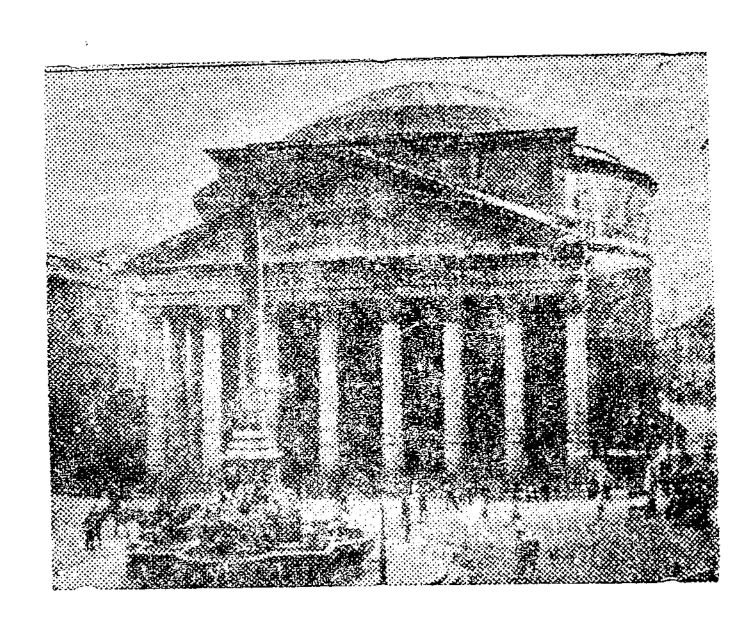
أخذ الدكتور حسن فتحى شهرة كبيرة بواسطة مشروعاته للابنية التى تتكون أساسا من القباب والتى تشتهر بها كنائس مصر وأبنية الاقباط منذ عصر الفراعنة . وحينما نرجع آلى التصميم الذى وضعه الاقباط ومن التشييد الذى تم بواسطة حجارة هذه المنطقة نجد أن لمعبد البانثيون يوضح تماما حضارة الاقباط والتى لا زالت متأصلة فيهم منذ آلاف السنين لا ينازعهم فيها شعب آخر فى العالم .

---

(٩) وجد بوادى الغزال قرب مروى بالنوبة على دير وكنيسة مبنية بالحجارة حتى ارتفاع آلنوافذ ، أما باقى المبانى فكانت من الطوب ، بها نقوش كثيرة ، وكل بقايا المبانى ، فكانت مستديرة وبها نقوش لعلامات الصليب ، وكانت أبعاد المبنى ٨٠×٤٠ قدم يرجع لكتاب تاريخ سودان وادى النيل ص ٢٠٧ / ٢٠٨ حضارته وعلاقته بمصر من أقدم العصور الى الوقت الراهن — دكتور شوقى آلجمل — معهد الدراسات والبحوث الافريقية جامعة القاهرة .



معبد البانثيون بعد تجديده . كل الحجارة والاعمدة التى شيدت به من مصر من جبل كلوديانوس اعد وصمم بواسطة أيدى الفنانين الاقباط ، الذين شيدوا الاهرام



٦ — جبل جراية وابو خريف :

ومنطقة جبل كلوديانوس فى وضع متوسط بين جبل جراية وجبل أبو خريف والتى تشتهر به هذه المنطقة كلها ، بالكوارتز والكريستال والفلسبار ، وهى من أغنى المناطق فى العالم بحجارتها النادرة وأجود أنواع الجرانيت البنية اللون جعل الرومان المحتلين هذا المكان المركز الرئيسى لجلب العمال الاسرى من الاقباط لتوزيعهم على باقى المناطق .

ومن كلوديانوس بعد ١٥ كيلو متر يوجد مركز آخر لنقل الجرانيت والاعمدة ، والحجارة الغالية ، وتنقل من هذه المنطقة عبر الطرق الفرعونية القديمة الى أكبر مركز قريب الى قنا وتدعى الساقية .

وأول من اكتشف هذه الطرق الفرعونية سير جاردنر عام ١٨٢٠ وقد أشار الى العربات(١٠) التى تعد لعملية النقل والتى كانت تجوب عبر الصحراء الشرقية والتى كانت من صنع الاقباط .

وبهذه المنطقة بوادى الجراية ووادى أم ضلفة توجد مدن قبطية قديمة ومدافن قبطية .

---

(١٠) أشار الى العربات والطرق فانسليب وسيكار ، وقد اعتقد لبيب حبشى بأن هذا الوصف يشير الى وادى عربة ، وكل ما وصفا بهما ذلك أنه مجرد خيال . فقال عن وادى عربة أنه عبارة عن منخفض من الارض عرضه كيلو متر ولكنه طويل جدا لا يدرك البصر مداه وقال أن فانسليب قال أن هذا الوادى فى قديم الزمان كان مسكنا لكثير من المتوحدين الذين كانت تأتيهم المؤن على عربات . وعن سيكار قال أن الفراعنة والفرس من بعدهم اليونان خلفاء الاسكندر ثم الرومان فى سيطرتهم على مصر كانوا يجلبون من جبل القلالة القريبة من الوادى كميات كبيرة من الرخام يحملوها على عربات تمر فيه . وربما قصدا هذين العالمين منطقة وادى قنا ، نقلا عن بعض المؤرخين ونسبوا ذلك على وجه الخطأ الى وادى عربة ، لذلك قال لبيب حبشى أن كلا التعليلين مبنى على مجرد الخيال ، لأنه مستحيل حمل الاحجار بوادى عربة على عربات والمسافة التى تفصل تلك الجهة عن النيل طويلة جدا وقليلة الآبار الخ .

= لبيب حبشى ص ٥٨ ، ٥٩ .

— Vanslelb. Egypt. P. 181.

— Miss dans Le Levant, V.P. 160.

= ٧ = كاتدرائية جبل ادريبة

جبل ادريبـــة :

حدث هناك خلط بين بعض كتبة الاقباط والمؤرخين الغربيين بين ديـــر الانبا شنودة غرب سوهاج وبين دير الانبا شنودة شرق ســـــوهاج الذى ينتسب الى جبل ادريبة .

وأعطوا تسمية المكان الذى يوجدان فيه لكل منهما بجبل ادريبة .

وسوف نذكر لذلك المثلين الآتيين : —

١ — جاء فى تحفة السائلين فى ذكر اديرة الرهبـــان المصريين للقمص عبد المسيح المسعودى البراموسى عن دير القديس الانبا شـــــنودة رئيس المتوحدين أنه فى سفح الجبل الغربى فى جبل ادريبة الى الغرب من سوهاج ، مائلا كثيرا الى الجنوب بمديرية جرجا ، وهو قديم جداً وبنى بالحجر ، وليس فيه الآن رهبان ، بل كنيسة يصلى فيها قسوس علمانيون ويزوره النـــاس فى كل سنة ولا سيما يوم ٧ أبيب يوم عيد القديس الانبا شنودة ، وقال أنه ذكر هذا الدير فى سجل الكنائس فى كرسى أخميم . ويلاحظ أن مدينة أخميـــم شرق النيل وليس غرب سوهاج ودير الانبا شنودة يوجد بين مســـــاحات زراعية وليس فى جبل ، وان الجبل الذى يحوط بدير الانبا شنودة شـــــرق هو امتداد لجبل أدريبة وليس هو جبل ادريبة ، كما سوف نرى .

٢ — ذكر اميلينو عن جبل ادريبة أنه المكان القريب من بنها والذى كان يدعى بتل أتريب ، وهناك فرق بين تل اتريب وجبل ادريبة ، وهنـــــاك فرق بين دير يوجد بأخميم وكنيسة توجد فى بنها ولهذا لم يســــــتقر على أى رأى سليم فى اشارته الى جبل ادريبة .

ثم انه هناك ناحيـــة هامة يجب أن يعلمها كل قبطى ويعيها جيدا ، أن ما نعتمد عليه من المصادر الاجنبية ، من ناحية تاريخ كنيستنا ليست بالقدر الكافى وأحيانا يعتمد على استنتاجات ، ولا يهمهم الوصول الى جمال وحلاوة ذكر تراثنا ، والكتبة المصريون بدأوا فى كتابة تاريخ أجدادهم منذ حوالى ١٠٥

عــام ، وسبق أن نشرت فى المجموعة رقم ٣ عن شهداء وقديسى أخميم(١١) . فعند ذكر قصة القديسان الانبا ديوسقورس وأخيه اسكلابيوس ، فقد صعد الى الجبل الشرقى ، وبذلك لم يذكر وجود جبل فى الناحية الغربية . النص : وخرجا من المدينة خفية وصعدا الى الجبل الشرقى وسكنا فى وادى مســافة أربعة عشر ميلا من المدينة وبنوا مسكنا لهما ومسكنا فيه .

هذه المنطقة فى الضفة الشرقية للنيل وليس الضفة الغربية فقــد ذكر اميلينو فيما ذكره عن الانبا شنودة أنه كان يتعين عليه أن يعبر النهر عنــدما كان يذهب لمقابلة صديقه الانبا توماس بجبل ششنيف وكان يقدم له التكريم اللائق . ويوجد فى نهاية هذا الجبل بعد دير الانبا توماس السائح ديــــر القديس الانبا شنودة الشرقى ، والذى سبق أن بينا أن المطــــران المؤرخ أبو المكارم قد ذكر أن جسد القديس سمعان القانوى والقــديس برثلوماوس الرسول موضوعان بهذه الكنيسة . ومن هذه الكنيسة الموجــودة فى ســفح جبل ششنيف يمكن الوصول الى جبل ادريبة .

وهى ضمن السبعة جبال التى ذكرها المقريزى . وقال انها توجــــد بمديرية جرجا فى كرسى أخميم ، ويوجد دير جبل ادريبة داخل سبعة أودية . وعلى هذا الدير من خارجه عين ماء تظللها صفصافة بوادى الملوك ، لأن فيه نباتا يقال له الملوكة ، ومن داخل هذا الدير ، دير مرقص . وهو فى أعــلى الجبل فقد نقر فيه ، ولا يعلم له طريق بل يصعد اليه فى الجبل ، ولا يتوصــل اليه الا كذلك . وبين دير الصفصافة ودير القرقس ثلاث ساعات ، وتحت دير القرقس عين ماء عذب وأشجار .

وتوجد بمكتبة الدار البطريركية بقسم المخطوطات نسخة أصلية فريدة من كتاب الخطط والآثار فى مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من الاخبــار للامام تقى الدين على المقريزى دخلت فى ملك الشيخ الجبرتى وعليها ختمــه بما يفيد بأن الشيخ الجبرتى انه طالع فيها ، وهــــذه النسخة النادرة التى استعملها ، عليها وقفية الدار البطريركية . وأن كان المقريزى قد ذكر السبعة جبال والسبعة أودية وأديرتها ، لكنه لم يحدد معالمها بالتفصيل .

وقد امتازت أخميم بوجه عام بقوة ايمان أبنائها حتى أن نســـطور

---

(١١) هذا الكتاب صدر عام ١٩٥٨ بمقدمة للدكتور زاهر رياض العميد السابق لمعهد الدراسات والبحوث الافريقية — جامعة القاهرة ، من معهــد الدراسات القبطية الى دائرة المعارف القبطية — ابراهيم صبرى معوض .

الهرطوقى ، بعد أن صدر قرار نفيه الى أخميم ، اختيرت له هذه البلدة ، لأن الاقطاب المسيحيين فى العالم فى ذلك الوقت وجدوا أنه لا يمكن أن يقدر أحـــد أن يغير ايمان أى فرد فى أخميم .

ونسطور الذى نفى فى أخميم ، اعتلى الكرسى القسطنطينى عام ٤٢٨م ، وقد أفسح لنفسه المجال لانتشار بدعته التى نادى بها ، وهو أن القديســـــة الطاهـــرة أم الله ليست أم الله ، بل أما ليسوع ولدت انســـــانا هـــــو اله اللاهوت .

وهذه البدعة الشيطانية جعلت الرب يسوع المسيح الواحـــد أقنومين منفصلين ، ولما لم يستمع الى رأى الكنيسة القبطية ، جرده المجمع الافسس المسكونى الثالث من كل الدرجات الكهنوتية وقطعه من الشركة الكنسية . ونفى الى أخميم ومات بها ولا زالت هناك كومة تشير الى مكان دفنه .



القديس الانبا شنودة

أرشيمنتريدس جبل أدريبة

دير جبل أدريبــة

مركز كنسى قديم

وقد ذكر فى المخطوطات(١٢) القبطية عند ذكر قصة نياحة القـــديس الانبا شنودة بالنص الاتى : « ميمر وضعه الاب القديس مارى أبينا ويصـا أرشيمطريدس بجبــل ادريبة ، عندما اجتمعوا المســيحيين الارثوذكسيين القاطنين فى المدن الثلاثة مدينة قاو(١٣) . ومدينة اخميم ومدينة أبصاى(١٤) ، لأن أبانا المتنبى الانبا شنودة كان قد تنيح ، فاجتمعوا اليه ليفتقدوه ويعــزوه أعنى أبينا الانبا ويصا ، من أجل أن الله أولاه الامر فى رتبــة النبى الانبــا شنودة .

وذكر فى المخطوط . « فلما كان ذات يوم وابى الصديق قائما يصــلى تحت كهف جبل قبلى مغارته ، واذا الشيطان وقف عنده وقال له ... الخ »

« وهناك ايضا بركة لا تنشف لكن الماء موجود بها كل حين جميع أيــام السنة ، وفى أيام الشتاء كل ليلة ينزل فيها ويداه مبسوطتان ويصلى الليــل كله ، فاذا راى الصبح قد دنا يطلع ويصعد الى الوادى الذى بجانب أدريبة من الجانب الشمالى ، ويمشى منه الى مسكنه لئلا ينظره أحد من الناس ، أى انه بجوار جبل ادريبة يوجد وادى أدريبة .

وذكر الشابشتى أن دين ادريبة علو جبل أدريبة وفيها سبعون بيعة .

---

(١٢) مخطوط ٢٨/٩ جديد — ٢٠ تاريخ قصة الانبا شـــنودة مكتبة المخطوطات بالدير المحرق ، ٥٩ تاريخ — ٥٩٩ عمومية مخطوط مكتبة الدار البطريركية .

(١٣) قاو لم يبق منها سوى قرية صغيرة تدعى قاو غرب بمركز طمـا بمديرية جرجا ، وقاو شرق تسمى بقاو الخربة أو قاو الكبرى ويفصل بيــن المدينتين النيل .

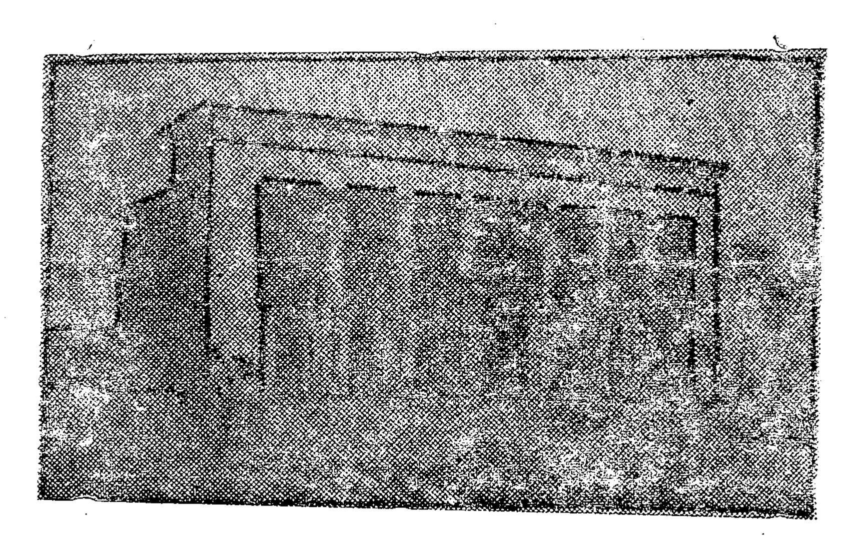
(١٤) أبصاى هى المنشاة .

أبصاى — المنشأة — وجبل أدريبة

أبصاى أو ابساى او ابسوى ، كانت عاصمة من عواصم اقليم اخميم ، وذكرت مرارا فى سيرة وحياة الانبا شنودة ، وذكرت فى سيرة الانبا ابشاده الاسقف ، وبنيت فيها كنيسة باسمه اكراما له ، وكانت هذه البلدة مركزا لدراسة الطب ، وقامت على أطلال مدينة أبصاى بلدة المنشاة الموجـــودة حاليا من أعمال مديرية سوهاج ، وقد هوجمت هذه البلدة من السكان العرب الموجودين بالصحراء الشرقية ، لأنها كانت تعد من افخم واحسن واحـــات مصر ، وكان يمكن الوصول منها بواسطة القوافل الى جبل أدريبة عبر وادى قنا ثم الى البحر الاحمر . وابصاى القديمة هى الواحة الكبرى التى ذكرت فى السلم الكبير باسم ابصاى .

قاو الخربة وصلتها بأخميم وأدريبـــة

كانت قاو مركز لأسقفية كبرى ، خرج منها القديس الانبا بولا الطماوى ، وهو غير الانبا بولا السائح — والذى كان صديقا للقديس الانبـــا بشوى ، وبعد وفاته صاحب جسده جسد القديس الانبا بيشوى . وكان منها أيضا القديس مكاريوس أسقف قاو الشهيد ، والذى كان مصاحبا للانبـــا ديوسقورس ، وقد وضع جسده مع أجساد يوحنا المعمدان وغيرهم ، والذى تم نقلهـــم الى دير أبى مقار من مدينة الاسكندرية ، بواسطة البطريرك الانبـــا بنيامين — وكانت قاو واحة كبرى يمكن الاتصال منها الى جبل أدريبة الى البحر الاحمر ، خربها الاعراب حينما كانت تغير عليها مجموعاتهم وبدون رحمة . توجد فى هذا الطريق آلاف الآثار الفرعونية والرومانية واليونانية وقد حاولت فى المدة الاخيرة اتمام بعض الابحاث على الطبيعة فى هذه المنطقة ولكن لم يساعدنى الحظ . ومع تقديم شكرى الى نيافة الانبا فام مطران طما ، الذى أتمنى أن يتمم أى فرد من أبناء الابروشية هذه الرسالة فى هذه المنطقة . على أى حال تم عمل حصر عشرات الشهداء والقديسين والاساقفة فى منطقة طما أرجو أن يخصص لهم كتاب مستقبلا .



معبد ماركوس أوريليوس(١٥) الفيلسوف الامبراطور
الرومانى والتى كانت تزدن به بلدة قاو

دير الانبا شنودة شرق أخميم

أقرب مكان لجبل أدريبـــة

فى هذه الكنيسة المباركة والتى تبعد عن مدينة أخميم بحوالى ١٥ كيلو متر هو المكان الوحيد الذى يضم كثير من القديسين من الذين أتى بهم الى كنيسة القديس الانبا شنودة والذين كانت رفاتهم منتشرة فى كنائس وأديرة وادى قنـــا نذكر مثلين فقط منهم الآن . وسوف ننشر الباقى فى كتب أخرى .

أولهم : القديس سمعان القانوى ، نسبة الى قانا الجليل وهـــو من التلاميذ الاطهار والرسل الاخيار ، وسبق أن لقبه السيد المسيح بالغيـــور . هذا الرسول أتى الى مصر فتشرفت أرض الفراعنة لرؤيته ، ثـــم تركها الى بعض البلاد فى أفريقيا لتبشيرها بالخلاص ثم ذهب الى بريطانة وهى احدى

---

(١٥) مرقص أوريليوس أنطونيوس عده اليونانيون من أكبـــر الادباء اليونانيين . سجن بهذا المعبد الانبا مقاريوس أسقف قاو والانبا بنوديون ، والله خلصهم من مؤامرة الوثنيين لقتلهم . وهو يوجد شرق مدينة طما .

الجزر على الساحل الافريقى ثم ذهب الى بلاد العجم مناديا بكلمة الله ثم يقال أنه مات مصلوبا .

آراء بعض المؤرخين عن حضوره لمصر .

الشماس صالح نخلة : فى كتابه عن تاريخ القديس مارمرقس البشير كاروز الديار المصرية وتأسيس الكرسى الاسكندرى قال عن سمعان بطرس وسمعان القانوى أن هناك خلط بين أسمى سمعان بطرس وسمعان القانوى الذى حضر الى مصر وهذا هو سبب الخلط .

السنكسار فى ١٥ بشنس : سمعان الزلوطى رسول المسيح توجه الى بلاد الفرنج والبجاة ، ودخل جزيرة برطانة ، وبلاد البجاة وهى تمتد من أسوان الى البحر الاحمر ، وأن جزيرة برطانة لا يستبعد أن تكون احدى الجزائر الساحلية العديدة المجاورة لشاطىء البحر الاحمر .

قاموس لاروس القرن العشرين جزء ٦ ص ٣٦٠ . « ان القديس سمعان رسول وشهيد من شهداء الجيل الاول الميلادى ، ولقب بالزلوطى أى الغيور وبشر بالانجيل فى مصر والعجم حيث عذب بالصلب .

تاريخ الامة القبطية — الحلقة الثانية — لجنة التاريخ القبطى وزارة المعارف العمومية ١٩٣٢ هى ٥٢ — « سمعان الرسول وهو الملقب بسمعان القانون نسبة الى قانا الجليل ويقال انه جاء الى مصر ثم ذهب الى افريقية .

الاسقف أبو المكارم

وان كان الاسقف القبطى أبو المكارم ، ذكر بأن جسد القديس سمعان القانوى موجود بدير الانبا شنودة شرق أخميم . فهو من المؤرخين الاقباط الذين لا يمكن بسهولة تكذيب أقوالهم . وهذا المؤرخ القبطى رسم بعد ذلك أسقفا باسم الانبا مرقص ، رسمه الانبا ميخائيل ابن دنشترى

وسمى باسم أكبر قلاية ، وكان يعمل قبل رسامته أسقفا كاتبا من كتاب الدواوين ، وكان يعرف باسم الشيخ جمال الكفاة أبى المكارم .

وكان الانبا مرقص ابنا للمؤرخ أبى المكارم سعد الله بن جرجس بن

مسعود . وهذين الشخصين لا صلة لهما بأولاد أبى المكارم أبى الطبيب السريانى الاصل الذى جاء الى مصر ، وهو أخو العميد أبى الياسر صاحب كتاب الحاوى . ويستبعد بعض المؤرخين أن ابن العميد كان سريانيا ، لان ابن العميد كان ملكيا وكان مقيما بدير البغل الذى كان تابعا للملكيين . ويلاحظ أن كتاب أبى صالح الارمنى نسب اليه خطأ ، ولكن هذا الكتاب من وضع أبى المكارم القبطى .

والكنيسة القبطية كنيسة تقليدية ، مبادئها ليس فيها تعارض للكتاب المقدس وغير متعارضة مع التقاليد الكنسية القبطية الاخرى . وأن آراء الكنيسة القبطية قبلتها جميع كنائس القطر ، فقد عرض أبو المكارم المؤرخ والاسقف القبطى هذه الآراء منذ أجيال على جميع الكنائس القبطية ولم ترفضه . وحيث أن هذه الآراء التاريخية ليست جديدة ظهرت فى القرن العشرين ، بل هى آراء قديمة ذكرت فى المخطوطات القبطية وذكرها المقريزى المؤرخ المسلم ، فمع توالى الاجيال أصبحت هذه الامور التاريخية تقليد تتوارثه الاجيال ، فهو تراث ثمين ، ومن الخسارة للكنيسة القبطية أن تفقده .

جبل ووادى أدريبة

وكاتدرائية أدريبة الكبرى

تعد هذه المنطقة مكانا طاهرا لسكنى المتوحدين والرهبان داخل الصحراء الشرقية . وكانت تصل اليها القوافل عبر الصحراء من قنا عن طريق آراس ووادى جراية ، ووادى أبو شيخ الى وادى أدريبة ، ووادى أبو شحاته . والقوافل التى تصل من البحر الاحمر تدخل اليها عن طريق جبل أم عنب ، وجبل أبو خريف ووادى فتيرى . كل ذلك باستخدام الطرق الفرعونية القديمة ، المعبد بعضها بواسطة أحجار الجرانيت . والتى كانت تستعمل طوال آلاف السنين . كانت تمر عليها العربات الفرعونية القديمة من صناعة وبأيدى الاقباط ، استعملها اليونانيون بعد ذلك . وتوجد المياه بكثرة فى هذه المناطق ، ويمكن الحصول على المياه عن طريق الابار الارتوازية لاستخراج المياه العذبة . وقد استغل الجيش الانجليزى هذه الخاصية التى تمتاز بها هذه المنطقة واستخرجوا المياه لحفر الآبار الارتوازية .

وسبق أن ذكرنا أن الاساقفة الاقباط رشموا القديس موسى اليمنى أسقفا على اليمن أثناء غياب القديس أثناسيوس فى روما .

وهذا بناء على طلب أميرة البادية وتدعى معاوية ، وهى التى اهتمت بأن يسلم أسقف اليمن بكنيسة الاسكندرية الارثوذكسية فلما وجد الاساقفة أريوسين أبى أن يسام عن طريقهم أثناء غياب أثناسيوس فأخذه الاساقفة الى جبل أدريبة ورسم هناك .

هذه المنطقة مشهورة بمناجم الذهب ، ويستخرج أيضا غير الذهب أحجار الكوارتز والفلسبار . وتوجد آثار مسيحية هامة ومنتشرة فى منطقة أبى زويل المجاورة والقريبة منها .

وقد حرم الانجليز دخول المصريين الى هذه المناطق على أمل أن تستغل شركاتهم مناجم الذهب القديمة الفرعونية الموجودة بهذه الاماكن ، وقد فشلوا فى مجاراة الفراعنة والرومانيون فى هذا المجال . ولولا تشجيع مستر كينج الطيار الانجليزى الذى كان يسهل كل طريق لنا فى هذه المناطق لما قمنا وزرنا هذه المناطق النادرة .

٨ — ٩ — ١٠ —

وادى الجدامى — وجبل جدامى — ووادى عطاالله

تعد هذه أقدم منطقة مناجم للذهب فى العالم ، كان يسخر فى استخراجه العاملات القبطيات المسخرات وكن يعاملن معاملة سيئة غير آدمية .

١١ — وادى الحمامات — الفواخير

قاسيت أيضا كثيرا العاملات القبطيات المسخرات بالعمل بهذه المناجم ، وقد عوملن معاملة سيئة . ومع وجود الحرية المسيحية فى القرن الثالث وفى عصر القديس أثناسيوس اندفعن بالآلاف للالتحاق باختيارهن راهبات بوادى أم سدرى ، وجبل أدريبة .

١٢ — جبل أبو الحسن وجبل الانبا رويس

ومن منطقة جبل كلوديانوس يمكن الوصول الى جبل ووادى ابو الحسن وجبل الانبا رويس ، ويوجد بهذه المنطقة عمود يصل وزنه الى حوالى ١٠٠ طن وملقى عشرات الاعمدة فى أماكن متفرقة ، لم يتم استكمال اعدادها .

ويوجد بهذه المنطقة ٥٠ مقبرة قبطية ، مما يشير أن هذه المنطقة كان يسكنها كثير من الاقباط الذين كانوا يعملون فى هذه المحاجر . ويبعد عن منطقة المقابر القبطية آثار لمدينة كبيرة بجوار جبل الانبا رويس وبها بئر كبيرة . ويوجد معبد رومانى قديم أول من اكتشفه كان ولكنسون وبورتون عام ١٨٢٠ Wilkinson and Burton وهذا المعبد للاله سيرابيس بناه الامبراطور هادريان .

١٣ — جبال ووادى الفطير

سبق أن أشرت الى الطرق الفرعونية المعبدة داخل الصحراء الشرقية ، ولكن الطرق الموجودة بوادى الفطير ، يعد من أقدم الطرق الفرعونية والرومانية على الاطلاق الموجودة فى العالم .

ويوجد بجوار آثار المناطق السكنية لمناجم الذهب بعض الاستراحات التى خصصها المستعمر الرومانى للاشراف على العمال الاسرى الاقباط الذين يسكنون فى المدينة التى شيدوها لسكناهم .

١٤ — جبل قطارة ووادى الفلاية

ورسالة القديس أثناسيوس للقديس سرابيون ومطران قنا

الذين كانوا موجودين بهذه المنطقة من عام ٣٤١/٣٣٩

هذه المنطقة فى الفترة منذ عام ٣٣٩ الى عام ٣٤١ م كانت مركزا لأسقفية قنا ، حينما استولى الاريوسيون على مطرآنية قنا الارثوذكسية . ووجدت نقوش على الجرانيت ، عثر عليها داخل الكنائس توضح هذه الصلة النادرة بين القديس أثناسيوس ومطران قنا والقديس سرابيون وبكثير من الرهبان .

وفى بداية السير الى هذه المنطقة توجد خزانات للمياه العذبة وبجوارها توجد كثير من أشجار التين ، وتكثر الطيور وبعض أنواع النسور . وتمتاز هذه المنطقة بكثرة قطرات الندى بالليل ، ولذا سميت بوادى قطارة ، وبها وادى النجاة ، لأن احتمال الحياة فى هذه المنطقة لاى عابر ضل طريقه سهلة ، مع أنه توجد كثير من الجبال المنتشرة هناك .

وبعد بداية الطريق بنحو ٥٠ متر يوجد وادى ضيق كان يسكنه كثير من الرهبان كانوا يسكنون به منذ القرن الثالث الميلادى ، ويلاحظ كثرة وجود الاكواخ التى بنيت بطريقة رائعة ، وبجوارها مبانى اعدت اعدادا جيدا داخل الصخور والجرانيت ، ويمكن الدخول اليها بدرجات ، وحيطانها بحالة جيدة .

ومن السهولة لأى فرد يعبر بين قلايات الرهبان يعثر على عملات رومانية معاصرة الامبراطور ثيؤدوسيوس فى القرن الرابع ، وتوجد مدينة مسيحية ، ربما تكون قد أعيد تجديدها فى العصر القبطى ، وربما تكون هذه المدينة رهبانية يشاركهم فى السكن فيها العمال الاسرى الاقباط الذين كانوا يعملون فى مناجم الجبال . وتوجد كنائس بهذه المنطقة فى الجهة الشرقية من نهاية الوادى . والكنيسة التى لا زالت تحتفظ بوضعها سليمة ما عدا سقفها المتهدم ، وهى على اسم القديس مارجرجس ، وبجوارها كثير من أكواخ الرهبان ، وبعض المبانى تشبه القصور القديمة الملحقة بالاديرة والتى تسمى بالحصن الرومانى القديم ، وبها سقالات لرفعها عن طريق الرهبان صيانة لهم . والكنيسة مكونة من ٣ حجرات فارغة من غير سقف كما ذكرت ولكن الحيطان ليست محطمة ويوجد داخلها عمودين ملقيين على الارض بدون تيجان . وقد بنيت الكنيسة ببراعة كبيرة . وفى الحجرة الثالثة بالكنيسة فارغة وقد انتزع سقفها ، وتوجد على جدرانها كثير من النقوش القبطية وتحتاج الى دراسات متعمقة ، حينما تهتم أى جهة لتعمير المنطقة القبطية . ويوجد بجوار الكنيسة ١٢ كوخ لسكنى الرهبان لا زالت سليمة ، ومعظم النقوش الموجودة فى كل هذه الاماكن لم تسلم من تخريب الاعراب . والدير القديم سبق أن زاره جاردنر عام ١٨٢٣ .

والمنطقة المسيحية فى هذا المكان ، كانت ملجأ للارثوذكسيين فى جميع الدول فى القرن الرابع والانبا هاترس أسقف قنا جاء اليها عندما تسلم القائد الرومانى الاريوسى فلفيوس يوليوس ، زمام مدينة قنا ، وان ملاتيوس أيضا كانت له حروبه من مصر الوسطى الى قنا فى هذا الوقت .

الوثيقة الخاصة بأثناسيوس

وتتكون الوثيقة المرسلة من أثناسيوس من ثلاثة خطابات مرسلة الى سرابيون عام ٣٣٩ فى هذه المنطقة وحتى عام ٣٤١ وكانت تضم هذه المنطقة أقطاب الصعيد ، وتشير الى أن هرمينوس نجح فى ازاحة المطران القبطى هاترس من أسقفية قنا .

الجزء الاول من النقش على حجارة من الجرانيت طولهـــا ٦٠ ســم وعرضها ٣٠ سم والكتابة واضحة تماما لكن جزء من زاويتها الاخيرة مكسورة ولا يظهر بها باقى الرسالة . وقد فقد منها بعض الحروف من جانبها . وربما كان هذا النقش حسب ما هو مسطر فيه مؤرخ ٣٤١ ، حينما كان القــديس أثناسيوس قد غادر الاسكندرية الى روما .

ولا توجد تفاصيل عن حياة سكان هذه المناطق والرهبان الذين كانوا يملأون المنطقة ، وتوجد كنيسة أخرى .

والطرق الموصلة بين أكواخ الرهبان ضيقة ، ومعبدة بالحجارة وتصل الى كل باب لكل قلاية . ويوجد بجوار كل مجموعة من القـــلايات الصغيرة قلاية كبيرة يصل طولها الى حوالى ٧ أمتار .

والنقش الموجود على جدار الكنيسة توضح رسم بسيط لمنظر ظابــط على راسه خوذة ، ربما تشير الى القديس مارجرجس .

وهذه المنطقة كان يسكنها كثير من العمال الاقباط للعمل بالمحـــاجر لقطع الاحجار ، والمدينة الموجودة لا زال بعض أسقفها العالية سليمـــة وأبوابها وشبابيكها بحالة جيدة ، وتتكون من ثلاثة أقسام رئيســية ، وهى مبيضة بالجير ، وشوارعها مرصوفة بالحجارة وملقى بجوارها أعمدة ضخمة ، وربما كان العمال الموجودين بهــذه المنطقــة يشاركون الرهبان فى الصلوات فى هذه الكنيسة .

والاراضى الموجودة صالحة للزراعة نتيجة جمع الاتربة فوق الصخور ، ومع وجود المياه ، تكثر زراعة الاشجار من التين والنخيل .

وقد ذكر بلاديوس عن وصفه لهذه المنطقة ، وربما يكون قد وصل اليها أكثر من مرة ، قال أنها كانت .. مستعمرة من الاشخاص العـــاملين بها وتوجد كنيسة يتعبدون بها فى أواخر القرن الرابع الميلادى .

وتشير بعض النقوش على الحيطان بان جزء من هذه المنطقة السكنية كانت مخصصة لسكنى الاسيرات الاقباط العاملات اللاتى كن يستخدمن للعمل بهذه المناجم ، ويقال انه بعد أن اعتلى الامبراطور قسطنطين الحكم وأصدر قراره بجعل المسيحية هى الدين الرسمى للامبراطورية ، وحينما علمت الملكة هيلانه أخبار هؤلاء الاسيرات من بنات الاقباط الذين يعملون بهذه المنطقة ، قررت اخلاء سبيلهن .

ويعتقد الاقباط بأنه توجـد بهذه المنطقة كنوز فرعونية لم يعثر عليهـا بعد وهى مخبأة بين الصخور ، وكانت تذكر فى المخطوطات القبطية ، بكنوز السبعة ملوك ، وهذه التكهنات ربما كانت بسبب وجود كثير من الذهب فى هذه المنطقة .

١٥ — جبل أم عنب

يوجد بها مبانى قبطية مهدمة قديمة وبها آثار قبطية ومدينة قبطيـة ، والوصول الى هذه المنطقة عن طريق وادى الغلابة وأبو حمـاد وجبـل الشايب . ومناجم هذه المنطقة تعد اغنى واحسن المناطق فى مصر والموجود بها جبال التلك .

١٦ — وادى ابو محمـل

توجد مدينة قبطية فى وادى أبو محمل ، وكانت مخصصة لعمال المناجم الاقباط الذين كانوا يعملون بطريق السخرة ، والذين كانوا يسـاقوا الى هناك ، من خيرة ابناء الاقباط ، كعقاب لهم لاعتناقهم الدين المسـيحى ، ومحبتهم الفائقة لالههم ومخلصهم يسوع المسيح . وبعد انتشار المسيحيـة فى عصر قسطنطين ، أصبحت هذه المنطقة عامرة بالرهبان والذين أصبحوا احرارا بعد عتقهم ، واصبحت من المناطق العامرة بالرهبان فى القرن الرابع الميلادى . وينتشر وجود عملات الامبراطور قسطنطين ، بين مساكن الرهبان القديمة فى هذه المنطقة .

وتوجد نقوش على بعض الحجارة هناك ، ذكر فيها اسم القـديس ديديموس Didymus ونقوش أخرى تحذر من الاعتقاد بشـيعة الميلاتيين ، من ذلك توضح أنها كتبت فى الفترة المعاصرة للصراع بين القديس اثناسيوس والميلاتيين والاريوسيين .

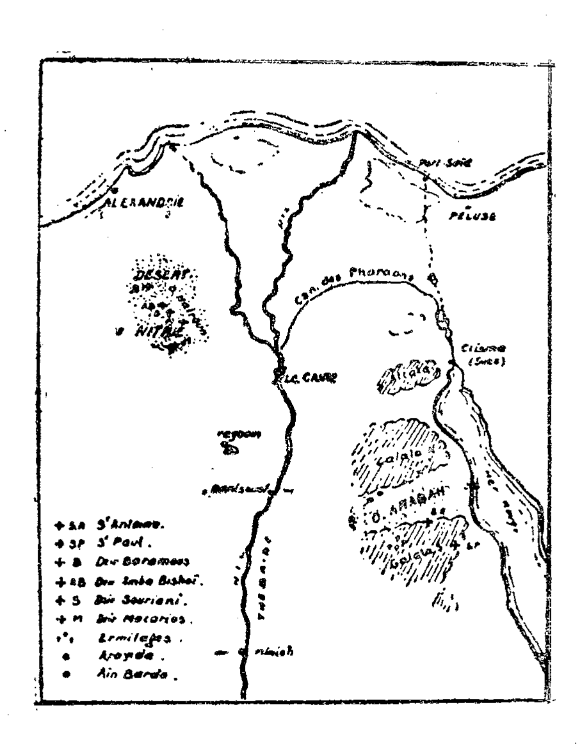
وفى عهد الملك فؤاد أرسل كثير من العمال الذين كانوا يحفرون فى هذه المنطقة وعثروا على العديد من الاثار القبطية .

والكاتدرائية الموجودة بهذا المكان طول مبناها حوالى ١٢٠٠ متر وجميع حجراتها فارغة بنيت بالقرب وعلى أنقاض آثار رومانية . ويوجد هنـاك

تمثال للالهة ايزيس ملقى على الارض وتوجد كثير من الحجارة عليها نقوش عديدة .

ويبعد عن الكاتدرائية وعن المدينة القبطية مقابر مخصصه لدفن الاقباط المسيحيين ، يوجد ببعضها نقوش تفيد أنه يوجد قديس يدعى يوحنا أتى من بلدة هرموبوليت .

والطريق الفرعونى القديم يصل بين هذا المكان وباقى الاماكن الاخرى بالصحراء ، وهو قديم ومتعرج ، واستعمله الرومان فى نقل الاعمدة الجرانيتية والحجارة بواسطة العربات الضخمة المخصصة للسير بها الى وادى قنا عن طريق وادى سدرى .

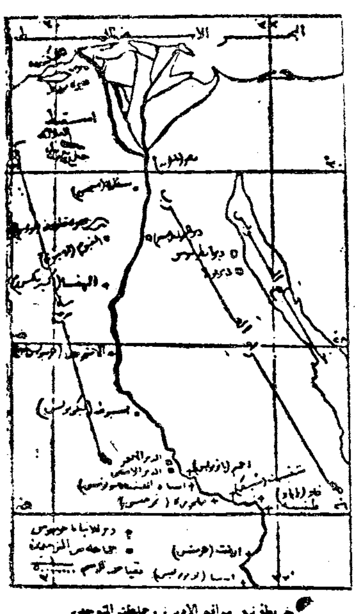


خريطة معهد الدراسات القبطية ١٩٥٧ باللغة الانجليزية ص ١٩ ، عن الاديرة ومنها اديرة الانبا انطونيوس ولم يذكر شيئا عن اديرة ومدن وجبانات وكاتدرائيات وادى قنــا

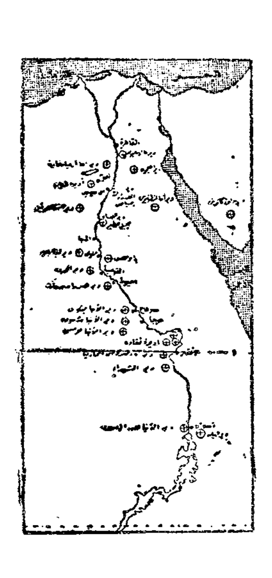
١٧ — وادى الملاحات

يقول سير فلندرز بيترى فى احدى كتاباته عن الاقباط أنه فى حـوالى أواخر القرن الاول الميلادى ، وأوائل القرن الثانى الميلادى فى عهد طيباريوس وكاليجولا ، كانت توجد امرأة قبطية تدعى ايسيدورا كانت تعيش فى هـذا المـكان .

مواقع الاديرة بالقطر المصرى مصغرة الى النصف



خريطة تبين مواقع الاديرة وحلقات المتوحدين بالقطر المصرى فى القرن الرابع



خريطة لبيت حبشى ص ٨   خريطة الدكتور رؤوف جيرجس ١٤٩

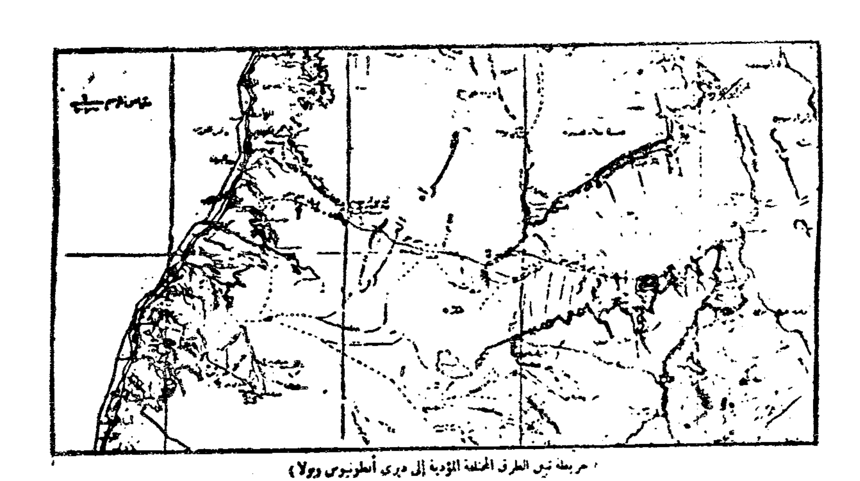
جميع مواقع الاديرة القبطية وجماعات المتوحدين فى القرن الرابـع ، الباخومية والانطونية والاسقيط ودير الميمون وديرى الانبـا بولا والانبـا أنطونيوس ، والدير الابيض والاحمر ومع ذلك لم يذكر أى من المؤلفين فى كل أنحاء العالم أديرة وادى قنا وأديرة جبل أدريبة وباقى الاديرة التى أنشأهـا القديس الانبا أنطونيوس ، والانبا أمونيوس ، وباقى الاديرة بالسبعة جبال والسبعة أودية . نحن ننشرها فى هذا الكتاب الاول مرة فى التاريخ .



« طريق الصحراء بين النيل والبحر الأحمر وهو الطريق الذى قطعه الاستاذ توفيق اسكاروس فى رحلته ، خمسة أيام فى الصحراء »

خريطة توفيق اسكاروس

الخريطة التى وضعها توفيق أسكاروس فى رحلتـــــه خمسة أيام فى الصحراء منشورة فى مجلة الهلال ص ٩٨٠ والتى ابتدأ القيام بها من فنـــدق الكونتننتال بالقاهرة مصاحبا معه الاستاذ ويتمور الامريكى رئيس جمعيـــــة الحفر فى الآثار المصرية بنيويورك ، والمسيو جان تريكوغلو عالم الاثار — تحت اشراف الدكتور جورجى صبحى بك . ساروا عن طريق مصر القـــديمة فالمعادى فحلوان فالصف فالكريمات ثم وادى رميلة ثم وادى سنور فى وادى عربة ثم الى دير الانبا انطونيوس . الخريطة مصغرة للنصف .

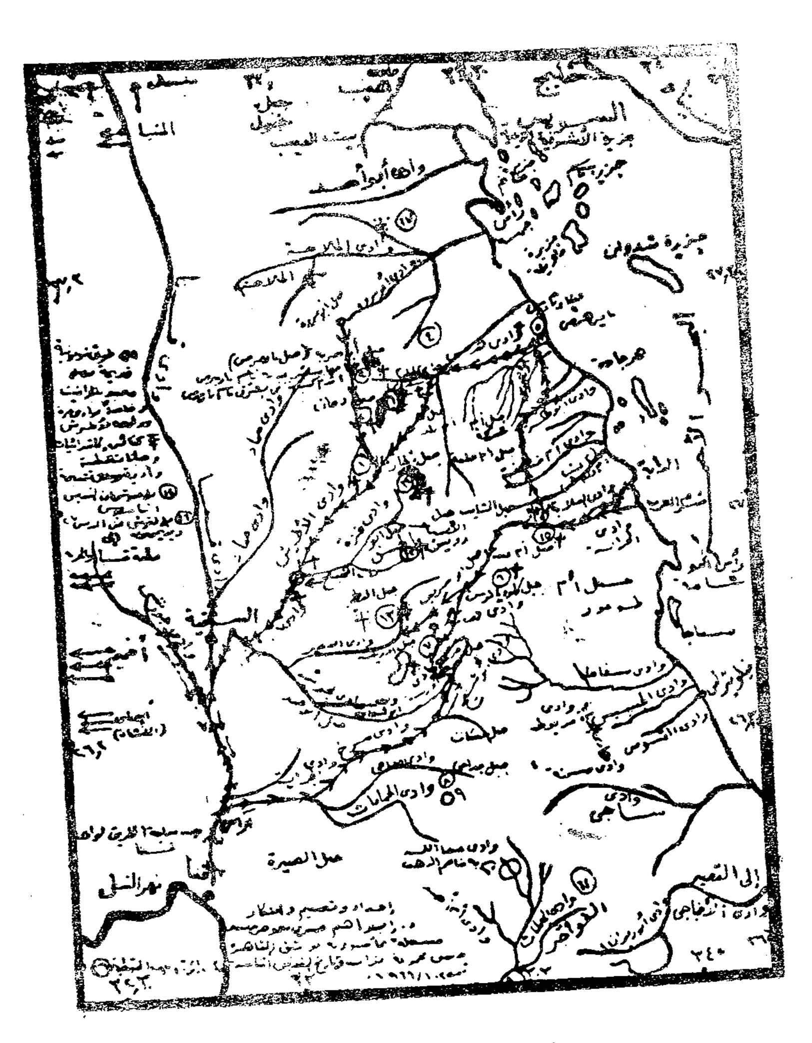


« خريطة تبين الطرق المختلفة المؤدية إلى ديرى أنطونيوس وبولا »

خريطة لبيب حبشى

ففى الخريطة للمرحوم لبيب حبشى ص ٣٠ مصغرة للنصف — أخذها عن توفيق اسكاروس . ولكنه أضاف تحديد مدينتى قمن العروس ودير الميمـــون

الخريطة التى أعدها وصممها وابتكرها ابراهيم صبرى معوض عن الاديرة والكاتدرائيات والمدن والمقابر القبطية والموجودة بواد قنا والمسجلة بمأمورية توثيق القاهرة ضمن مجموعة تراث القديس اثناسيوس رقم ١٠٢٥/١٩٦٩ ، وبها نقوش على الجرانيت عن القديس اثناسيوس وأديرة أخرى للقديس الانبا أنطونيوس تنشر لأول مرة فى التاريخ القبطى ، ولم تنشر فى جميع الخرائط عن الاديرة القبطية .



أديرة وكاتدرائيات ومدن

وجبانات وادى قنا

الباب السادس

تاريخ حيـاة القديس

الانبـا انطونيوس

« لو جمعتم رهبان العـالم بأسـره
الى موضـع واحـد ، ثم جميـع من
يأتى بعـد هـؤلاء لا يعـادلون
انطونيـوس » .

**من اقوال القديس الانبا شـنودة
رئيس الرهبـان الى رهبـان وادى
هبيب(١) .**

---

(١) دائرة المعارف القبطية — ابراهيم صبرى معوض ، كتاب حيـاة القديس الانبا شنودة — رئيس المتوحدين (١٩٦٠) .

الفصل الاول

مصـــادر تاريخ حياة القديس

الانبا انطونيوس

١ — الميمر الذى وضعه القديس أثناسيوس عن حياة القديس الانبا انطونيوس والانبا بولا .

كتب القديس أثناسيوس النسخة الاولى لحياة القديس الانبا انطونيوس اثناء وجوده بالمنفى بمدينة تريف ، والنسخة الاخرى كتبت فى روما أثنـــاء وجوده هناك ، لأن الشعب والاكليروس الرومانى اشتاق لمعرفة أخبـــار الرهبنة والرهبان فى مصر ، وخاصة حياة القديس الانبا انطونيوس والانبا بولا . وكتب هذا الميمر كذلك المصريين فى مصر ، وتداولت هذه النسخ فى كل مكان أثناء حياته ، وخاصة بين الكنائس والاديرة شرقا وغربا ، تقبلهـــا الشعب تبركا ، وكمثال للقداسة ، ليحتذى بها المسيحيين ، وتناقلت هـــذه الميامر فى كل أنحاء العالم بشوق وفرح .

وكانت الكنيسة القبطية تحتفظ لديها وخاصة بالاديرة بنســخ كاملة لها ، وكان يوجد بمكتبة المخطوطات بالدار البطريركية نسخة من قصـــة حياة القديس الانبا انطونيوس وغيرها من المخطوطات ، لحياة القـــديس مارمرقص ، وقد سلمت هذه المخطوطات الى المستشرق الدكتـــور بدج الانجليزى . وكان يعمل ضمن امناء المتحف البريطانى بقســم الاثار المصرية والاشورية داخل المكتبة ، واستعار كثير من المخطوطات القبطية الاخـــرى ولم يردها حتى الان . وبذلك تعد النسخة التى نشرها عن حياة القـــديس الانبا انطونيوس وحياة القديس مارمرقص ، عن النسخ المسروقة من الدار البطريركية . لذلك اصدر غبطة البابا الانبا كيرلس الخامس وحتى عهـــد الانبا يوساب تعليمات بعدم دخول أحد من أمناء المتحف المصرى أو القبطى الى مكتبة المخطوطات بالبطريركية أو مكتبات الكنائس لتعاطفهم مـــع الاجانب بسبب سرقة تراثنا وخروجها خارج مصر .

وقد ادعى بدج أن النسخة التى نشرها عن حياة الانبا أنطونيوس مترجمة عن السريانية ، وكانت محفوظة بمكتبة نائب بطريرك الكادان بالموصل ، وقال أنه سبق أن كتبها بلاديوس الاسقف بآسيا الصغرى الذى سبق أن زار البلاد المصرية فى أواخر القرن الثالث الميلادى . من ذلك نستنتج أن هذه النسخة لا توجد بالمتحف البريطانى ، وأن هذا الادعاء ذكره لكى يبعد عنه شبهة سرقة مخطوطات الكنيسة القبطية ، علما بأنه كانت توجد بدير السريان اكبر كمية من المخطوطات السريانية ، نقلت بطريقة مشبوهة الى المتحف البريطانى فى ٢٢ يونيو سنة ١٨٤١ وعددها ٣٠٠ مخطوط سريانى كانت مخبأة تحت برج دير السريان . وقال المتحف البريطانى أنه فى ذلك الوقت دفع ثمنا لهذه المخطوطات ، وكانت تضم المجلدات الخاصة بتاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصرى الاريوسى ، وترجم معظمها ونشر فى مجموعة الآباء قبل وبعد مجمع نيقية ، ويلاحظ أن البعض فى مصر الآن ينشرون من هذه المجموعة ما يسىء الى تاريخ الكنيسة القبطية ولاهوتها .

قال مندوب المتحف البريطانى عام ١٨٤٢ بأن مستر KRUSE كروز دفع للخواجا مسرة مبلغ ٢٠٠ جنيه أخرى ثمن مجموعة أخرى من المخطوطات السريانية والقبطية فى عهد البابا بطرس الجاولى .

ووصول آلاف المخطوطات القبطية الى كل بلد من بلاد العالم حرمت الكنيسة القبطية من اعادة كتابة تاريخها المجيد ، وترك لكل مترجم ما يروق له ترجمته من أخبار بعيدة عن الصواب .

قال الدكتور بلملى استاذ ورئيس قسم الدراسات المصرية والقبطية ، بجامعة كامبردج فى مناسبة الاحتفالات ، التى أقيمت بكاتدرائية الاقباط الارثوذكس بالانبا رويس ، فى ذكرى ارجاع رفاة القديس أثناسيوس عام ١٩٧٣ ، بأنه لا يوجد من الكتاب الاقباط من كتب عن شخصية القديس أثناسيوس كما يجب أن نعرف ، وقال أنه ربما كانت هناك كتب ، ولكن الزمن والظروف المختلفة قد ازالتها ، ولكننا نرجو أن الاكتشافات والحفريات ، أو بعض المكتبات الصغيرة القديمة غير المعروفة تستطيع أن تسد هذا النقص عن هذه السيرة » .

وسبق أن قدمنا فى الكتاب الاول والكتاب الثانى ميامر كثيرة نشرت لأول مرة فى التاريخ . واذ نقدم الآن الميمر الذى وضعه القديس أثناسيوس عن حياة القديس الانبا أنطونيوس ، فانه يضيف ويسد أكبر قدر بهذه الميامر والقصص الخالدة .

ولا شك أنه قد واجهتنا صعوبات عديدة لتحقيق هذا الهدف يصعب أن تتحمله جهات علمية عالمية ، ولكن الله قد أعاننا لأنه لم ينضب هـــذا المعين بعد ، وســوف تسد هذه المجموعة هذا النقص الذى أشـــار اليــه الدكتور مارتن بلاملى(١) .

٢ — ميامر القديس سرابيون أسقف دندرة عن القــــديس الانبـــا أنطونيوس والانبا بولا .

كتب القديس الانبا سرابيون أسقف دندرة ميـــــامر عن القـــديس مقاريوس الكبير ، وهذه النسخة الخطية الموجودة منقولة عن نسخة كانت موجودة بكنيسة حارة زويلة . وهى برقم ٥١ مسلســـــل ٦٣٩ مؤرخـــــة فى عام ١٧٠٩ ش . وله ميمر كذلك عن حياة الانبا بولا والانبا أنطونيـــوس وعجائبه وهو تحت رقم ٥٣ تاريخ مسلسل ٦٣٣ بمكتبة المخطوطات بالدار البطريركية . مما يشير هذين المخطوطين بأن القديس سرابيون كان معاصرا لهؤلاء القديسين فكتب عنهم ، فكانت كتاباته أقرب الى الصحة .

ذكر أثناسيوس فى ميمره أن سرابيون هـــذا أسقف تنتريس دندرة ، كان فى خلال المدة التى أقامها معه ، رآه مشتغلا بصورة جدية بالرؤيا ، أياما عديدة فى وقت واحد .

وقد عثر على نقوش بجبل أبو حربة (مارجرجس) أوادى قنـــــا ، بالصحراء الشرقية ، فى الكاتدرائية القبطية الموجودة هناك ، وهى مكتـــوبة على حجر الجرانيت ، توضح أن القديس سرابيون هو وأسقف قنا ، كانا فى عهد القديس أثناسيوس فى عام ٣٤١ ، وعاشا فترة فى هذا المكان المقدس ، وسوف نقدم بيانات وافية عن ذلك بالاضافة الى ما سبق أن قدمنـــــاه عن وصف الكاتدرائيات والكنائس التى لا زالت آثارها موجودة حتى الآن .

علما بأن المدققين لدراسة ميمر القــــديس أثناســـــيوس عن الانبا أنطونيوس يستنتجون أن القديس الانبا أنطونيوس كان من ضمن المترددين والمؤسسين للاديرة الموجودة بهذه الاماكن .

---

(1) Prof, Dr. Martin Plamley. Chairman Of The Department Of Egyptian and Coptic Studies University Of Cambridge.

مجلة صديق الكاهن ص ٢١٦ / ١٩٧٣ .

٣ — القديس أنطونيوس وكتب الغرب : تأثر كثير من آباء الكنيسة الغربية ، المعاصرين منهم وغير المعاصرين للقديس الانبا أنطونيوس . فقد كتبوا عنه كثيرا . وكان القديس أوغسطينوس قد تأثر تأثرا واضحا بقصة القديس الانبا أنطونيوس ، ولم يكن كاتبا يسرد أخبارا عن هذا القديس ولكنه قارن علمه الزائد بجهل القديس الانبا أنطونيوس قبل أن يتحول أوغسطينوس الى الايمان المسيحى ، وحينما آمن بالسيد المسيح قال « أينهض الجاهلون نشطين ويخطفون الى السماء وقال الا نخجل من أن نلحق بهم لأنهم تقدمونا ولا نبدى حراكا ، لنلحق بهم ، وكتب كثيرا من التعاليم التى استخلصها من قصة حياة القديس الانبا أنطونيوس .

٤ — القديس الانبا أنطونيوس وموقف الملحدون من قصته : كتب القديس أثناسيوس ميمره عن الانبا أنطونيوس كشاهد عيان ، سمعه ورأى أعماله ومعجزاته وأقواله . ولم يكن كلام بابا الاسكندرية قابلا للطعن بين كنائس العالم القديم للثقة الكاملة لراوى القصة .

ومع ذلك طعن بعض المؤرخين الاجانب المعاصرين عن تاريخ حياة القديس الانبا انطونيوس بلا أى دليل ومثل ذلك : —

أ — وينجارتن . قال انه لم يكن فى مصر رهبان مسيحيون قبل عام ٣٤٠ م وأن كتاب حياة القديس الانبا أنطونيوس لم يكتبه أثناسيوس ، وما ألفه البابا أثناسيوس يقصد به تصوير المثل الاعلى للرهبنة(٢) .

ب — قال فرار . « انى أجد شكا فيما يتعلق بكل حادثة وردت فى حياة أنطونيوس(٣) .

حـ — وقال جوانتن : « أن أنطونيوس هو الراهب العظيم الذى لم يظهر أبدا فى الوجود(٤) » .

وردا على هؤلاء الافراد سوف يجد القراء عند سرد ميمر القديس الانبا أنطونيوس أنه يوجد توافق عجيب بين كل الحوادث التى وردت وتتفق

---

(2) Weingarten, Ups Prung des Manet.
(3) Dr. Farrar Lives of the Fathers. Vol. 1/P. 45/.
(3) Gwantken, Arian Cantroverss, P. 48,

مع طبيعة الزمان والمكان . وبعض هذه الوقائع والمواضيع تنشر لأول مرة في هذا الكتاب ، وموثقة بالصورة ليكون الرد الشافي لهؤلاء المتشككين .

وسوف نجد في هذا الميمر قصة شفاء الانبا أنطونيوس للفتاة الليبية التي كان يتساقط الدود من جروحها وشفيت ، وهذه الواقعة تشبه تماما ما حدث في عام ١٩٨٨ حينما انتشرت عدوى الذبابة الحلزونية في ليبيا ، والتي يصاحب المرضى تكاثر الدود على الجروح وخاصة في العيون والانف ، ووجد لهذا المرض العلاج المناسب .

ولا شك أن جميع المؤرخين في العالم كله اتفقوا على أن حياة القديس الانبا أنطونيوس كانت سببا في انتشار الرهبنة في العالم .

٥ — المصادر غير الارثوذكسية : —

أ — أوسابيوس النقوميدى الاريوسى : سبق أن كتب عنه الكثير ، وكان القديس الانبا أنطونيوس والانبا أثناسيوس من المحاربين له وللاريوسية والاريوسيين ، وكتبه لا تعد مصدرا للتاريخ الكنسى القبطى الارثوذكسى .

ب — ثيودوريت : ٣٩٣ / ٤٥٧ م من المؤرخين الكنسيين النسطوريين حسب رأى مؤرخى الغرب . وكان من الاقطاب المعارضين للقديس ديوسقورس ، وكان هذا الاسقف حاضرا مجمع خلقدونية وكان من المؤيدين لنفى القديس ديوسقورس بجزيرة غاغرا وقد أعده كتبة الغرب بأنه قد أتم التاريخ الكنسى بعد أوسابيوس . لذلك لا يعد كتبه كمصدر للتاريخ الكنسى القبطى الارثوذكسى .

٦ — التاريخ الكنسى القبطى المعاصر . لم تبدأ الكنيسة الاهتمام بالتاريخ الكنسى المعاصر الا بعد أن أسس المرحوم الاستاذ تادرس شنودة المنقبادى من أول توت ١٦٠٠ أول جمعية لاحياء التاريخ القبطى بمدينة اسيوط ، في نفس الوقت الذى كان الغرب قد نقل مخطوطات الكنيسة الى خارج البلاد ، لذلك كانت مصادر الكنيسة قليلة والعمل صعب لأى مؤرخ ولأى حقبة يريد أن يقدم عنها التاريخ الصحيح ، فكان لا بد لنا عن البحث عن المخطوطات القبطية الموجودة عبر الجبال والتى لم تمتد اليها يد العبث من هؤلاء الاجانب .

٧ — مخطوطات المتحف القبطى : بالنسبة لهذا الموضوع قليلة ولكن

هناك مواضيع فريدة نذكرها فمثلا قصة الانبا أنطونيوس حينما ألبس القديس أثناسيوس القلنسوة والاسكيم والمنطقة . فقد ذكر فى المخطـــوط رقم ٢٩ مسلسل ٤٨١ تاريخ حياة القديس الانبا أنطونيوس أنه كان فى ذلك الزمان لما جلس الاب أثناسيوس البطريرك على مدينة الاسكندرية ، فسمع خبر القديس أنطونيوس من المترددين عليه ، فبقى يشتهى النظر اليه ، فاتفق أن حدث فناء عظيم ، وكان الانبا أثناسيوس يكثر الوعظ ، ويحذر الشعب من الامور التى تغضب الله ، فلم يرجعوا ، فجاب الرب عليهم ضربة ، ليتأدبوا ، فلمـــا رأى الاب البطريرك أن البيوت قد فقدت من كثرة الاموات ، فقام واحــــد وأخذ معه كهنة وشمامسة ، وأتى الى القديس أنطونيوس ، فالتقى بالقديس وتباركا من بعضهما ، وسأل من أجل المدينة ، فعرفه القديس أن فى الوقت الفلانى ، رفع الرب غضبه عن المدينة ، وذلك لمـــا علم بالروح مجىء الاب البطريرك اليه وسأل السيد يسوع المسيح له المجد فى المدينـــة ، والشعب تقبل الرب منه .

فلما سمع البطريرك ذلك فرح فرحا عظيما ، ثم أن القديس ألبس الاب البطريرك لباس شكل الملائكة ، القلنسوة والاسكيم والمنطقة ، وقال له من الآن يكون هذا لبس البطاركة الى آخر الدهور ، ومن يعمل بهذا الشــــكل فان السيد المسيح له المجد يتوجه فى أورشليم السمائيـــــة ، ومن لا يمشى بحسب ذلك ، وهو الطريق الضيق التى أمر الاباء بالدخول فيها كما قــــال الانجيل ، فقليلين هم الذين يجدونها .

فلما سمع الاب البطريرك هذا الكلام من القديس ، سرت نفســـــه وتبارك منه وعاد الى المدينة .

٨ ـــ كتابات رهبان وقديسى فلسطين وسوريا وآسيا الصـــــغرى . كتب رأفت عبد الحميد عن مصدر من مصادر حياة القديس الانبا أنطونيوس عما كتبه جيروم عن القديس هيلاريون قال(١) . وضع جيروم كتابا فى نهاية القرن الرابع الميلاد حوالى ٣٩٠ م . عن القديس هيلاريون راهب غـــزة الشهير فقال(٢) « ان هيلاريون جاء الى الاسكندرية لدراسة النحـــو على أساتذة مدرسة الاسكندرية الزائعة الصيت ، وترامت الى سمعه شـــهرة

---

(١) رأفت عبد الحميد ص ٥١ بمقدمة للانبا اغريغوريوس .

(٢) ولد فى عام ٢٩٢ م .

الراهب أنطونيوس الذى كان على كل اسان فى مصر ، حسب تعبير جيروم
على أبى الرهبان حتى هجر دنيا الناس والحياة ... وامتلأت حياته حبـــا
على أبى الرهبان حتى هجر دنيا الناس والحياة ... وامتلأت حياته حبـــا
لأنطونيوس ودنياه ، ولازمه طيلة شهرين ، درس فيهما طرائق حياته وسلوكه ... ومنع نظره بالخشوع فى صلواته ... وتواضعه ... ورقة حديثـــه مع الآخرين ، ورأى الجموع تقدم على أنطونى من كل صرب تقتـــدى به وتتبرك ، فلما رضيت نفسه ، عاد فى صحبة عدد من الرهبان الى موطنـــه الاصلى فى فلسطين ، وتنازل عن جزء من أملاكه لاخوته ، ومنح الباقى لذوى الحاجة .

وبذلك انتقلت الرهبنة من مصر الى فلســطين وســوريا ثم الى آسيا الصغرى .

وللكنيسة القبطية كنائس واديرة تتبع الكرسى الاورشليمى ، على اسم القديس الانبا انطونيوس . فهناك دير الانبا أنطونيوس بيافا ، ومـــدارس باسم الانبا أنطونيوس — الكلية الانطونية بالقدس . ويلاحظ أن الدير الذى كان بيافا مساحته ٢٠ فدان سبق أن اشتراه الانبا باسيليوس الكبير ، وكانت مركزا للمطرانية .

٩ — دير أبى مقار يشكك فى كاتب ميمر القـديس أثناســيوس الذى كتبه عن الانبا أنطونيوس ، وقال أن ما كتبه هو أحد المؤرخين المجهـــولين ويعطى مؤشر التشكك كما سبق ونادى بهذا الرأى الكتبة الملحـدون حسب ما ذكرنا فى البند الرابع . فقد ذكر فى كتابه عن حياة القديس الانبا أثناسيوس ص ١٠٥ ، ١٠٧ وهامش ٤٧ بأن تاريخ القديس الانبا أنطونيوس ، لم يــكن كاتبه القديس أثناسيوس ، ولكن تركه أحد المؤرخين المجهولين ، الذى كتب تاريخ أثناسيوس ، بدقة واسهاب وترتيب وذلك فى نهاية القرن الرابـــع أى بعد نياحة القديس أثناسيوس بفترة وجيزة جدا ، وفى أيام البابا ثاوفيلس . وقال متى المسكين ، بأنه تعتبر هذه الوثيقة أهم وثيقة تاريخية فى تاريـــخ الكنيسة قاطبـــة » .

وبذلك ينكر متى المسكين ما كتبه القديس أثناسيوس عن حياة القديس الانبا أنطونيوس ، ويزعم أن كاتب هذا الميمر مجهول .

ويلاحظ أن هذا الرأى سبق أن ذكره ثيودوديت الاسقف النسطورى ، وتعد هذه الآراء حربا ضد أقطاب رهبان مصر الاقباط ، وكانت هذه الكتابات معاصرة وقت أن استبدل الرهبان الاقباط بأديرة مصر بغيرهم من الرهبـــان اليونانيين ، والذين كانوا يؤمنون بالهرطقات الاوطاخية .

الفصل الثـانى

تاريخ حياة القديس العظيم

الانبا انطونيوس

بقلم القديس أثناسيوس الرسولى

ميمر عن حياة أبينا الطاهر أنطونيوس ، للقديس أثناسيوس الرسولى بطريرك الاسكندرية كتبها اجابة لطلب الرهبان المقيمين بالجهات الاجنبية .

أيها الاخوة الغرباء أن اهتمامكم العجيب وغيرتكم المحبـوبة بشأن الاخوة الرهبان المقيمين فى مصر ، قد بعثا فى الامل ، لأن مداومـة تأملكم للروايات الآتية ، ستجذب عقولكم الى طريق الفضيلة ، فلا تلهجون فقـط بالانتصارات التالية وما شاكلها ، بل تكونون فى أشكالكم مبشرين بمثـال هذه السيرة والاعمال ، وغيرتكم هذه حسنة ، مقبولة للغـاية ، وقد صرتم بذلك رسلا للارادة العلية . اذ يحسن أن لا تحتجب هذه الصورة عن مرآة سلوككم ، وأن تدركوا فى الحال ، حيل العدو والاشـكال التى يتهيأ بها . وحقيقة أمرها ، وكيف أنها تنتضى على سلاح الراهب .

وقد سمحت العناية الالهية فى الوقت الراهن أن الاديرة التى شيدهـا انطونيوس قد امتلأت من الرهبان الذين قضوا حياتهم فى التراتيل ودراسـة الانجيل والصوم والصلاة والتأمل ، محافظين على اتحـاد الروح برباط السلام .

وانتشـرت كذلك فى أنحـاء العـالم الاديرة ، التى ازدهرت كأزهار الربيع ، وعطرت الارجاء . ورفعت أعلام النساك والمتوحدين من مشـارق الارض الى مغاربها . ويجمل بنا أن نتهال بما بدأ منكم من الحصافة والفطنة . وأن نبقى خداما بحرارة محبتكم بالفرح والاهتمام . ومن يا ترى يهمل هذه الخدمة ، ولا يكون ملوما ، لا سيما أن الذين دعونى للكتابة انتصارات رجل بار مثل انطونيوس هم أنفسهم أبرار . نسأل مانح المواهب له المجد أن يفتح

لنا باب قلبنا ، وأن نجمع فى شباكنا جميع الروايات ، التى كلفتنا محبتـــكم بكتابتها . وذلك ليس فقط مراعاة لنا ، بل حسب طلبكم ، ولأفكاركم المشجعة لاتمام أعمالكم ، ومراعاة لأعمال الذى انتصر بأفعـــاله ، حتى لا تضـــيع انتصاراته بين أبنائه فى الرب ومن أجل اسمه ، لكى نعظم مجد الله ، فى هذه السيرة ، وتظهر عظم القوة التى يمنحها لخائفيه .

ولما كنتم قد طلبتم الى أن أكتب لكم حياة أنطونيوس الطوباوى . وأن نبعث اليكم بتاريخها كتابة ، مع رسول(١) ، لنبين كيف ابتدأ التلمذة : وكيف بدا نسكه قال ذلك ، وفى ختــام أيامــه . وهل ما قيل عنــه أو ســـمعناه حقيقى أم لا .

فتفرغت على الفور وبكل استعداد ، وقبلت تحقيق رغبتكم . وانى بكتابة تذكار المبارك أنطونيوس ، انا أستفيد فائدة عظمى ، فانى موقن أيها الاحباء بأننا نحصل على أمرين فى ذكر هذه القصة .

اذ نحى اسم رجل اشتهر بعمل الآيات والمعجـــزات ، ونبدأ نعلمكم تدريجيـــا ، لأن أعمـــال أنطونيوس المبارك هى مثال كامـــل الزهـــاد والمتوحدين .

أما من جهة الامور التى سمعتموها عنه قبلا ممن عاشوا معه وسمعوه ، ومن الملازمين له ، قد انتقلت اليهم أخباره بالتداول . فلا ترتابوا البتة ، حيث أنه لم يبلغكم سوى أمور قليلة ، بقدر ما دعته ذاكرتهم . وانى متيقن صحة ذلك ، وقد تأكدت منه أثناء جمع هذا التاريخ : ففى الوقت الذى فيه تصورت اننى قد احطت تماما بتاريخه ، ظهر لى أنه قد فاتتنى أشياء كثيرة ، فارتبك فكرى ، ولكننى بعد ذلك ، قد اقتصرت على تـكوين ما أمكننى أن أتذكره ، وأجمعه منها . أما من جهتكم ، فلا تكفوا عن السؤال والبحث عنه خصوصا ممن يأتون بطريق النهر من طيبه(٢) ، فى مصر الداخلية ، فقد يتفق أن تزداد معلوماتكم كثيرا ممن لا تتوقعون منهم خيرا ، لأن الذين يعرفون خيرا لا يتأخرون عن أن يرووه لكم . ومع اننا نظن ونثق اننا جمعنا الشيىء الكثير ، فاننا نجد

---

(١) اضطر أثناسيوس للتعجيل بتدوين سيرة الانبا أنطونيوس نظرا لأن موسم ابحار السفن قد قرب ، مما استدعى يبعث اليهم بهذا الميمر .

(٢) يقال أن طيبة أنشئت زمن أوزيرتازن المعاصر ليوسف الصـــديق
Si Nai And Palestine. The Bes. London, England.

لذى ابحث أننا قصرنا عن الواقع بمراحل ، وكثيرون من آمنوا جهارا بصحة الامور العجيبة التى صنعتها يداه ، قد أنتقلوا من هذا العالم . أما الباقون على قيد الحياة ، فكثيرون منهم قد نقلوا الحادثات التى دارت بينه وبينهم أو ذكروا الامور التى جرت فى حضوره ، فأى انسان يكتفى بأن يقص لرفاقه القليل اذا كان عنده الكثير(١) .

قال أثناسيوس . « وعندما تلقيت رسالتكم وقرأتها ، ورأيت ما فيها من القوة ، أردت أن أرسل فى طلب بعض النساك المنفردين ، الذين كانوا ملازمين له ، لعلى أتمكن ، باتحادى معكم أن أنفذ رغبتكم . ولكن لعدم ملاءمة الوقت التى تقلع فيه السفن بين مصر وطيبه ، ولما كان حامل الكتب قد أذن أوان سفره ، ويريد التعجيل بالعودة ، ولعلمى أننى كنت مع القديس أنطونيوس ، وعلى صلة دائمة به . فقد اهتممت به لأكتب لاشخاصكم المحبوبة ، وأخبركم بما قدرت شخصيا معرفته ، بشأن طلبكم ، أذ أنا سبق أن رأيت أنطونيوس مرارا ، ولازمته طويلا ، وقد استطعت أن أتعلم منه(٢) ، وانى أخبركم بأننى سكبت ماء على يديه . وتوخيت الصدق وبكل دقة ، فى ذكر حياة القديس أنطونيوس ، لئلا يسمع ما يكون زائدا فيشك

ولم يذكر كلمة « بوكالبا » الموجودة الآن « بالاسكندرية » كما ذكر فى الكتاب الذى أصدره دير الانبا أنطونيوس ص ١٠ — عن سيرة الانبا أنطونيوس .

(١) اتفق المؤرخون جميعهم مثل تيندرما ويتنز ، وثازيليف ، وهاردى وستانلى ، على أن حياة القديس الانبا أنطونيوس ، كان لها الاثر على وقوف العالم المسيحى جميعه ، منذ القرن الثالث الميلادى عن معرفة أسرار هذه الحياة النسكية ، وانتشار الرهبنة فى مصر وخارجها ، وقال هيلين وارل ، انه لم يحظ كتاب آخر ، بمثل ما حظيت به هذه القصة من الانتشار ، والاهتمام بها فى غرب أوروبا . وقال روبنسون ، ان هذه السيرة قد لعبت دورا هاما فى قبول وتطور نظام الرهبنة فى روما نفسها . وقد اتضح دور مصر الكبير فى تخرج العدد الكبير من الرهبان ، وشهرتهم ليس فى مصر وحدها بل فى انحاء الشرق وفى أوروبا ، طوال القرون الماضية للكنيسة الجامعة . وقدموا الكثير من أجل الفكر الانسانى .

ويلاحظ أن أديرة الانبا أنطونيوس أقيمت على أنقاض المعابد القديمة وخاصة الدير البحرى فى طيبة ، ولذا سمى القديس أنطونيوس من طيبة .

(٢) كان القديس أثناسيوس تلميذا للقديس الانبا أنطونيوس منذ ان رسم شماسا ، وبعد رجوعه من مجمع نيقية كان مقربا منه أكثر ، وبعد نياحة البابا الكسندروس ، رشح الانبا أنطونيوس تلميذه ليكون بطريركا لكنيسة الاسكندرية ، يرجع للجزء الاول من حياة القديس أثناسيوس — دائرة المعارف القبطية — أشراف ابراهيم صبرى معوض .

فيما سمعه(١) ، أو يزدرى به ، ويقلل من اهميته .

طفولة القديس

كان الانبا أنطونيوس الطوهاوى مصرى الجنس ، وكان والده من أسرة شريفة . وكانت على جانب عظيم من التقوى ، من قـــرية البهنسا ، « بنى مزار » . ووالدته تدعى « جيوش » من قرية الزيتون قبلى مصر ، « شمال بنى سويف » وكان والده يدعى يوحنا ، يمتلك ثروة كبيرة ، وكثير من الاغنام ، والابقار ، بما يساوى ، أربعين الف دينار . وكان والده يعطى نصف ما تنتجه مواشيه للمساكين والايتام .

واستمر والديه مدة من غير أن يرزقا ولدا ، فكانا يهتمان بشـــئون الكنيسة المقدسة ، ويحتفلان دائما بعيد رئيس الملائكة ميخائيل ، والثـــلاثة فتية القديسين فى كل عام . وكانا يحزنان اذا أبصرا الاطفال مـــع والديهم فى الكنائس أيام الاعياد . فيبكيان أمام أيقونة السيدة العذراء البتول بابتهال ، حتى أن الله سمع صلاتهما ، فأعطاهما الاله الغلام المبـــارك أنطونيوس ، ففرحا به ، وكان يوم ميلاده يوما عظيما .

وقد ولد(٢) القديس أنطونيوس فى عهد الملك داسيوس فى عام ٢٥١ م . فى مدينة كومان القريبة من هراقلية » .

---

(١) لا زال بعض الكتاب الاجانب ، ينسبون قصص الخيال فيما كتبه القديس أثناسيوس ، عن حياة القديس الانبا أنطونيوس ، ولهم عذرهم فى ذلك ، فانهم لم يتذوقوا ، روحانية الكنيسة القبطية الخالدة وقصص قديسيها ، وقد وقع أحد الناقلين منهم نفس الخطأ ، فقد ذكر رأفت عبد الحميد فى كتابه عن حياة الانبا أنطونيوس ص ٤٧ « بأن الكتاب الذى أصدره أثناسيوس عن الانبا أنطونيوس ، يضم فى ثناياه بعضا من الوقائع التاريخية الصادقة ، وأن الخيال قد داعب قلم الكاتب « أثناسيوس » فى كثير من الاحيان .
وقال كذلك أنه لا يخفى أن كتابا كان مؤلفا فى القـــرن الرابع لا بد أن يحوى أموراً غريبة عن أهل القرن العشرين . وهذا عكس ما ذكره رأفت عبد الحميد نفسه حينما قال « أن الاقباط عبر القرون الماضية ، وضعوا مشاعرهم وأحاسيسهم مع أجدادهم القديسين ، وتعلموا منهم أسرار عواطفهم المسيحية الوديعة .

(٢) ذكر فى شرح مجانى الادب لاحد الاباء اليسوعيين فى القسم الاول

ما هى مدينة كومان

مدينة كومان ، هى الملقبة الان بقمن العروس ، أو كيمان(٣) Kiman بالبهنسا مركز بنى مزار ، الواسطى حاليا وتتبع الزاوية بمديرية بنى سويف ، وهى قريبة من هيراقلية ، هيراقليس .

وذكر اميلينو ، بأن بعض النصوص القبطية ، ذكرت بأن القديس الانبا بيما كان من بلدة قمن العروس والذى سبق أن استشهد فى عهد سابستقيان(٤) . ودفن هذا القديس بنفس البلدة . ووجدت بهذه البلدة أكبر تجمع رهبانى لأبناء الانبا انطونيوس ، فبعد وفاته هجر الرهبان دير الانبا انطونيوس بالبحر الاحمر ، ونقلوا جسده الى مركز ولادته بقمن العروس ، وان كان بعض الرهبان الحاليين انكروا نقل الجسد الى قمن العروس وأنكروا انه لم يوجد للانبا انطونيوس دير آخر غير الدير الحالى .

ويقول المؤرخ لبيب حبشى انه ورد فى كتاب « « لسلبينس » عن رجل يدعى يستميان قد زار مصر حوالى سنة ٤٠٠ م . قال لقد زرت ديرى الانبا انطونيوس حيث يسكن تلاميذه فى الوقت الحاضر . وقد ذهبت أيضا الى ذلك المكان الذى كان يعيش فيه الانبا بولا اول المتوحدين ، ومن هناك رأيت البحر الاحمر وقمم جبال سيناء(٥) ، وعلل بأن أحد الديرين الذين نسبهما ذلك الرجل للانبا انطونيوس هو دير الميمون الذى لا زال قائما لليوم على ضفاف النيل ، أما الاخر فانه يقصد بلا شك الدير الذى على سفح جبل القلزم والذى نحن بصدده(٦) .

وذكرت الفهارس العالمية بأن دير الانبا انطونيوس بقمن العروس

من الجزء السابع ص ١٨١ أن انطونيوس ولد بكوما بمصر عام ٢٥٠ وتوفى فى عام ٣٠٦ . وذكر فى موسوعة هارم وارنس انه ولد عام ٢٥١ م . وقد ولد فى عهد داسيوس الملك .

(٣) لبيب حبشى ص ١١٩ — أى بلدة كوما .

(٤) أميلينو ص ٢١٦ ، ونشرت قصته دائرة المعارف القبطية مجموعة ١ ص ٣١ .

(٥) سنكسار ٢٢ طوبة .

(٦) Lunsiak. Vol.1. P.231 — 232.

ولبيب حبشى ص ٧١ .

كان يضم ١٥٠٠٠ راهب(٧) .

قال اثناسيوس . « وبعد ان كبر انطونيوس قليلا تربى بين والديه . ولم يعلم شيئا آخر سواهما ، أو عما كان جاريا بين أمته . وكان كثير الصمت ، والاتضاع حتى أنه لم يتعب والديه ، بتوجيه الاسئلة اليهما . وقد بذل والديه فى تربيته وتدريبه من الصغر الكثير . وخاصة حفظ الوصايا الالهية والشرائع المسيحية .

ولما بلغ ثلاث سنوات ، بدا يذهب الى الكنيسة المقدسة سائرا على رجليه ، وكان يسير اليها فى طريق مستقيم ، ولا يلعب مع الصبية ، ولما اكمل خمس سنوات بدا يعظ غيره من الاطفال ، فيلهيهم عن اللعب فى الكنيسة ، ويفسر لهم الانجيل المقدس ، ولما رآه الشعب يفعل ذلك تعجب منه جدا ، وجاء اليه راعى الكنيسة ، ووضع يده على راسه ، وقال سيكون هذا الطفل عظيما فى ملكوت السموات .

وكان انطونيوس على جانب عظيم من الحشمة والادب والامانة ، وكان يجهل القراءة والكتابة(٨) ، لانه لم يحتمل خشونة التلاميذ بالمدرسة . وكان كل قصده ، ومنتهى أمله أن يكون كما كتب عن يعقوب ، انسانا كاملا يسكن الخيام تك ٢٥/٢٧(٩) ومع أن الطفل انطونيوس كان متعلقا بوالديه ،

---

(7) Harmwarths Universal Encyclopedia, P. 456, 4556.

وقال لبيب حبشى أن دير الميمون عرف منذ أنشائه بدير أنطونيوس . لبيب حبشى ص ٧١ .

(٨) ربما يكون الجهل بقراءة وكتابة اللغة اليونانية .

(٩) الحياة النسكية فى الكتاب المقدس ، كانت موجودة قبل السيد المسيح متمثلة فى حياة ايليا واليشع تلميذه ويوحنا المعمدان .

وجميع الاساقفة النساك الذين رسمتهم الكنيسة على أبروشياتها أثروا بلادهم بمبادىء المسيحية السامية مثل القديس فرومنتيوس فى الحبشة والانبا اسطفانوس الاسقف القبطى على أبروشية الهند الكبرى ومن أبنائه القديس الانبا موسى اليمنى أسقف الخيام .

وحينما سار أحمد بن ماجد ربان سفينة فاسكودى جاما فى القرن الخامس عشر وجد جميع السواحل الشرقية لافريقيا تدين بالمسيحية ويحمل

الا أنه عند ذهابه للكنيسة ، كان يركض أمامهما من فرض محبته للكنيسة ولم يكن أنطونيوس كالاولاد العاديين الذين يمزجون حضورهم فى الكنيسة لطلب الاشياء الفاخرة . ولم يمهل موعدا من مواعيد الصلاة ، ولم يغفلها فى صباه ، أو يستخف بها عند اشتداد ساعده(١٠) .

ولما صار فتى يميز بين الخير والشر لم يكن ذهابه الى الكنيسة لمجرد عادة بسيطة بل كان مدفوعا اليها بعامل الادراك والتميز ولم ينتظر نصيحة اقاربه أو والديه . وكان قدوة لهم فى نظام معيشته وأعماله . وقد علموا ما شاهدوه فيه فى سن الطفولة وأنه لم يعش بينهم كولد بسيط ، بل كان يكرمهم كرجل كبير . لذلك اعتبروه ربا للبيت ، لانهم قد اقتنعوا باستقامته منذ طفولته .

مقابلة الطفل انطونيوس بالبابا

الانبا ثاؤونا

شاع خبر الطفل انطونيوس حتى وصل الى مسامع الآب القديس البابا ثاؤونا البطريرك(١١) ، فأرسل وأحضره اليه وكان عمره فى ذلك الوقت ست سنوات ، وعند ما رآه الآب البطريرك ، اعجب بقامته وبحسن صورته ، ثم تكلم معه فوجده اعظم مما سمع عنه من أخبار ، ودهش من حسن نطقه وعذوبة الفاظه ، وأدبه وعقله وقال للاساقفة والكهنة الحاضرين عندئذ ،

شعبها الصليب ويعيدون عيد الملاك ميخائيل الذى كان يقع بعد عيد النيروز بحوالى ٨٠ يوم تقريبا .

(١٠) آثر القديس انطونيوس أن يتحد بالله على أن يكون عالما فيلسوفا . قال عنه القديس أغسطينوس « أن أنطونيوس الراهب المصرى ، الذى كان رجلا قديسا كاملا ، تعلم عن ظهر قلب كل الكتب المقدسة بمجرد سماعها عن الاخرين ليقرأوها » .

وقال البعض الاخر أن القديس أنطونيوس لم يتعلم اللغة اليونانية ، ولكنه كان متمكنا من اللغة القبطية لغة الكنيسة والقداس .

(١١) القديس الانبا ثاؤونا سيم بطريركا عام ٢٨٢ م ومكث على كرسى البطريركية ١٩ عام وشهر وقد عاصر من الملوك كاروس ونيومريانوس ودقلديانوس .

ماذا تقولون عن هذا الطفل ؟ فرد الاساقفة الحاضرين ، يا ابانا ليكن هذا القول من فمك المقدس مقبولا فى السماء . فباركه البابا وقال ، تكون يا أنطونيوس مباركا الى الابد ، واسمك يتعالى بين شعوب الارض ، وتسبق البطاركة فى قداستك ، فباركنى يا أنطونيوس لأننى منذ رأيتك تقويت وأدركتنى نعمة عظيمة ، فقبل الصبى يدالبطريرك ورجله ، واقام معه ثلاثة شهور ، ثم انصرف من عنده بسلام من الرب .

وفى السنة الثامنة من عمره ولدت أمه ، أخت له ، وسميت باسم دايوس ، ولما أكمل سن الثانية عشرة أتم دروسه . وتعلم تفسير الكتب المقدسة .

ثم تنيح والده(١٢) حيث كان قد بلغ الثامنة عشرة(١٣) ، فتركا له أخته الصغيرة ، فأصبح من الضرورى أن يكون راعيا لاخته وعائلا لها .

وقبل أن تمضى ست أشهر على انتقال والديه ، أتفق ان كان فى ذات يوم بالكنيسة كعادته ، طرأ له فكر صالح ، فأخذ يتأمل فى نفسه ، كيف أن الرسل ، تركوا كل شىء وتبعوا فادينا . وكيف أن خلفاءهم الذين اقتفوا أثرهم ، باعوا كل ممتلكاتهم ، ووضعوا المال تحت أرجل الرسل لينفق على الفقراء ، وكم كانت سعادة الذين أطاعوا صوت فادينا بهذه الكنيسة ، وبينما هو فى هذا التفكير لهذه الامور وما شاكلها قرأت الفصول وبعد الفراغ منها قرىء الانجيل المقدس المعين لذلك اليوم ، فسمع كلام الله الذى قال للغنى ، ان أردت أن تكون كاملا ، فاذهب بع كل أملاكك واعط للفقراء ، واحمل صليبك ، تعالى أتبعنى ، فيكون لك كنز فى السماء » (مت ١٩ : ٢١) .

---

(١٢) ذكر فى بستان الرهبان بأن القديس الانبا انطونيوس لما توفى والده ، دخل اليه وتأمله ، وفكر كثيرا ، وقال تبارك اسم الاله ، أليست هذه الجثة كاملة ، ولم يتغير منها شيئا البتة ، ألا هذا النفس الضعيف ، فأين هى همتك وعزيمتك وأمرك وسطوتك العظيمة وجمعك المال . أرى أن الجميع قد بطل وتركته ، فيالهذه الحسرة العظيمة والخسارة الجسيمة . ثم نظر الى والده وقال ، ان كنت أنت قد خرجت بغير اختيارك ، فلا عجب من ذلك . بل انى أتعجب من نفسى أن عملت عملك . وقال أنى أخرج من الدنيا طائعا ولا تخرجونى مثل أبى كارها .

(١٣) لم يكن انطونيوس فى سن العشرين كما ذكر فى كتاب حياة اثناسيوس لدير أبى مقار يرجع لصفحة ٩ .

فأعتقد القديس الانبا انطونيوس أن كلمة الانجيل موجهة اليه ، وأن هذه القراءة لم تقع عفوا . بل لكى يتثبت ما فى فكره الصالح الذى خالجه . مخرج من الكنيسة فى الحال . وذهب ورتب أمر بيته وأملاكه التى ورثها عن والديه وكان له ثلاثمائة فدان ، وهى أرض واسعة تأتى بمحصول كبير فسلمها كلها الى أهل بلده ، ثم حصل له هو وأخته على الراحة النفسية والسلام الروحانى . ولكنه بعد ذلك باع بقية أملاكه الاخرى ومنزله ، وجمع مالا طائلا ، ووزعه على الفقراء ، وحفظ قليلا منه يكفى سد حاجة شقيقته .

وفى اول الاحد الثانى ، عندما دخل الى الكنيسة ، وسمع تلاوة الانجيل ، وقرىء كلام السيد المسيح لتلاميذه ، لا تهتموا للغد . ففى الحال تقبل هذا القول بفرح وخرج من الكنيسة ، ووزع على الفقراء ما كان قد تبقى لحاجة اخته ، وكلمها بكلام المحبة والصدق وخوف الله . وبعد ان اقتنعت بأفكاره وسلمها لبعض الراهبات الطاهرات ، اللاتى وجدن فى ذلك الوقت . وعند فراغه من هذه الامور صار راهبا ناسكا ، ولم يهتم الا بروحه ، وأخذ يمارس عادات الصوم وانكار الذات . وكان يسكن منفردا بمنزل بجوار القرية اذ لم يوجد بمصر فى ذلك الوقت اديرة للنساك ولم يوجد بين الرهبان من يعرف الصحراء الداخلية . بل كان كل من يهتم بالروح ، كان يبحث عن مسكن من هذا النوع .

فذهب أنطونيوس الى طرف القرية (الميمون)(١٤) مسافة تكفى لانعزاله عن مساكن الناس .

---

(١٤) ينكر بعض رهبان دير الانبا انطونيوس بوجود دير آخر باسم هذا القديس غير ديرهم علما بأنه كان يوجد دير بالميمون باسم القديس الانبا أنطونيوس ، الذى نقل اليه جسده وكان يضم ١٥٠٠٠ راهب . والدير الموجود الحالى لا يمكن أن يستوعب هذا العدد . وكان يوجد بهذا الدير كنيسة باسم القديس أبى سيفين وكان يعرف باسم دير الجميزة أو الدير التحتانى .

وكان يوجد دير كبير فى قبرص للقديس العظيم الانبا أنطونيوس ابو الرهبان ، كتب بهذا الدير أحد المخطوطات عام ١٦٤٦ م بقلم الشيخ المكين المعلم نسيم بن آلمتنيح أنطونيوس الغمراوى ، كتب بجزيرة قبرص المحروسة ، وهى موجودة بالمتحف القبطى على عهد آلمطران القبطى الانبا ميخائيل ومنها رسالة من البابا القبطى يوحنا المصرى ٦٤ . وكان لنا هناك دير مكاريوس — كتاب مارمرقص للمؤلف ص — ٣٣٢ .

الفصل الثـــالث

رهبنـــة القديس أنطونيوس

والتجارب التي واجهته

كان يوجد بجوار قرية الميمون قرية اخرى فى ذلك الحين بها شـــيخ مبارك عاش منذ حداثته عيشة نسكية ، فحينما رآه القـــديس الانبـــا أنطونيوس أراد أن يقتدى به ، فى الاعمال الحسنة ، فبدأ أولا بالسكنى بجوار القرية ، فى الاماكن الخالية من الناس . وفى أثناء اقامته بهذا السكن ، ساورته الظنون والاوهام من جهة الاعمال الحسنة فى معيشة النسك .

ومع ذلك لم يسترح له بال فكان مداوما فى التأمل ، ويذكر فى نفســـه قائلا كيف كان يعيش الابرار من قديم الزمان . وبأى نـــوع من أنـــواع الانتصارات ، كانوا يرضون الله ؟ ومن كان يجعلنى مستحقا أن أحصـــل ولو على نظرة منهم ؟ . وكانت تأمله الناشىء عن محبته للابرار فأخذ يسأل عن حالة الابرار وعمن يخبره عنهم . وبينما هو على هذه الحالة ، واهتمامه بهذا الشيخ ، لم يعد الى مكانه الا بعد أن أدى الاحترام لرجل الله .

وكان الانبا أنطونيوس كالنحلة الحكيمة التى تحوم وتحط على النباتات المتنوعة المملوءة عسلا لتملأ خليتها به لذاك حصل على القـــوة اللازمـــة لمنهجه العجيب ، تلك كانت حالته فى رواية نسكه ، فضبط حالته النفســـية حتى لا يستحوذ عليه قلق من جهة أسرته أو يتقيد بمحبة أقربائه ، أو لـــكى يرتبط بأمور هذه الحياة الحاضرة ، اذلك خلص نفسه ليكون قربانا نقيـــا لله . وكان يشتغل بيديه لانه سمع ما قيل « ان كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا . وكان يقتات بعمل يديه ، وينفق باقى احتياجاته الضرورية على الفقراء ، وكان يولى الصلاة حسب قول الانجيل ، صلوا بلا انقطاع » . وكانت عادته أن يسمع قرائه الكتاب المقدس ، بحيث لا تسقط كلمة واحـــدة منه على الارض فخبأ منذ ذلك الحين فى قلبـــه الوصـــايا التى كان يسمعها فى الكنيسة .

وبهذه الطريقة كان القديس الانبا انطونيوس يظهر محبته للروح كما هو مكتوب ، وكان يتقدم فى النعمة عند الله والناس ، وعند زيارته للابرار من الشيوخ كان يصغى ويخضع لهم من كل نفسه فى كل أمر ، وكانوا يحبونه الى حد انه أبطأ فى زيارتهم يرسلون فى طلبه باهتمام عظيم ، ولاحظوا كيف أنه كان موضع الرحمة العظيمة والمحبة الكثيرة للاعمال الروحية ، وقد رأى كهنة الكنيسة أنه تهيىء لنيل الجزاء بادخاره هذه الكنوز للسماء فتولى تعليمه كثيرين ، كل واحد منهم حسب قدرته . ورأوا أنه سيكمل الطريق ليكون آنية مختارة ، لانه اتخذ لنفسه طريق الحياة المجيدة بين الابرار ، ولا شك أن الفرح الحقيقى يقترن به الرحمة وأن لا رحمة بلا محبة لأنها اساس جميع الوصايا .

ومن ذا الذى يظن نفسه رحيما ، ولا يفتتن بهذا الظن ، ولا يقع فى شرك الغضب والغيرة والنميمة .

وكان القديس الانبا انطونيوس ، يعكف على الصوم والصلاة وأعمال الزهد ، والاحتمال والصبر وطول الاناة والمحبة والبر الذى هو أصل الفضائل . ولكنه لم تحدث بينه وبين الرهبان الجدد أمثاله أى غيرة آلا فى أمر واحد ، وهو رغبته فى أن يكون متقدما عنهم فى الاعمال الحسنة .

وكان يجتهد بكل الطرق الميسورة بأن لا يسيىء الى الشرير بل كان على عكس ذلك يريد أن الذين ارتبطوا معه ينجذبون الى آرائه ، بواسطة اهتمامه بأمرهم ، ورحمته وكرمه ، يتقدمون كل واحد فى سيرته ، وكان اضطهاده فى هذا الامر ، جعلهم لم يحسدوه عنها بل سروا منه ، وقدموا الشكر لله ، وبسبب انتصاراته سماه الجميع ثيؤفيلس ، الذى معناه المحب لله ، والبعض كان يحبه كأخ والبعض الاخر كابن .

ولما رأى العدو ، مبغض الفضائل ، ومحب الرذائل ، كل هذا الكمال العظيم لهذا الشاب الغيور لم يستطع احتماله ، فاغتاظ ضد عبيده كعادته ، وأخذ يعمل ضده . ففى بدء تجربته للقديس تزلف اليه بالتملق والمداهنة ، وأوجد فى نفسه القلق من جهة أملاكه ومحبته للمال ، والعناية بشقيقته وأسرته وأقربائه ، وحب المجد ، وسائر الحياة العائلية والعالمية ، وأخيرا ما يتطلبه الجهاد من عناء وصعوبة للوصول الى الفضيلة . وضعف جسمه مع توالى الزمن ، وبالاختصار أهاج فكره لاغرائه بهذه الامور ، محاولا أن يثنيه عن عزمه الثابت(١) ، ولما رأى العدو نفسه ضعيفا أمام عزم أنطونيوس ، وغلب

---

(١) هناك بعض النساك تعرضوا لازمات عنيفة ، فعاد بعضهم

على أمره بسبب ايمانه العظيم ، زاد فى تجربته للقديس الانبا أنطونيوس ، كلما زادت جرأة القديس فى حماية نفسه بسلاح البر والصلاح . فهاجمه عن طريق حرارة الشباب المرتبطة بطبيعة البشر ، فأخذ يعاكسه ويشاكسه نهارا وليلا بنفس الشهوات لدرجة أن الذين رآوه ادركوا من هيئته أنه يحارب العدو الذى كان يدخل عليه الافكار الدنسة الخلابة . وكلما التجأ الى تقديم الصلوات والتضرعات وقد قاومها كلها محافظا على عفته وكماله ، وقد حاربه الشرير بكل عمل مشين . فتجلى للقديس فى صورة امرأة فى احدى الليالى ، وقلد كل حركاتها لاغواء أنطونيوس ، وصنع معه أشياء أخرى كهذه لأنها موضع أفتخاره وتباهيه ، ولكن القديس أنطونيوس جثا على ركبتيه وصلى لالهه قائلا ، قبلما تدعونى أنا أجيب(٢) .

وقال يا ربى التمس منك أن لا تمحو محبتك عن فكرى . وها أنا ذا بنعمتك برىء أمامك . وأهاج العدو فيه الافكار الشهوانية ، الى أن صار القديس كشخص يحترق بواسطة شهواته ، لا بواسطة الشرير ، حينئذ احتمى بفكرة الدينونة ، وعذاب جهنم ، والدود الذى لا يموت وأخذ يفكر فى الطرق التى يمكنه من الانتصار على الشيطان ، فصلى الى الله لكى يعينه ، على أى افكار يحاربه بها عدو الخير ، ولما عجز الشيطان ، هزأ به الشاب لأن الذى هزمه شخص لابس الجسد .

وفى جميع هذه الامور كان السيد يسوع المسيح الذى تجسد من أجلنا ، معينا له ، فقواه ليكون درعا ضد الشرير وبواسطة رحمته من أجلنا بفضل آلامه ، وقد علمنا ما يليق أن نفتخر به ، لانه عندما كان بعضهم يريد ذكر هذه الانتصارات التى صنعت لاجله ، فكان القديس يقول لست أنا الذى صنعت بل نعمته التى معى(٣) .

للعيش فى المدينة بعد أن قضوا فى جوف الصحراء فترات ، ومن هؤلاء فالنس الفلسطينا ، وبطليموس المصرى .

(٢) أشعيا ٦٥/٢٤ .

(٣) كورنثوس الاولى ص ١٥ — ١٠ .

ظهر الشيطان على هيئـــة

غـــلام هندى

عندما رأى العدو انه انهزم ، فى هذه الحرب ، وأن حيلته فشلت بصلاة البار أنطونيوس ، فأصر الشيطان على أسنانه ، وصرخ قائلا أنه سيكشف للبار عن طبيعته الداخلية عله يجـد فرصـته لتنفيذ ارادته عن طريـــق الارهاب ، فظهر للقديس فى صورة غلام هندى اسود وأخذ يقول له ، مـن الذى تراه ، اننى أتيت وها أنا ذا واقف وسأتغلب عليك وسأسقطك كمـا اسقطت كثيرين ، وبينما كان يلفظ هذه الكلمات ، كان أنطونيوس الطوباوى يرشم علامة الصليب واضطرب ، ولما رأى أنطونيوس المبارك أنه اضطرب ، أخذ يسأله قائلا ، من أنت ؟ . وبصوت من هذه الكلمات التى سمعتها ؟ .

فقال العدو ، وكرجل متعظم ، أنا محب للخطيئة والزنى ، أنا الذى القيت عليك هذه الافكار الشريرة ، أنا الذى آليت على نفسى أن أضـــل كثيرين ، وأحارب جميع الناس . أنا عدو الصلاح ودعانى هوشـــع بروح الزنى ، لان جميع الذين زاغوا ، قد ضلوا بواسطتى ، وقد أوقعت بك الاذى مرارا عديدة ، وازدريت بك فى كل أمر .

فشكر أنطونيوس الرب وحصل على تشجيع عظيم وقال أيها العـــدو ، أى سلطان عندك حتى تقاوم قوة الصليب(٤) .

لقد أحسنت بظهورك فى صورة هندى لانك اسود فى طبيعتك ، وضعيف جدا كغلام أذله العقاب . وانى أرتعد من مكايدك لان الرب يعضـــدنى ، وسأنتصر على أعدائى ، فلما سمع الشخص الاسود هـــذا الكلام ، اختفت صورته من أمام القديس ، وكانت هذه أول حرب أقامها أنطونيوس على عدوه ، بمعونة من فادينا المخلص .

---

(٤) قال الانبا أنطونيوس مرة لاولاده ، الذى لم تأت عليه التجـــارب لن يستطيع أن يدخل ملكوت السموات ، وقـــال اذا رفعت التجـــارب لن يخلص أحد .

ومع أن القديس أنطونيوس ، رأى العدو منهزما مقهـــورا ، فانه لم يهمل صلواته ، أو يقصر فى واجباته ، لانه كان متيقنا أنه يحـارب خـداعا لا يفتر ، ولو انه قهر مؤقتا . وكلما سنحت الفرصة بظهور اهمال وتقصير يبدو منه ، يقوم على غرة ويهزم من انتصر عليه مرارا ، لان القديس كان يعلم ان شـــرور العدو لا نهاية لها ، وأنه يجول كأســـد زائر ، ملتمسـا أن يبتلعه ، وكان يعرف أن حبائل العدو كثيرة ، لذلك كان يجاهد بشدة فى خوف الله ، واضعا غايته ونصب عينيه أن ينتصر على عدوه .

وجال بفكره أنه مع أن العدو ، لم يتمكن من جذبه الى شباكه بالشهوات المتنوعة غير أن لديه وسائط أخرى ، اعتاد أن يوقع بها بشريتنا فى الخطيئة لأنها تحن دائما بطبيعتها الى الاثم فيحسن للانسان فى وقت انتصاره عند ما يميل فكره ، فيسرع لكى يذل جسده ، ويجعله خاضعا لارادة الحرية والبـــر . حتى اذا تصورنا اننا انتصرنا على نوع من الخطية ، لا نجد أنفسنا متهورين فى نوع آخر ، وكان القديس يحتفظ بهذه الافكار دائما ، وكان فى كل يـــوم يزيد على أعماله السابقة أتعابا جديدة فى الزهد والنســك . وكان كثيـرون يتعجبون من عظم صبره وجلده ، وطول أناته فى أحزانه ، لأن حرية نفسه وفكره أحدثت فيه تجديدا ، لطول المدة التى تمر فيها ، فصار شخصا آخر ، وكان يتخذ كل مثال صغير من الاخرين ، قاعدة له يهذبه فى شخصه فيتجلى فى أبهى حلة ، حتى خيل للناظرين أنه تغير بهذه الصفة دون سواه ، فقد كان ماهرا فى كل ما يتعلق بخوف الله ، وكلما رأى أن الناس لا يمارسون عمـلا من الاعمال السمائية ، نحو البر لقيمته الذاتية ، كان يتخذه لنفسه ويهذبه فى شخصه عظم بهائه .

معيشـــة القديس أنطونيوس

الرهبـــانية

كان القديس انطونيوس يسهر بقدر استطاعته ، لا ينام معظم أيامـه حتى مطلع الفجر . وكان معتادا أن يأكل فى المساء ولكنه كان فى بعـــض الاوقات ينقطع عن الطعام ثلاثة أو أربعة أيام بل أسبوعا كاملا ، وكان غذائه الخبز والملح وشرابه الماء ، أما الخمر واللحم وسائر الاطعمة اللذيذة فكان يعدها من الكماليات ، التى لا يجب على الرهبان تعاطيها ، وكان ينـام على حصير من الخوص ولكنه استمر مدة طويلة يتخذ الارض فراشا له ، وفوق

ذلك كله كان يمنع أن يمسح جسده بالزيت ، لأنه كان يعتبر أن ذلك ينعم جسده ويجعل أعضائه رقيقة ، ولذلك كان يطلب من الشبان أن يسكبوا على أنفسهم زيت الغيرة من أرواحهم ، وكان أيضا يفكر فى قول الرسول لأنى أنا حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى ، لان قوة النفس تكون سليمة عند الاقلال من ملذات الجسد ، وكان يقول فى نفسه من الصواب أن يعرف الراهب أن من واجباته أن يكون فى تصرفاته وأعماله غريبا عن العالم ، وشريكا للرقباء السماويين .

انتقال القديس انطونيوس

للمعيشة فى قبر

صمم القديس أنطونيوس بأن يخرج من القرية ، فانطلق وسكن قريبة من الجبل فى قبر مهجور . وأمر أحد معارفه بأن يحضر له خبزا بين وقت وآخر . فدخل القبر وأغلق صديقه الباب عليه ، فلم يحتمل عدو الخير هذا ، فانقض عليه فى الحال مع جماعة الشياطين شركائه ، اذ خشى أن يخرج من القرية بالمرة ، وأخذ يقول له ، ما أثقل حملك ، والى أى حد تطرح بنفسك الى هذا المكان ، لقد أتيت ودخلت مسكننا . من من الناس فعل ذلك ؟ ..

واين سمع احد أنه يجب على الناس السكنى فى القبور ؟ . وقد طردنا من القرية ، وسنطرد أيضا من بين المقابر ، فسوف ننتقم منك ، لأنك أنت الذى استهزأت بنا ، وأخذوا يضربونه بشدة حتى سقط ، ولم يبق فيه غير النفس .

وقال القديس ان ضربات الشياطين أشد من ضربات البشر ، غير أن الله أرسل له المعونة ، ولم يسلمه للموت ، اذ أوصى الى الشخص الذى اعتاد زيارته أن يأتى سريعا ويفتح القبر كعادته فرأى أنطونيوس كأنه فى عداد الاموات بسبب الضرب . فأقامه وأحضره الى الكنيسة الموجودة بالقرية ، وجمع حوله أناسا كثيرين ، فاجتمعوا وجلسوا كمن يجلسون حول ميت . فانتعش أنطونيوس من راحة النوم اللذيذة ، وزالت أكداره ، وعاد الى صوابه ، والتفت فرأى جميع الناس نيام ، ولم يكن مستيقظا سوى صديقه الذى كان جالسا يراقبه بجانب وسادته ، فأومأ اليه فاقترب نحوه ،

فقال له القديس بهدوء تعالى اصنع برا ئلا يظن الناس فى قلوبهم أن الشرير لا زال قويا ، فيخافوا أن يرفعوا عقبهم عليه .

فصغى اليه القديس أنطونيوس ، فبينما كان الناس نيام هادئين ، رفعه وحمله الى القبر ، وأغلق الباب كالعادة ، فصلى القديس ، وهو راقد لانه لم يقو على الوقوف . وبعد أن ضاعفت صلواته قال بصوت عال . أين أنتم يا أولاد الجحيم ، ها أنا أنطونيوس ، سوف لا أنتقل من هـــذا المكان حتى تهلكوا فى هذا المكان . وأننى لا ابتعد عن محبة المسيح ، ولو ضـــاعفتم العذابات . ثم قال بصوت عال . ان نزل على جيش لا يخاف قلبى .

هذا هو الكلام الذى أعلنه هذا الشجاع فى جهاده كأن قلب العدو قد ذاب . وصرخ الشيطان فى الكلاب أقربائه وتكلم ، وكان يخرج منـــه دخان . فكلمهم الشيطان عن أنطونيوس قائلا ، هل تقولوا لى ، ماذا نفعل بهـــذا الرجل السفيه الذى ازدرى بنا بالكلية . ان قلبه لا يخشى الأرهاب ، وسمعه لا ينزعج من الـــكلام وعينه لا ترتعد من الخيالات ، وجســـده لا يخـــاف الضربات .

فابتكر العدو طريقة جديدة ، وهى انه من السهل أن يبتدع ظهـــور خيالات ، وكأنها الحقيقة . فأتى بأشباح من هذا النوع ، أحدثت لزلزالا وهميا ، ومزقت أركان البيت الاربعة ، ودخلته وهى مجتمعة من كل جانب . فمنهـــا ما ظهر على شكل أسد ، ومنها ما ظهر على شكل ذئب أو نمر ، وباقيهـــا كانت على أشكال وصور للثعابين والافاعى والعقارب . فكان الاسد يزأر ، كما يفعل عند شروعه فى افتراس فريسته . وكان الثور متحفـــزا للنطح بقرونه . والنمر يقفز والثعابين والافاعى تصفر . وكانت هيئاتها مريعـــة ، ومع ذلك لم يضطرب القديس ، من كل حركتها . واستمرت أفكاره فى هدوء ، حتى حينما كانت تلقى بنفسها عليه . وضحك من هذه الاشباح وهو راقد ، وقال لهم ليس لكم قوة ، مع أنكم اتخذتم صور الحيوانات البرية ، ولو كان لكم اى سلطان للاذى لـــكفى أن يحضر واحـــد منكم . وانكم تديرون المكائد ، وتبتكرون الحبائل لعلكم تستطيعون أن ترهبوا الناس ، ومع ذلك فانه كل من اختبر ضعفكم بعلم أنكم لم تستعينوا الا بصور الحيوانات البرية . وكلمهم بشجاعة قلب فائقة قائلا ، اذا كنتم بالحقيقة نلتم سلطانا على ، فلا تتأخروا من فعله ، واقتربوا سريعا وافعلوا كل ما تشتهون ، أما اذا كان فى غيـــر استطاعتكم ، أن تصنعوا شيئا فلم لا تريحون أنفسكم عنا ؟ . فان ايماننا لربنا يسوع المسيح ، ختم وحجاب لنا . ولم يغفل ربنا أن يقوى أنطونيوس

الشجاع ، فظهر له بعد انتصاره . فرفع عينيه فرأى ستارة رفعت ونزل منه شعاع نور عينيه ، فتفرقت الشياطين فى الحـــال ، من الرعب ، وبرئت آلام جسد القديس ، وشعر بمعونة ربنا تدركه .

وبعد أن مرت برهة ، وأفاق نوعا من ضيقاته وشدائده وتمتع بالراحة ، بكرم والهام ربنا ، رفع صوته قائلا ياربى ، اننى أسجد لمعونتك ، أنت كنت معى قبل أن تحل بى هذه الآلام والشدائد . فجاءه فى الحال صوت يقول ، لقـــد كنت هنا بجانبك ، ولم أتركك البتة . بل بقيت لأرى جهادك ، وبمـــــا أنك انتصرت ، انتصاراً تاما ، ولم تيأس من الحزن بسبب شدائدك ، فســـأكون لك مرشداً ومعزيا ، وأجعلك مشهورا فى أنحاء العالم كخادم أمين ، فلمـــــا سمع هذا الكلام ، استولى السلام على جسمه ، واستراح من أحزانه . ثـــم قام رجثا وصلى ، وشـــــكر الله الذى زاره ، ورأى من ذلك الحين أنه قد ازداد قوة فى حياته الروحية . وكان وقتئذ فى نحو الخامسة والثلاثين عاما .

وصول القديس الانبا أنطونيوس

الى داخل الصـــحراء الشرقية

غادر القديس الانبا أنطونيوس القبر فى صباح اليوم التالى ، وذهب الى الراهب العجوز المتوحد ، الذى كان يسكن بجوار القرية ، وحاول أن يقنعه بأن يذهب معه الى الصحراء . ولكن الشيخ اعتذر أولا لشيخوخته ، وثانيا لعدم تعوده السكن فى الصحراء(٥) .

وفى الواقع لا يوجد بهذه الصحراء رهبان يتعبدون بها ، لكن أنطونيوس قام فى الحال ، وصلى مع الشيخ ، وطلب منه أن يصلى معه ، ليسهل الله له طريقه ، ويجعله سالما ، ثم خرج الى الصحراء .

---

(٥) قال البعض عند ذكره لقصة حياة القديس الانبـــــا أنطونيوس أن سبب تركه القرية ، وذهابه الى البرية الداخلية . أن القديس فى يوم من الايام ، رأى سيدة اعرابية نزلت مع جواريها الى النهر ، ورفعت ثيـــــابها هى وجواريها . فلما رأى القديس أنطونيوس ذلك ، حول نظره عنهن ولكنهن بدأن بالاستحمام ، فطلب منهن أن يستحين من ذلك الفعل أمام رجل متوحد . فقلن له ان هذا المكان لا يصلح لسكنى الرهبان .

فانطلق العدو وراءه ثانية ، فلما حل بالقديس انطونيوس العيـــاء والتعب ، بسبب بعد المكان اخذ عدو الخير فى محاربته ، فألقى العدو أمامــه لوحا كبيرا من الفضة .

ولكن القديس علم أن هذه الاشياء هى من حيل الشرير فأعلن أن مثل هذا الصنع لا يمكن أن يضله ، واذ نظر الى اللوح اجاب وقال ، لا شـــك أن الشرير يريد أن يؤذينى بهذا اللوح . فكيف وجد فى الصحراء ، وهى ليست طريقا مطروقة ، ولا يوجد بقربها أرض ماهولة ، ولا يقيم اللصوص بهـــذه الجهة . فهذا عمل شرير لا يسبب فى ضلال عقلى بهذه الامور التافهة . وقال هلكت انت وهو . فلما فرغ من كلامه احترق اللوح الفضى واختفى فى شكل دخان أمام نار كلام القديس .

غير أن الشرير عاد فأراه ذهبا حقيقيا ، فساور أنطونيــوس القلق ، وفكر وقال ، هذا اما نوع من صنع الشرير ، أو تجربة من الله له المجد ، الذى سبق أن حفظنى من غرور ابليس ، الذى قال أريه الذهب الحقيقى . . غير أن القديس لم يتقهقر من ذلك الحديث ، وقال ان الذهب دنسا ، وقـــال للشيطان اختر لنفسك نوعا آخر من صنعك ومن حبائلك ، لان الله أنقذنى من هذه الفخاخ ، ولم يخبرنا أنطونيوس ، من أين أتى ذلك الذهب ، وكيــف وصل الى هناك . ونحن بعد التأمل الدقيق وأمعان النظر ، لا يمكننا أن نقدم أى معلومات فى هذه المسألة سوى أنه كان ذهبا وفيرا ، لأن القديس تعجب من كثرته .

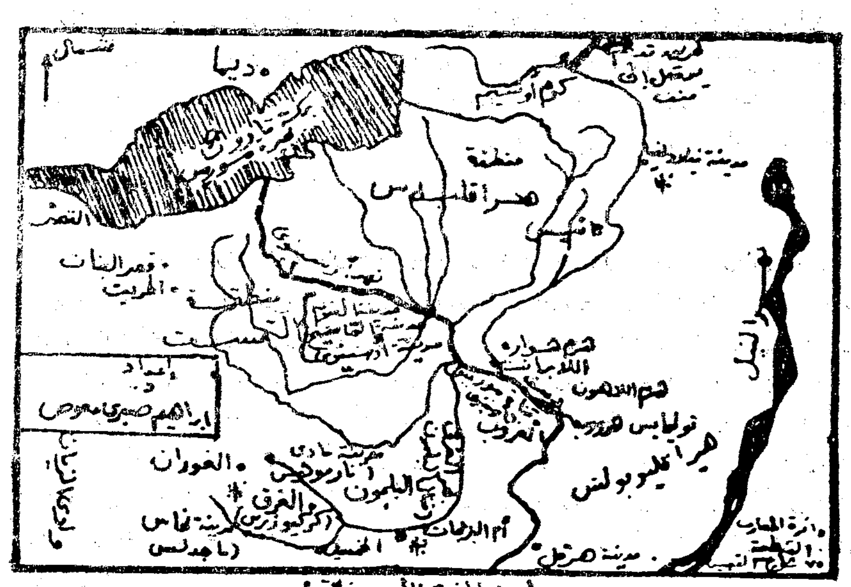
ولما رأى الشرير انه احتمى برشم الصليب ، وكان يصلى ولم ينتقل من مكانه تحول ، وانصرف بسرعة كلهيب نار ، ولم يلتفت ولم ينظر اليه ، وكان أنطونيوس مسلحا بنوع خاص لهذا الكفاح ، فحارب بشجاعة ، وعاود السير فى الطريق . ولما وصل الى عمق الصحراء ، صعد الى جبـــل به ثعابين ، ولكثرة ما وجده منها هناك ارتحل من ذلك المكان ، وجاء الى شاطىء النهــر وسكن فيه . وعند ما وطئت قدماه تلك البقعة افسحت له الثعابين المجـــال ، وعجلت بالفرار وولت الادبار لأنها عرفت من رائحته أنه ليس من أهل تلك الديار .

لذلك سكن القديس هناك منفردا ، وحبس نفسه وكان يخزن مقدارا من الخبز فى كل ستة أشهر ، اذ كانت عادة المصريين أن يصنعوا الخبـــز ما يكفى لمدة سنة .

---

(٦) هذا النوع من الخبز يضاف الى العجينة قليل من الحلبة المطحونة ،

أما الماء فكان ميسورا ، فذهب وسكن فى مكان يشبه شقا فى الصخور حتى لا يرى ولا يرى . وأقام هناك . عدة سنوات ، وكان فى سقف هـــذا المكان الذى يسكن فيه فتحة صغيرة يأخذ منها الخبز ثلاث مرات فى السنة . لأن الجبل الذى سكن فيه كان بعيدا عن الاماكن الاهلة بالسكان(٧) .



أديرة القديس الانبا أنطونيوس بأرسينوى

ثم « يلدن » ، فيستمر الخبز مدة كبيرة فى حالة طيبة .

(٧) يقصد لبيب حبشى بأن هذا يعد أول سكن رهبانى للقـــديس أنطونيوس ، وهذا المكان ما كان يقصده المؤرخون ، بأنه مكان دير الميمون ، والذى عرف بدير الانبا أنطونيوس لمدة طويلة ، وكان يضم ٠٠٠ر١٥ راهب . ولما رأى أنطونيوس تردد الناس عليه ، فتركه الى داخل الصحراء . ص ١٢٠ لبيب حبشى .

الفصل الرابـــع

أقوال وحكم القديس الانبا انطونيوس

وافتقاده لأبنائه الرهبان بالفيوم

وجميع الافراد الذين كانوا يأتون اليه ، كان يقلل من فترات استقبالهم . لذلك كانوا يسمعون ضجة كأنها صادرة من جمع كبيـــر كأنها اصوات رجال يصرخون صراخا عظيما ، وبعضها شبيه بالبكاء . والبعض الآخر اصـــوات غريبة ذات ضجيج عال . وفى وسط هذه كلها كان يسمع صـــــوت يقول ، ابعد عنا لم حضرت لبلادنا لتميتنا ؟ . ألم تسمع قط ما قاله ربك عنا ، وهو ان الارواح النجسة تسكن الصحراء والاماكن الخربة ، والاراضى الخاليـــة من الماء ؟ . أنك ستعرف من الآن فصاعدا ان هذا هو مسكننا فادخل واخــل لنا المكان كما كان .

فلما سمع الذين كانوا يمكثون خارجا ، والذين كانوا يمكثـــون يوما أو يومين ، وعندما كانوا يسمعون هذه الاقوال ظنوا أن أناسا دخلوا الى هناك من سقف البيت ، وانهم يتشاجرون معه ، ولكنهم لما التفتوا حـــول المنزل ، وجدوا فتحه صغيرة بالحائط ، ولما أطلوا منها ، نظروا القديس يقيم وحده ، فعلموا حينئذ ، ان هذه الاصوات هى اصوات الشـــياطين الذين كانـــــوا يحاربونه ، فاستولى عليهم الرعب الشديد واخذوا يصرخون للقديس . فكان هذا البار مستعدا للانصات لكلامهم والمحادثة معهم ، اكثـــــر من استعداده لسماع ضجيج الشياطين وكان يقترب من جانب الباب ويقول لهم اقتربوا الى ولا تخافوا ، وبعد ان كان يكلمهم بلطف ويملأ قلوبهم لبصرفهم بسلام وينصحهم قائلا . لا تخافوا من أصوات اشباح كهذه فانها عادة الشياطين فى سلوكهم نحو الذين يخشونهم بل أختموا انفسكم بختم الصليب ، وعودوا الى اوطانكم آمنين وسامحوا الذين يستهزئون بكم ، هكذا كان يصرفهم بسلام ، اما هـــو فتستمر الشياطين فى محاربته زمانا طويلا ، وكان مع ذلك فى غاية الشجاعة وكلما رأى انهزام اعدائه ، كلما زاد قوة ، فلما بلغ اصدقائه ومعارفه خبـــر

هذه الحروب ، ساروا اليه لأنهم ايقنوا أنهم سيجدوه ميتا . وعند وصولهم الى المكان الذى قصدوه أتوا الى جانب بيته . وأمالوا آذانهم عند الباب لعلمهم أنهم يسمعون صوتا بداخله ، فسمعوا صوتا كمن ينقر على العود يقول . « يقوم الله ، يتبدد أعداءه ، ويهرب مبغضوه من أمام وجهه ، كما يذرى الدخان ، تذريهم ، كما يذوب الشمع أمام النار ، يبيد الاشرار أمام الله . (مزمور ٦٨/٢) » . وقال كل الامم أحاطوا بى ، باسم الرب أبيدهم ، وعاش أنطونيوس فى هذا المكان عشرين عاما .

وحدث مع توالى الزمن أن بلغت شهرته جميع أماكن الرهبان الموجودين بمصر ، وجميع الشعب من غير النساك والزهاد ، وذوى المقامات ، وكانوا يفدون اليه أفواجا عديدة(١) ، وينقلون عن الانبا أنطونيوس طريقة نسكه وأعماله ، والبعض كان يزوره لكى يصلى لهم ليشفوا من أمراضهم .

وفى ذات يوم عندما وفد اليه عددا كبيرا من الناس ، وألحوا عليه لمقابلتهم ، لم يجيبهم بكلمة ، فوقعوا أمام الباب من عقبه ، وطرحوا أنفسهم على وجوههم أمامه . وتضرعوا اليه لمقابلتهم ، كما يقص كل واحد منهم طلبه ، فخرج اليهم كمن يخرج من أعماق الارض فرأوا وجهه كملاك نور ، وتعجبوا كيف أن جسمه وعقله لم يضعفا من العزلة ، بل على عكس ذلك ، كانت هيئته وقامته ووجهه باقية كما كانوا يعهدونها من قبل .

ولم يضطرب عندما رأى هذا الجمع الكبير ، وعندما قدموا اليه طلباتهم ، ولم يتحرك فيه الغضب بسرعة ، ولبث فى حالة الهدوء ، والتفكير لأن الكلمة الحية ، كانت ترشده ، وكان كثيرون من أتوا اليه مصابين باصابات شديدة ، فابراهم الله على يديه .

---

(١)وكانوا يأتون ايضا لزيارته من خارج مصر . فقد كتب جيروم قصة حياة الانبا بولا والانبا أنطونيوس ، وكتب فى نهاية القرن الرابع قصة حياة القديس هلاريون راهب غزة ، الذى هجر حياة الناس حينما علم قصة الانبا أنطونيوس حينما ذهب الى موطنه فلسطين ، تنازل عن أملاكه لاخوته ، وبواسطته دخلت الرهبنة فلسطين . وكان المرضى حينما يأتون يطلبون البركة منه فى فلسطين ، يصف لهم زيارتهم لمصر ، للمجىء الى الانبا أنطونيوس . وعندما يقابلهم الانبا أنطونيوس يقول لهم عندكم هيلاريون ، يستطيع أن يعطيكم ما تطلبونه ، فلماذا تتعبون فى سفركم ، وتأتون الى هنا . ويقال أن أثر طهارة أنطونيوس وصلت الى لبنان — فأسسوا باسمه رهبانية سميت باسم (محبسة مار أنطونيوس قزحيا) — وحدثت بهذا الدير معجزات كثيرة .

وفوق ذلك أعطاه الله نعمة فى كلامه حتى سر منه كل انسان ، فالحزانى المتضايقين تشجعوا بكلامه ، والمتنازعون سكن جأشهم ، والمكروبون ، اعتصموا بالصبر ، والمتعاظمون والمتكبرون اتضعوا حتى يتعلم كل واحد بتعاليم البر .

اذ كان يقول لا حاجة لنا أن نملك بغير المسيح ، وأن لا نهتم بغير محبته ، لا بأملاكنا ، ولا بأقربائنا ولا بأنفسنا ، لأنه اذ كان الله لم يبخل بابنه بل بذله بسبب خطايانا ، فكم بالحرى يجب علينا بعد أن ذقنا وأدركنا النعمة الالهية أن نقدم أرواحنا لاجله ، بل لاجل حياتنا .

وبهذا الكلام كان يحرص الكثيرين على اعتزال هذا العالم وشدائده والالتجاء الى أماكن الرهبان . وأخذ منذ ذلك العهد ينمو مع المسيح فى الاخلاص ، ومحبة الغريب وطول الاناة ، وهذه الصفات لا تلازمنا فقط ، بل تتقدمنا ، وتعد لنا مكانا فى أرض الميعاد . ولا يجب أن يخلو منها أحد ، خصوصا اذا عرف ارادة ربه ، وأنه ملزم بأن يجهد نفسه حسب مشيئته تعالى ، وهل يجسر الخادم أن يقف أمام وجه سيده . ويقول له بالامس تعبت ومع ذلك اليوم سوف لا أعمل شيئا . أو لم نسمع ما قيل ، اذا تعب خادم بشرف وأشتغل فى العمل الخارجى ، ينسج مكانا بيديه حال دخوله ، ويخدم لربه ، فتكون له السعادة .

واذا سمعنا هذه الامور من الكتب ، فلم نكون مجردين من خوف الله ؟ . الم يصر حزقيال النبى رقيبا لهذا السبب (حزقيال ص ٣ : ١٧) . والم يفقد لهذا السبب ، تعب جميع حياته بسبب ليلة واحدة ارتكب فيها الشر (متى ص ٢٦ : ٤٧) .

الذهاب للفيوم

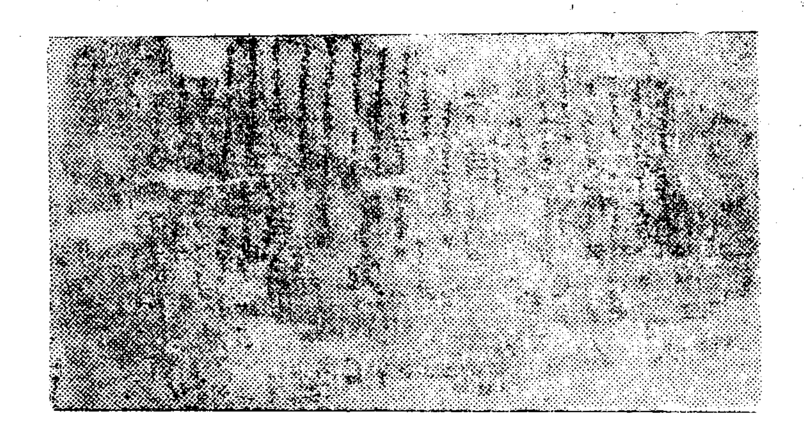
« واصطحب القديس الانبا أنطونيوس بعض الاخوة الرهبان للذهاب الى أديرة الفيوم ، ولما اضطر الى عبور ترعة أرسينا وكان الداعى الى هذا افتقاد الاخوة ، وكانت الترعة مملؤة بالتماسيح . وبمجرد الصلاة ، دخلها هو وكل من معه ، وجازا الترعة فى أمان ، ومكث فى صومعة وأخذ ينصح أبناءه لمقاومة الخطيئة بالغيرة والشجاعة » .

ترعة ارسينوى واديرة انطونيوس بالفيوم .

وترعـــــة ارسينوى توجد بين نهـــــر النيـــل عند الفيوم (افيـــوم) وبحيرة قارون . وفى هذا المكان على أنقاض المعابد الفرعونية والرومانيـــة بنى أبناء القديس الانبا انطونيوس اديرتهم . وكان فى هذا المكان ، تحـــدث لقاءات القمة الكنيسية بين انطونيوس واثناسيوس . وكان رئيس هـــــذه الاديرة الانبا ببنوده بالفيوم الذى أقامـــه القديس الانبا انطونيوس عليها(٢) . وتوجد رسائل من الانبا انطونيوس مرسلة اليه ، غاية فى الروحانية والبر .

وفى العصر الفرعـــــونى كانت تدعى أرســـينوى كروكودينو بوليس Arsinoe Crocodinopolis. وفى العصر اليونانى سميت Arsinoe Philodelphus. وكانت كل منطقة لأى مدينـــة بالفيوم تدعى Kata Perchoma (٣) .. وكانت الفيوم تنقسم الى ثلاثة أقسام — واهتم بزراعتها يوسف الصديق .

وفى اماكن الاديرة التى انشاها القديس الانبا انطونيوس بمدينـــــة فيلادلفيا ، وام البريجات وعلى تلال البريجات ، عثر بعض العلماء الامريكيين



صورة مصغرة لاحدى هذه البرديات

---

(٢) يرجع للباب الخامس الفصل ٣ — عن حياة الانبـــا بفنوتيوس ، عضو ،جمع نيقية .

(٣) ومنها جاءت شهرة التين البرشومى .

فى عام ١٩٠٠ من جامعة كاليفورنيا على كمية كبيرة من البرديات ، وجـدت داخل تماسيح محنطة ، بهذه الاديرة القديمة ، وحين تهشمت احدى التماسيح المحنطـة وجد بداخلهـا لفـافات من البرديات توضح تفاصيل كثيـرة عن بلاد الفيوم(٤) . ومنها مدينة وترعة ارسينوى . وحين مقـارنة ميمـر اثناسيوس بما فيه من تفاصيل الاماكن التى زارها انطونيوس ، كان فى منتهى الدقة تاريخيا .

وعدد البرديات التى وجدت بأديرة فيلادلفيا وام البريجـات تمثل ½ برديات العالم وتكون من حوالى ٣٠ الف بردية . واحيانا كان يعثر عليهـا بجوار حوائط الاديرة .

ويقال ان البرديات التى عثر عليها عام ١٨٧٠ والتى كانت مكتـوبة بلغات مختلفة ، وجد بها أجزاء من انجيل يوحنا ، تاريخه النصف الاول من القرن الثانى الميلادى . وكانت توجد خطابات مرسلة من روما معـاصرة لوجود القديس اثناسيوس بها مرسلة الى المسيحيين بالفيوم ، ذكر فيهـا اسم القديس المعترف مكسيموس الفيلسوف ، أسقف الواحات(٥) .

وفى منطقة الغـرق كان يوجد به ايضا دير مشـهور باسـم الملاك غبريال ، وكان هذا الدير يوجد غرب مدينة الفيوم .

ويلاحظ أن هذا العدد النادر من البرديات وان كانت مكتوبة باليونانية ، وتعكس عصر المستعمر فى مصر ، لكنها كانت تحوى وتشير الى التـواريخ القبطيـة ، ومؤرخ مثـلا ٩ توت ويكتب أنه يوافـق التـاريخ الغـربى ٣٠ سبتمبر .

وقد استشهد بمدينة ارسينوى الفيوم القديس ثاوفيلس وزوجته ، على يد اريانوس الوالى ، وتعد هذه الاسرة أول أسرة تستشهد فى مدينة الفيوم .

وهذه عجالة بسيطة ، مختصرة ، عن تاريخ شهداء وقديسى الفيوم ، ووثائقها ، سيكون لها مجال آخر فيما بعد .

---

(4) These Papyri are reparted in Athenaeum — 1900, 600 — !.A.P.F. (1901). P. 346 — 8.

(٥) نشرت رسالة القديس اثناسيوس نه بالجزء الثانى لدائـرة المعارف القبطية .

ارسينوى (الفيوم) من الخمس مدن الغربية

التى بشرها مارمرقص

وحيث أنه ثبت تاريخيا أن أرسينوى هى مدينة الفيوم ، فهى ضمن الخمس مدن الغربية التى بشر فيها القديس مارمرقص بكرازة الانجيل قبل ذهابه الى مدينة الاسكندرية ، فقد ذكر فى كتاب حياة القديس مارمرقص لحبيب جرجس وكامل ابراهيم وزير الزراعة سابقا فى ٢٠ أبريل ١٩٣٧ ، بأن الخمس مدن الغربية تشمل كيرين وأرسينوية وأبو لونيه وبرنيقة وبتولمايس وبذلك تكون مدينة الفيوم ارسينوية سبق أن دخلها مارمرقص ص ١٧ . وذكر ابن المقفع بسير البطاركة مخطوط ١٤ تاريخ مكتبة الدار البطريركية ص ١٠ بأن موطن القديس مارمرقص وقصة حياته فى الخمس مدن الغربية ، بأنه لما كان فى زمان تدبير الرب المخلص يسوع المسيح عند ما جعل تلاميذه يتبعوه ، كان أخوين ساكنين فى مدينة من أعمال الخمس مدن التى فى الغرب اسم أكبرهما أرسطو بولس واسم الاخر برناباس وكانا فلاحين يزرعان ويحصدان وكانا لهما أرض كثيرة وعارفين بناموس موسى معرفة جيدة وحفظا كتب كثيرة من العتيقة ، ونالهما بلايا كثيرة من قبيلتى البربر والحبش ونهب ما كان لهما من زمان أوغسطس قيصر ملك الروم ، ولأجل ذهاب ما لهما وما نزلا عليهما من البلايا رحلا من تلك الكورة وأهتما بخلاص نفسيهما ، وانتجعا الى بلاد اليهود ، وكان لارسطو بولس ولد ذكر يسمى يوحنا » . وذكر بالسنكسار(٦)بأن القديس مارمرقص ذهب الى بلاد الصعيد » . اذا لا يوجد هناك مجالا للشك بأن أرسينوى الفيوم هى أقرب الى الصعيد من الاربعة مدن الاخرى ، وموجات اقتحام الاحباش للمدن المصرية كانت تأتى من جنوب الصعيد . وبذلك تكون أرسينوى من البلاد الاولى التى بشر بها القديس مارمرقص قبل دخوله الاسكندرية ، وذكر فى المخطوط رقم ٢ ، ٧ تاريخ بالدار البطريركية أن مارمرقص رسم أساقفة وقسوس وشمامسة بالخمس مدن الغربية قبل أن يتوجه الى مدينة الاسكندرية(٧) .

---

(٦) الصادق الامين جزء ٢ ص ١٠٧ .

(٧) يرجع الى دائرة المعارف القبطية فى كتاب تاريخ حياة القديس الشهيد مارمرقص فى ذكرى اليوبيل العالمى على تأسيس كنيسة الاسكندرية — ابراهيم صبرى معوض ١٣٩/١٤٥ .

عظات القديس انطونيوس لأبنائه

الرهبــان بمدن أرسينوى — (الفيوم)

قال القديس انطونيوس « يا ابناء الشيعة الرهبانية داوموا على الغيرة المسيحية ولا تملوا ، اذ صـــار ربنا مرشدا لنا . ولكى من يطلب الفضـــائل ولكى لا نمل ، قد صار بولس المبارك ، مثالا لنا من قبـــل ، حيث قال أموت كل يوم ، فلو ظننا اننا نموت كل يوم ، لما اخطأنا البتة . وهـــذا هو معنى الكلام الذى تقدم ، وهكذا الحال ، اذا تصورنا فى الصباح أننا لا نعيش الى المساء ، وافتكرنا فى المساء اننا لا نعيش الى الصباح . وبهذا الفـــكر أيضا تعلمنا طبيعة وجودنا ان الوجود غير موثوق به ، فلو جهزنا فكرنا فى هـــذه الصورة ، وعشنا بهذا الفكر لما تغلب علينا الاثم وتسلطت علينا الشـــهوة الزائلة ، وخاصمنا أبناء جنسنا فى الجسد ، واصبحنا الحطام الفانيـــة ، بل غفرنا لكل من اذنب الينا ، وماتت فى قلوبنا الشهوة الى النساء ، لأنها كيف تخدم ، ان القوى يتغلب دائمـــا على الضـــعيف ، وخوف الله يتعظم ويتمجد فوق كل شيىء .

فسبيلنا أيها الاحباء ان نكون غيورين فى تأدية العمل الذى تعهـــدنا به ، وأن نسير على الطريق المستقيم ، ولا ينظر أحدنا الى الوراء لئلا يكون كامرأة لوط ، وكل من قبل تعليم البر يعسر عليه أن يدخل ملكوت الســـموات اذا نظر الى الخلف . وقد تحول الى أى طريق كان يندم علا ما فعل ويلتفت الى أمور هذا العالم ، كما يعود الكاب الى قيئه ، ولا تخـــافوا حينئذ كانكم تحملون عبئا ثقيلا ، لأن نير ربنا هين وحمله خفيف ، فاذا وجدت عنـــدنا الرغبة فسهل علينا كل شيء . أن أبناء هذا العالم يقتحمون البحار ويجوبون الاقطار الوعرة طلبا للحكمة الخالدة عن طرق البر . وليس فى تحبيذها فائدة للحياة ، على أن ما يطالب منا أقتحام الاسفار ، أو نجوب البحار لأجل ملكوت السموات . فربح الحياة يا أحبائى فى أيدينا لأن الحياة فى داخلنـــا ، ونحن نخدمها ، والروح حائرة بطبيعتها لحاسة الفهم ، فهى تدرك ما هى حياتها ، وهى مستعدة بطبيعتها وتهيئة لكل ما ترغبه .

الا ترى يشوع بن نون يأمر الناس قائلا ، أميلوا قلوبكم الى الـــه اسرائيل يشوع (ص٢٤/٢٣) ويوحنا يقول أيضا اعدوا طرقكم . فاذا أمـــر الكتاب بأعداد الروح ، فانما يقصد أن تبقى فيها استقامتها الطبيعية الاولى

ولكنها اذا تجاوزت حدودها ، نبذها الكتاب كروح شريرة ، فالمسالة اذا ليست عسيرة علينا ، لاننا اذا اقمنا على ما جبلنا عليه من البدء فالحياة موجودة فينا ، ومعنا ، كذلك عقلنا يحكم علينا اذا مكر فى الشر والحسد . وأتى بالاذى بشكل غير مناسب فنحن احرار فى عمل كل شىء ، ولم يقم علينا سيد ، يأمرنا ، فنحن أحرار فى عمل كل شىء ، ولم يقم علينا سيد كأمرنا ، مما يجب علينا فعله . وفوق ذلك لا يوجد ما يمنعنا عن التفكير فى الامور الحسنة أو اجراءها فنحن احرار فى أن نعيش أو نموت ، لاننا اذا أردنا أن نبتعد عن افكار الاشرار ، وعن المرائين ، فلنتيقظ باجتهاد ونحفظ لربنا الحرية التى منحت لنا بلا لوم على اعتبار انها وجدت فينا منذ البدء ، ولكن كأبناء وامناء للرب . لذلك احترسوا يا أولادى الاحباء من أن تكونوا جامدين كالذين ذلتهم الخطية أو الغضب أو الشهوة ، لأنه مكتوب أن غضب البشر لا يتمم بر الله . هذا فضلا عن أن الشهوة اذا حبلت تلد الخطية والخطية اذا كملت تنتج موتا .

فعلى ذلك يا احبائى لنعيش عيشة السهر والغيرة كما هو مكتوب ، فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأن لنا احتياجات خادعة ، هذه يجب أن نحاربها كقول الرسول ، فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء ، مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السمويات (أش ١٢/٦) فمصارعتهم لنا كثيرة الوقوع ، ولا نهاية لهجماتهم علينا . ويوجد فرق حتى بين الشياطين ، ولكن فيما يختص بطبيعتهم ، وبهذا الفرق يطول منا الشرح . على اننا نكشف ونصف بالايجاز الامور التى يجب أن نعلمها بشأن مصارعتهم لنا وتجاربهم لنا وتملقاتهم ، وبالاختصار جميع طرق خداعهم .

ما هم الشياطين

قال الانبا أنطونيوس ، انه يحسن بنا قبل أن نعلم طبيعة الشياطين ، يلاحظ انها لم تخلق ، لتكون شياطين ، لأن أعمال الله ليس بها أذى ، بل خلقت كذوات جميلة ، ولكنهم تحولوا من أنكار البر السموى ، لذلك طردوا من المكان الذى كانوا يعيشون فيه ، ولما رأوا أن الارادة العلية نبذتهم اقتربوا واختلطوا بمخلوقات هذا العالم ، وأضلوا الوثنيين تماما ، حسب رغبتهم ، وهم يضاعفون مصارعتهم لنا ، لأنهم يحسدوننا عساهم يحولوننا عن طريق

صدق ملكوت السموات ، فلا نصل الى المكان الذى بعدوا عنــه ، وســقطوا منه . لذا لزم لنا الصلاة والتضرع الكثير ، حتى نستطيع بواسطة العنــاية الالهية ، والنعمة التى نلقاها من الروح القدس ، أن نعرف الفرق بين الارواح النجسة ، وما أمر كل واحد منها بعمله ، وبأى واسطة تمكن اهلاك كلا منها ، لأن خداعهم عظيم ، وهم يمدون شباكهم الى كل شىء ، ولذلك فان الرسول وبقية الابرار الذين اختبروا المجرب ، مثله فى كل أمر ، والذين لهذا السبب ، أعلنوا ذلك ، قالوا ان حيل الشيطان لا تقدر أن تغلبنا ، وسأقص عليــكم شيئا مما عانيته منهم ، وقليلا من المعلومات التى أعلنها عنهم ، وأذكر ما أعرفه عنهم كما فعل الانبياء المجربون .

ان سلالة الشياطين كلها حسودة فوق الحد . فانها تغير من جميــع الجنس البشرى ، لا سيما الرهبان ، وذلك لأنها لا تستطيع أن ترى جميــع الاعمال السماوية ، والمعيشة السموية على الارض ، فتحفر لنا حفرا خفية ، وتنصب أشراكا مستترة كما هو مكتوب ، هيأوا شبكة لخطــواتى ، ومعنى شبكة فكر الاثم ، فلا تخاف من حركاتها ، ولا تتراخى بتجاربها ، بل تثبت فى الصوم والصلاة ، فللوقت تنهزم وتتــوارى ، واذا انطلقت لا نكون آمنين . فنقول قد انفضح أمرها ، ونجونا منها . لأن هذا الجنس لا يخزى ولا يستحى أبدا ، ومع فشل تجاربهم من هذه الجهة ، فانهم بها ، صمدنا من جهة أخرى . وعندما يبحثون ويختبرون الوسائل التى يميلون بها عقولنــا ، أو يرهبونهــا يتخذون طرقا لا تحصى لخداعنا ، ومن عادة الشياطين أن يضلوا الناس بما يقرب من هذا القول . وهو اننا سنسبقكم بمعرفة الامور التى سوف تحدث ، وعندئذ يظهرون لهم بخيالات شديدة تصل الى السقوف ، حتى انهم بمثل هذه الاشياء يضلون الذين لا يستطيعون التأثير على عقولهم .

وليس من داع أن نفزع نحن المؤمنين من تجارب أنواع الشــــياطين المختلفة ، ومن الاشكال المتنوعة التى يتخذونها ولا يخاف من أصواتهم ، التى تكون طورا بغضب بتهديد ، وحينا بتملق ، لأن الشيطان لا يصــدق فى كلامه أو أعماله ، ومع ان البشر أعطوه سلطة فى السابق ، فرفعت الخطية قرنيها ، فان السيد يسوع المسيح كسر دنسها ، وأذلها ، واخضعها تحت ارجلنــــا فصارت مداسا الوثنيين ، وهزءا للامم ، وهذا هو الدليل على حقيقة هـــذا الامر والبر ، يشهد أن هذا قد تم فى الخلق ، لأن من يعظم ويمجد نفســـه فى قلبه بدون حق ، ويفتخر بأن فى استطاعته أن يجفف البحر ، ويظهــــر اليابسة ، ليس له سلطان على أبادة الافكار السماوية الموجودة عند الرهبان ، وليس فى استطاعته أن يحول شخص صغير حقير مثلى من التحدث بأمره ، والشياطين خادعون ، ولكنهم لا يقدرون أن يضلوا الا من وجــدوا فيـــه

استعدادا لتنفيذ مكايدهم . وهم يظهرون فى صور ، بل يتفق للشرير أن يطلب لنفسه صورة البر كما هو مكتوب . لأن الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور (كورنثوس ٢ — ١١/١٤) .

وأحيانا لا نرى شخصا ، ولكننا نسمع صوت الشياطين كترتيل ترنيمة بصوت عال ، ونسمع فى وقت آخر كلمة الكتب المقدسة ، كان رجلا حيا يتلوها وهى تشبه تماما الالفاظ التى نسمعها ، لو كان انسانا يقرأ الكتاب ، وقد يتفق أيضا أنهم يوقظوننا بصلاة ، نصف الليل ، ويحرضوننا على الوقوف على أقدامنا ، ونرى أشباه الرهبان ، وصور الحزانى المتعبين ، ويقتربون الينا كأنهم قد أتوا من سفر طويل ، ليوهموا عقول ضعفاء الروح ، وينطقوا بشبه العبارة الآتية هل حكم علينا فى جميع الخليقة أن نسكن الاماكن الخربة ؟ . أو ألم يمكنا ونحن داخل بيوتنا أن نخاف الله ، ونصنع أعمالا حسنة ؟ . واذا تعسر عليهم تنفيذ ارادتهم بمثل هذه الطريقة كفوا عن مثل هذا الغش والخداع ، وتحولوا الى غيره ، فيقولون كيف يمكنك الآن أن تعيش وقد أخطأت وارتكبت الاثم فى أمور كثيرة ، أتظن أن الروح لم يوح الا بما فعلته أو أنى أجهل أنك فعلت هذا وذاك ؟ فاذا سمع أخ بسيط هذا الكلام ، وشعر فى نفسه أنه ارتكب اثما كما قال الروح النجس ، ولم يكن عالما بفكره وخداعه ، اضطرب عقله فى الحال واستولى عليه اليأس وتحول الى الوراء .

فلا حاجة بنا يا أحبائى الى الفزع من هذه الامور ، بل يجب علينا أن نخاف عندما يكرر الشيطان التحدث بأشياء حقيقية ، وحينئذ يلزمنا أن نقهرهم بشدة ، لأنه حتى فى أيام فادينا عندما تكلموا بالاشياء الحقيقية وأوقفهم عند حدهم ، ومنعهم من التكلم لئلا يمزجوا شرهم بحقيقة الكلام الذى ينطقون به . فعلينا أن نظهر بأننا لا نميل آذاننا بكلامهم ، ولو تحدثوا بجدية الشخص الصديق ، لأنه عار علينا أن الذين عصوا الله ، يكونوا معلمين لنا ، ولنتذرع يا اخوتى بسلاح البر ، ونلبس خوذة الخلاص . ونقذف من قلوبنا المؤمنة فى وقت مصارعة الشياطين ، أسهما روحية ، كأنها منطلقة من قوس مفتوح . فانهم كلا شىء ، ولو كانوا شيئا ، مذكورا ، فقوتهم لا تستطيع أن تقاوم قوة الصليب وأعمالهم كأعمال اللصوص ، لا الجنود ، اذ لا قدرة لهم على الثبات فى الوقوف والمكافحة ، فانهم يصرخون ، ويشاغبون ، ويحدثون الضوضاء والجلبة والقلاقل ، عليهم بالفزع والجزع يستأسرون العقول الضعيفة ، ويجعلونها تنفذ ارادتهم ، فلو كان لهم سلطان لعمل أى شىء أو الاتيان بأى أذى ، لما احتاج الامر لمثل هذا الشغب والصراخ والقلاقل . ولو جاء واحد منهم فقط لأمكنه أن يفعل ما كلف به

لأنه لما أرسل رب الخليقة ملاك الحق ضد جيش الاشوريين ، لم نحتـــاج الى رفقاء كثيرين ، ولم يأت بالمشاغبة والفزع بل بالهدوء ، والثبات ، اســـتعمل السلطان الذى أعطيه ، وأهلك مائة ألف وخمسة وثمانين ألف من الاشوريين (ملوك ٢ — ١٩/٣٥) (وأخبار الايام ٢ — ٣١/٢١) ، وأشعياء ٣٧/٢٦ .

أما جماعة الاشرار فهم لعدم نيلهم السلطان ، لتنفيـــذ ارادتهـــم ، يتخذون طرق الارهاب . ورب قائل يقول . « اذا سلمنـــا أن الشياطين ليس لهم سلطان فبأى واسطة أنزلوا بأيوب تلك الرزايا المذكورة فى الكتاب ؟ » . فليعلم أنه يجب عليه أن يعتقد أنه ليس للشرير سلطة بأن يؤذى أحـــدا أو يضره . وأن الله أعطاه سلطانا ليوقفه ، ولولا ذلك لما جـرده من كل شيء ، وشفق على نفسه ، مع أن الرحمة لا وجود لها عند الشرير ، هذا ما ينبغى للانسان أن يفتكره . وفوق ذلك يلوح أن الشرير ضـــعيف بنوع خاص . خصوصا لان البار قد هزمه فى مصارعته . ولا عجب يا أحبائى فان أيـوب البار لم يسكن بالكلية الى الشرير . فاعلموا أنه لولا ارادة اللـــه ، لما كان له سلطان على أيوب وقطعانه أو ثروته . وتأكدوا من الانجيل المقدس ، أن هذا هو الواقع ، فانه عندما حبس ربنا الشياطين فى مكان واحد . واقتفى أثرهم ، طلبوا اليه أن يسمح لهم بالدخول فى قطيع من الخنازير ، كان قريبـا منهم ، فاذا لم يكن للشياطين سلطان على الخنازير فكيف يكون لهم سلطان على الانسان المخلوق على صورة الله ، فيلزمنا أن نزداد فى خـوف الله . يليق بنا أن نزداد ازدراء بزمرة الاشرار ، وأن بواسطته نزداد فى خوف الله ، والازدراء بالاشرار . ان الطرق التى يمكن بها اجراء هـــذين الامرين هى واحدة فى الحالتين ، فحينما نصلح معيشتنا وأعمالنا نزيد ارضاء الله ، ويزيد احتقارنا للارواح النجسة ، لأن الشياطين تخاف من صوم الرهبان وصلواتهم ، وطهارتهم ، وتقشفهم وحلمهم ولطفهم ، أكثر من انتصاراتهم ، وتخـــاف بالاكثر من برهم الذى هو فى المسيح ، وكل هـــذه الفضائل ، تنضم من كل جانب كنخس السهام ، لذلك يفعلون كل ما يستطيعون فعله ، ويجنـــون ويزيدون حتى لا يفتضح أمرهم .

فلا توجدوا لهم الفرصة فى أى أمر كان ، اذا جـاءوا الينا متنكرين فى صورة أعداء يحاربوننا ، أو فى شكل أصدقاء يحاولون أن يتملقونا ، لأنه من عادتهم أن يقتربوا الينا متنكرين فى ثياب الاصدقاء . ويدعون أنهم يكشفون لنا الامور ، فيأتون الينا مرة وينبئوننا لمجيء الاخوة ، وتارة نسمع منهـــم اشاعات وأخبارا عن أشياء بعيدة . فاذا اتفق أنهم أنبأونا مقدما بمجيئهم ، وأعلمونا بأمر حدث فى مكان ما ، وكأنهم هم الذين كشفوا لنا عنه ، فهـــذا ليس بالامر العظيم . فقد يمكن لراكض يسرع فى سيره أن يفعل ذلك أو ،

لخيال سريع العدو . فلا فضل لأعمالهم فى مثل هذه الامور . ولا نتعجب منهم ، أو تعلق عليهم أهمية ، فقد علم أن هذه الامور قد جرت ، على أن كشف الغوامض ، والتنبوء بما سيحدث لها هما فى يد الله وحده . مع ذلك أعلموا يا أحبائى ، أنهم أخبروا كثيرين من البعيدين عنا بمصير جماعتنا الحاضرة . والكلام الآتى يبرهن ما ذكرته ، فقد اتفق أن رجلا برح الهند ، من بلاد بعيدة ، ليأتى الينا ، ، وقبل أن نراه أو نعلم شيئا عنه نظرناه فى الحال ، وسمعنا عن المكان المتأهب للذهاب اليه لأن الشياطين علموا بالخبر فورا . وابلغوه الينا قائلين ، ان فلانا من المكان الفلانى آت اليكم ، وحدث فوق ذلك أن الرجل الذى كان قادما كان ملكا ، أو أنه ، كان حدث حادث منعه من المجىء ، أو أنه بعد أن قطع مسافة غير قصيرة عاد الى بلاده . ومع ذلك فان فكر الشياطين الفاضح المشين قد كشف سره .

التنبؤ عن فيضان

النيل

وهذا صحيح كذلك ، وهو التنبؤ عن فيضان النيل ، فانه بالنظر الى مياه نهر جيحون(٨) (أى نهر النيل) ، الموجود ببلادنا ، فانهم ينبئوننا مقدما ، عندما يكون على وشك الفيضان ، وحينما ينظرون الى السحب ، والمطر الغزير الذى يهطل بالحبشة ، فيعلمون أنه بسبب العاصفة التى حدثت هناك يمتلىء النيل من ضفة الى أخرى . ويتنبأون مقدما عن فيضان النيل الاخير ، فيضلون أرواح الناس ، ضعفاء العقول ، فلو أتيح السفر لسكان تلك الديار ، كما يفعل الابالسة لأتوا وأخبروا سكان أرض مصر بارتفاع مياه النيل . وهذه المسألة تشبه الحارس الذى يصعد الى مكان عال ، مقابل للجيش ، فيستطيع أن ينظر الشخص المقبل قبل وصوله ، على أن الشخص القادم يمكنه أيضا أن يقدم معلومات صحيحة كما سيأتى ، وعن مشتملات أوراقه ، وحالة الامة التى هو قادم منها . فالشياطين بهذه الكيفية ينظرون

---

(٨) يشير اليه على أنه نهر النيل ، فقد ذكر فى العهد القديم . « كان يخرج من عدن ليسقى الجنة ، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس ، اسم الواحد فيشون ، واسم النهر الثانى جيحون ، وهو المحيط بجميع أرض كوش (تكوين ٢/١٣) .

ويسمعون ، ويخبرون مقدما بما يرون ويسمعون ، واذ دبر الله أمرا من جهة مياه النهر لأن الله له سلطان عليه ، يهزأ الحكماء بمكر الابالسة ولكن ضعفاء العقول يستعذبون ضلالتهم ، وبمثل هذه الطرق المؤدية الى الاثم ظهرت الوثنية الى الخليقة ، ولكن رب المجد أتى وانتهر من فعل ذلك وأذله ، واذ بالارض قد أفلحت بشريعة البر ، وسيف الروح القدس ، واذا بالشوك والعوسج ، وأعشاب بذرة الشرير قد اقتلعت منها ، هذه هى الطرق ، التى تستخدم لضلالة الشياطين . وبمثل هذه الاساليب يضلون الخليقة ، فاذا وجد بينكم يا أولادى من يقول ، ألم تنبئنا الشياطين بعدة أمور لم تسمعها ، وألم تصف لنا عدة أشياء لم تراها قبلا ؟ . . فاذا فرضنا وتوع ذلك يا أحبائى ، فلا تضطرب أفكاركم منه ، بل راجعوا عقولكم ، واحصلوا على الفهم من جهة أمور هذا العالم ، ومن هذه تنالون سلطانا يحفظكم من العواصف .

ولذلك فان تكلمت بالصدق أحيانا وجب أن لا يتعجب أحد من هذا ، واعلموا قبل كل شىء أن الاطباء ، بما حصلوا عليه من الخبرة فى صناعتهم يمكنهم أن يتحققوا قبل أن يمرض الانسان ان كان يعيش أو يموت ، وكم مدة مرضية ومتى ينتهى ، وقد يتفق أنه عندما يكون الانسان غير عالم ، أنه سيقع فى المرض ، يمكن للاطباء بواسطة التمرين المستمر ، والخبرة ، أن يتنبأ بالامراض المزمع وقوعه فيها ، حتى ولو لم تظهر أعراضها الاولى ، على أن قوة التنبؤ بالامور عند الذين يديرون السفن ، أكثر مما هى عند الاطباء لأن لأولئك خبرة بالجو والرياح . فيستطيعون بها أن يتنبأوا باليوم الذى يتغير فيه الجو ، والاوقات التى يشتد فيها الريح قبل وقوع ذلك بعدة أيام ، وهم يفعلون ذلك بواسطة معرفتهم وخبرتهم . واعلموا أيضا أن مقدرة الشياطين لا تفوق مقدرة رؤساء السفن والاطباء الذين يمكنهم باختيارهم للامور أن يخبروا بما لم يسبق لهم سمعه ، ويصنعوا ما لم يسبق لهم رؤيته ، فأنتم لستم فى حاجة الى هؤلاء الشياطين والتضرع لهم . والذين تنفعهم هذه الاشياء أن يبحثوا عنها . ولكن لا تطلبوا التخلى بل اجعلوها غرضا لاتمام عملكم ، فمن أمرنا أن نهتم بهذه المسألة ونعرفها ؟ . . ومن من المتقدمين أمتدح لعلمه بالحوادث قبل وقوعها ؟ ومن وقع عليه اللوم لجهله بالحوادث البعيدة أو المزمع حدوثها ؟ . على أن كل واحد منا يدان اذا قصر فى عمل البر ، بقطع النظر عن علمه بالامور المستقبلة أو جهله اياها . فلنتخل عن هذا الطلب ، ولنصل ، وليس لنعلم بالخفايا ، بل لارضاء الجلالة الالهية ، ولكى تمنح لنا القوة لمقاومة سهام الشرير ، وان أردنا معرفة المخبآت فهذه بين أيدينا ، وعلينا أن نطهر قلوبنا لتكون مسكنا للروح القدس ، وحينئذ يسكن ويستقر فينا ، وبأشعة النور تنبعث منه ، يمكن لأعيننا أن تنظر

الخفايا من ابعاد كبيرة ، الم ير اليشع ما لم تر عيناه قط بطهارة قلبه ، وقد كان بشرا قبلنا (ملوك الثانى (٢ : ١٢/٩) .

فعليكم اذا أن تميزوا بين أمور الروح القدس وأمور جماعة ابليس . وربما قلتم ، وكيف نميزها ؟ . اقول أولا بالصلاة والتضرع الى كاشف الغيب ، لينيلكم سلطانا للتمييز بين الحالتين ، أما ما بقى فالواجب على أن أبلغكم بسرور بصفتكم أولادى ، ما تعلمته بالاختبار الطويل ، وهو أن ظهور والهام الروح القدس لا نزاع فيهما ، ولا جزع ، بل يحدثان الراحة والطمأنينة ، وكذلك تشعر النفس بحلول الروح القدس ، عليها بالسرور ، والارتياح لأنه ليس من عادته أن يزعج الناس أو تحدث اضطرابا اينما ظهر ، وفتشوا الكتب تخبركم ، كيف يحصل تجلى الروح ، وتنبئكم بأنه يحصل بالراحة والفرح والسلامة (غلاطية ٥ : ٣٢) ، هذه هى هيئة ظهور الروح القدس وعند حدوثه يكون بهذه الكيفية ، فاذا اتفق أن شخصا بحسب طبيعة البشر انزعج أو تأثر كثيرا للوقت من محبة الشىء ذاته ، أو جمال التجلى ، والهدوء والسرور الناشئين عنه يزول الخوف أو الفزع فى حينه ، ويحل محلهما العزاء والفرح كما صنع جبرائيل مع زكريا (لوقاص ١ : ١٩) وكما فعل سائر الملائكة للنساء المباركات عند قبر ربنا يسوع المسيح (القبر المقدس) . (متى ٣٨ : ٥) .

والملاك الذى ظهر للرعاة وبشرهم بميلاد فادينا قال لا تخافوا ، (يوحنا ص ١ : ١٠) . وتجدون أمثالا أخرى كثيرة كهذه فى الكتب المقدسة ان بحثتم عنها ، فاذا ارتعدت النفس أو خافت من هذه الرؤيا ، فليس ذلك معناه أن ابليس هو الذى أحدث هذا الرعب فقد يجوز أن ينشأ عن شعور النفس بعدم استحقاقها بالتجلى الالهى ، المتلئة نعمة ، وخوفهم لم ينشأ عن الجبن بل عن الاحساس بحضور كائنات اعلى ، اذا فهذه طبيعة رؤية الصالحين .

اما رعب ابليس فيحدث بالكيفية الآتية : —

تضطرب النفس وترتعد وتسمع ضوضاء عظيمة ، وعزف آلات وطرب ، وغناء كما يحصل فى حانة السكارى ، ومغارات اللصوص . فالنفس الخائفة تتأثر كثيراً من الاصوات التى تسمعها . أما النفوس الجريئة ، فقد تنزعج لأنها تسمع أصواتا غريبة ، وجميع أعمالها ، فى كل طريقة خاضعة للضيق والبؤس . وفى بعض الاحيان يمثلون بنى البشر احسن تمثيل ومع انهم يفعلون ذلك فما هو الا خيال ، وصورة بشرية فقط ، فالهندى مهما حك جسمه

لا يستطيع أن يتشبه باليونانى . كذلك الشيطان مهما استرق اشــكالا من بنى البشر ليعلن لمن يشاهده أنه محق ، ويضل أبناء الحق ومهما كان الخيال شبيها بالحقيقة فمن المحال أن يكون مقارنا لها لذلك لا مجــال للشياطين ان يضلونا بأحــد هــذه الامور . ومهمـــا فعلوا فانما يفعلون لقضـــيتهم وخزيهم .

افهموا أيضا المسألة الآتية وتعلموها بالايجاز وهى أن الخوف يقـــع عند ظهور الروح القدس ، وكذلك يقع الاضطراب بفعل الشياطين ، ففيمـــا يختص بهؤلاء الشياطين فهم يمكنهم أن يبعثوا فينا الارتعاد والفزع ، ولكن فى استطاعتهم تحويلها وازالتها . .

أما الروح القدس فعندما يتجلى فى الانسان تتأثر النفس وتستقر فيها السعادة التامة ، هذه هى مكايد وحيل ابليس ، ولــكن حسب الامور التى ذكرتها ، لا تتأثر من الخوف ، حتى يقول لنا ، خروا واسجدوا لى ، فقـــد ضل الوثنيين بمكائده وحبائله ، فظنوا أنه هو الله ، ولكن خائفوا ربنـــا لم يعطوا له فرصة ليستأسرنا ، لأن الشرير فى غاية الجراة أو الجســـارة ، ولا يستحى ، بل انه تجاسر فى أثناء جنونه وفساده واقترب الى ربنا ، اى الى الجسد الذى لبسه فنظر اليه ربنا واحتقره ورذله وانتهـــره قائلا اذهب يا شيطان ، لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد ، فبواســـطة العزاء بهذه الامور بوجه خاص ، يكون ابليس محتقرا فى أعيننا ، لأن الهنـــا قال هذا الكلام للشيطان من أجلنا ، حتى تنتهر الشياطين بهذه الكيفية ، وكما أن ابليس هالك أمام كلمة ربنا كذلك يهلك ويتلاشى أمام كلامنا لأنه لا يستطيع أن يزداد أمام افتخارنا فى هذا الامر .

وعندما يكون لكل منا قوة على الشياطين فيهربون من أمامنا منزعجين ، لا يتعجب أحد اذا انتهر الابالسة فخضعوا له . ولا يحتقر أحد انسانا آخـــر لا يتم على يديه فعل هذا الامر ، بل يجب عليه أن يبحث أولا ويفهم معيشـــة وأعمال الناس على اختلاف أنواعهم . وليعلم من هذا التوضيح ، مـــع من تسكن الرحمة الالهية ، ويستقر بر الله ، لأنهم يكونون مرآة لنا افضل كثيرا ممن يخرجون الشياطين وفيهم يرى الاشرار عيوبهم . فيحصل لهم التوبيـــخ ويمكن الصالحين أن يمعنوا النظر فى سلوكهم فيتقون ، وفى استطاعة المرء أن يصير عاملا فائزا ، أو جبانا دنيئا ، اما ان الانسان يمد يده الى الشياطين ، فتسلم له فهذا ليس فى مقدرته ، بل بالنعمة الالهية ، لأنه لما رجع التلاميـــذ الى ربهم فرحين بعد أن بشروا بالانجيل الذين ارسلوا للكرازة به وسروا من طاعة الشياطين بكلامهم . فلينظر البصير ويسمع هذا الجواب الذى أعطى

لهم ، ولكن لا تفرحوا بهذا أن الارواح تخضع لكم بل افرحوا بالحرى ، أن أسماءكم كتبت فى السموات . فان كتابة الاسماء فى سفر الحياة ، هى شهادة للسلوك المرضى لله . وهى أن الذين يستحقون هـذا الامر ، ذووا فكر مستقيم ، ولكنه من البين الجلى أن السلطان على الشياطين هو علامة نعمة فادينا ، ولكى تعلموا أن هذا هو الواقع لاحظوا ما قاله يسوع للذين التجأوا الى هذا الامر عندما خرجت الارواح أمامه ، وقالوا له باسمك أخرجنا شياطين ، وصنعنا آيات وعجائب كثيرة ، فقال لهم ، الحق أقول لكم انى لا أعرفكم . فلنصل اذا كما قلت لتمنح لنا النعمة للحصول على قوة التمييز بين الارواح حسب كلمة الكتاب القائل ، لا تضلكم الارواح الضالة » . وانتهت العظة .

انتصارات أنطونيوس

وقال القديس أثناسيوس ، اذا رويت لكم انتصارات القديس أنطونيوس تحبذون عملى لكى أود أن لا أتكلم عن أمور كثيرة مع التزامى الحذر بأن أقتصر على معلوماتى الخاصة فقط فى ذكر أى شىء منها فيكفينى أن اسجل الامور التى وقعت فعلا ، ولا يتطرق الى ذهن أحد أننا فعلنا هـذه الامور للهو والسلوى . بل ليتأكد الكل اننا نرويها كوقائع حقيقية ، وأننا نفعل ذلك ، ونحن عالمون بصدقها ، بناء على الاختيار الحقيقى ، واننا بدون الاعمال العجيبة التى أتاها هذا الرجل المبارك لتكون سيرة موجزة له ، وليعلم اللبيب طهارة نيتنا . وأننا لم نورد الامور التى ذكرناها فى هـذا التاريخ الا بقصد صالح ، وأن عظم محبتكم سيكون عونا لنا ، لأننى متيقن أنه لا فائدة ، ولا منفعة ترتجى اذا ذكرت هذه الاشياء بروح الافتخار والتباهى لأن عدونا كثير الخداع والمكر . وقد يمكن أن يجعلنا نعثر فيما يختص بالحق . فعند تسجيلنا تاريخ مكايد الشرير وحيله ، يليق بنا أن نحذركم من خبثه وحيله .

وقال القديس أثناسيوس أن أنطونيوس ذكر أن الشياطين كثيرا ما انتحلوا صلوات البركات . وكانوا يرتلونها ويتلونها بصوت عال . وبينما صوت البركة يبلغ أذنى كنت أسمع عبارات اللعنة تصدر منهم وكم من مرة انبأونى مقدما لفيضان النيل ، أى نهر جيحون ، وكم من مرة قلت لهم من جهتهم . ماذا عندكم ؟ . انى لست محتاجا أن أعرف هـذه الامور عنكم ، ولكنهم كانوا يعودون الى بعد ذلك فى زى لصوص . فيحيطون بى ويقفون ويهددوننى بالثعابين المختلفة والهوام الكثيرة ، ومعها جياد تصهل . فاستعديت فى الحال ، ووقفت ورفعت صوتى بالمزامير قائلا ، هؤلاء بالمركبات ، وهؤلاء

بالخيل ، اما نحن فباسم الرب أيضا نذكر ، فتتوارى من أمامى .

ومرة أخرى جاءوا الى كيلا يحملون المشاعل قائلين ، قد حضرنا الآن لكى نحرقك يا انطونيوس ، وبينما كانوا يكلموننى بهذه الامور ، اغمضت عينى لأريهم بأننى وضعت نورهم فى مكان الظلمة ، وتسلحت ضدهم فى الحال بسلاح الصلاة ، وفى أثناء صلاتى انطفأ نور الخطاة واختفى . وبعد ذلك ببضعة شهور اتوا الى فى زى مرتلى المزامير . واخذوا يكلموننى من الكتب المقدسة . ولكننى لم استمع لهم كأننى اصم . وفى مرة اخرى زحزحوا المكان الذى كنت أسكن فيه . ولكننى ضحكت منهم لثقتى بالرب . ولم تضطرب كفوفهم ، ويرقصون فرحا ولكنهم لما راوا اننى لم أنقطع عن الصلاة بالرغم من صياحهم . ولم أكف عن المزامير ، فحولوا ترتيلهم من الفرح — كمن قهروا ، وانهزموا واخذوا يولولون ، ويضربون صدورهم من الحزن ، فشكرت ربى الصالح من اجل جميع هذه الامور ، ولأنه قد كسر ، وتبدد ، وتذلل وأخضع كبرياءهم الصادرة من جرائهم الجنونية .

وفى مرة اخرى ظهر الشيطان عليه امارات التشامخ والوقاحة المتناهيتين ، ووقف أمامى بمظهر عظيم ، وتجاسر أن قال لى ، أنا قوة الله ، وأنا رب الكون ، وقال لى أيضا ، ماذا تريد أن أعطيك ؟ أطلب تجد . فنفخت عليه وانتهرته باسم السيد المسيح ، وتحفزت لأضربه . وعندما ضربته وانا فى ضعفى ، وجدت أنه قد ابيدت كل قوته وجميع جيشه عندما سمع ذكر اسم السيد المسيح فى اللحظة نفسها .

وفى مرة أخرى عندما كنت صائما ظهر لى الخداع فى زى اخ راهب يحمل خبزا ، واخذ ينصحنى قائلا قم واشدد قلبك بالخبز والماء ، واسترح قليلا من أتعابك المفرطة لأنك من البشر . ومهما عملت تذكر أنك لابس جسد انسان ، وينبغى لك أن تخشى الامراض والضيقات ، فتأملت فى كلامه ، وسكت وامتنعت عن الجواب ، وجثوت بهدوء ، واخذت اتضرع بالصلاة وقلت يا رب بيده ، كما اعتدت أن تسمع صوتى ، وأبدته كالمرات السابقة .

فلم يحتمل الشيطان ذلك ، فاسرع بالانصراف من الباب كالدخان .

وكم من مرة ظهر فى الصحراء بما يشبه الذهب ، وبمجرد لمسه او التطلع اليه ، عندما ارتل المزامير يختفى .

وكثيرا ما أراد ضربى ، بلخذات ، فكنت أكرر مرارا وتكرارا ، لا يفصلنى

شيء عن محبة المسيح . ولم أكن أنا الذى حددتها وحطمت قوتها ، بل الرب الذى قـال ، رأيت الشـيطان ساقطا مثل البرق من السماء ، أما أنا يا أبناه ، فاذ تذكرت كلمات الرسول ، حولت هذا التشبيه الى نفسى لكى تتعلموا أن لا تخوروا فى النسك ، أو تخشوا ابليس أو أضاليل الشيطان .

وان كنت قد صرت غبيا بسرد هذه الامور ، فاقبلوا هذا أيضا كمساعد فى نجاتكم وعدم خوفكم .

وصدقونى اننى لست اكذب ، مرة قرع واحد باب صومعتى فلمـا خرجت ، وجدت شخصا طويلا كبيرا ، ولما سألتـه من هـو ؟ قال . أنا الشيطان ، فقلت ، لماذا جئت هاهنا ؟ . فأجاب لماذا تلومونني أيها الرهبان ، وسائر المسيحيين بغير حق ؟ . لماذا تلعنوننى كل ساعة ، عنـدئذ أجبت ، ولماذا تضايقهم ، فقال لست أنا الذى اضايقهم ، بل هم الذين يضايقـون انفسهم ، لأننى قد أصبحت ضعيفا . الم تقرأوا ، تلاشت سيوف العـدو ، وليس لى فيما بعد مكان أو سلاح أو مدينة . فالمسـيحيون منتشرون فى كل مكان ، والرهبان ملأوا كل الصحراء ، فلا تلعنوننى بغير حق ، عنـدئذ تعجبت من نعمة الرب وقلت للشيطان ، أنت كاذب ، ولا تقول الصدق قطعيا ، أما هذا الكلام ، فقد قلته بالصدق أخيرا رغم ارادتك لأن مجيء السيد المسيح جعلك ضعيفا ، وهو قد طرحك الى أسفل ، وقد جردك من أسلحتك ، أمـا الشيطان فقد اختفى حينما سمع اسم المخلص ، فمن الحقائق أنه عندما اتى السيد المسيح الى العالم ، هبط الشيطان الى أسفل الاعماق ، وابتلعتـك الارض من جذور ضلالك .

واذا كان الشـيطان نفسـه قد أعترف بأنه ليس له سلطـان . فنحن ملزمون بأن نزدرى به وبجيشه ، هذه حيل ومكائد الشيطان ، والكلاب الشرهة التى يتألف منها جيشه ، وبعد أن علمنا ضعفهم وعجزهم ينبغى لنا أن نكون مستعدين أن ندوسهم تحت أرجلنا ، كأننا نمشى فى طريق سبق أن داس عليها ربنا من أجلنا ، فلتكن هذه المعلومات عونا لنا حتى لا تضـطرب عقولنا من خداع الشيطان ، ولا نخشى وقاحته ، ولا تستولى علينا أفـكار القلق لئلا يتقوى الشرير ، ولا نخاف عندما يصوب نباله الينا حتى لا يكون ذلك مدعاة لفخره ، ولا نكون كالفرائس . بل نكون دائما مستعدين للعمـل كمن قهر العدو . وليكن هذا فكرنا على الدوام . وهو أن الله الذى كشـف وأوضح القوات والملكوت موجود معنا فى كل الاوقات ، والا اذا اقتـرب الينا الاشرار بعد أن استعدوا لمعارضتنا ، أملا فى التفوق علينا اذ اكتشفوا أفكار الضعف فينا ، لأنهم يجهزون الخيالات التى تظهر لنا عندما يجدوننـا

خائفين ومرتعدين ، حينئذ يدخلون فى اجسادنا كاللصوص ، الذين اكتشفوا محلا خاليا من الحراس ، ويستأسروننا لارادتهم ، فتضطرب نفوسنا الشقية ، لا بسبب عقاب العدو ، بل بسبب كسلنا .

اما اذا وجد الاشرار اننا فى محبة المسيح ، متأملين دائما فى الرجاء الآتى ، ومفكرين فى وصايا ربنا ومؤمنين أن له الملكوت والسلطان ، وانه ليس للشرير فرصته أو قدرته لمقاومة قوة الصليب ، اذا وجد ابليس حالة فكر المؤمن على هذه الصفة عند اقترابه اليه يبتعد عنه فى الحال .

هكذا وجد فكر أيوب الذى كان مستعدا لمقاومته ، فخاف الشرير وخجل وانصرف ، كأنه من رجال الحرب والنزال ، ومن الجهة الاخرى . قد جعل يهوذا اسيرا لارادته ، اذ وجده مجرداً بالمرة عن هذه الصفات . فلتعلم من مثل هذه الامثلة والروايات ، اذا أردنا أن نسلك هذا المسلك ، فيسهل علينا الازدراء بالشرير ، ولنتأمل دائما فى ربنا ، ولتفرح نفوسنا بالرجاء فيه ، وعندئذ نجد الشرير يتوارى من أمامنا ، والذين جاءوا ليضطهدوننا قد حولوا ظهورهم الينا كمن طوردوا من خدمة الوغى ، وهم ينتظرون العقاب المعد لهم ، وخوفهم من الصليب ، ملقى عليهم حسب جرأتهم ، ووقاحتهم ، فلتكن هذه الامور ، وجميع الامور الاخرى التى ذكرتها لكم ، واسطة ليفهم فكر الشرير ووقاحتهم ، ومعرفة اشباه صورهم . فاذا اتفق لأحدكم ان ظهر له خيال من هذه الخيالات ، فلا تخافوا بل انظروا اليها من وجهها الحقيقى بشجاعة عظيمة ، واسألوه من أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ ، فاذا كان ظهورا حقيقيا للروح القدس ، نسعر العقل حالا بأنه كذلك ، فتطمئن ، وتنمو فيكم الشجاعة ، وفعل الخوف . وأيا اذا كانت هيئة ضلالة الشرير ، فترتبك الحالة ولا توجد فرصة للشجاعة ، ولا تطول هيئة الظهور ، والسؤال الذى توجهونه يظهر قوة الثقة فى الالتجاء لربنا يسوع المسيح عز وجل . وقد ظهر ذات مرة ليشوع ابن نون ، فسأل الذى ظهر له من هو . ووقف عند هذا السؤال ، كذلك دانيال فنظر أحد الرقباء ففرح بمنظره وخاف من قدر كرامته ، ولكنه تعزى تماما ، بنعمة ثقته فى الحق ، وتجلت ايضا مظاهر الحق لجميع القديسين القدامى ، ولم تضلهم خيالات الشرير .

تأثر السامعين بنصائح القديس انطونيوس

ونجـــاحه فى مقاومة الشياطين

بينما كان القديس الانبا انطونيوس يتكلم بهذه الامور ، والكل يصغون له بفرح ، والبعض زادت محبته للفضيلة بعد سماعه هــذه الكلمات حسب حاجته ، القوى ازداد غيرة ، والضعيف تشجع وتشدد ، والمتكبر زالت منه الخيلاء . وفرح الكل للوصول بثقة للرجاء المقبل . وغبط الجميع بالنعمـــة المعطاة للقديس انطونيوس من قبل الرب لتميز الارواح ، وأيضا لعظم القوة والحكمة اللتين منحتا له ، ولاستطاعته التمييز بين مظاهر الخيـــر والشر ، وبين تجلى ربنا ، وظهور الابالســـة ، وفى الحروب الشعواء ، والتى اقامها ضد الشياطين .

وفى أيام هذا القديس كانت مساكن الرهبان تعتبر هياكل مديح ، تسمع منها المزامير والترانيم الروحية ، وكانت أعمال البر والمحبة والتراتيل سائدين فيها ، مع الصوم والصلاة . وكان الرهبان يتعبون بعمـــــل أيديهم ، حتى لا يكونوا عالة على أى انسان ، ويخففون ويلات الفقراء والمعوزين من عـــرق جبينهم .

وصارت هذه الصوامع فى ذلك الحين أعجوبة بين ســـــكان البلاد لأن الرهبان ، كانوا يزدرون بالفضة والذهب ، وكنوز هذا العالم ، التى كانت كثيرة الاعتبار فى أعين الناس ، وكان الرهبان يعدونها نفاية . وكان الرهبان يتعجبون منهم لاسرافهم وسكرهم ودعارتهم ، عادوا الى أوطانهم مندهشين كأنهم رأوا ملاكا لا انسانا . ولم يسمع له صوت شقاق أو منازعة ، ولا صوت ظالم أو سجان . بل انطبق على تلك الاماكن كلها قولها ، ما احسن خيامك يا يعقوب ، مساكنك يا اسرائيل ، والصحراء تدعمها العمـــرآن واصـــبحت كجنات على نهر وهياكل شيدها الرب .

فاعتزل القديس كعادته ، وتوجه الى صومعته وهـــــو المكان اللائق لسكناه . وهو المكان الذى انتصر هناك كشجاع متقلد ثياب الحرب الروحية ضد ابليس وجنوده ، وكان مهتما على الدوام بمساكن السماء ، وكان يئـــن ويتألم لأن عقله كان محصوراً بين عالمين ، فكان يزدرى بالعالم ، فكان يأكل وينام ويتمم سائر المطالب الجسدية الضرورية ، ومع ذلك كان يخجل عندما كان يفكر فى مواهب النفس الروحية ، وكان عقله يشـــــتهى كثيرا بالتغنى بملكوت الله ، لانه كان يود أن يكون مع الهه . وفوق ذلك كان يضـــــطرب

كثيرا كلما اقترب موعد أكله وشربه مع أولاد مسكنه ، لأنه كان يخجل ، ويود ان ينصرف من وسطهم ، وما كان يريد أن يراه أحد وهــو يأكل أو يشرب ، لأنه كان يأكل الكفاف عندما كان منفردا ، وكان يقول ان المرء خلق بأن يعطى كل وقته وروحه لا لجسده ، على أنه وان كان هذا شعوره فى المواعيـــد المعينة ، غير أنه كان يأكل معهم ، وكان حبه للاخوة تجذبه فى غالب الاحيان لمعاشرتهم ، لأنه لا يرغب فى أن يكدرهم لأى سبب ما وكان يهتم بهم كنفسه ، لأنه كان يراعى قول الكتاب ، أنتم أعضاء بعضـــا لبعض ، فاذا تمجد عضو تمجد الجسد كله .

وكان يكلمهم ويعلمهم هكذا ، علينا فى كل حين أن نسعى وراء غــذاء العقل لأنه يعمل مع الروح ضد العدو .

ولكن ينبغى أن يكون الجسد فى حالة اذلال وضيق ، لأنه يســـهل تعظيمه بتحريض الشرير وتملقه . لذلك يجب أن يكون العقل اكثر استعدادا من تمجيد للجسد حتى لا يسود عليه الجسد ، ويخضعه بشهواته ، وقد أعطى ربنا هذه الادلة لرسله الاطهار ، وأمرهم قائلا . لا تهتمــوا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس ، فان هذه كلها تطلبها الامم لأن أباكم السموى يعلمكم أنكم تحتاجون الى هذه كلها . لكن أطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم » (متى ٦/٣١ — ٣٣) (ولوقا ١٢/١٩) .

الفصل الخامس

تشجيع انطونيوس لشهداء الاسكندرية

وتركه قلايته الى الصحراء الداخلية

قال اثناسيوس . انه بعد ذلك بمدة قصيرة حدثت عاصفة اضطهاد فى الكنيسة فى أيام مكسيميان الامبراطور الشرير . والقى الجنود القبض على جموع كثيرة من الاقباط القديسين ، وأخذهم الى الاسكندرية ، فبلغ الخبر الى القديس أنطونيوس ، فترك صومعته فى الحال واسرع عندما نودى بالحرب ضد الاقباط ، فذهب الى الاسكندرية وقال فى نفسه . ان ذهابى الى الاسكندرية يجعلنى اقرب الى الله ، حتى اذا دعتنى النعمة الالهية تجدنى مستعدا ، فان أرادت بغير ذلك نفسى الغير مستحقة فسأكون على كل حال ، شاهدا للجهاد . وكان القديس انطونيوس يود من كل قلبه أن يدخل الميدان ليستعد لنوال اكليل المجد . فجد فى السير ، فاقترب ووصل الى المدينة ، ومر من باب مدينة الاسكندرية ، فسأل عن المكان المعد لاجتماع القتلة ، وعن أخبار جهاد الاقباط وشجاعتهم فسمع من كثيرين عن المكان المخصص للمعترفين ، وكيفية اعتقال الاقباط ، فذهب الى هذا المكان ، وعندما نظر الى من دعتهم النعمة الالهية الى الموت والاستشهاد فى ذلك الوقت(١) ، تمكن بكل اجتهاد ، وبكل ما فى وسعه من مرافقة كل واحد منهم

---

(١) فى هذه الفترة زار ديديموس فى قلايته فى مدينة الاسكندرية وكان فى ذلك الوقت عميدا لمدرسة اللاهوت فى مدينة الاسكندرية ، وسأله أنطونيوس عما اذا كان يشعر بالحزن لفقد بصره ، فظهر من جوابه على هذا السؤال مقدار تأثره الشديد من تلك الكارثة عليه . فقال له أنطونيوس . « لا يحزنك فقد بصرك اذا نزعت عنك أعين جسدية كالتى يمتلكها الفيران والذباب ، وأحرى بك أن تبتهج لأن لك أعينا كالملائكة ترى بها اللاهوت وتدرك نوره ، وتتلمذ على يد القديس ديديموس القديس جيروم ، وروفينوس — ولد ديديموس Didymus ، فى مدينة الاسكندرية ٣٠٩ م وتوفى عام ٣٩٨ م .

فى مكان الاستشهاد التى سيق اليها ، وكان مصاحبا لكل شخص ، فسجن مع كل من سجن ، وكان يخدمهم ، ويسد احتياجاتهم ، كما كان دائما ، يخدم المعترفين الذين سوف يذهبون الى المناجم ، وباقى السجون المزمع نفيهم اليها ، والذين صدر قرار باخراجهم من الاسكندرية الى مناجم الصحراء أو الى الجزائر التى يكلفوا بالزراعة بها .

وكان انطونيوس يهتم باعداد ومصاحبة الذين احضروا لارسالهم الى الجهات المحكوم عليهم بها فى دخولهم وخروجهم . فكان عند دخولهم يشجعهم وينصحهم ، وعند خروجهم يرنم المدائح لهم ، وكان من عادته أن يفعل ذلك يوما بعد يوم .

فذاع خبر بسالته فى جميع انحاء مدينة الاسكندرية فبلغ ذلك مسامع الحاكم ، فعلم القاضى الشرير بأمره ، واخبره الناس بميول انطونيوس واعماله مع الاقباط ، فتعجب من شجاعة أنطونيوس وعن عدم خوفه هو ورفاقه من الرهبان من العذابات والضيقات الواقعة على الاقباط . فأمر القاضى بأن لا يظهر راهب فى ساحة القضاء ، وقرر بابعاد انطونيوس من المدينة هو ورهبانه الباقين الذين معه وكل من كان يفعلون فعله .

وفى يوم من الايام طلب القاضى بعض المجاهدين الى النزال . ولما علم انطونيوس بأمر القاضى وتهديده(٢) ، غسل وبيض الثوب الذى كان مرتديا اياه(٣) ، وكان رداءه لا يغشى الكتفين ويشبه الملابس التى كان يلبسها المصريون وبعد أن ارتدى ثوبه ذهب ، ووقف فى قاع المحكمة أمام القاضى الاثيم ، فلما رفع الرجال أعينهم الذين تلقوا أوامر القاضى الاثيم والملك بوجود انطونبوس ورفاقه ، نظروا اليهم فى حقد ، ومنعوه من الوقوف أمام القاضى فى ذلك اليوم . لانهم تعجبوا بشجاعته ، بالنسبة لنفسه ورهبانه وللشعب القبطى ، وكانت بسالته لا برهبها أحكام الموت الصادرة من القاضى .

---

(٢) كان ذلك حوالى ٣١٠ تقريبا ، ولم يكن ذهاب انطونيوس الى مدينة الاسكندرية هى المرة الاولى كما ذكر البعض ، بل كان يزورها مرارا كمركز لكرسى البابا ، ومنذ أن كان طفلا حينما قابل البابا كما سبق أن ذكرنا .. وذكر الدكتور رؤوف حبيب فى كتابه عن تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر ص ٣٨ بأن هذه الزيارة كانت عام ٣١١ م .

(٣) كانوا يلبسون اثوابا فاحمة اللون مخصصة بهم كأثواب الحكماء القدماء — مصر فى عهد الرومان ص ١٤٨ .

فاستاء انطونيوس من تهديدات حرس القاضى ، لأنه لم يأذنوا له بفتح باب الشهادة ، لازدرائه بالاعداء الوثنيين .

ولكن الله حفظه لتقويته من المخاطر التى رآها من الذين استشهدوا ، وانتفع وتعزى ممن استشهدوا ، وبعد هذا العمل كثر الرهبان حوله ، فزادت اديرة الرهبان فتمجدت الكنيسة .

وفى تلك الايام نال القديس الانبا بطرس(٤) المبارك بطريرك الاسكندرية الشهادة .

وبعد هذه الامور انطلق انطونيوس الطوباوى الى صومعته ، وبقى هناك مناضلا فى جهاد الايمان ، فصار نسكه اشد صرامة وكان دائم الصوم ، وكان بعد الاضطهاد(٥) يزيد ايمانا بعد أن تعب من حياته اليومية .

انطونيوس الضعيف يشفى

ابنة أحد الاشراف الاقوياء من المرض

كان القديس الانبا انطونيوس ، يلبس ثوبه بحيث يكون الشعر من الداخل ، والجلد من الخارج ، وحتى يوم انتقاله ، ولم يمس جسده بالماء . لانه كان يريد أن يبقى جسمه هزيلا . ولم يغمس قدميه فى الماء الا عند الضرورة القصوى ، ولم يراه احد وهو عريان أو مكشوف الا عند موته ، حيث حمل تلاميذه جسده بالتكريم والتعظيم ، وقرر مرة أن يبقى مدة قصيرة فى حالة تأمل هادىء ، من غير أن يزعجه أحد فلم يخرج من مسكنه ولم يراه احد .

---

(٤) استشهد فى ٢٥ نوفمبر ٣١١ م لأن البابا بطرس ١٧ كان بالسجن ، اما ارشيلاوس فلم يمكث فى البطريركية سوى ٦ شهور .

(٥) قال الانبا انطونيوس : ليت الله لا يسمع لهذا الجيل أن يجرب مثل جيل السابقين ، لانه يعرف أن رجال هذه الأيام ضعفاء ولا يقدرون على الثبات من أجل الايمان .

فحدث فى أحد الايام التى كان فيها على هذه الحالة ، أن أحد الاشراف الرومانيين المدعو مارتينيانوس ، وهو ظابط حربى يونانى كان يحرس القلاع الشرقية على البحر الاحمر ، جاء لزيارته ، واقترب منه ، والتمس من القديس انطونيوس أن يخرج ويصلى معه ويضع يده على ابنته التى كان يمزقهـــا الشيطان ، وبعد أن انتظر هذا الشريف مدة طويلة جـــدا وكان يلتمس فى اثنائها من القديس أن يفتح بابه ، ولم يتيسر حمله على ذلك ، فأطل انطونيوس ونظر اليه ، وقال له ، ايها الرجل لماذا تضايقنى ، أنا بشر مثـــلك ، وكذلك اذا آمنت بالمسيح الذى أخدمه ، أذهب بسلام ، وحسب ايمانك ، صلى فسيتم لك ما تـــريده . ففى الحــــال كان لذلك الرجــــل الثقـــة التامة فى الكلمة التى سمعها من الانبا انطونيوس . فذهب من حيث أتى ، واخذ ابنته معه ، وخلصه الله من قيود عبودية الشرير ، والله الذى قال اطلبوا تجدوا ، قد صنع اشياء عديدة جدا على يد القديس أنطونيوس . فاجتمع عنـــده أناس كثيرون ، مصابون بأمراض مختلفة ، وأتوا وجلسوا بجانب قلايته فبرىء كل واحد من ضيقته .

فلما رأى زيادة تجمع الناس حوله ، ازدادت مضـــايقته الحادثة بيـــن الرجال والنساء ، وخشى أن الناس يمجدوه بلا استحقاق فى عين نفســـه ، بسبب المعجزات التى كان يصنعها الله على يديه ، وكان يشفق على نفسه من أن يعثره الغير أكثر مما يستحق ، فعزم على الخروج من ذلك المـــــكان والدخول الى اقليم طيبة ، (وسبق أن نشرنا صورة الدير البحرى الذى كان باسم القديس الانبا أنطونيوس) .

فأخذ قليلا من الخبز(٦) ، وذهب وجلس بجانب النهر وانتظـــر حتى يرى سفينة ذاهبة الى ذلك الاقليم الذى استعد للذهاب اليه ، وبينمـــا كان يتأمل فى هذه الامور ، سمع صوتا من السماء يناديه ويقول له ، الى اين تذهب يا أنطونيوس ولماذا ترحل من هذا المكان ؟ . فلم يخاف من الصـــوت الذى اتى اليه بل خاطبه ، كمن تعود على ذلك . فأجابه وقال يا ربى انما حـــدث ذلك لأن الناس لم يسمحوا لى بقليل من التأمل الهادىء . ولهـــــذا السبب أريد أن أصعد الى طيبة(٧) ، وأن الناس يطلبون منى ما هو فوق قدرتى .

---

(٦) قال الانبا أنطونيوس للانبا بموا . « لا تثق ببرك ولا تعذب نفسك بالماضى وكن سيد لسانك وبطنك » .

(٧) اقليم طيبة فى صعيد مصر بها آثار مدينتها القديمة الشهيرة وتسمى القرنة أى الاقصر ، وكانت تسمى بباب الملوك — والالف باب — اســـمها

ذهاب انطونيوس الى

طيبـــة

فأتاه الصوت مرة أخرى ، وقال لأنطونيوس ، اذا صعدت الى طيبة ، أو نزلت الى بوكاليا ، كما تقصد ، فانك سوف تعانى تعبا أكثر مما تعـــانى هنا — وبوكاليا منطقة بجوار طيبه غير الموجودة بمدينة الاسكندرية .

أما اذا أردت التأملات الهادئة ، فادخل الى الصحراء الداخلية ، فأجابه القديس ، يا ربى من يهدينى الى ذلك المكان الوعر ؟ . فاننى لا أعـــــرفه ، ولا أعرف شخص يعرفه .

وبينما كان واقفا مر بعض الاعراب الذين كانوا قد استعدوا ، وشرعوا فى المسير الى تلك الجهة ، فدنا منهم القديس ، والتمس أن يســـــمحوا له بالذهاب معهم ، فقبلوه بسرور ، لأنه كان ظاهرا أن وصية الله ، سوف تتم فى هذه المسألة .

اديرة وآثار من القرن الثالث

داخل وادى قنـــا

من ذلك المكان ســـــافر مع الاعـــــراب ثلاثة أيام ، وثـــلاثة ليالى وصل الى جبل عالى . فوجد فى أسفله ماء صـــــافى بارد وعذب وبضـــــع

اليونانى هرموفيس . وكانت تتبع هذه الابروشية البلاد الآتية دندرة ، وقفط وادفو . والانبا سرابيون اسقف دندرة كان من أعز أصدقائه . وذكر كلمــــة « أقليم طيبة » فى الميمر ولم يذكر كلمة بوكاليا التى فى الاسكندرية — كما سبق أن ذكرت فى كتاب أثناسيوس لدير أبى مقار ولم تذكر كلمة بوكاليا الا فى قصة حياة الانبا باخوميوس ، لحارس ديرة المدعو الشماس اثناسيوس ، وليس القديس اثناسيوس البطريرك .

نخلات ، لأن الارض المجاورة للبلدة كانت سـهلا منبسطا فسر القديس من هذا المكان ، وأحبه كثيرا خصوصا لأن الله كان هو المرشد الذى هداه الى تلك البقعة فسكن فيها ، ونظم هنالك كملك فى بلاطه . وعندما رأى ذلك العرب الذين أحضروه الى ذلك المكان ، تعجبوا ودهشوا ، وتركوا معه قليلا من الخبز الذى كان معهم ، ومنذ ذلك الحين ، كلما سافروا الى مصر ، وعادوا منها يمرون بالمكان الموجود به ، لسبب الامور العجيبة التى شاهدوها من هذا الرجل ، ويحضرون له خبزا ، وكان يوجد فى تلك الجهة بعض الطيور الصغيرة تأتى من النخل(٨) فى هذا السهل . وعند سفح الجبل كان يجرى ينبوع ماء صافى ، مياهه عذبة وباردة جدا .

زراعة الارض المجاورة

لمكان القديس

وبعد فترة من الزمان سمع أبناء القديس انطونيوس محل وجوده ، فتذكروا أباهم بعيد عنهم ، فتحركوا واكتشفوا مقره ، فاشتعلوا بغيرة المحبة ، أن يجمعوا اليه كل ما كان نافعا فى وحدته ، فلما رأى أنطونيوس أن كثيرين أخذوا يتعبون من أجله ، طالب من أول الحاضرين اليه فى المرات المقبلة ، قليلا من القمح وفأسا ، وعندما أحضر الرهبان قليلا من القمح والفأس ، زار القديس أنطونيوس الارض الكائنة بأسفل الجبل ، فوجد مكانا صغيرا يصلح للفلاحة والرى ، وبذلك أمكنه أن يمون نفسه بالخبز الذى يحتاج اليه ، وسر كثيرا من وجود الطريقة التى بها يريح الناس من اتعابهم من أجله ، ويصير هو عبئا على نفسه فقط ، ولما رأى اجتماع الاخوة عنده وتعذر منهم من المجىء اليه ، خصص قسما من تلك الارض ، وجعله بستانا للخضروات ، لمنفعة زائريه ، ولما ابتدأ أن يزرع قمحا فى ذلك المكان ، كانت الحيوانات البرية تأتى زرافات فتمنع الماء عن الزرع ، فيتلف المحصول ، ولكن فى ذات يوم أثناء وجودها فى وسط القمح حسب عادتها ، ذهب بهدوء وأمسك بواحد منها وخاطبها كلها ، وهو يضحك متأملا ، لماذا تضروننى وأنا لم أضركم ؟ .

---

(٨) يلاحظ أن الاديرة التى أسسها القديس أنطونيوس داخل جبال ووديان وادى قنا بعضها يكثر بها الماء وأشجار النخيل ، وتكثر هناك الطيور .

اذهبوا باسم الرب ولا تقتربوا أبدا الى هذا المحل . . . من تلك الساعة كان ذلك أمرا لها من السماء ، فلم تؤذ هذا البستان ثانية . وكان القديس يعيش وحيدا فى هذا المكان من الصحراء ، لأن المكان الذى سكن فيه ، كان قفرا خربا ، وهذا مما زاد تعلق فكره بالامور المجيدة ، فسر منها ، والاخوة الذين كانوا يذهبون لزيارته التمسوا منه أن يسمح لهم ، باحضار بعض نباتات البساتين ، وزيتون وزيت كل شهر ، ومع أنه عارضهم فى ذلك . لكنهم تغلبوا عليه بتوسلاتهم ، وألزموه بقبولها ، وأخذوا يزورونه الواحد بعد الآخر حسب طلبهم ، وزاد القديس فى شيخوخته فى تلك البرية ، وجهاده لم يكن مع لحم ودم بل مع الشياطين والارواح النجسة ، فكان زواره يستمعون ضجة وجلبة ، ويرون الجبل ممتلئا بالخيالات النارية ليلا ، وكانوا يضطربون كثيراً ، ولكن القديس كان متمرنا على خداعهم وضربهم ، وكان على استعداد تام ليقف وينتهر الشرير الذى كان يكف فى الحال عند سماع صوت القديس .

وكان أنطونيوس يشجع الاخوة الذين معه وينصحهم بأن لا ينزعجوا أو يضطربوا عند رؤيتهم لمثل هذه الظواهر ويقول لهم انما هذه خيالات فارغة ، تضمحل كأنها لم تكن عند ذكر الصليب فساد التعجب من عظمة القديس وبره .

ولم ينزعج من الشياطين ، ولم يمل من الصحراء ، ولم يخف من الحيوانات البرية الموجودة بها . غير أن الشيطان تعذب من جميع هذه الامور ، وحضر ذات يوم الى القديس أنطونيوس بينما كان يرتل مزامير داود . وصر على أسنانه بصوت عال . ولكن القديس لم ينقطع عن الترتيل ، وتعزى بنعمة ربنا . وبينما كان واقفا ذات ليلة ساهرا فى الصلاة ، واذ بالشيطان جمع جميع وحوش البادية وحولها اليه ، وكانت كثيرة العدد ، كأنه لم يترك وحشا واحدا فى عرينه ، واذ احاطت به من كل جانب ، وكانت متحفزة بهيئتها وتهدده بالوثوب عليه نظر اليها بشجاعة ، وقال لها ، اذا كنت قد نلت سلطانا على فاقتربى ولا تتأخرى ، لأننى مستعد للقائك ، اما اذا كنت استعددت، وحضرت بأمر الشيطان ، فارجعى الى مكانك ولا تتوانى لأنى عبد المسيح الظافر ، وعندما أطلق القديس بهذه الكلمات طرد الشيطان فى الحال عند ذكر اسم المسيح ، كما يطرد العصفور من أمام الباشق .

أنطونيوس والاسد والذئب

كان بالقرب من دير القديس أسد ضار يؤذى الرهبان . فولدت أنثاه فى ذات يوم شبلا أعمى فحملته فى فمها وجاءت به الى القديس فى قلايته ولما رآها تعجب جدا وسبح الله ووضع يده على عينيها فانفتحا ، ثم قال لها قولى لأبيه أن يأتى الى ، ولما أتى الاسد ووقف أمام القديس ذليلا كالبهيمة المستأنسة ولم يؤذ الرهبان بعد ذلك بل صار يحرسهم مثل انسان بعقل وفراسة ، وبعد ذلك بأيام أتى اليه الاسد ومعه وليد ذئب أعمى . فتعجب القديس لان الاسد لم يفترس الذئب ، وتفل القديس فى عينيه وأبراه ثم حمله الاسد الى أمه وأبيه . وأتى اليه الاسد مرة أخرى بكبش افترسه وقدمه له بمحبة عوض تعبه فابتسم القديس وقال له ، أيها الوحش المبارك ، ارجع هذا المسكين التى حيث أتيت به . وصلب عليه ، وأقام الاسد أليفا فى الدير كل أيام حياته ، وتشبهت به وحوش كثيرة .

زيارة القديس لأبنائه الرهبان

التمس أبناء القديس من الرهبان عدة مرات أن ينزل ويزورهم فى أديرتهم وبعد أن كثروا من توسلاتهم اليه أجابهم الى طلبهم . فقام وسافر معهم الى داخل الصحراء الى حدود مصر ، وكان معهم جمل محمل بالخبز والماء لزاد الطريق اذ لا يوجد ماء فى جميع الصحراء . وبعد أن سافروا يوما ويومين ، نفد الماء لأنه كان بصحبته أناس كثيرون ، وكان الحر شديدا جدا فى تلك الايام ، وقد أنهك العطش الناس ، ومما زاد اعياءهم أنهم تجولوا فى جميع تلك الجهة طلبا للماء . فألقوا بأنفسهم على الارض ، وهم فى حالة عناء وخطر عظيم ، ولما يئسوا من أنفسهم ، تركوا الجمل يهيم على وجهه فى الصحراء .

فلما رأى القديس القوم فى هذا الضيق العظيم تنهد بشدة ، وبعد أن فارقهم مسافة قصيرة ، جثا على الارض ومد يده نحو السماء وصرخ الى الله قائلا انظر أيها الرب الى صلاة عبدك فى هذه المرة أيضا ، وقبل أن ينتهى من صلاته هذه خرج الماء بعد ذلك ، من ذلك المكان الذى كان يصلى فيه ، فأحضر جميع الناس ، وصلوا وشكروا الله وشربوا واستراحوا من ضيقتهم ، وملأوا القرب بالماء ، وانطلقوا يبحثون عن الجمل ، فأرجعوه اذ وجدوه على

الرمال ، لأنه بعناية الله ، بينما كان الجمل يتجول ، مسك مقوده فى جـزع شجرة ، فلم يتمكن من السير فوقف فى مكانه ، فسقوا الجمل وجدوا فى السير الى مكانهم .

وكما وصلوا الى اقليم مأهول بالسكان ، ودخلوا القرى ، هرع كثيرون، ومن شهوات الجسد ، وان يتجنبوا بالافتخار الباطل ، وان يصلوا دائمـا ، الجميع كانوا ينتظرونه باشتياق وكانت محبتهم له شديدة فى نفوسـهم ، فاقتربوا ، وقدموا له الخضوع كأب بار ، فطرح عليهم القديس الاشياء التى كان قد أعدها لهم وحملها معه عند مجيئه من الصحراء ، وجعلهم فرحيـن بالتمتع بالروح القدس ، وكان السرور مضاعفا فى أديرة الرهبـان فى ذلك الحين . وفرحوا بانتصارات القديس ضد الشيطان ، وقد رأى الرهبـان شباب الانبا أنطونيوس يتجدد كالنسر ، وفـرح كذلك القـديس الانبا أنطونيوس حينما رأى غيرة الرهبان ، ولا سيما عندما وجد أخته ، طـوال حياتها قد عاشت راهبة تتعبد للسيد المسيح له المجد ، وأنهـا أيضا كانت تقود غيرها من الراهبات العذارى .

وقد أوصى الرهبان أن يعترفوا دائما بالايمان الحقيقى ، بالسيد المسيح قبل كل شيء ، ويحبوه بكل قوتهم ، وأن يحفظوا أنفسهم من الافكار الشريرة ، ومن شهوات الجسد ، وأن يتجنبوا بالافتخار الباطل ، وأن يصلوا دائمـا ، ويكونوا مستعدين بترتيل المزامير ، وتلاوة المقرر قبل النوم (أى صلاة النوم بالاجبية) ، وأن يقرأوا ، وأن يحفظوا كلام الكتاب المقدس ، فى اليقظـة فان فيه حياتهم ، وأن يتأملوا فى أعمال وحياة الرسل ، ويفكروا فيمـا كانوا عليه قبل اقترابهم الى السيد المسيح . وبعد اقترابهم منه ، وكيف كانـوا محتقرين مرذولين ، وهم فى حالتهم الاولى وكيف تمجدوا بغتة فى حالتهـم الثانية فى هذا العالم ، وفى ملكوت الله وأن هذا التمجيد لم يتم بقـوتهم ، بل ببرهم الكامل نحو الله ، بفداء المسيح ، وبهذه النصائح وما يشبهها قـد بثت فيهم الغيرة ، وقوت عقولهم .

وعلاوة علا ما تقدم بهذا الكلام ، بما أننا نحن الرهبان لا نستطيع أن نملك غضبنا فى اى أمر ، فالشيطان يجنبنا بهذا الامر حتى نغتاظ من بعضنا بعضا ، فيجب علينا اذا أن نتذكر دائما كلام الله القائل ، ان قدمت قربانـك امام المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك ، فاترك هناك قربانك أمـام المذبح ، واذهب أولا واصطلح مع أخيك وحينئذ ، تال ، قدم قربانك (متى ٢٣/٢ — ٢٤) وتذكر كلام الرسول ، لا تغرب الشـمس على غيظلكم ، (افسس ٢٦/٤) فهذه الوصية لم يقصد بها على أن لا نغضب ، بل تحذرنا

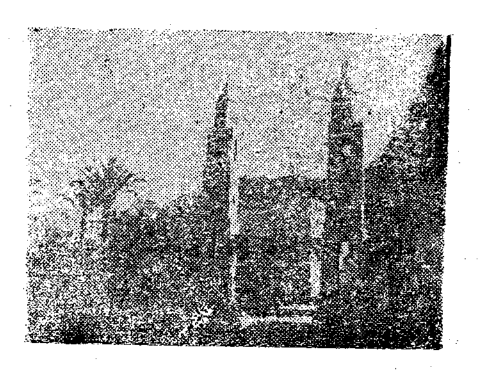
من الذنوب المختلفة ، وأن لا نغيظ بعضنا ، لأنه من الصواب ومن المناسب أن لا تغرب الشمس نهارا ، وتتركنا فى الخطية ، وأن لا يدركنا القمر ليلا ونحن فيها ، ولا يجدنا فى عمل الشرير او فى فكره ، فاذا كان يحسن بنا أن يكون كذلك فمن الصواب ، أن نفكر ونبحث فى كلام الرسول الذى ينصحنا قائلا ، جربوا انفسكم ، امتحنوا انفسكم ، فلنتأمل يوميا بحيث يتناول كل واحد من روحه حساب جميع أعماله وأفكاره ليلا ونهارا ، وليكن كل واحد فاحصا أمينا لافكاره ، قبل أن يأتى المنتقم الصالح الذى يجازى بصلاح ، ويعاقب ، كما نصحنا الانجيل المقدس لأن أحد الارواح واحد على الدوام .

فالذين حاربوا الخطية يشجعهم ، والثابتون فى الحق يرشدهم ويحثهم على بذل مجهودات جديدة لئلا يجذبهم الافتخار ، ويخروا بواسطة الثقة المفرطة ، ولئلا تحتقروا انسانا وتحبوا آخرين ، ويبررون أنفسهم ، فلنضع هذه الامور الى أن يأتى السيد المسيح الذى يحكم الخفايا .

وقد يتفق اننا لا نعرف كيفية معيشتنا وأعمالنا ، ولكن مع اننا فقدنا هذه المعرفة ، فهى ظاهرة أمام الله ، العالم بالامور الخفية ، فليكن هو الديان لنا ، وبحمل كل واحد منا أحمال الغير ، فى كل حين ، ولنتحمل لأجل بعضنا بعضا ما احتمله ربنا وفادينا يسوع المسيح من أجلنا ، ولنفحص أنفسنا بلا انقطاع . وتقوى أرواحنا ، ونملأ بيوتنا فى هذا العالم بكل ما ينقصنا بغاية الاهتمام ، ولتكن هذا الامر ، ايضا مرشدا لنا ضد الخطية ، وليكتب كل واحد منا أعماله وأفكاره على صفحات قلبه ، كأنه ملزم بأن يقرأها ويعرضها بالترتيب اللازم على أنظار الجميع ، لأنه عندما نفكر ونمعن النظر فيها فليخجل من ظهور هذه الامور للعيان . واذا أنعم النظر فيها أكثر من ذلك يرى أنه اذا كان مجرد سماعها يفضحه ويخزيه ، فمن الواضح أن فعلها يؤدى الى هلاك عظيم . وحيث أنه يصعب على الانسان ظهور الخطية ، فمن المؤكد أن الكذب يقترن بها . لأنه اذا كانت العين الطبيعية ترى ما هو واقع فلا ينتظر ظهور فعل فاضح . فعلى هذا القياس نرتكب الخطية خوفا من افتضاح أمرنا . فلتكن الكتابات التى نسجل بها تقصيراتنا هى أمور نخجل منها تكون بمثابة أعين الناظرين . واذا خجلنا من الكتابة كأنها أعين المشاهدين ، فيلزمنا كعقلاء أن نكف عن فعلها ، وعن التفكير فى الاعمال التى تجر علينا اللوم والتوبيخ . وبمثل هذه الوسائل ، اذا كنا نهتم بأرواحنا فعلينا أن نذل أجسادنا حتى نرضى الله بأعمالنا ونحتقر العدو بغيرتنا .

بمثل هذه النصائح ، كان القديس انطونيوس يفرح قلوب الرهبان الذين

يزورونه ، اما المصابون بامراض وأرواح نجسة ، فكان يعزيهم بكلامه ويعضدهم بتقديم الصلوات من أجلهم . وقد جعلهم أن يسروا على الدوام فعندما كانت تسمع ، لا يتعظم فى قلبه ، واذا لم تسمع لا يتقمقم ، بل يشكر الله على الحالتين ، وفوق ذلك فانه كان يشجع المرضى بأن لا ييأسوا بسبب ضيقاتهم وكان يقول لهم ، أنه يجب عليهم أن يعلموا انه ليس له ولا لغيره سلطان أن يشفيهم ، وأن الله وحده ، هو الذى يقدر أن يفعل ذلك . وأنه يفعله لمن يشاء وحينما يشاء ، فكان يقول لهم ، قبل كل شيء أن لا يقدموا شكرهم له بل يوجهوا المديح كله لله تعالى .



وادى عـــربة

دير الانبا انطونيوس بالبحر الاحمر

الفصل السادس

شفاء القديس الانبا انطونيوس

للمـــــرضى

شفاء القـــائد بارنيطون

قال اثناسيوس . فى أحد المرات ، ذهب اليه فى الصحراء الداخليــــة احد الاشراف ، وهو ضابط فى القصر يسمى « بارنيطون » — فرونتو — وكان به روح نجس ، وكان دائما يعض لسانه ، واوشك أن يفقـــــد نور عينيه ، فتوجه هذا الظابط الى القديس الانبا انطونيوس ، وتوسل اليه ان يصلى له ، وبعد ان عمل ذلك اجاب ، وقال للرجل ، اذهب تبرأ ، غير ان بارنيطـــوس التمس منه ان يبقى عنده بضعة ايام ، فكان القديس يقول له دائما ، لا يمكن ان تبرأ هاهنا ، ارحل من هذا المكان ، وعند وصولك الى مصر ترى بغتـــــة الآية العظيمة والعجيبة التى صنعها لك الله ، ولثقة الرجل بهذا الـــكلام انصرف .

وقبل أن يرى مصر اتى اليـــه الخلاص فى الحال ، وشفى حسب كلام القديس الذى أوصى اليه بالروح بواسطة فادينا .

شفاء عذراء بوصيرص من مرض

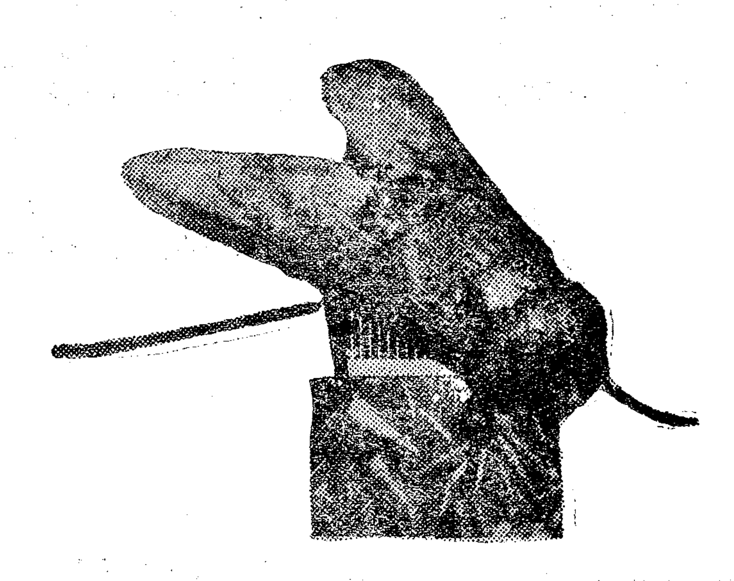
الدودة الحلزونية

هذه الآفة كانت موجودة من قديم الزمان ، وكانت تهب عـــلى مصر من الحدود المغربية من ليبيا ، وتنتقل هذه العـــدوى بواســـــطة ذبابة الدودة الحلزونية . وهذه الذبابة تضع بيضها على الجروح ، بالنسبة للانســـــان والحيوان فتسبب يرقاتها (تدويد) الجروح . وهى من اخطر الانواع . فهى

تعيش على الانسجة والجروح الحية . ويفقس بيض الذبابة الذى تضعه ، على الجروح الحية بين ثمانية ساعات حتى ٢٠ ساعة ، وتخترق اليرقات حديثه الفقس الى داخل الجروح حيث تقوم بنهش الانسجة وتحليلها واذابتها وتتجه بعد ذلك براسها الى أسفل داخل الانسجة الحية مع ترك الفتحات التنفسية الخلفية للخارج وتتجمع فى مجموعات مكونة جيوبا تمتد الى مسافات كبيرة وتسبب هذه الاصابة عدم شفاء هذه الجروح مع وجود رائحة كريهة تعمل على جذب الحشرات الضارة اليها .

ويمكن لهذه الحشرة اختراق غضاريف الانسان المصابة وكذلك الحاجز الانفى والجيوب الانفية وتسبب تكسيرها وتلفها ، كما يمكنها غزو المخ ، ونسبة الوفيات فى الانسان تصل الى نسبة ٨٪ .

وسبق أن انتشرت أمراض هذه الذبابة بليبيا عام ١٩٨٩ . وأعراض الاصابة بهذا المرض يشبه أعراض الاصابة للفتاة التى شفاها القديس الانبا انطونيوس .



الذبابة الناقلة العدوى للدودة الحلزونية

المنتشرة بليبيا

قال أثناسيوس : كانت توجد عذراء من بوصيرص بطرابلس بليبيا ـ مصابة بمرض هائل ، كانت مضطربة اضطرابا مروعا ، وكان يسيل من عينيها وانفها واذنيها سائل اذا سقط على الارض يحوى ديدان .

وكان جسمها كله فى حالة تعفن ، ولاشتداد المرض عليها فقدت عينيها قوة النظر الطبيعى ، وأصبحتا بلا فائدة . فلما سمع والدها ، وكانا مسيحيين أن بعض الاخوة الرهبان كانوا متأهبين للذهاب للقديس الانبا أنطونيوس لأنهم كانوا يؤمنون تماما بالرجل الذى شفى المراة بصلاته من النزيف دام معها اثنى عشر سنة . التمس الوالد والفتاة ، أن يسمحوا للذهاب معهم ، وانضمامهم الى جماعتهم . واذ طلبوا الرهبان طلبهم ، وسمحوا لهم بالتوجه معهم فوصلوا الى المكان ، وانتظر أقرباء العذراء مع ابنتهم على مسافة قصيرة من جهة الجبل ، فى المكان الذى كان يسكنه رجل الله بافنوتيوس(١) الناسك المتوحد . ولما دخل الاخوة سلموا على القديس الانبا أنطونيوس ، وكانوا يفكرون فى أمر أبلاغه بأمر العذراء واقربائها . فأخذ يتكلم عن مرضها ، وضيقاتها . وقال لهم عن كيفية مجيئها معهم . واذ اتخذوا حديث القديس حجة للكلام معه التمسوا منه ، وتوسلوا اليه أن يسمح للعذراء بالمجىء فى حضرته . ولكنهم لم يستطيعوا أن يحملوه على ذلك ، وقال لهم ، عودوا الى المحل الموجودة به ، وأذا كانت لم تمت بعد تجدوها شفيت تماما ، وما حدث لها ليس منى أو من النعمة التى فى شخصى الحقير ، بل هى نعمة من فادينا الذى يصنع النعمة والرحمة فى كل مكان لمن يصرخ اليه فى ضيقته ، فخرجوا سريعا لأن الله الرحيم قد سمع صلاة العذراء ، ونظر الى تعب وعمل أقربائها . وقد أعلنت لى محبته فى هذه الساعة انه أتى لها الشفاء ، وخلصت من ضيقتها ، فخرج الاخوة ، ووجدوا أقرباء الفتاة فرحين اذ حصلت ابنتهم على تمام الشفاء فى تلك الساعة .

---

(١) القديس بفنوتيوس المعترف المجاهد أسقف الصعيد ، كان ضمن الحاضرين مجمع نيقية ، وكان الامبراطور قسطنطين يدعوه الى بلاطه لسماع عذوبة الفاظه ، وهو صاحب القرار الثالث بمجمع نيقية الذى يقول ، ان المجمع حكم على ذوى الكهنوت أن يكونوا متزوجين ، وقد كان المجمع قد راى بغير ذلك ، بأن يكون الكهنوت أجمعه من البتوليين . وكاد يتم الموافقة على هذا الامر لو لم يقم فى وسط مجمع نيقية ، القديس بفنوتيوس أسقف الصعيد ، الذى كان راهبا بتولا قديسا ، فقاوم هذا الراى بقوله . ان لا يجب التثقيل على ذوى الكهنوت بهذا المقدار لئلا يتأتى ضرر للكنيسة بدل النفع . فعدل المجمع عن اتخاذ قراره بأن يكون ذوى الكهنوت بتوليين ، واكتفى فقط بأن يراعى العادة القديمة وتأييدها ، ولكن المجمع حرم الزواج الثانى للكاهن فقط .

اغاثة احد المشرفين على الموت

داخل الصـــحراء

وقال اثناسيوس : وكانت بسبب شفافية القديس اللاهوتية ، ورؤيته الاشياء البعيدة ، أن حدثت هذه المعجزة ، فانه خرج من مصر فى وقت ما اخوان لزيارة القديس ، وعند اقترابهما من مكانه ، اتفق أن الماء نفذ منهما ، فانزلت نفسيهما بالكلية ، فمات الاول ، وأشرف الثانى على الموت ، وخارت قواه ، فدعا الاثنين من الاخوة الذين كانا معه على الجبل ، القديس الانبا أنطونيوس ، فقال لهما خذا قليلا من الماء فى آنية ، واسرعا الى النزول فى الطريق المؤدى الى مصر ، لأن الاخوين سارا معا ليأتيا الينا . ولكن الماء نفذ منهما بعد أن تطلعا معظم طريق الجبل ، وقد اغمى على احدهما ومات ، واوشك الثانى أن يموت اذا لم تدركاه ، وهذا ما حدث لى أثناء صلاتى ، فلما أسرع الاخوان ، وسارا الى المكان ، ووجدوا ما قيل لهما عنه . فرفعا الجثة ونقـــلاها ، وأطعما الثانى ، الذى كان لا يزال حيا خبزا ، وأعطياه ماء فشرب ، واحضراه الى الشيخ بكل عناية ، وكان القديس أنطونيوس على سفر يومين . وقـــال للبعض ، ألم تظهر الرؤية للقديس قبل وفاة الرجل الاخر . فهذا السؤال غير مناسب ، أذ ليس له أن يعلم فكر الله عن كل انسان ، فان هذا من شـــأنه هو وحده الذى يوحى الى خائفيه حينما يريد . ووجه العجب للقـــديس انطونيوس هو أنه أثناء اقامته فى الجبل كان عقله متيقظا ، متنبها ليـــرقب وينظر البعيد كأنه قريب ، وذلك بتأثير الروح القدس الساكن فيه .

رؤيا الانبا انطونيوس بانتقال

الانبـــا آمون

الراهب امونيوس القديس ، الذى كان يسكن وادى النطرون ، عده بعض الكتاب بأنه من رؤساء التجمعات الرهبانية فى نيتريا ، وهـــذا التقسيم كان فى عصر القديس اثناسيوس ينحصر فى ثلاثة تجمعات فى نيتريا وفى وسط الوادى ، وفى طبنسين فى اقصى الجنوب ، وان كان القديس الانبا انطونيوس دعى بأبو الرهبان . بل وانكر دير ابى مقار فى كتابه عن حياة القديس الانبـــا اثناسيوس ص ١٠٥/١٠٧ وهامش ٤٧ بأن تاريخ القديس الانبا انطونيوس ،

لم يكن كاتبه القديس اثناسيوس ، ولكن تركه احد المؤرخين المجهولين ، الذى كتب تاريخ اثناسيوس بدقة واسهاب ، وترتيب وذلك فى نهاية القرن الرابع اى بعد نياحة القديس اثناسيوس لفترة وجيزة جـــــدا . وفى أيام البـــــابا ثاوفيلس ، وقال هذا الزعم ، بأن تعتبر هذه الوثيقة أهم وثيقة تاريخيــــة فى تاريخ الكنيسة قاطبـــة ، وهذا الزعم الباطل ينكر صحة ما كتبه اثناسيوس وما كتب عن الانبا أنطونيوس . وأن الزعم بأن الكاتب مجهول فيعد المصدر التاريخى لا قيمة له ، وان كان هذا الرأى يخالف كل ما ذكر فى جميع الفهارس العالمية بأن مصدر تاريخ حياة القديس الانبا أنطونيوس هو ما كتبه القـــديس اثناسيوس عنه ، وكما سبق أن ذكرت سابقا . والتاريخ وثيقة واذا لم توجد وثيقة لا يوجد تاريخ .

وانى اتساءل الآن لماذا يترك الانبا ميخائيل هذه التشوهات لتــــاريخ الكنيسة والتى تصدر عن دير أبى مقار ، اذا كان المسئولين فى الكنيســــة لا يقدروا أن يعملوا شيئا تجاه هذا العبث بمقومات كنيستنا .

الانبا امونيوس :

سبق أن أشرنا الى أن القديس الانبا امونيوس كان من المصـــــاحبين للقديس اثناسيوس الى مدينة رومية ، واشرنا الى أن القـــديس اثناسيوس قال بأن القديس الانبا أنطونيوس ، كان يحترم القديس أمونيوس أحتـــراما عظيما ، وكان يزوره فى صومعته التى كانت تبعد عنه ثلاثة عشر يوما ، ولهذه الصلة استطاع القديسان فى التوسع فى أنشاء عديد من الجماعات الرهبانية على النظام الانطونى .

روى السنكسار يوم ٢٠ بشنس فى ذكرى نياحة الانبا أمونيوس بانه بعد فقد أبويه ، وبعد ان اصبح تحت وصاية عمه ، اصبحت كل آماله متجهة الى عيشة البتولية والقداسة ، غير أن عمه خطب له فتاة عفيفة على غيـــر ارادته ، ولما لم يكن فى قدرته مخالفة عمه ، اخذ فى مخاطبة خطيبته بالاقوال الروحية .

وقد استطاع بسيرته المقدسة أن يؤثر عليها تأثيرا حسنا ، فحبب اليها عيشة الطهارة ، وغرس فى قلبها الميل الى تكريس النفس لتكون عروســـا للعريس الحقيقى يسوع المسيح . وقد اتفقا الاثنان على أن يقبلا عقــــد زواجهما ، وهما مصممان على أن يعيشا معا كأخ مع أخته . وبعد أن مـــرت

سبع عشرة سنة على زواجهما وهما محتفظان بشروط العفـــة والامانة ، ماتت زوجته ، فرأى هذا القديس فى حلم أن القديس الانبا انطونيوس يدعوه الى نبس اسكيم الرهبنة ، ولما آستيقظ من النوم نهض وذهب الى حيث يقيم القديس ايسيذوروس ، الذى البسه الاسكيم المقدس . ثم قصد بعد ذلك الى الجبل حيث يقيم القديس الانبا انطونيوس ، فأقام عنده مدة ، وتتلمذ عـــلى يديه مبادىء وقوانين الرهبنة ، وبنى له مغارة فى الجبل ، فأجهد أمونيوس نفسه بعبادات كثيرة وانتصر على الشيطان فى كل تجاربه ومكائده .

وقد أوفده الانبا انطونيوس الى وادى النطرون ليؤسس أديرة هناك ، فتبعه جمهور من المؤمنين ، فنظم لهم أحوال معيشتهم .

وفى آخر ايام القديس امونيوس(٢) ، اخذ عدد أولاده الرهبــــان فى الزيادة ثم تنيح ما بين ٣٤٢/٣٥٠ م .

قال القديس اثناسيوس ، « بينما كان القديس الانبا انطونيـــوس فى الجبل رفع عينيه الى السماء ، ورأى بغتة رجلا محمولا الى أعلى ، فلمـــا

---

(٢) فى كتابنا ـــ دائرة المعارف القبطية الجزء الثانى ص ٢٥٨ ذكرت عن حياة القديس الانبا انطونيوس بأننا نورد ملاحظات مختصرة عنه وسوف نفرد له معظم الكتاب الثالث الموجود الآن . وذكرت فى ص ٢٦٤ أن جســده سبق أن خرج من مصر من كنيسته بدير الميمون فى ٢٧ يونيه عام ٥٢٧ م الخ . فوجدنا بمقالة بجريدة وطنى فى ٩٢/٩/٢٧ ص/٥ . عن دراســة لشــخص يدعى نبيه كامل يركز على دير الميمون كمكان مفضل للقديس أنطونيوس — بما يوحى أنه صاحب الفضل فى هذا الكشف علما بأنه لم يرد قبل ذلك ما يشير الى هذا الدير الذى كان يضم ١٥،٠٠٠ راهب سوى مؤلفاتنا وأبحاثنا ، الى أن وقع هذا الكاتب فى شرك رهيب حينما ذكر أن أنطونيــــوس ظل بديــره بالصحراء الشرقية الى أن رحل عام ٣٥٦ م وترك القديس آمون ليخلفه فى رعاية الرهبان .

علمـــا بأن القـــديس آمـــون توفى قبل القديس الانبـــا انطونيوس بعدة سنوات . والقديس أنطونيوس ذاته هو الذى رأى الرؤيا عن الرجـــل المحمول الى السماء وسمع صوت السماء يقول « هذه نفس المبارك آمون » . ونحن نشكر الله ، لصدور القانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٩٢ الخاص بحمـــاية حق المؤلف والذى جرم بعقوبة الحبس والغرامة طبقـــا للمادة ٤٧ على الاعتداءات على حقوق المؤلف . علما بأن هذه المصنفات سبق أن ســـجلت بمأمورية توثيق القاهرة برقم ١٩٥٩/١٠٢٥ ، ٦٢٨ فى ١٩٨٠/٥/١ بل ونشر معظمها منذ أكثر من ٢٤ عام .

استولى عليه العجب ، مجد الله ، وبارك الشخص الذى حسب جيداً بهذه المكرمة فصلى وطلب من الله أن يعرفه من هو هذا الرجل الذى بلغ هذه الذروة .

فسمع فجأة صوت من السماء يقول هذه نفس المبارك امون ، راهب نيترا ، الذى كان مقيما بوادى النطرون ، وقال اثناسيوس بأن آمون هذا كان رجلا مقتدرا ، وفارسا شجاعا فى التوحد والنسك . وقد ترهب فى صباه الى أن بلغ سن الشيخوخة ، وكانت نهاية حياته أعظم من بدايتها ، وكانت المسافة بين وادى النطرون والجبل المقيم به القديس انطونيوس سفر ثلاثة عشر يوما .

والناس الذين كانوا مع القديس الانبا أنطونيوس لما رأوا ذلك ، تعجبوا بهذه الكيفية ، من جهة آمون المبارك . وقد التمسوا من القديس الانبا أنطونيوس ، أن يخبرهم عن وقت أنتقاله من العالم ، أن هذا قد وقع وقت ظهور الرؤيا له .

فلما سمع الاخوة من الانبا أنطونيوس خبر انتقال الانبا آمون الشيخ من هذا العالم ، حفظوا اليوم والساعة الذى حدث فيها ، ولما حضر بعض الاخوة من وادى النطرون بعد ذلك بثلاثة عشر يوما استعلموا منهم عن وفاة المبارك امون ، فعلموا أن أيامه انتهت فى نفس اللحظة والساعة اللتين ذكرهما أنطونيوس ، والوقت الذى نظر فيه آمون مرفوعاالى السماء ، فتعجب الاخوة فعلا فيما بينهم من طهارة روح أنطونيوس ، كيف أنه نظر أمامه بوضوح وجلاء ما تم على بعد سفر ثلاثة عشر يوما ، وهو صعود روح آمون الى السماء .

قال أنطونيوس ، أراد آمون اثناء رهبنته أن يعبر نهر ليكوس ، وكان وقتئذ فى فيضانه ، فطلب من زميله ثاودورس(٣) أن يبقى بعيدا لكى لا يرى أحدهما الاخر عاريا عند اجتياز الماء عند العوم .

---

(٣) القديس تادرس الذى ذكر فى هذا الموضوع يختلف عن القديس تادرس الشطبى وعن تادرس الشرقى ، وكان من أقطاب الرهبان المعاصرين للقديس الانبا أنطونيوس ، كان مركز رهبانيته على ساحل البحر الاحمر والكاتدرائيات الموجودة بوادى قنا . تسمت احد الموانى القبطية على البحر الاحمر على اسمه باسم ميناء تادرس ، ولا زال يوجد بئر ماء أيضا موجود

وعندئذ لما ابصر ثاودورس خجل آمون حتى من أن يرى نفسه عاريا . وبينما كان متفكرا وهو ملىء بالخجل حمل على الشاطىء الاخر بغتة ، أما ثاودورس ، فاذ كان رجلا صالحا ، اقترب ورأى آمون عبر أولا ، دون أن تسقط منه نقطة ماء ، فسأله كيف عبر ، ولما رأى أن آمون لا يخبره امسك بقدميه وصمم أن لا يطلقه ، قبل أن يعرف منه الحقيقة ، ولما رأى آمون تصميم ثاودورس فى الحاجه ، طلب منه أن لا يخبر احدا قبل موته ، واخبره بانه قد حمل ووضع على الشاطىء الاخر ، وانه لم يضع حتى قدمه على الماء . وأن ذلك لم يكن ممكنا لأى انسان بل للرب وحده ، ومن يسمح هو لهم . وعلى ذلك لم يخبر ثاودورس بهذه القصة أحدا الا بعد موت آمون(٤) .

شفاء شاب به روح شرير

ومرة نزل القديس أنطونيوس الى صومعته الخارجية ، وطلب منه أن يدخل سفينة ويصلى مع الرهبان ، فلاحظ هو وحده رائحة كريهة جدا . واما الذين كانوا على ظهر السفينة ، فقالوا ان الرائحة الكريهة منبعثة من سمك ولحم مملح فى السفينة ، فأجاب بأن هذه الرائحة تختلف عن هذا .

وبينما هو يتكلم صاح شاب فيه روح شرير كان ، قد جاء واختفى فى السفينة ، ولما وبخ الشيطان الذى فيه باسم الرب يسوع المسيح ، انصرف الشيطان عنه فورا ، وصار الانسان صحيحا ، وعرف الجميع بأن الرائحة الكريهة كانت منبعثة من الشيطان .

شفاء الراهبة بوليكراسيا

قال أثناسيوس : حضر الى القديس الانبا انطونيوس أمير يدعى ارخيلاوس فوجده بصومعته بالجبل الخارجى يصلى وحده ، فتوسل اليه أن يصلى من أجل راهبة تدعى بوليكراسيا من مدينة لاودكية ، وهذه الراهبة

بهذه الجهة على اسمه كذلك — وتقع بجوار المنطقة المسماة الآن بمجاويش .

(٤) كان الانبا أمونيوس مصاحبا للقديس الانبا انطونيوس بجبل نتريا وكان يبنى التلالى معهم على بعد ١٢ ميلا من الاديرة المقامة حاليا .

كانت أمينة ومخلصة فى الحياة النسكية . وكانت مصابة بآلام فى المعـــدة والجنب الايمن ، وكان جسمها كله معذبا ، فلما صلى لأجلها القديس ، وهى بعيدة عن المكان ، كتب الامير اليوم والساعة التى حصلت فيها الصــلاة ، وصرفه القديس ، وعاد الى بلده . فلما ذهب الى اقليم لاودوكية وجد الراهبة بوليكراسيا ، فى صحة تامة . فســأل عن الوقت الذى تخلصت فيـــه من عذاباتها ، وبآية واسطة تم لها ذلك ، فقالوا ان رحمة الله سكبت عليهـــا على غرة فى وقت معين ، وأنها استراحت وشفيت من آلام المرض الشديد ، وعندما ختموا قصتهم بشأن مرضها وشفاءها ، أخرج الاميــر ارخيلاوس ، الورقة المكتوب عليها اليوم والساعة التى صلى أثناءها القديس أنطونيوس من أجل الراهبة المؤمنة ، فاتفقت روأيتهم مع ما هـــو مكتوب على الورقة ، كأنها كتبت بالقلم فى ذات الوقت . فاستولى العجب على كل واحد ، وسلم الجميع علنا بأن الوقت الذى صلى فيه القديس هو نفس الوقت الذى تم لها الشـــفاء تماما .

وقد جرت على يديه عدة أمور من هذا القبيل ، وكذلك عنــــدما كان الاخوة المسافرين من مصر ليأتوا اليـــه ، كان يعلم بهذا الامر مقدما ، ويعلنه لمن يتفق وجودهم معه ، وكان أحيانا يذكر أحداثا قبل أن تحدث ربما بأشهر وأيام وهذا قبل ميعاد مجيئهم اليه ويعلن الداعى لحضورهم .

وكان البعض يحضر طلبا للشفاء من امراضهم ، والصلاة من أجـــل ضيقاتهم ، ولم يشعر أحد بأن هذا الطريق طويل ومتعب .

فاستولى على القديس التعب واليأس لأن الراحة التى كان يحصـــل عليها الكل من قبله ، كانت تفوق التعب الذى كانوا يتحملونه . وكلما رأى اى انسان هذه الانتصارات ، اشتاق ان يسمع أخبار القـــديس الانبـــا أنطونيوس ، وكان يقول ان هذه الاعمال هى من نعمة الله ، التى تعتبـــر الناس الجديرين بمثل هذا الاهتمام غير مستحقين وضعفاء ، ثم جاء اليــه رجل مجرب بروح نجس بشدة عظيمة ، حتى أنه لكثرة ما عاناه من الضيق والكرب . ذهب اليه ، فلم يستطع أن يفهم أى سؤال يوجه اليه ، ولم يبـــق من كل جسمه قطعة الا وتمزقت من العض ، والذين احضروه أخـــذوه الى القديس أنطونيوس والتمسوا فيه أن يصلى له ، فنظر اليه أنطونيـــوس الشيخ ، واذ ظهرت رحمته ، أخذه من يده ، وأوقفه وجثا على ركبتيـــه امامه ، وسهر معه الليل كله يصلى ، وعند الفجر اقترب الشاب الى القديس أنبا أنطونيوس من وراءه وضربه ، فأخذ الناس الذين احضروا الرجل ، لكى يوبخوه ، ولكن القديس قال لهم ، لا يغضب أحد منه ، فان هذا العمل ليس

من أعماله بل من عمل الشرير الساكن فيه ، لأنه أمره بالخروج من خلقة الله ، والعودة الى مكانه .

لذلك اغتاظ منه ففعل هذا الامر ، فمجدوا الله للأمر الذى تم لأنه فيه آية ، فتأكدوا منها ، أن الله صنع خلاصا ، ولما قال القديس الانبا أنطونيوس بهذه الاقوال ، وشفى الشاب فى الحال ، وعاد الى نفسه وتذكر محل وجوده ، بواسطة من تم له الخلاص ، وأخذ يسلم على القديس ويحييه ويعترف بالله ، بحجج كثيرة قوية وقد قص المؤمنون أمورا عديدة جدا من هذا النوع ، ولكنها ليست كبيرة الاهمية بجانب الاعمال الاخرى التى صنعها القديس .

الفصل الســـــابع

روحانية القديس الانبا أنطونيوس

قال أثناسيوس : حينما كان أنطونيوس يصلى فى الساعة التاســـــعة رأى أن فكره قد تمجد . فمع أنه كان موجودا على الارض ، فتحول عقــله ، ولم يجعله يشعر انه يعيش على هذه الارض ، ورأى ان نفسه لم ترتفع بقوة عقله ، بل كانت فى حكم الملائكة .

فلما قام ونظر ورأى ان قوات أخرى أتت ، ووقفت أمامه ، ومنعته من المرور ، وقالت ، لنرى ماذا يفعل أنطونيوس ، فالتفت أنطونيوس وانتهرهم ، وقال لهم ان ربنا بنعمته لم ينظر الى تقصيره وخطاياه ، قبل أن يصير تلميذا ، فالتفت اليهم الذين يرشدونه ، وقال لهذه القوات انكم دخلتم فى انتصارات أنطونيوس وأعماله وأفعاله بعد التلمذة ، وعليه قد تمجدت نفسه فى الحال الى المنزلة التى بلغتها ، وبعد أن سكن عقله شعر بما رأى وحدث ، ومجــد وشكر الله بسبب جميع ما وقع .

ثم واصل الصلاة ، طوال الليالى التالية ، ولم يذق فيها طعاما البتة .

ولا بد للانسان أن يتعجب من شدة مصارعتنا ، وجسامة التعب الذى ينتقل به الى هذه الهيئة ، وأن يتذكر ويقول هذا هو كلام الرسول الذى تكلم قائلا ، أن مصارعتكم مع ولاة العالم (أفسس ٦/١٢) ولهذا السبب أمــــر الرسول نفسه قائلا ، احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاومـــــوا فى اليوم الشرير (أفسس ٦/١٣) حتى لا يوجد لابليس آية فرصة لأن يقول عنا اننا خزينا تماما .

وفيما يختص يا أحبائى بتاريخ القديس ، لنتذكر مسألة الرسول الذى قال ، أفى الجسد لست أعلم ، أم خارج الجسد لست أعلم ، اللـــــه يعلم . (كورنثوس ٢ — ١٢/٢) .

وقد خطف بولس المبارك الى السماء الثالثة وسمع كلاما لا يمكن النطق به ثم نزل ، اما أنطونيوس المبارك ، فقد رفع الى المكان الذى رفع اليـــه ،

وحصل على ميثاق ثقة أتعابه ، وعاد وسكن مع نفسه ، ووجدت معه النعمة ايضا ، وعندما كانت تجول مفكرة ، آية مسألة لم يدرك حقيقتها — يتضرع فى صلاته فتنكشف له ، وفى كل هذه الامور كان الله يعلم ويرشده كما هو مكتوب .

رأى القديس انطونيوس

فى الأرواح

ووقع جدال بين القديس الانبا أنطونيوس وبين بعض الناس الذين أتوا اليه بشأن روح الانسان ، والتصرف فيها ، والمكان التى تذهب اليه بعد مفارقته الجسد . وفى يوم قال أنه سمع صوتا من السماء يقول ، أخرج يا انطونيوس ، فميز انطونيوس بين الاصوات السمائية ان كانت اصوات الاعداء أم لا ، فرفع عينيه ، ورأى شكل انسان راسه ممتدة الى السماء ويحاط بجماهير سمائية ، بعضها يطير بأجنحة ، والبعض يحلق فوقه ، فأخرج يديه ليمسك البعض منها . ولكنم لم يتمكن من ذلك ، فهذه القوات المجنحة ، التى كانت تطير هى التى حفظت أيمانها وأعمالها ، أما الاخرى فأمكنه أن يقبض عليها لأنها لم تقبل الايمان ، وكانت بعيدة عن الأعمال . ثم رأى انطونيوس شبح الانسان المتقدم ذكره يصر على أسنانه بمرارة على الذين كانوا ، يرفعون الى الحياة الابدية ، لأن ابن الهلاك كان يسر اذا هلك معه كل انسان ، وفى الحال أتى لأنطونيوس المبارك صوت يقول اعلم ما صنع ، حينئذ علم أن هذا هو ممر الارواح . وأن الواقف فى الوسط هو الشيطان عدو البر . هذه هى الرؤيا التى ظهرت له فأفهمته ودفعته الى الانتصار فى شيخوخته .

ولم يختبر بهذه الامور بارادته ، ولكن الاخوة الذين رأوه اثناء الصلاة ، رأوا أنه شاهد شيئا فتعلقوا به ، والحوا عليه أن يخبرهم بما جرى ، فلما اختبر فكره ، ورأى أنه خال من الافتخار قرر فى نفسه أن آلاخبار بمثل هذه الامور من شأنه ان يحمل الرهبان الاحداث على الثبوت فى الحرب ، الذى يقيمه علينا العدو ، وعدم الوقوع فى قبضة يده بأية طريقة كانت ، حتى لا يستطيع أن يرفع عقبه علينا . وبعد أن قرر ذلك ، كشف وأعلن لهم المسألة بأسرها ، كما ظهرت له ، لأنه كان طويل الاناة فى الامور اللائقة ، وكثير الحلم فى الروح . وكان فى جميع هذه الامور يحافظ على قوانين الكنيسة بكل دقة ، ويجاوب كل انسان حسب درجته ورتبته ، فكان يكرم الاساقفة والشيوخ اكثر منه ، كانه ملزم بذلك حسب واجباته .

ولم يخجل أن يحنى راسه أمامهم فى وقت البركة ، أما الشمامسة فكان يستقبلهم بالفرح والمحبة ، ومع أنه كان يلقى عليهم كلام البر والنصح كأب ، فقد كان فى وقت الصلاة يجلسهم فى صدر المكان بسبب السلطان الذى أعطاه الله لهم قبلا . وكان يتأمل فى البر ، ولم يسمح فقط فى جعل الغير يسمعون الكلمة بل كان يسر هو أيضا بسماعها ، ولم يستح من ذلك البتة ، ولو انه رجل شيخ ومشهور . لانه فى مرات عديدة كان يستعلم من الناس الملازمين له ، وكان يتوسل اليهم أن يلقوا عليه ما يناسب معيشته وأعماله ، ويعترف أنه استفاد منهم كلما دارت بينهم مناقشة فى مثل هذه المواضيع .

انطونيوس المبارك

الروحانى

كان وجه القديس الانبا أنطونيوس ، يعلوه بهاء الفخر وقد استولى العجب على جميع الناس من جراء ذلك ، فكلما اتفق وجوده مع أناس كثيرين ، وحضور رجل لم يسبق له رؤية أنطونيوس المبارك ، كان نظره يمر بسرعة على جميع الناس ، ويتفرس فيهم ، ويميز الزائر الجديد ، وهذا الاخير بسبب بهاء النعمة الساكنة فيه ، يترك بقية الناس ويقصده بجرأة ، كان حبالا تجره اليه ، وليس السبب فى ذلك أن أنطونيوس المبارك ، كان أطول قامة عن أى انسان آخر . أو لأن هيئته الظاهرية أجمل من هيئة غيره من الناس ، بل السبب هو تلك الانتصارات الروحية الموجودة فيه ، كما هو مكتوب ، الفرحان يطيب الجسم ، والروح المتسخة تعبس الوجه (أمثال ١٢/١٧) وزيادة على ما ذكر فان يعقوب ميز فى هيئته عن وجه لابان ، أنه كان يضمر له الخيانة والغدر لانه قال لزوجته ، اننا نرى وجه أبيكما انه ليس نحوى كأمس وأول من امس (تكوين ٣١/ ٥) وكذلك صموئيل عرف داود علامة عينيه وكانت هيئته مفرحة — صموئيل ١ — ١٢/١٦ — هكذا كانت حالة انطونيوس وكان كل الذين ينظرون اليه يعرفونه بهذه الدلائل ، أما فى حالة الكد رفكان وجهه يضطرب .

الفصل الثامن

مقاومة القديس الانبا أنطونيوس
للأريوسية ، والوثنيين
واعطائه النصائح للحكام اليونانيين

كان القديس الانبا أنطونيوس ثابتا فى الايمان ولا يتزعزع وكان يتمسك بهذا الايمان بالفهم ، ولم يكن كغريب عن الاحداث التى تمر على الاقبـــاط ، بسبب معيشته داخل البرية ، مع الرهبان الاخرين ، أو لوجوده منفــردا ، فكان يتحرى عن ايمان الناس حينما كان يستقبلهم ، ولم يختلط أبدا مـــع الميليتين الهراطقة ، المقيمين بمصر ، وهم أتباع « ميليوس » أسقف ليكو بوليس الذى عزل لسوء تصرفه عام ٣٠٦ . وكان يعلم منذ البــداية ، انتشـــار الهرطقات الاخرى ، فلا يدخل صداقته مع المانيين ، وكان ينصح الناس بأن يبتعدوا عن هذه الهرطقات ، وكان يقول لهم ، أنه لا فائدة فى المناقشة فيها أو فى نتائجها ، كذلك كان الاريوسيون مكروهين ، ومحتقرين فى عينيه حتى أنه ابتعد كلية عن معاملتهم ، ونصح الغير بأن يبتعدوا عن كلامهم وتعـــاليمهم ، واتفق مرة أن ذهب اليه البعض من أصحاب مذهب آريوس ، ولكنه لما استعلم منهم وسألهم عن مذهبهم ، فعلم انهم من أتباع عجينـــــة خمير الفريسيين الاريوسيين وطردهم من الجبل ، وكباقى الحيوانات البرية والافاعى ، وقال لهم نكم أمر وأشر من الحيوانات المفترســـــة والثعـــــابين المميتة ، واذاع الاريوسيون مرة خبرا والقوا وشاية فى العالم ، اذ أخذوا يطوفون ويقولون ان أنطونيوس قد وافق على عقيدتنا وقبلها ، فلما بلغه هذا الخبر ، استحوذت عليه الدهشة ، واستغرب كثيرا من أكاذيب الاريوسيين ، وكيف أثبت لهـــم الضلالة بواسطة وقاحتهم .

فلما رأى الاساقفة وسائر الاخوة انتشار شر الاريوسيين ، وأنهـــــم أذاعوا هذا الخبر فى المدينة كلها ، توسلوا الى القديس ان يبذل بعض الجهد لكى يفضح أمر هؤلاء الكذابين ، وحملوه على النزول الى مدينة الاسكندرية ، والاعلان بها جهارا بأن الاريوسيين ، مجدفون فيقع اثمهم على رؤوسهم ،

فلما نزل اجتمع هنالك جمهور من الناس عندما اختبروا محبته ، وبعد أن تم اجتماعهم نصحهم وحذرهم بصوت عال بأن يحترسوا عن ضلال الاريوسيين ، وقال لهم ان هذا هو أصل جميع الهرطقات ، وهو عمل المسيح الكذاب ، فابتعدوا اذا عنهم لكى لا يفسدوكم ، ونستعيذ بالله من الاعلان بأن ابن الله مخلوق أو وصفه بأنه ناشىء من العدم ، فانه من جوهر الاب وهو ابنه . لذلك يخطىء خطية عظيمة من يقول بأنه كان وقت لم يكن الابن فيه ، لأن الكلمة كان عند الله فى جميع الاوقات ، وهو مساو له فى الجوهر . لذلك اهربوا من الاختلاط بهم لئلا تشتركوا فى تجديفهم . فلا علاقة بين النور والظلمة . ويجب أن لا يكون لكم أى صلة بهم على الاطلاق ، وأن لا تتشبهوا بهم أو تختلطوا معهم لأنكم ببر ايمانكم مسيحيون مؤمنون ، والذين يقولون بأن ابن الله الحى هو مخلوق فلا فرق بينهم وبين الوثنيين ، الذين يعبدون المخلوق دون الخالق .

وصدقونى يا أحبائى أن المخلوقات ذاتها تفضل على الذين يعبدونها ويقدمونها على خالقهم ، والذين يخلطون ويقارنون المخلوقات برب الكون وخالقه .

بناء على ذلك اعتبر جميع الناس أن الاريوسيين هم مثل بقية الهراطقة ، عدوهم فى نظرهم مجدفين كفرة ، وتثبت الجميع فى الرأى الصحيح فى الايمان ، ثم أن أهل المدينة من مسيحيين ووثنيين ، ومن كانوا يدعون كهنة هرعوا الى الكنيسة لينظروا رجل الله ، كما كانوا يسمونه ، وفى تلك المدينة أيضا ، صنع الله على يد القديس آيات ، وعجائب كثيرة ، وكثيرون ممن فسدت عقولهم بالضلالة قد نالوا بواسطته مسائل الشفاء حتى اعتنق المسيحية فى ذلك اليوم عدد من الناس يزيد عن عدد المنضمين اليها فى السنة كلها ، والتمس جم غفير من الوثنيين أن يسمح لهم برؤية القديس والاقتراب الى عبادته ، الى هذا الحد العجيب ، قد بلغ مقدار السلطان لهذا القديس .

ولما رأى الاخوة ضوضاء عظيمة ومضايقة الناس له ، والازدحام حوله ، افسحوا لأنفسهم ، طريقا وسطهم ، وأحاطوا به ، لأنهم ظنوا أنه يختنق من هذا الزحام . غير أن هذا القديس أجاب وقال لهم بهدوء ، وتبسم ، دعوا الناس يحصلون على رغبتهم ، فماذا تظنون ؟ ألا يسهل على أن احتمل احتشاد المؤمنين ، هذا كما احتمل اجتماع الشياطين الموجودين بالبادية .

ترك القديس الاسكندرية وذهابه الى صحراء

البحر الاحمر ، وشفاءه للمضى

بعد أن أتم هذه الامور بالاسكندرية خرج ليسافر الى البرية ، فتعلقت به المدينة بأسرها . ولما اتى الى جانب باب المدينة جاءت امرأة تعدو بــكل قوتها وصرخت قائلة ، أنتظرنى قليلا يا رجل الله ، فان ابنتى يعذبها الشيطان عذابا اليما ، فألتمس منك أن تنتظر وتشفيها ، وزيادة على ذلك لا تدع روحى تخرج من كثرة الافراط فى العدو .

فلما بلغ الصوت أذنى الشيخ ، فأتى ، ووقف حتى اقتربت منه المرأة ، والقت ابنتها عند قدميه ، فنظر القديس الى السماء ، ونطق باسم الســيد المسيح على الشيطان ، فانتحبت الفتاة فى الحال والتفتت الى والدتها ، اذ تخلصت من عبودية أبليس ، فقدم جميع الناس الشكر لله . ومجدت أم الفتاة لمن خلصها . وبعد أن صنع القديس هذا العمل استأنف السفر فى الحال ، لأنه كان يسر كثيرا فى ذهابه الى البرية ، كمن يفرح عند عودته لداره ، ودار أقربائه ، بعد غيبة طويلة ، وكان أنطونيوس المبارك رجلا حكيما ممتلئــــا بالفهم ، وكان القوم يستغربون كثيرا ، كيف أن العلم والادراك يوجدان فى رجل لم يتعلم القراءة والكتابة .

زيارة الفلاســفة اليونانيين

للقــديس

المناقشة كانت باللغة القبطية :

كانت المناقشة التى حدثت بين القديس اثناســـيوس والفلاســـفة اليونانيين باللغة القبطية التى كان يجيدها القــديس أنطونيــــوس لأن اليونانيين قصروا تعلم هذه اللغة على مدينة الاسكندرية وبعض البـــلاد القليلة فى مصر . وتركوا ما عداها من أنحاء القطر المصرى لأهله الاقبــاط ، وقالوا بأن اللغة القبطية كانت لغة الشعب القبطى .

لذلك كانت اللغة القبطية لها اليد الطولى فى الدفاع عن ايمان الكنيسة القبطية الارثوذكسية ، وهم يعلمون ان الكتب المقدسة قد نقلت اليها ، وجميع الطقوس الكنسية قد دونت بها ، وحرر بابابوات الكنيسة بالاسكندرية رسائلهم الدورية لكنائس القطر .

ملاحظات :

وقال شامبليون فى كتابه عن تاريخ مصر القديمة(١) ، نقلا عن جيروم وهو عالم من علماء الكنيسة اللاتينية (٣٤٦/٤٢٠ م) بأن القديس انطونيوس كان لا يتكلم بلغة غير مصرية . وكان يتخذ القس ضرونيوس والراهب ايساك مترجمين له ، وقد كتب باللغة المصرية عدة رسائل بعث بها الى أديرة مصر العليا ، وان هذه الرسائل ظلت محفوظة زمانا طويلا(٢) .

وقال بوتلر فى تاريخ الكنيسة ، بأن القديس انطونيوس لم يكن يعرف لغة غير اللغة القبطية لغة بلده وعشيرته .

وقال بيرليرون Pierre Lebrun فى مؤلفه عن الليتورجيات (القداسات)(٣) أن أبو الرهبان القديس انطونيوس كان يجهل كل لغة ما عدا اللغة القبطية لغة مولده .

قال القديس اثناسيوس : —

« حضر الى القديس انطونيوس مرة فيلسوفان ليختبراه ، وكان مقيما وقتئذ بالجبل الخارجى ، وعندما وقع نظره عليهما من بعيد عرف ، وميز من أثوابهما ومن هما ، واذ خرج لاستقبالهما ، قال لهما بواسطة مترجميه ، لما تكبدتما كل هذا العناء لتأتوا وتنظروا رجلا متضعا . ؟ . فأجاباه بهذا الكلام . أنت لست متضعا بل حكيما ، فلما فهم كلامهما أخذ يقول لهما ، ان كنتما جئتما الى رجل متضع فباطلا تتعبون ، أما اذا صحت رؤيتكما وكنتما تعتقدان فى الحكمة الضيقة فكونا مثلى . لأنه لا يليق بنا أن نكون غيورين على الدوام فى الوصول الى الاشياء الحسنة ، فلو اتفق لى أن آتى اليكما ، لكنت ملزما أن أكون مثلكما .

(١) مصر القديمة لشامبليون ص ٢١٣ .
(٢) تاريخ الكنيسة لبوتلر مجلد/١ ص ٢٥٥ .
(٣) ليرون مقالة ١٤ فصل ٢ ص ١٧٥ .

وحيث انكما جئتما الى فتنصرا مثلى . فلما سمع هذان الفيلسوفان هذا الكلام ، ونظرا كيف أن الشياطين كانت تقف أمامه بخشوع ، وتخضع له ، استولى عليهما مزيد العجب ، وعادا الى أعقابهما ، ولم يتفوها بكلمة .

جاء اليه بعدهما آخرون مثلهما الى الجبل الخارجى ، وهم متهيئـون للاستهزاء به ، كأنه غبى جاهل . اذ سمعوا أنه مجرد من العلم والمعرفة ، وبعد أن أثقلوا عليه فى الكلام قال لهم الشيخ القديس ، أسألكم سؤالا واحدا ، تردون لى جوابا ؟ أيهما أقدم ، العلم أم العقل ؟ . وأيهما أصل للآخـر ، هل العلم أصل للعقل ، أم العقل هو أصل للعلم ؟ . فقال له الفلاسـفة . ان العقل هو رئيس العلم ، لأنه هو الذى اكتشف العلم ، فقال لهم ، اذا صاحب العقل الغير نبيه ، يفوق صـاحب العلم بكثير . فان الناس يختبرون كل انسان ، بأول كلمة تصدر منه ويعرفون أن كان ذا عقل حكيم أم لا . فتعجبوا هم أيضا مما نظروا وسمعوا وعادوا الى بلادهم .

وكان القديس الانبا أنطونيوس عميق الادراك حكيما عاقلا للغـاية ولم يكن كمن تربى فى البرية منذ صباه ، ولما شاخ تقدم فى أيامه ، وصار بسيطا فى كلامه ، وحاداً فى أفكاره . ومع ذلك كان كاملا فى كل شىء ، وكانت جميع صفاته مناسبة ولائقة ، وكان كلامه كما تقدم كثيرا بعـذوبة متشربا بالملح السموى ، بحيث لا يغضب أحدا من كلامه ، ولا يفتر من أعمال حيـاته اليومية ، أذ كان مستعداً لسماع اى نوع من الآراء والاجابة عليها .

واتفق مرة اخـرى ان ذهب اليـه بعض الناس من أصحاب الحكمة الدنيوية الذين كان اليونانيون يستقبلونهم ، بالسرور والابتهاج ، وأخـذوا يسألونه بشأن الايمان بربنا يسوع المسيح طالبين أن يربكوه بمناقشـة تختص بمسألة الصليب ، وتعاليم الهنا له المجد . ولما رأى أنهم اسـتعدوا للتهكم والسخرية ، احتملهم قليلا ، وبعد أن راقبهم ، زاد بشدة فى قلبـه على الضلالة الساكنة فيهم . ثم خاطبهم بواسطة ترجمان ، ما هى الغاية من نقل الكلام من اللغة المصرية الى اللغة اليونانية . فقال لهم أولا ، ما هـو الاسهل الاعتراف بالصليب ، أم الاعتقاد بالفسق والزنى والاعمال النجسـة مع الناس . يرتكبها من يسمونهم آلهة ؟ ، لأن التعليم الذى نتكلم ونعتقد به هو علامة الشجاعة ، الذين يزدرون بالموت ، ولا يعلقون أدنى أهميـة على العالم .

اما الدين الذى تكرزون به فهو لخدمة النجاسة ، وحب الشـهوات الدنسة ، وايهما انفع لنا فى الاعتقاد ؟ هل الاعتقاد بأن السيد المسيح هـو

ابن الله ؟ وانه هو بلاهوته لم يتغير البتة ، وانه لعنايته لفـداء بنى البشر اتخذ جسد طبيعتنا البشرية ، ومع لاهوته ، امتزج بها واتحد بها ، كمـا يخرجها بلاهوته ، أو أن نشبه الله تعالى بالحيوانات والبهائم ، وبسبب ذلك يشبه الانسان نفسه بحيوانات ودبابات الارض ويعبدها ، وعقيدتنا تقـول بأن السيد المسيح جاء ليفدى بنى البشر وأن ذلك لا يكون باعثا لنا على الزنا والكذب والظلم والشراهة والسكر والدعارة ، وسائر أنواع الترف الموجودة فى العالم ، واننا ننصح الناس أن يجتنبوا كل هذه الامور لأن العقاب تقـرر لكل من يجسر على المخالفة فى اى أمر منها ، فأنتم بخرافة التضايل تستغلون فى أعمال الرجس ، أما نحن فلاتكالنا على قوة الله ، ورحمته نعتقد أن الكرازة بالصليب أسهل لنا وأهون ، بينما أنكم بلا تمييز تشيرون الى كل الاعمـال المكروهة الى آلهتكم ، كما تفعلون ما تشاؤون بدون أية ملاحظة اخرى .

وثانيا : ايهما افضل هل تقولون عن الروح أنها صورة العقل أو الفهم ، وعندما تؤمنون النظر فى هذا الموضوع تعودون وتقولون أنها تنحل . وبمـا أن هذا الرأى هو نتيجة درسكم ، تقررون أن العقل نفسه يتجزأ ويتغير لأن الصورة لا بد أن تكون فى الشكل والشبه مطابقة تماما للاصـل ، ويجب أن تعلموا أنه اذا كان هذا فكركم عن العقل فانكم بذلك تجدفون على الآب ، وهل القول بأن كلمـة الله يتغير ، ولكنه هو هو بنفسه اتخذ جسدا بشريا من أجل خلاص البشرية وخيرها .

أما فيما يختص بالصليب ، فما هو الافضل لنا أن نقوله هـل أنه يحتمل بصبر الغضب الناشىء عن اعتداء جنون طبيعتنـا البشرية ، وانه لا يزول بالموت ، ولا يأتى اليه الحمـام الرائـع الذى يخيف الاقـوياء ، أو تنسب له الضلالة ، والرموز وطرق المكر والخداع والروايات الباطلة والمحرضات عن الخطية والهروب والسخرية والخزى ، المكتوبة فى خرافاتـكم التى احتمت فيها آلهتكم عندما وقعت فى الحروب والموت ، فان هـذه الامور هى منتهى كلمتكم .

لا تستهزئوا بالصليب قط ، ولا تتعجبوا من القيامة ، لأن الذين كتبوا عن صلب المسيح ، نادوا أيضا بقيامته ، واذا ذكرتـم الصليب ، فلم تتذكروا المعجزات والقيامة عن الموت وجميع الامور الاخرى أيضا ، أعنى شفاء العباد وتطهير البرص ، وابراء المفلوجين ، والمشى على المياه ، لانكم من هـذه يمكنكم أن تفهموا السيد المسيح ، وتتعلموا أنه ليس انسانا فقط ، بل اللـه أيضا ، فى الواقع يلوح لى أنكم تسلكون فى هذه المسألة ايضا مسلكا مجردا بالمرة ، من الانصاف والعدل ، لانكم لا تحكمون فى الامور بالصواب والحق ،

ولا تقرأون الكتب المقدسة كما يجب . وأن تقبلون وتؤمنون ببعض الامـــــور دون أخرى مماثلة لها ، بتأمين تصرفكم العادل فى هذه المسألة ؟ .

قولوا لنا الآن ، ما هى كتبكم ، وأوضحوا لنا ما تحتوى عليه ؟ وما هى الحيوانات التى تعبدوها ، والهوام التى تسمونها بأسماء آلهة ؟ . ان لم تكن موضوعا للهزء والاحتقار ؟ ؟ . ولكن أن جاء اليكم رجل خـــــال من الفهم ، تشبهون كل واحد منها باله كلام العقلاء ، وتشبهون فى الامور المستحيلة ، كى يظن الجهلاء أنها صحيحة ، فتقولون ان اغتصاب الفتاة يرمز لها بالارض ، وأن هيناستوس يرمز له بالنار ، والشمس يرمز لها بأبولون ، والقمـــــر أرطاميس والبحر بوسيدون ، ومخلوقات أخرى تدعونها آلهة ، حتى تجعلوا الناس يزوغون عن الاله الواحد الاحد ، خالق الكون ، ولا تطلبون اله الحق ، بل تعبدون المخلوقات دون الخالق ، لأنكم لو كنتم قد أعطيتم أسماء الآلهـــة لمثل هذه الاشياء لفرط جمالها لكفاكم الاعجاب بها بدون أن تكرموهـــــا فى عقولكم . هذا الاكرام المطلق العجيب ، وبسبب مبدأ الضلالة ، الساكن فى عقولكم ، لا يبعد عليكم ان تكرموا البيت دون الصانع الاعظم الذى هيئـــــه وزينه ، وأن تستخفوا بالملك ، وتمجدوا دونه جماعة الخدام ، فما هى حجتكم لهذه الاقوال ايها الحكماء الوثنيون ؟ . تكلمـــــوا لنعـــرف اذا كان يوجد فى الصليب ما يستحق الهزء والسخرية .

ولما كلمهم القديس بهذه الكيفية ، بما لم يمكنهم احتمال سماعه ، أخذوا ينظرون يمينا وشمالا .

ولما علم القديس انهم يقصدون سرا ان يعترضوا على كلامه ، خاطبهم ثانية بواسطة ترجمان قائلا ، الدليل على كلامى هذا هو شهادته . ولكن بما انكم تعودون الى عبارات الغش والكذب وتستعملوها بغاية المهارة والحذق وترغبون أن نسير مثلكم بدون حقيقة الفحص والاستقصاء ، عرفونى الآن بايجاز برهانكم ؟ أولا كيف يمكن فهم معرفة الله حق الفهم ؟ . وما هو الاقدم الايمان الذى من الاعمال أو الكلام ؟ فأجابوا وقالوا له الايمان الذى هـــو فى الحقيقة . هذه هى المعرفة الحقيقية . وقال لهم انطونيوس ، لقد أجبتم فى القول ، لأن الايمان علامة على المحبة التى تكمل النفس ، لأن النطق ينشأ عن الالفاظ المنظومة ، فلا يطلب بها الايمان الذى هو من أفكار مخترعة ، وهـــو مرتبط بها ، والبحث عن الالفاظ زائدة عن الحاجة ، فالمسائل التى تتذكرهـــا بالايمان ، تحاولون بكل الطرق تمثلونها بالمقارنات ، والتشبيهات ومهما بذلتم من الجهد لا تستطيعون ان تذكروا الامور ، التى أدركنا حقيقتها ، فمن البين

الجلى أن ايماننا ، الذى هو الاعمال أفضل بكثير من حكمتكم التى هى عبارة عن مناقشات لفظية ، ولا يمكن مطلقا أن تقاس كلمتكم بها .

لاننا نحن المسيحيين لم نحصل على سر الحياة بحكمة الالفاظ العجيبة بل بقوة الايمان التى أعطاها لنا الله رب الكل بيسوع المسيح ، وتـــرون الدليل على صحة ذلك فيما يلى ، لسنا نحن متضلعين فى الكتب ، لكننا نؤمن بالله ، وحاصلون على الفهم ، فيما يختص بخليقته ، ورحمته وعنايته ونعمته ولنا الثقة بالايمان بالمسيح يسوع . اذ ايماننا بحق ، أما أنتم فليس عندكم سوى الكلام المملوء بالمنازعات ، وبينما تتلاشى زينات أصنامكم ، تدريجيا ، يزيد ايماننا وينمو فى كل زمان ومكان ، وليس لكم قدرة على ضم مسيحى واحد الى الوثنية ، فبالرغم من كثرة مجادلاتكم ، وكلمتـــكم ، أما نحن فنزدرى بتعاليمكم ، بواسطة ايماننا بالدين المسيحى ، الذى نعتـــز به ، وليس فى كلامكم المنظوم قوة تبطل التعليم المسيحى .

زيادة على ذلك فاننا بالصليب الذى تحتقرونه ، نطرد به الشياطين التى تعبدونها كأنها آلهة . وانما ذكر اسم المسيح مصلوبا ، تزول جميع حيـــل ومكائد الضلالة ، فان كان عرافة فانها تتلاشى ، وان كان سهراً فانه يزول ، ولا بد لكم أن تسلموا بأن هذا وقع فعلا عندما نسألكم ، أين العرافة ، أين السحارون الذين كانوا فى مصر ؟ . أين خيالات ضلالة العـــرافة ؟ . ومتى زالت هذه الاشياء الخاصة بكم ، ان لم يكن ، عند ذكر الصليب المسيح ، فهل هذا الصليب يستحق الازدراء ، أحكموا فى هذه المسألة بأنفسكم وتبصروا فيها وتعصبوا منها ، ومن الغريب أن تعليمكم لم يضطهد من قبل ، بل أكرمها الناس فى كل مدينة ، بل اضطهد المسيحيون فى هذا الوقت فقط ، وقد وجــد فيه الملوك المسيحيون بالكرامة ، والجلالة فى كل مكان ، وكلما أتى الاضطهاد اختبأ تعليمكم ، بينما تعاليمنا الذى مرت عليه عواصف لا تحصى يزداد رسوخا ، وتعليمكم يحتقر ويرفض بالرغم من تحبيذه وتمجيده ، أما الايمان بالمســـيح وتعاليمه فقد ملأت الارض ، مع الازدراء بها منكم ، ومع ذلك ازداد ضـــياء معرفة الله — عظيم فى أعماله ، وتمجد فى أفعاله ، واذا اضطهدت المسيحية فقد انتشرت الى أقاصى الارض بدون أن يهتم بنشره أحد ، لأن حلول معرفة الله على العالم وزيادة الورع وسطوع نور البتولية ، واحتقار الموت كل هذه تمت بعد مجىء صليب الظفر ، وانتصاره على جميع انحاء الارض ، ولا يرتاب أحد فى هذا الامر اذا راعى الشهداء والاطهار الذين استخفوا بالموت بسبب نصرة الصليب . ألم نر الكنيسة فرحة بالجماعات التى تعـــد من البتوليين والمتبتلات الذين يحفظون أجسادهم فى الطهارة الكاملة ، هؤلاء هم الامثـــلة الحقيقية التى تعلن وتظهر ايمان المسيح ، وهى الثقة الحية والمعـــرفة فى

الايمان للمتكلمين عليه ، فان كنتم فى ريب حتى الآن فذلك لأن فكركم تتقيد بعبارات العقد والحل ، التى لا تستطيعون أن تصلوا الى نهايتها ، فاننا لا نضل مثلكم ، بتملق الحكمة الغريبة ، بل نبرهن على ايماننا حسبما تتكلم به تعاليمنا ، ونظهر بكل وضوح واستعداد لمبادئنا لكل من أراد .

وكان يوجد فى ذلك الزمان بعض اناس معذبين بالشياطين فى أجسامهم ، فأمرهم القديس ، فخرجوا ووقفوا فى الوسط ، ثم أجاب وقال لأولئك الحكماء ، اقتربوا الآن ، وبآية واسطة يريدونها سواء كان بحكمة أصنامكم المشهورة أو سحركم وعرافتكم ، انطقوا بالكلمة ، واشفوا هذه الارواح الحزينة من عذاباتها ، وأما اذا كنتم لا تستطيعون أن تفعلوا ذلك فابتعدوا وكفوا عن هجماتكم العدوانية نحونا . فتبصروا للوقت قوة الصليب الذى للمسيح ، ثم رسم عليهم علامة الصليب ثلاثة مرات فبرئوا فى الحال ، وانتصبوا ، فلما راى أولئك الفلاسفة ذلك من هو وأثنوا عليه كثيرا وتعجبوا فعلا من فهم هذا الرجل ومن الآية المنظورة التى صنعت على يده ، فقال لهم القديس ، لماذا تتعجبون من هذا الامر ؟ . لسنا نحن الذين صنعنا هذا بل السيد المسيح هو الذى عملها ، المعتاد أن يصنع مثل هذه الامور على أيدى خائفيه ، آمنوا وصيروا مثلنا ، وانظروا انه ليس عندنا حيل الشياطين ، بل الايمان فقط الذى يكمل بمحبة المسيح ربنا ، فان كان لكم ذلك ايضا لا تحتاجون الى لطلب المحاولات الكثيرة . لأن العمل ذاته يقنعكم أن تعلمنا بنمو ويزداد ويعطى ايمان ربنا يسوع المسيح لا بالكلام بل بالاعمال الظاهرة ، هذا هو الكلام الذى كلم به القديس أولئك الفلاسفة الذين مكثوا ليسمعوا كلامه واختبروا وحصلوا على برهان الصفات العقلية التى كان أنطونيوس متحليا بها . وبعد أن نالوا منه النعمة ، أظهروا استحسانهم بكلامه وأعماله ، فسلموا عليه بمزيد الاحترام والاكرام وعادوا الى بلادهم مقتنعين .

---

(٤) كانت آديار الاناث تتكاثر كأديار الذكور . وبنى القديس أثناسيوس دير للاناث فى مصر ، وجعل أخته رئيسة عليه . مصر فى عهد الرومان ص ١٠٥ .



الامبراطور قسطنطين يكتب

للقديس أنطونيوس

وذاع خبر القديس الانبا انطونيوس ، حتى بلغ مسامع الامبراطور قسطنطين والامراء ، وولداه قسطنطيوس وقسطنس بالنسبة لأعماله وانتصاراته على الشياطين وكتبوا خطابات اليه ، يلتمسون منه كأب أن يصلى لأجلهم . وكانوا مشتاقين لتلقى خطابات منه ، أما الانبا أنطونيوس ، فلم يسرع بالرد عليهم ، ولم يفتخر بورود مكاتبات اليه ، منهم ، ، فلبث محافظا على التواضع ، وحلاوة الطبع اللتين كانتا فيه قبل وصول الرسائل الامبراطورية اليه ، فلم يتغير بعد ورودها ، وكلما كان يتلقى الرسائل يستدعى الرهبان(٥) ، الذين يتفق وجودهم عنده ويقول لهم ، ربما تعجبتم من أن الملوك والامراء يكاتبوننا ، ولكن ما الداعى الى التعجب ، اذا كان رجل يكاتب رجلا آخر ؟ . ان الذى يجب أن تتعجبوا منه هو كيف أن اللـه كتب الشريعة لبنى البشر ، وانه كلمنا بابنه الوحيد . على انه كان يفضل ان لا ترد عليه رسائل من تلك أو من أمراء . اذ كان يقول ليس لى قدرة أن أكتب رسائل

---

(٥) فى أحد الخطابات التى تسلمها الانبا انطونيوس ، دعوة من الامبراطور للذهاب للقسطنطينية ، فسأل تلميذه الانبا بولا هل اذهب ؟ . فأجابه اذا ذهبت فسوف يدعوك أنطونيوس ، واذا لم تذهب سوف يدعوك الآنبا انطونيوس .

مماثلة لرسائلهم ، ولكن بما أن الملك والامراء كانوا مسيحيين لم ير من اللائق والمناسب أن يستخف بمكاتباتهم لئـــلا يستاءوا ويغضبوا ، وكان يمدح تلاوتها أمام كل من حضر عنده .

وكان اسلوب كتابته ردا على تلك الرسائل ، كان أولا يقدم التعظيـــم والتفخيم للمرسل اليه ، ويبدى الشكر لانه من عباد المسيح ، ويقدم لهـــم النصيحة ، ويضم اليهم المشاورات اللائقة التى تنفعهم فى الدنيا والآخرة ، ويقول لهم أن لا يعدلوا على المتاعب الظاهرة بل يتذكروا الدينونة الآتية .

وأن السيد المسيح هو الملك الحقيقى الابدى ، وكان ينصـــــحهم برقة الاخلاق والاهتمام بالصواب والحق والعناية التامة بالفقراء ، وكان الملوك(٦) يستقبلون ردوده بفرح ، ويسرون بها كثيرا ، وكان محترما للغاية عند الجميع ومعتبرا كأب بار .

ظهور رؤيا للقديس الانبا انطونيوس توضـــح مدى الحروب الشرسة من الاريوسيين ضـــد الاقباط

وعندما كان يتعين على الانبا أنطونيوس اجراء بعض الامور والمداولة فيها ، مع بعض الرهبان فى ديره ، وكان يعود الى الجبل الداخلى ، ويسر بفعل انتصاراته هناك . وفى مرات عديدة عندما كان جالســـا عند زائريه أو ما شيا يلتزم الصمت مدة طويلة ويحتفظ بالامر فى قلبـــه كما هو مكتـــــوب (دانيال ٢٨/٧) .

---

(٦) لم يكن قسطنطين الكبير بعيدا عن دقائق أخبار مصر منذ توليـــه الحكم عام ٣٠٦ م . حيث كان أول من أرسل جيشا لمحاربة جيوش الحبشة المتمردة ، وكان من ضمن المحاربين فى جيشه ، الشاب باخـــوميوس ، ولم يكن قد آمن بالمسيحية بعد بل كان وثنيا ، لكنه تأثر من زملائه المجنـــــدين النصارى بجيش قسطنطين ، وأعجب بكرمهم وأخلاقهم ، فاعترف بملكهـــــم الصـــالح يسوع المسيح ، وبعد انتصار قسطنطين ذهب باخـــوميوس الى بلده واعتنق الرهبنة .
وقال مولر فى الجزء الثانى من كتابه ص ٣٣٨ . بأن الملك قســـطنطين حينما سمع خبر الزاهدين من المصريين ، ارسل لرئيسهم الانبا انطونيـــوس

وبعد حين ينطق بالترتيب بالكلام الذى يلزم ويرتبط به أمام الاخوة الرهبان والذين كانوا ينظرونه فى هذه الحالة وكانوا يعلمون أن رؤيا قد ظهرت له ، وفى الواقع عندما كان بالجبل فى مرات كثيرة ، رأى أمورا تحدث فى مصر ، وكان سرابيون(٧) أسقف تنتريس (دندرة) . وذكر أنه فى خلال المدة التى أقامها معه ، رآه مشتغلا بصورة جدية بالرؤيا ، أياما عديدة ، فى وقت واحد على الصورة المتقدمة ، وفى ذات يوم بينما كان يصنع الخوص صار فى حالة ذهول عميق ، ولبث مدة طويلة جدا ينظر رؤيا التجلى ، وكان يتنيه كثيرا . وبعد حين التفت الى من كان معه وتأوه ثانية ، وارتعش بشدة ، وأخذ يصلى ، وجثا على ركبتيه ثم وقف وعيناه ، مغرورتان بالدموع ، والذين نظروا الى الشيخ أنطونيوس ، فى هذا الاضطراب كانوا حديثين فى الحياة النسكية ، فقد تأثروا أشد تأثير ، واستولى عليهم الخوف الشديد ، وبعد حين أخذوا يتوسلون اليه ، أن يخبرهم بالرؤيا التى رآها والتى أزعجته بهذه الكيفية ، فلما ألحوا عليه زاد فى التنهد ، وقال لهم ، خير لى أن أموت من أن يحدث ما قد رأيته من حوادث ، واذ طلبوا منه أن ينطق بعد توسلاتهم ، تكلم بحزن واضطراب قائلا .

رسالة يدعوه فيها لزيارة القسطنطينية لكى يراه ، ويطلب منه أن يبارك عليه ، وعلى أولاده وامبراطوريته ، فطلب منه الانبا أنطونيوس أن يرجوه هو وحاشيته أن يقضوا بين الرعية بالعدل ، وأن يحسنوا الى الفقراء ، وكان يعظ بالمواعظ البليغة والحكم الغالية المستمدة من الكتاب المقدس — يرجع لذلك أيضا لدائرة المعارف الفرنسية ، تحت كلمة أنطونيوس .

(٧) جميع أقطاب الرهبنة فى مصر من المصريين ، قال عالم الكنيسة الروسية اللاهوتى الشهير الاب ايمى فلاديمير أنه يجزم بأن آباء الرهبنة فى مصر مصريين ، الانبا بولا والانبا أنطونيوس والقديس مكاريوس المصرى ، والانبا أمونيوس ، والانبا بفنوتيوس ، والانبا سرابيون وغيهم من الكواكب الساطعة فى محيط الكنيسة القبطية فى برارى مصر ، وكان معظمهم من أبناء وتلاميذ القديس الانبا أنطونيوس النابهين ، ومن أنصار القديس أثناسيوس البطريرك القبطى . (تاريخ فيلاديمير الكنسى مجلد ٣ صفحة ٤) .

وتسمى معظم الآباء الروس باسم القديس الانبا سرابيون ، وكان من ضمن الوفود التى حضرت الاحتفالات فى ذكرى ارجاع جسد القديس أثناسيوس الى مصر والتى بدأت بالقاهرة بالانبا رويس يوم الخميس ١٠ مايو ١٩٧٣ ، وألقى الانبا سرابيون مندوب الكنيسة الروسية كلمته يوم الاثنين ١٤ مايو سنة ١٩٧٣ .

ومن الآثار التى وجدت بأديرة وادى قنا نقوش على الجرانيت تفيد وجود الانبا سرابيون ، وأسقف قنا لكاتدرائية أبو حرية (مارجرجس) وذكر القديس أثناسيوس مما يشير الى أن هذه الكاتدرائية كانت معاصرة للانبا أنطونيوس .

ان غضبا شديدا سيأتى على الكنيســــة التى ستســــلم الى اناس لا يختلفون عن الوحوش الضارية(٨) .

وقد رأيت مذبحا تحيط به البغال ، وهى ترفس الشعب القبطى بلا رحمة من كبيرهم الى صغيرهم ، ولما تنهدت بسبب هذه الامور سمعتهم أنينى ، وأنا سمعت صوتا يقول ان مذبحى فى مصر سيتدنس . (هــذه الامور التى رايتها (هذا ما قاله الانبا سرابيون) .

وبعد ذلك بسنتين أى حوالى ٣٤٣ م . حدث اضطراب مع الاريوسيين ، وهدمت الكنائس على أيدى الوثنيين على مرأى من جميع ســكان المدينة . الذين كانوا مجتمعين ، والغوا اقامة الخدمة الالهية ، وخرج هؤلاء الوثنيون الى شوارع المدينة ، فازدحمت بهم ، واخرجوا الناس من حوانيتهم وأرغموهم على الاجتماع معهم ، وقاموا على مشهد منهم بالخدمة الكنائسية والاســرار الالهية ، حينئذ أدركنا معنى (رفس البغال) . أى عن الرؤيا التى رآهــا القديس وجميع الاعمال التى صنعت فى الكنيســة بالاثم والشــــر عــلى أيدى الاريوسيين .

فلما رأى القديس هذه الرؤيا ، وشاهد أنها أحزنت الاخوة الرهبان ، عزاهم ، وقال لهم يا أولادى الاحباء لا تحزنوا لأنه اذا كان الله غاضبا الآن ، فسوف يسالمنا ، وبعد فترة قصيرة من التجارب والاضرار ، ستأتى الراحة ،

---

(٨) هذا يشير الى وصول جاورجيوس البطريرك الاريوسى الدخيــل الى مدينة الاسكندرية ، وسوف يتم سرد الحوادث التى حدثت فى عهـــده فى كتبنا التالية ، ويمكن القول بأن المذابح التى حدثت فى عهده ضد المسيحيين الارثوذكسيين الاقباط تفوق ما حدثت أيام دقلديانوس ، لذلك اســـتدعى القديس أثناسيوس القديس الانبا أنطونيوس ورهبانه لمعــاونته فى دحض البدع الاريوسية بالاسكندرية .

وكان الوثنيون حينما يروا أن أنطونيوس يقوى أيمان الاقباط ضـــد الاريوسيين باللغة القبطية ، مما يشير الى أنها كانت موجهة لتقوية ايمــان الاقباط ، أما بالنسبة لليونانيين الموجودين بمدينة الاسكندرية فــكان أولاده الرهبان يترجموها لليونانية (زويجا ص ٣٦٠ . وبنجاديللى ١٩٧ ، ٢١٠) . وكان الوثنيون حينما يروا أن أنطونيوس يقوى ايمان الاقباط ضـــد الاريوسية ، كانوا يتسابقون ليروا طلعته البهية وكانوا يدعونه رجل اللــه (ستانلى — الكنيسة الشرقية ص ٢٢٢/٢٢٤) ودائرة المعارف البريطانية جزء ٢ ص ٣٠ — (وشامبليون مصر القديمة ص ٢١٣) .

والسلام للكنيسة القبطية ، وسترون المؤمنون الذين اضطهدوا بسبب البر ، سيعودون الى أماكنهم ، والشرير وجميع منفذى ارادته فسوف ينقلبون على أعتابهم ، ويتمجد جوقة الابـــرار المتمســـكين بالايمان الارثوذكسى الحقيقى ، ويجاهرون باعلان الحق على تسامح الامة المؤمنة المضطهدة .

فاسمعوا هذه الامور منى ، واحترسوا بأن تصونوا أنفسكم من الفساد ، بتمسككم بالايمان الارثوذكسى ، وعدم الاختلاط مع الناس المدنيين ، لأن زمان هذه الامور قصيرة ، ويكون نداء الشعب لله ، ويعيش البار بالايمان .

هذا ما تكلم به القديس أنطونيوس ، وليس غريبا أن ينطق بهـــذه الامور ، وينظرها رجل كان ميتا من العالم والعالم ميتا عنه .. لأن الله وعد المؤمنين بقوله ، لو كان لكم ايمان مثل حبة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ، ولا يكون شىء غير ممكن لديكم ، وقال أيضا كل ما تطلبونه من أبى باسمى يعطى لكم ، وأوصى تلاميذه قائلا اذهبـــوا وأكثروا ، واشفوا مرضى واخرجوا شياطين ، مجانا أخذتم مجانا أعطـــوا (متى ١٠ — ١٠) والقديس أنطونيوس لم يشف بقدرته ، كأنه ســـيد بـــل بصلاته وذكره لاسم السيد يسوع المسيح ، ليظهره لجميع الناس أنه لم يكن هو الصانع لهذه الامور بل أن الله صنعها على يديه . وعلى ذلك كان هـــذا الشيخ متبصرا فى كل هذه الامور ، لأن قوته كانت تتجدد من يوم لآخر بحرارة فكره ، كما يتجدد النسر شبابه ، وكان يسر بالاعمال المستمرة التى كان ربنا يسوع المسيح يصنعها لأجله .

القضاة يطلبون منه النصيحة

قال أثناسيوس . وكان يتوالى مجىء الناس اليه ، وعدم انقطاعهـــم عنه ، لذلك تكدر وتألم كثيرا ، فاضطر أن يعتزل فى الجبل الخارجى . فالتمس منه بعض القضاة والحكام بأن يعود الى السكنى فى مكان مأهول فيســـهل الاقتراب منه ، لأنه كان يصعب عليهم الاتصال به بسبب الجموع الكثيرة ، وصعوبة السفر اليه لطلب المشورة منه . وكان طلبهم هذا عسيرا للغـــاية لكى ينفذه القديس أنطونيوس ، فاعتذر فى بادىء الامر عن القيام به ، ولمـــا رأى القضاة والحكام انه أبى اجابة طلبهم سلكوا معه فى هذه المسألة مسلك المكر والخداع ، اذ أرسلوا اليه ، اليونانيين ، وغيرهم ممن قبض عليهم لسوء معاملتهم وشرورهم المخالفة ، والتمسوا منه ، وتوسلوا اليه بتضرع ، بأن يعود الى الجهات العامرة ليخلصهم من السجن .

وبهذه الوسائط والاعتذار ، أمكن للقضاة أن يروه دائما . ولم يكن تعبه باطلا فى مثل هذه الاسفار ، لأن مجيئه كان مفيدا للجميع ، فكان القضاة يسمعون منه ما يساعدهم على الحكم بالعدل ، وتعلموا أن يعرفوا أنهم هم أنفسهم بشر ، وأنهم والرعية سواء ، وأنه لا يجب ، لهم أن يسلكوا معهم بالغضب والحنق ، بل يقضوا بينهم بالعدالة . لأنهم بالدينونة التى بها يدينون تدانون ، وان كان القديس أنطونيوس يسر من أعمال الله ، وخوفه التى يصنعها . فان سروره بسكناه فى البرية كان محببا جدا ، أكثر من أى شىء آخر ، وبعد أن أخرجه بالقوة أولئك الذين تضرعوا اليه ، والتمسوا منه أن يأتى الى الجبل الخارجى ، فانه كان يسرع فى العودة الى مكانه ، حالما يتمم لهم الخدمة اللازمة ، ويخاطب الحاكم بما يليق بجلالته وسلطانه ، وعندما كان الحاكم يكرمه ويرجوه أن يبقى معه يوما أو يومين ، كان الشيخ يتوسل اليه بالادب والبشاشة ، أن يأذن له بالذهاب قائلا أن هذا الامر محال ، لأنه كما أن السمك اذا خرج من الماء هلك ، كذلك نحن الرهبان اذا أطلنا الاقامة مع البشر ، تفسد عقولنا ، وتضطرب . لذلك يكون من اللائق أن تكون حياتنا وأعمالنا مدفونة فى البرية ، وكما أن الاسماك تقضى حياتها تحت المياه .

فعندما كان الحاكم يسمع هذه الاقوال ، وما يماثلها كان يتعجب ويقول حقا ان هذا هو رجل الله الحقيقى وهو لا يتكلم من نفسه ، بل بما يعطى له من السماء ، فكيف يمكن لهذا الرجل البسيط أن يحرز هذه المعرفة الواسعة ان لم يكن محبوبا من الله .

رسالة من القديس الى حاكم

أريوس

قال أثناسيوس : كان يوجد أمير يدعى بلاكيوس يضطهد الكنيسة بشدة بايعاز من الاريوسيين ، وقد بلغ من سروره أنه كان يضرب الراهبات ، ويجرد الرهبان من ملابسهم ويجلدهم ، فلما سمع أنطونيوس بزيادة شر هذا الرجل ، حرر خطابا وأرسله اليه ، وكان مكتوبا فيه ، اننى أرى الغضب اتيا اليك ، فكف واقبل التوبيخ ، ولا تضطهد المسيحيين ، حيث اننى أرى أن ملاك الغضب الآن على وشك المجىء اليك .

فلما وصل الخطاب الى بلاكيوس نظر اليه وضحك ، وبصق عليه ، ثم

اخذ الخطاب والقاه على الارض ، ومن كرهه وغضبه ضد المسيحيين ، لعن ناقل الرسالة وقال له ، ارجع وبلغ هذه الامور الى أنطونيوس كمـــا يلى . حيث أنك تبالغ فى احترام الكنائس والرهبان والمسيحيين المضطهدين سأقضى عليك بسرعة .

ولكنه لم يمض على هذا الكلام سوى خمســـة أيام حتى أدركه غضب الله ، فانه عندما انطلق ليسافر الى المحطة الاولى فى طريقه الى الاسكندرية والمسماه فاريوس ، واذ كان بلاكيوس(٩) ونسطور راكبين وممتطيين جوادين من أهدأ وألين الجياد ، التى كانت تخص بلاكيوس . أخذ الجوادان يلعبان معا كالعادة ، قبل الوصول الى مكان الاستراحة بعد الاسكندرية . فالجواد الايمن منهما ، وهو الذى كان يمتطيه نسطور قبض على فخذ بلاكيوس بفمه وجـــره من فـــوق ظهر جواده ، ووقع عليه ومزقه ، كأنه كلب ، فأخـــذوا بلاكيوس ، واتوا به الى الاسكندرية ، ومات بعد ذلك بثلاثة أيام ، وهـــكذا تم ما تنبأ به القديس الانبا أنطونيوس فساد العجب الى جميع الناس .

هذه هى الامور التى كان معتاد أن يكلم بها القضاة ، وكان ينصـــــحهم بلطف بأن لا ينتفخوا فى افكارهم وأن لا يتعاظموا على الناس ، ولا يوجـــد حاكم فى ذلك الحين الا وسمع كلامه بالسرور والفرح ، وندم على أفعاله ، وغبط الذين احتقروا العالم وصاروا غرباء منه ، زد على ما تقدم أن القديس أنطونيوس كان كثير الاهتمام بأمر المظلومين ، والذين سلبت ممتلكاتهم حتى أنه كان يحتمل جميع متاعبهم بنفسه ، وكان كلامه مرضيا ومسرا لكل من اقترب اليه حتى أن كثيرين من سكان القرى والمدن والوثنيين ، ورجال الحـــرب ، كانوا يتركون أموالهم ، وصناعاتهم ، ويندمجون فى سلك الرهبنـــــة ، وكان وجود القديس أنطونيوس بمصر بمثابة طبيب ماهر أعطى للاقباط من قبـــل الله ، فكل من أتى اليـــه أى فرد من الناس حزينا ، الا وانصرف من أمامـــه فرحا مسرورا ، ومن قدم اليه وهو فى كند وأسف من العذابات التى لحقت به ، يعود متشددا . وكل من اتى اليه من الفقراء الذين سقطوا تحت أنياب الفاقة ، ومع ذلك كانوا يزودوا بجميع الاموال ، حينما كانوا يسمعون كلامـــه . وكل راهب أتى اليه ، وكان حزينا ينطلق من عنده وهو ممتلىء قوة كرجل حـــرب شديد المراس . وكل شاب حضر اليه ، والشهوات تحرقه فينصرف من أمامه

---

(٩) كان واليا على بعض مناطق مصر من ٣٢٤/٣٥٢ ولم يكن هـــو نسطور المجدف وكان من الامراء اليونانبين .

وقد انطفأت نارها وماتت داخله ، عندما يرى انتصارات هذا الشيخ القديس طوال الحروب التى عاش فيها ، فيقف كل شاب ، وهو فى مقدمة القتـــال الروحى بعد أن شاهد شيخوخته الظافرة . وكل من جاء اليه وهو مضطرب الفكر ، يعود وهو ناعم البال .

وكان القديس أنطونيوس عنده موهبة عظيمة لتميز وادراك حيـــل الشيطان ، والطرق المختلفة التى يسيئون بها الى كل انسان ، ولم يعـــرف فقط تلك الامور التى يصنعها الشرير ، وكان فى استطاعته أن يخبر بحيـــل خداع المحتال ، وكان الكل يسمعون هذه الامور ويتعلمونها وهم متسلحون ضد مكايد الشرير . فكم من العذارى رأوا قداسة القـــديس أنطونيوس من بعيد فتركن الرجال اللاتى خطبن لهن ، وخطبن المسيح بدلا منهم .

وكان يحضر اليه أناس كثيرون من خارج مصر فيجيبهم بكلام يناسب على جميع أسئلتهم ، وكان عظيما للغاية محبوبا من الجميع حتى أنه بعد أن انتقل من هذا العالم وترك جميع الناس يتامى ، لم تندثر ذكراه من بين الانام ، بل كان لهم عند ترديد انتصاراته ، وأقواله أكبر مشجع وأعظم منشط .

الفصل التاسع

انتقال القديس الانبا

انطونيوس

قال القديس أثناسيوس : ونحن نتذكر نياحة القديس انطونيوس وكيفية حدوثها ، وختام حياته ، لأنني أعلم ، أنكم تسرون كثيرا بها ، فقد كان معتاد أن يزور أضرحة الاخوة بالجبل الخارجي ، فلم يخف عليه أمر انتقاله . وقد انطلق وهو عالم أن مفارقته للعالم قد اقتربت ، وبعد أن كلم الاخوة حسب عادته ، قال لهم ان هذا العمل الذى أجريتموه الان هو آخر جميع الاعمال ، وانى تعبت من هذا العالم ، فليهتم كل واحد لنفسه ، اذ حان وقت وفاتى ، وكان قد بلغ من السن وقتئذ حوالى مائة سنة وخمسة ، فلما سمع الاخوه ذلك بكوا بكاءا مرا ، وأخذ كل واحد منهم يعانقه ويقبله ، واما هو فظهر أمامهم كرجل اتى من بلاد غريبة ، وقد أزمع على الرحيل اليها ونصحهم قائلا ، لا تيأسوا من ضيقاتكم ، ولا تتراخوا فى معيشتكم ، وأعمالكم ، بل كأناس تموتون كل يوم استعدوا للحياة ، واسهروا كما قلت لكم قبلا ، واحفظوا انفسكم من أفكار الاثم ، واجتهدوا فى نيل المواهب الصالحة ، واحذروا ان تختلطوا بالمليتيين الهراطقة لانكم تعلمون أسباب انشقاقهم ، وكيف أنهم خداعون قساة القلوب . واهربوا أيضا بكل قوتكم من تعاليم الاريوسيين لأن شرهم ظاهر جلى ، وعليكم أن تتجنبوهم ولا تتشبهوا بهم بنت الضلالة منها ، ومع ذلك لم تستطع أن تصارع الحق ، فتنحوا عن بنت الضلالة منها ، ومع ذلك لم تستطع أن تصارغ الحق ، فتنحوا عن الاختلاط منهم حتى يمكنكم أن تحافظوا على التعليم الصحيح لآبائنا والكرازة بحقيقة ربنا يسوع المسيح الذى أخذتموها من الكتب المقدسة .

فلما سمع الاخوة بأمر انتقال القديس انطونيوس توسلوا له ان يبقى معهم حتى يختم حياته عندهم ولكنه لم يجبهم الى طلبهم لأسباب كثيرة ، وعلى الخصوص السبب الآتى ، وهو انه كانت عادة المصريين أن يأخذوا جثث

الشهداء الاطهار ، وأن يحفظوها ولا يضعوها فى القبور(١) ، بل على توابيت فى بيوتهم ، اذ كانوا يحسبون انهم يكرموهم بهذا العمل ، وسبق لهذا الشيخ الطاهر أن طلب من الاساقفة مرارا وتكرارا أن يعظوا الشعب ويوجهوهم بالاقلاع عن هذه العادة ، وعلى ما كان هو نفسه يرجو وينصح المجموع بالاقلاع عن هذه العادة ، ويقول لهم ، ان هذا العمل ليس من اللياقة أو الصواب فى شيء ، وزيادة على ذلك ، فان مدافن الاباء الاول والانبياء والرسل معلومة الى هذا اليوم ، بل فى جملتها قبر جسد ربنا الذى قام فى اليوم الثالث ، فكان يظهر بهذا الكلام أن عدم مواراة جثث الاموات ، حتى ولو كانوا من الابرار ، مخالف للوصايا . فأنصت اليه كثيرون ، وامتنعوا بعدم اجراءات ذلك(٢) ، وكانوا يدفنون موتاهم ، وشكروا الله ، لاجاباتهم اياه الى طلبه اللائق ، وخوفه من هذا الامر ، حمله على عدم اجابة الاخوة الى ملتمسهم والبقاء معهم ، فانطلق الى مكانه .

واذ كان القديس أنطونيوس يعرف العادة ، ويخشى أن يعامل جسده بطريقة المصريين ، فدخل الى الجبل الداخلى الذى أعتاد الاقامة فيه ، بعد أن ودع الرهبان الموجودون فى الجبل الخارجى . ثم مرض بعد ذلك ببضعة اشهر وخرج الى بعض الاخوة ، الذين كانوا معه ، وهما أثنان كانا يلازمانه منذ شيخوخته أى قبل هذا الوقت بخمسة عشر سنة(٣) ، وكانا يخدمانه بغاية الاعتناء ، وقال لهما كما هو مكتوب ، أنا ذاهب الى طريق الارض كلها(٤) . لأننى شعرت فى نفسى منذ أيام ربى قد دعانى ، فلاحظوا الآن كيف يمكنكم أن تحافظوا باهتمام ، على هذه المصارعة ضد الشياطين ، واحذروا أن لا تضيعوا الصبر الذى اكتسبتموه ، بل كمبتدئين فى الجهاد ، انموا فيه اكثر فأكثر ، وضاعفوه يوما بعد يوم ، وأنتم على علم تام بالشياطين المؤذيين ، ومكرهم وخداعهم ، وتعلموا جيدا أنكم اذا شئتم ، لا تحسبون لهم حسابا ، فلا تنزعجوا منهم بل التجئوا الى السيد المسيح ، وتذكروا كل ما سمعتموه

---

(١) عثر على بعض الشهداء بالواحات ، لا زال واضح بالنسبة للاجساد أن المخ بحالته الطبيعية حتى الآن ، ووضعوا هؤلاء الشهداء بمتحف الواحات ، وكان من الافضل أن يوضعوا بكنيستهم التى عثروا بها ، وتقام الصلوات الخاصة بها .

(٢) وصية القديس أنطونيوس على هذا القول تنحصر فقط على عدم تحنيط الجثة ، ولم يمنع من مواراة الجثة فى قبر .

(٣) يقال انهما تلميذيه مكاريوس وامازاس .

(٤) ملوك أول ٢/٢ .

فى كل هذا الزمان ، وأن لم تختلطوا البتة بالاريوسيين الهراطقة ، لأنكم تعلمون كيف انهم سبب تجديفهم على ربنا يسوع المسيح . وأهتموا أيضا باجتهاد فى كل حين بأن تتعلقوا بروح المسيح ، وتتحدوا بها ، وأن تكونوا أيضا أصدقاء وشركاء الابرار حتى يقبلوكم فى مساكنهم الابدية ، كأصدقاء ومعارف ، فتأملوا فى هذه الامور احفظوها فى عقولكم . وأن كانت افكاركم متعلقة بى وتتذكرونى كأب ، ولا تمجدوا الانسان بأن يأخذ جسدى وينقله الى مصر ، لئلا يحنطونى فى بيوتهم حسب عاداتهم ، اذ انى بهذا السبب قد جئت الى هذه البرية ، وتعلمون اننى كنت دائما انبه واحذر من هذا الامر ، ورجوت أن لا يجرى اليه أحد ، وتعلمون مقدار اللوم ، الذى كنت اوجهه الى أولئك الذين يحافظون على هذه العادة .

فاحفروا قبرا وادفنونى فيه ، واخفوا جثتى تحت الثرى ، وحافظوا على كلامى هذا كل المحافظة ، ولا تقولوا لأحد اين وضعتمونى ، وسابقى هناك ، حتى قيامة الاموات وحينئذ آخذ هذا الجسد بلا فساد(٥) .

أما من ناحية ثيابى فاعطوا الرداء الجلد للانبا اثناسيوس ، وملائة فراشى هذه التى أعطاها لى منذ أن كانت جديدة ، وقد أصبحت الآن قديمة ، واعطوا للاسقف سرابيون الرداء الثانى المصنوع من جلد الغنم ، واحفظوا لانفسكم ملائة فراشى الثانى المصنوع من الجلد ، واوصى بعصاتى الى ولدى الحبيب مكاريوس كوكب برية شيهيت .

والآن يا أولادى لا زلتم فى سلام ، فقد انتهت غربة أنطونيوس ، وها هو ذاهب الى حيث تشاء النعمة الالهية ، واحتفظا لأنفسكما بثوبى المصنوع من الشعر ، وبقية الادوات ، لأن انطونيوس ان فارقكم بالجسد ، ولكنه لا يفارقكما بروحه .

ولما تكلم بهذا الكلام مد رجليه على الارض ، فأخذ الاخوة يصرخون ويقبلونه ، فكانت تلوح على وجهه امارات الفرح الذى لا يوصف لملاقاة مودعيه ، كما تلوح على وجهه من يرى صديقا يسر بلقائه ، ثم انقطع عن الكلام ، ورقد فى الرب ، وانضم الى آبائه ، وذكر فى السنكسار أن نياحته كانت يوم ٢٢ طوبة عام ٣٥٧ م ٧١ ش .

---

(٥) اكو ١٥ — ٣٥/٥٠ .
وسنكسار يوم ٢٢ طوبة .

فلفه الاخوة فى الثوب الذى كان مرتديا اياه(٦) ، حسب الوصية التى تلقوها منه ، وحملوه الى الخارج ، وحفروا حفرة فى الارض ، ودفنوا جثته ، ولا يعلم احد اين دفنوه غير الاخوين الذين وارياه التراب .

وكل من اخذ قطعة من ثيابه ، عدها اثمن المقتنيات لانه كلما نظر احد اليها تصور انه ينظر الى القديس انطونيوس ، وكلما لبس احد قطعة من ثيابه كان يشعر انه محافظ على وصاياه ، ومواعيد انطونيوس المبارك .

ان شهرة انطونيوس المطوب ، قد بلغت اقاصى العالم واعجاب جميع الناس به ، وتكريمهم له يعد برهان واقع ، ودليل ساطع على حقيقة اعماله وافعاله ، ومحبته الكاملة لله لانه لم يشتهر فى كل العالم ، وبخطاباته او بحكمته العالمية ، او بالكلام المنمق او بطرق المكر والخداع . بل ببره المتألق لله تعالى ، لان الله هو الذى صنع هذا العمل . ومن يشك فى ذلك فليكن مرذولا ، والا فكيف يمكن ان رجلا عاش فى العزلة ، واقام فى البرية منفردا ، يذاع خبره وينادى به لسكان الجبال فى اسبانيا ، وبلاد الغال(٧) ، ورومية وافريقيا ، والبلدان الاخرى . ان لم يظهره الله ، سبحانه الذى اعترف به القديس انطونيوس منذ ايامه الاولى ، وان رجال الله يعيشون فى اماكن مستقرة ، ولم يريدوا ان يراهم او يعرفهم احد . الا ان الله يجعلهم يضيئون على الناس كمصابيح ، فعلى الذين يسمعون ويكونون من الاقوياء امام الله ، ويحبون وصاياه ، ان يثقوا بها ليحفظوا خطواتهم ، لا ليمدحوا ، بل يبرروا .

وعلى الاخوة الرهبان ان يقراوا هذه الامور ليعرفوا كيف يمكنهم ان يعيشوا المعيشة اللائقة ، وليكن هذا الميمر موجود مع كل واحد كوصية اب بار ، قسم امواله وممتلكاته بين اولاده الاحباء فى الرب ، لاننا حينما نجتمع ويظهر للمؤمنين تلك الوسائل ، التى امتلك بها كل ثروته وجمعها ، فكأننا نعطى اموالا الى اولاد فائزين محبوبين كما يفعل الرجل الذى جمع ثروة لأسرته .

فليعلم كل واحد ويثق ، ان ربنا يسوع المسيح فادينا يكرم الذين

---

(٦) كان القديس انطونيوس اول من استحق ان يلبس اللبس الملوكى ، والملائكى والقلنسوة المكرمة . والرهبان كانوا يلبسون اثوابا قاتمة اللون كاثواب الحكماء .

(٧) فرنسا .

يكرمونه ويخدموته الى النهاية ، وان لم يدعهم فقط الى ملكوت السموت ، ولم يقدمهم اليها ، بل يظهرهم فى هذا العالم ايضا . ولو عاشوا فى العزلة ، وفى الخفاء يشهرهم فى الخارج ، لمجد الله ولمنفعة بشريتنا ، واذا لزم الامر ، اقرأوا هذا الميمر بين الوثنيين ، لعلهم يقتنعون أن ربنا يسوع المسيح ، هـو فقط الله ، وهو ابن الله . بل انه اقام الذين يخدمونه بطهارة القلب ، والذين يؤمنون به حقا ، تهرب الشياطين عند ذكر اسمه مع انه يظن فيهم انهـم آلهة . أما تجرؤهم على اللاهوت ، فلا يحتاج الى بيان ، لانهـم مرذولين ومداسين كخطوط المحراث ، فى الحقل ، ومطرودين من المؤمنين فى كل مكان ، كاللصوص مهلكين ، وذلك بيسوع المسيح ربنا الذى له المجـد الى الابد آميـن .

الباب السابع

تاريخ حياة القديس الانبا بولا

اول السواح

بقلم القديس اثناسيوس الرسولى

الفصل الاول

من هم السواح :

١ — السياحة هى اعلى درجة من درجات الرهبنة .

٢ — فى وسط الطبيعة الفسيحة ، فى مصر الخالدة كانت الصحراء مكانا صالحا لخبرة هؤلاء السواح المباركة ، وكانوا متوحدين ، تركوا مغاراتهم الى عمق الصحراء ، امتدت أمام انظارهم السهول المترامية الأطراف ، فمضوا يزحفون عبر الليل الرهيب الى كل كهف فى كل برية من برارى مصر القديمة .

٣ — استمد السواح بتقشفهم ، بنظامهم السامى ، من السيد يسوع المسيح نفسه حين قال عن يوحنا المعمدان السائح الاول فى العصر المسيحى ، « ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا ، اقصبة تحركها الريح ، بل ماذا خرجتم لتنظروا انسانا لابسا ثيابا ناعمة ، هوذا الذين فى اللباس الفاخر والتنعم هم فى قصور الملوك » .

٤ — راى السواح ان الطبيعة تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه ، كشفت لهم البرارى ، وشقوق الارض ، عن امجاد الحياة ، فسجدوا خاشعين لله ، ووضعوا حياتهم بين زهد ، وتقشف وعبادة ونقاوة .

٥ — علمتهم البرية ، صفاء النفس ، ونبذ المادة والتخلص من أدرانها من شوائب الفكر ، واقتنعوا بشبع الروح واذلال الجسد .
٦ — كان السواح أشبه بظلال النخيل التى نحتمى بها فى أيام الصيف ، فى أوقات القيظ ، كانوا كالوأحة فى الصحراء الجرداء .

وجود سواح كثيرين فى عهد القديس

اثناسيوس

كان السواح يعيشون داخل الكهوف ، بعيدين عن أعين الناس لفترات كبيرة ، لذلك كان معظم المسيحيين يجهلون محل اقامتهم فالبعض رأى أن الانبا بولا ، كان أول السواح ، وفى الحقيقة كان يوجد غيره فى هذه الفترة وكانوا معاصرين للقديس اثناسيوس .

وقد أوضح هذه الحقيقة القديس بفنوتيوس المعترف والمجاهد أسقف الصعيد ، والذى كان ضمن شيوخ مجمع نيقية الذين حضروا مع القديس الكسندروس ، والقديس اثناسيوس الذى كان يؤيده داخل المجمع ضد آريوس ، وكان بفنوتيوس هو صاحب القرار الثالث لمجمع نيقية .

وكانت توجد رابطة محبة عميقة بين القديس بفنوتيوس مع القديس انطونيوس .

القديس بفنوتيوس يكتب عن حياة

القديس ابو نوفر السائح

كتب بفنوتيوس قصة حياة أبو نوفر السائح ، فحينما كان بفنوتيوس يتجول فى الصحراء ، وكان يشتاق لرؤية عبيدالله السواح ، عثر على القديس أبو نوفر السائح ، فقال له أبو نوفر ، مرحبا بك يا بفنوتيوس ، وبعد أن استراح بفنوتيوس طلب منه أن يقص عليه سيرته ، فقصها عليه بالتفصيل(١) . وكتبها بفنوتيوس لكى تنشر بين المؤمنين ، وقال القديس أن

---

(١) دائرة المعارف القبطية ، مجموعة القصص المسيحية رقم (٢)

القديس ابو نوفر السائح كان من قرية أهريت ببنى سويف ، ومكث ٦٠ عـــام منعزلا عن العالم فى البرية ، يشرب من عين ماء ، ويأكل من ثمر نخلة ، وبعـــد كفاح سنين عديدة ، تنيح على يدى القديس بفنوتيوس فى يـــــوم ١٦ بؤونه فكفنه ودفنه فى مغارته .

ورغب بفنوتيوس أن يقيم مكانه بعد أن دفنـــه ، فنشفت النخلة التى كانت توجد بجوار الكهف ، وسقطت وجف عين الماء . وكان ذلك بتدبيـــر من الله ، ليعود القديس بفنوتيوس الى العالم ليبشرهم ، بأخبار الســــواح القديسين الذين رآهم .

وشيدت باسمه أديرة وكنائس منها ببابليون الدرج بمصر القديمة ، ودير وكنيسة خارج دير سانت كاترين بطور سيناء ، وله دير بدلجا بديروط ، وكانت تحتوى على أربعة وعشرون كنيسة ، وشيدت له كنيسة فخمة فى النوبة ، وكان يتعبد فيها الملك سلمون النوبى حينما اعتزل الملك .

القديس اثناسيوس يكتب قصـــة حياة

الانبـــا بولا الســـائح

كتب القديس اثناسيوس قصة حياة القديس الانبا بولا ، السائح ، عما رواه له القديس الانبا أنطونيوس ، الذى كان الشاهد الوحيد عما رآه وسمعه عن الانبا بولا .

وحيث أن الفترة التى قضاها الانبا بولا داخل الصحراء كانت أكثـــر من الفتره التى قضاها القديس أبونوفر الســـائح ٦٠ سنة — فلقب الانبا بولا بأنه كان أول السياح .

وحيث أن القديس الانبا سرابيون اسقف دندرة كانت له صلة عميقـــة

١٩٥٨ اشراف ابراهيم صبرى معوض ، بمقدمة لوكيل عام البطريركية للاقباط الارثوذكس ، القمص ميخائيل عبد المسيح . (سنكسار ١٦ بؤونة) .

بالقديس الانبا انطونيوس ، فقد كتب أيضا قصة حياة الانبا بولا عما سمعه من أبو الرهبان الانبا انطونيوس .

أما ما ذكره ايرونيموس عن قصة حياة الانبا انطونيوس والانبا بولا أول السواح ، فكانت كتاباته عما سمعه من ألرهبان وما تم نقله من الميامر التى سبق أن كتبها القديس أثناسيوس عن الانبا انطونيوس والانبا بولا .

اربعة قديسين تسموا

باسم الانبا بولا

حصل خلط بين كتاب الغرب ، الذين كتبوا قصص وحياة الانبا بولا ، ونتيجة لترجمة هذه القصص أصبح بعضها بعيدا عن صحة التاريخ الصحيح لكل قديس من هؤلاء القديسين ، والاربعة بولات القديسين بيانهم كالتالى : —

١ — القديس الانبا بولا أول السواح وهو من الاسكندرية .

٢ — القديس الانبا بولا الطماوى ، ودعاه البعض ببولا الطموهى ، وهو من طما مركز سوهاج .

٣ — القديس الانبا بولا الطيبى ، من طيبة الاقصر والذى دعى أحيانا ببولا الصعيدى .

٤ — القديس الانبا بولا البسيط .

وجاء الخلط بعد أن ذكر ايرونيوس قصة الانبا بولا ، وقال انه سمعها من تلاميذ الانبا انطونيوس ، الذين كانوا دفنوه وقالوا بأن الانبا بولا الصعيدى(٢) هو أول من بدأ السكنى فى الصحراء ، وقال أنهم انتفعوا بهذا الكلام .

---

(٢) سيرة المتوحد القديس الانبا بولا لايرونيموس طبعة دمياط .

ويلاحظ ان تلاميذ الانبا انطونيوس لم يروا الانبا بولا ، ولكن القديس الانبا انطونيوس هو الذى رآه وتكلم معه وهو الذى سرد قصته للبابا الانبا اثناسيوس ، والذى كتب قصته ونشرها كذلك فى ممالك الغرب .

وقص القديس الانبا انطونيوس قصة الانبا بولا الى صديقه القديس العالم والطبيب الانبا سرابيون أسقف دندرة ، والذى كتب قصته ايضا ،

اولا : اما قصة الانبا بولا الطموهى(٣) .

فقد ذكرت قصته بالسنكسار فى اليوم السابع من شهر بابه ، وذكرت تفصيلا اكثر بالمخطوط ، بمكتبة المخطوطات بالدير المحرق(٤) . قال الميمر . « نبتدى بعون الله تعالى بشرح سيرة الانبا بولا وكمال سيرته ونسكه ، وصومه وصلاته ، وجهاده للرب ، ومرضاته ، واخذ الاكاليل الذى بلا فساد من السيد يسوع المسيح . وتنيح فى اليوم السابع من شهر بابه بسلام من الرب آمين . قال أسمعونى الآن يا من لهم سمع وانصتوا الى كلامى حين أعلن لكم سيرة هذا الصديق القوى الشجاع ، الذى حارب فى جهاده لسيده ، هذا العمود المنير الذى فى قصر الملك ، الذى من اهل طموه ، هذا المصباح المنير فى كل مكان ، هذا الذى لم يميل ، ولم يشبع ، ولم يتعب من جهاده ، واعماله الحسنة ، لانه تعلم من قبل الرب ، كما قال لتلاميذه ، اذا ما حفظتم وصاياى ، فبالحق أنتم تلاميذى ، فالآن يا اخوتى واحباى وابهاتى اسمعوا ، اقص عليكم الاعمال الحسنة ، والامثال الجميلة التى لهذا الانسان المبارك ، الصديق القوى ، الانبا بولا الذى من أهل طموه .

أنا الحقير حزقيال ، كنت فى بلدى التى تسمى الضيعة(٥) ، الصغيرة ، بجانب طموه ، وكنت أرعى غنمى فى القيظ ، واذ بالرب المتحنن ارسل الى ملاكه الجليل ميكائيل فى نصف النهار ، فى سادس عشر من أبيب ، قائلا لى السلام لك يا ابنى القديس ، وقال لى امضى الى جبل طوخ(٦) ، وانت تجد هناك رجل الله منتظر اليك ، وهو فى غرب الجبل ، واسمه بولا الذى من

---

(٣) يقصد بها طما بالصعيد
وهى التى استشهد بها القديس أباهور ، والقديسة طوسيا واولادها الشهداء وهى غير بلدة طموه التى بها دير طموه الحالى ، بجوار البدرشين وبلدة طما قديما كانت من نواحى مدينة قاو .
(٤) مخطوط رقم ٢٨/٩ تاريخ قديم — مكتبة المخطوطات بالدير المحرق .
(٥) قرية القطنة بجوار الجبل الذى ترهب فيه القديس .

طموه ، فأنت الذى تظهر جسده فى وقت نياحته عند كمال خدمته ، فلما قال لى الملاك هذا صعد الى السماء بمجد عظيم ، وانى قمت فى تلك الساعة وتركت الغنم فى الغيط ، ومشيت الى أن أتيت الى قبلى جبل طوخ بأمر الرب المتحنن . فوجدت مكان لطيف كعادة الرهبان . وفى تلك الساعة أتى الى الباب أعنى رجل الله ، ووجهه ينير كملاك الرب ، وانه مسك بيدى ودخل موقفنا وصلينا ، وبعد الصلاة جلسنا فتحدثنا مع بعضنا البعض فى وصايا الرب وتعب القديسين الخ » .

وقال السنكسار فى يوم ٧ بابه عن الجبل الذى قصده بأنصنا . فلما وصل أبونا القديس بيشوى الى جبل أنصنا(٧) ، اجتمع به القديس الانبا بولا ، وقال السيد المسيح للانبا بولا ، ان جسدك سيكون مع صفى بشوى ، وقد تم له ذلك ، اذ أنه لما تنيح الانبا بولا ، وضع جسده مع جسد الانبا بشوى ، ولما أرادوا نقل جسد القديس الانبا بيشوى الى برية القديس مكاريوس بشيهيت حملوا جسده الى مركب ، وتركوا جسد الانبا بولا ، فلم يتزحزح المركب من مكانها ، حتى أحضروا جسد الانبا بولا ، ووضعوه فى جواره ، وأتوا بها الى جبل شيهيت(٨) .

٢ — القديس الانبا بولا الطيبى

كان يدعى هذا القديس أحيانا ، العظيم الانبا بولا ، وظن كثير من المؤرخين بأن التعظيم بهذا اللقب يتصف به الانبا بولا أول السواح ، ورئيس المتوحدين ولكن فى الحقيقة ، أنه يختلف عنه ، فالانبا بولا الطيبى والملقب بالصعيدى من بلدة تبايس ، أى الروضة القبلية ، عاصمة الحكومة المصرية بالصعيد ، وقائم مكانها الكرنك الآن ، مدينة الأقصر ، أو القرنة ، جاء ذكر اسمه عند ذكر قصته التى ذكرها القديس جيروم(٩) ، « الذى قال انه رائد الحركة الرهبانية ، اتخذ سبله الى الصحراء هربا أثناء الاضطهاد ، فى عهد

---

(٦) جبل طوخ هو جبل اثنا .
(٧) هو جبل . اتنا — أنتينوى . وهو جبل القطنة .
(٨) دير الانبا بيشوى الحالى .
(٩) رأفت . ص ٥١ . jerome — ويسمى فى بعض المراجع Poul de thébes

الامبراطوريين دكيوس وفالريان ٢٢٩/٢٦٠ وقص كثير مما عرض له على امتداد حياته الطويلة التى امتدت حتى العام الثالث عشر بعد المائة ، ولعب الخيال بكثير من وقائعها » . وبذلك يوجد خلط بينه وبين الانبا بولا السائح .

٣ ــ القديس الانبا بولا البسيط

وهو من بلدة بالصعيد من اعمال الجيزة تدعى أطفيح ، وقد ذكر فى قصته أنه بعد أن ماتت زوجته الاولى تزوج بأخرى أصغر سنا ، وحيث أنه كان شيخ كبير فى السن ، وكان من الاغنياء ، ويملك أموالا كثيرة ، وله خدم كثيرين ، دخل فى أحد الايام الى بيته فوجد أحد خدامه يصنع الشر مع زوجته .

فقال لزوجته مبارك لك فيه أيتها المرأة ومبارك له فيك لأنك اخترتيه دونى . ثم أخذ ملابسه ومضى هائما على وجهه فى البرية ، الى أن وقف عند قلاية القديس الانبا أنطونيوس ، فبعد أن قرع باب القلاية ورآه القديس ، فتعجب منه للغاية ، لأنه لم يكن بعد قد رأى انسانا بهذه الصفة ، فسلم على القديس وسجد بين يديه ، فأقامه القديس الانبا أنطونيوس ، وعزاه وفرح به غاية الفرح . ثم أقام عنده اربعون يوما ، وبعدها عاش عند حافة الجبل ، وتوحد وأصبح ناسكا شديد التقشف والزهد ، حتى انه كان يقضى ثلاثة أيام ممتنعا عن الطعام . وفى بعض الاحيان كان يقضى الاسبوع كله صائما ، وكان القديس الانبا أنطونيوس ، يحيل اليه المرضى بأرواح نجسة ليشفيهم ، وكان القديس بولا ساذجا ، وقد بنى بولس البسيط مغارته التى لا تزال قائمة حسب التقليد المتوافر فى طريق مغارة أنطونيوس(١٠) . وقال بلاديوس عام ٤٠٠ م عن بولس البسيط ان القديس أنطونيوس أخذ يجربه حتى رأى بعد أشهر قليلة أن روحه كاملة أمام الله ، وأنه كان متناهيا فى البساطة وأن القوة العلوية تساعده(١١) .

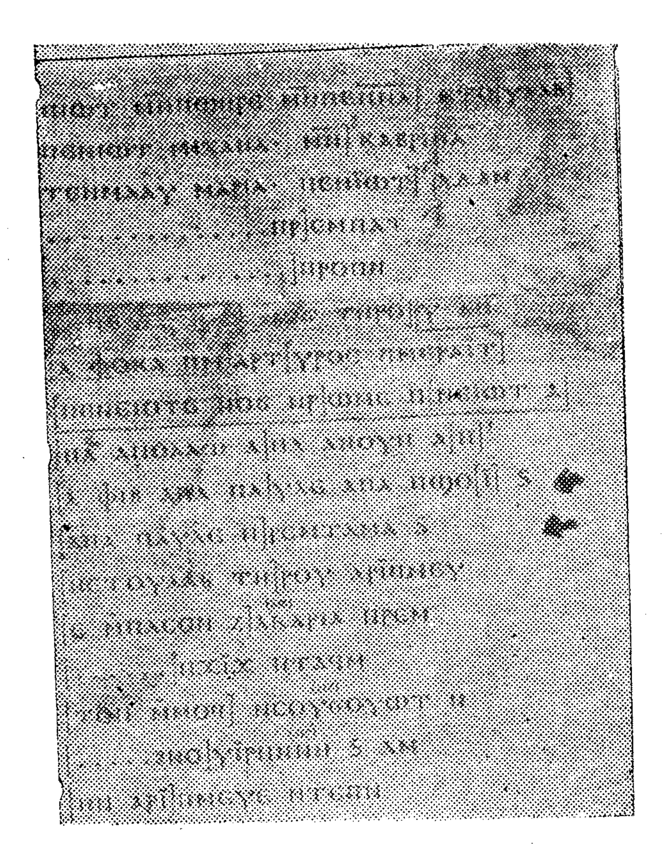
---

(١٠) مجلة معهد الدراسات القبطية ١٩٥٨ .
(11) Paradise of Palladius Vol. I. P. 184.

وثيقة قبطية توضح اختلاف أسماء

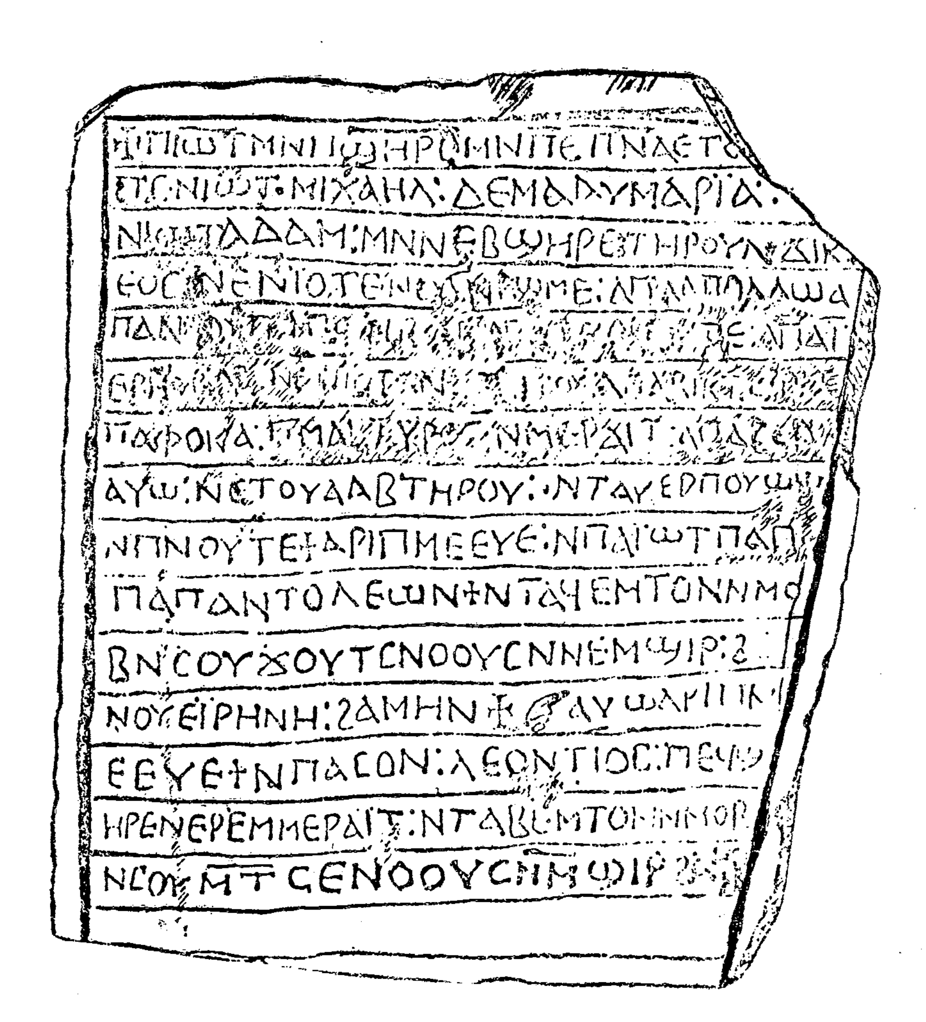
البولات الاربعة

عثر فى عام ١٩١٤ أربعة وثائق بالدوير بكوم اشقاو — وهذه القـرية كانت تدعى فى العصر اليونانى بأفروديتوبوليس . الوثيقة الاولى والثانيـة باللغة اليونانية وهى توضح أخبار لحاكم مدينة القوصية التابعة لأسيوط ، وفرقت بين هذه المدينة ومدينـة قوص . وألوثيقتين تحت أرقام ٤٥٤٤٧ ، ٤٥٤٤٨ بالمتحف المصرى . أما الوثيقتين الاخيرتين فهما باللغة القبطيـة وتذكر مجموعة من القديسين والشـهداء ، الوثيقة الاولى تحت رقم ٤٥٤٤٩ ومساحتها ٦٥ x ٤٠ سم وننشر صورتها .



الوثيقة الثالثة القبطية رقم ٤٥٤٤٩ بالمتحف المصرى

أما الوثيقة الرابعة فهى تحت رقم ٤٥٤٥٠ وهى معلقة على جـدران السلم الرئيسى بالمتحف المصرى وهى الوثيقة الوحيدة التى فرقت وأوضحت الفرق بين البولات الاربعة القديسين وطول هذه الوثيقة ٧٥×٤٠ سم ، فالانبا بولا أول السواح غير الانبا بولا الطماوى الذى يوجد جسده مع جسـد القديس الانبا بيشوى بدير الانبا بيشوى . اما الانبا بولا اول السواح هو الذى ولد بمدينة الاسكندرية . ووجدت هذه الوثائق فى مقبرة قبطية بجبـل انتنا — أنصنا Antinoe — ويدعى جبل القطنة أمام قرية القطنة حاليـا .



الوثيقة القبطية رقم ٤٥٤٥٠ بالمتحف المصرى

حياة الانبا بولا السائح بقلم

سرابيون الاسقف

كتب القديس سرابيون الاسقف الطبيب ميمر عن حياة القديس الانبا بولا ، وكتب ميمر عن حياة القديس الانبا أنطونيوس ضمهما المخطوط رقم ٦٣٣ مسلسل/٥٣ تاريخ بمكتبة المخطوطات بالدار البطريركية ومقدمتها تقول « سيرة الانبا بولا وسيرة الانبا أنطونيوس للانبا سرابيون الاسقف ، نسخ فى ١٥ مسرى ١٤٠٩ من ١٦٩٣ م وكان ملكا للانبا يؤانس البطريرك .

وهذا الميمر غير الميمر الذى كتبه القديس أثناسيوس عن القديس الانبا بولا ، وملخص لحياته موجوده بسنكسار يوم ٢ أمشير .

= ٤ =

الانبا بولا اول السواح من مدينة

الاسكندرية

ذكر فى المخطوط المحفوظ بمكتبة المخطوطات بالمتحف القبطى(١٢) ، بأن القديس العظيم الانبا بولا من الاسكندرية ذكر . « نبتدىء بعون الله تعالى وحسن ارشاده بنسخ سيرة القديس العظيم الانبا بولا الاسكندرى أول المنفردين فى البرية بعد ايليا ويوحنا المعمدان الذى اكملها فى الثانى من شهر أمشير صلاته معنا آمين .

وقال « كان فى ذلك الزمان قبل أن تظهر كثرة العبادة على الارض والجبال والبرارى خالية منهم ، ولم يلبسوا بعد شكل الصليب عليهم ، هم الرهبان ، كان بالاسكندرية رجل غنى لا يوصف كثرة الغنى الذى له من الذهب والفضة ، والثياب الفاخرة ، فرزق له ولدين سمى أكبرهما بطرس والاخر بولس الخ » ...

---

(١٢) مخطوط رقم ٢٦ مسلسل ٤٨١ تاريخ حياة القديس الانبا بولا . المتحف القبطى بالقاهرة . ص ٥٣ .

وقال « فتوارى بولس من قدام اخاه ، ولم يعلم كيف مضى . فأقام أخيه ثلاثة أيام ينادى عليه فى المدينة فلم يجده ، فخزق ثيابه ، وحزن عليه زمانا كثيرة ، وبقى فى بيته يبكى الليل والنهار ، ويقول لماذا أنا تكلمت البتة مع اخى بسبب شىء بالجملة » ...

« ولما كان فى أيام أثناسيوس البطريرك الاسكندرى كانت مشاجرة بين رهبان ديار مصر وبين اليونانيين ، وقالوا من ترى هو أول المنفردين ، لأجل أن اسم الرهبان لم يكن ظهر ، بل كانوا يدعون نساك ، والذى كان يريد أن ينفرد يبعد عن مدينته قليلا ويبنى له مسكنا وهذا يدعى ناسك .

الفصل الثـــانى

سيرة القديس الانبا بولا بقلم

القديس أثناسيوس

قال الانبا أنطونيوس . « أنه بعد أن مضى على زمان وأنا فى العبادة ، اختلجنى فكر العظمة ، وظننت انى أول من سلك طريق الرهبنة ، وانفــرد للعبادة والنسك فى البرية ، فتداركتنى نعمة الله . واعلمتنى بالهام الهى بأن فى هذه البرية ، رجلا أقدم منى زمانا ، وأفضل قداسة .

فأخذت حالا عكازى الذى أتوكأ عليه ، وخرجت أطوف فى البــرية ، قاصدا مكان عبد الله ، وبعد ما سرت يوما بأكمله ولم أجد أحدا يدلنى عليه ، قمت مصليا الليل أجمع ، مستمداً الارشاد من البارى ، ثم أخذت أطـــــوف فى اليوم الثانى كما فى اليوم الاول . فقال أنطونيوس ، مبارك الهى ، ان عبدك لا يعود الى الوراء ولا يرجع حتى أنظره . ولم يكن أنطونيوس مرتجف بــل آمن . ومضى بقوة الروح القدس ، داخل الجبل نحو الشرق ، حتى وصـــل الى وادى عميق وتوغل داخله . فنظر شعلة نار صاعدة الى الســـــحب ، فتعجب جدا ، وقال حقا ان أعداء الحق تتبدل فى أشكال ، وصلب عليه ، وقال يا الله أعن صورتك وخلصنى من الشيطان .

ولما صار الغروب ، نظرت ذئبـــة(١٣) . صاعدة الى الجبل ، فتعقبت

---

(١٣) فى الميمر الذى كتبه القديس أثناسيوس ، أشار الى الذئبة التى كانت تتقدم أمام القديس الانبا أنطونيوس . أما الدكتور رؤوف حبيب فى كتابة عن تاريخ الرهبنة والديرية ص ٤٢ فقد كتب بدلا منها « أنه شاهد وحشـــا صاعدا الى الجبل وهذا الوحش هو ذلك المخلوق الخرافى المسمى بالتنـــور والغريب فى شكله أن جسمه جسم جواد ووجهه شبه انسانى — هذه الخرافات لم ترد فى ميمر القديس أثناسيوس وقالت بعض الاساطير أنها أنثى الضبع Covent. His. des monastéres. P. 6.

اثرها ، ولم أدعها تغيب عن نظرى حتى خيم الظلام بينى وبينها ، فتركتهـــا ، وملت الى مغارة كانت بالقرب منى قاصداً أن أبيت فيها . وبينما أنا ســـائر فى الظلام الحالك ، نظرت فيها من بعيد ضوء سراج ، فلما دنوت من النـــور شعر بى القديس بولا ، فأسرع وأغلق دونى الباب .

أما أنا فجثوت على الارض ، وصرخت باكيا وقلت ، انى واثق بأنك تعلم من انا ومن اين جئت ، ولماذا أتيت ، ولا يخفى عليك انى لا أخرج من هنـــا حتى أبصرك . فهل يمكنك يا من تقبل الحيوانات أن تطرد الانســـان . انى لمحبتك طلبتك وقد وجدتك ، وقرعت بابك لتفتح لى فان لم تقبل طلبتى فانى أموت هنا ، وانك سوف تلحدنى هنا بعد موتى .

وحينما كان القديس الانبا أنطونيوس على الباب سمع القديس بـــولا يرتل هذا المزمور ، ويقول اعترف لك يا رب ، وقام ليصلى ، فقال يا اللـــه الهى الفاحص والقلوب والكلى وكل أمر ظاهر أمامك .

فأخذ الانبا انطونيوس حجرا كان ملقى فى الجبل ، ودق به حجرا آخر ، فلما سمع بولا وهو داخل المغارة ، هذا الصوت ظن أنه العدو . وحيث أنه لم يسمع قط وحشا يعمل هكذا منذ اليوم الذى سكن فيه فى الجبل والبحيرة المجاورة له ، والتى تدعى بحيرة مريم ، دحرج حجرا كبيرا خلف باب المغارة من الداخل .

فلما سمع أنطونيوس صوت الحجر صاح وقال ، طلبت الله ، فأعطيت لى ، سألتك يا الله فوجدت ، قرعت يا الله ففتحت لى .



الانبا بولا والانبا انطونيوس

فقال القديس بولا وهو بداخل المغارة لا يجب للسائل أن يلح فى طلب الامور التى يسعى اليها ، ولا يضيق صدره .

واخيرا فتح الانبا بولا الباب وعانقنى ، فسلمت عليه كما سلم على باسمى ، ثم قال لى ابصر الآن الى من فتشت عنه بعناء عظيم فترى اعضائى قد وهنت من الشيخوخة ، وقد ابيضت لحيتى كلها ، وجف جلدى ، فانظر الى انسان سوف يرقد الى الرماد سريعا ، قد تعبت كثيرا للاستقصاء عنى ، فأخبرنى عن حال العالم ، ومن يدبره ، وهل يوجد فيه من يعبد الاصنام بعد . أخبرنى هل لا زالوا يبنون ابنية فى مصر القديمة . وهل يوجد من ملوكهم من يبنون وينفقون لبناء معابدهم لمساعدة الشياطين .

فأجابه عن ذلك بالتفصيل .

ثم قال له انطونيوس يا ابى أريد أن تعرفنى عن هذا الاسكيم ، هل يكثر على الارض أم لا ؟ فابتسم الطوباوى بولا ثم تنهد ، فقال له انطونيوس ، يا ابى نظرت اليك وقد ابتسمت وفرحت ، ولما تنهدت ، أجاب بولا ، ان هذه الجبال سوف تعمر مثل ابراج الحمام ، ويجمع الله مختاريه من كل موضع ، ويعود اسم الرهبان ويفرحون كما هو مكتوب ، والسكان فى موضع السخرة

سوف يفرحون وينقذهم الله قبل الغضب ، ثم يقوم من بعدهم جيل لا يسمع ، وهو غير مطيع لأنهم لا يسهرون على نفوسهم ، حينئذ يغضب الله ، بسبب هذا العصيان ، وتصبح هذه الجبال خرابا زمانا ، ولكن تذكار القديسين لا ينقضى ، وقد يملأ القلوب بعضهم على البعض حتى يتخلى الله عنهم ويقولون ليس فى هذا خير . وقد يتركون آلاسكيم عنهم والتعبد ، وينزلون الى أسفل ، لأنهم لم يجدوا حلاوة فى محبة الله ، ولم يصبروا لأنه مكتوب بصبركم تقتنــــون انفسكم ، آخرون يتركون مواضع مساكنهم ويجولون فى شــوارع المــدن ، ويبنون لهم مساكن ، ويخرجون من وسط حظيرة الخراف ، ويعرضون ذواتهم للذئاب ، ويتركون بعيدا عنهم مواضع تسبيح الله ، ويقيمون فى المواضــــع التى لا ينبغى ذكرها . ويحبونها ويسكنون فيها . لأنهم لا يقبلون تعــــاليم آبائهم ، فقوم يكرموا وقوم يعثروا لضعف كلمتهم ومعرفتهم .

لكن الله يطرح فى قلوب قوم آخرين الرأفة فيمضــــون الى الجبــال ليسكنوها دفعة اخرى . ويدوسون العدو الشيطان تحت أقدامهم ويشنون الحرب ضده ، ويجاهدون فيأخذون أكاليل الغلبة والانتصار .

وقال أنطونيوس ، ثم سألته عن السبب الذى أحضره الى هذا المكان ، فقال له الانبا بولا قصته .

حيــاة القديس الانبا بولا

منذ طفولتـــه

قال « كان والدى غنى بمدينة الاسكندرية ، ولا توصف كثرة غنــاه ، وما يملكه من ذهب وفضة واملاك . وكان ذلك فى عهد الملك ديسيوس الذى كان يفتك بنصارى مصر كلها حتى الصعيد . وقد ولدت فى عام ٢٢٠(١٤) . ومات والدى وكان عمرى ١٢ سنة ، فلما اشتدت المصــــائب على المؤمنين انفردت فى منزل كان لى من بين مزارعى . وفى هذا الوقت عرض لى خطــر عظيم ، وذلك أن زوج أختى وأخى قاما على . وارادا أن يختلسا امـــوالى ،

(١٤) مخطوط بالمتحف القبطى ١٠٦١ ش .

او يشكينى اخى الى الوالى بأننى مسيحى(١٥) . وكنت سمعت أن هـــذا الوالى أرسل آلى كل مكان رسلا وثنيين يفحصون عن أخبـــار المسيحيين ليعذبوهم أو ينكروا المسيح ، فيطلقوا سراحهم .

وكان أخو الانبا بولا ويدعى بطرس تشاور فى قسمة الميراث ، فأخبــر بطرس اخاه بولا ، وطلب منه أن لا يعترض على ما يأخذه ، بأن يأخذ جزأين ويدفع لأخيه بولا جزءا واحدا ، بحكم أنه الاخ الاصغر ، فحـــزن قلب بولا ، وقال لأخيه ، لماذا اخذت من نصيبى الذى استحقه من مال أبى . اليس لكلينا ميراث واحد ؟ . ولماذا تفعل هكذا ، أجاب بطرس ، وقال لأخيـــه ، لست احســدك ، ولكنى الكبير ، وأحسن تدبيـــر هذا المال افضل منك ، فتضيعه وتحتاج أخيرا ، وانك لا زلت صغيرا ، واذا طابت مستقبلا اى مبالغ فسوف أعطيها لك . فقال بولا لأخيه ، لا يكون كذلك . بل سآخذ نصيبى مثلك من ميراث أبى ومن كل شىء ، فقال له بطرس بانه سوف يعطيه نصيبه من أملاك المنزل فقط . فقال بولا لأخيه ، لأنى الاصغر سنا تظلمنى وتحرمنى من نصيبى من ميراث أبى .

واذا كان هذا ما ترمى اليه ، تعالى نذهب الى الوالى لكى يحكم بيننا ، ومهما يقضى به ، سوف تنفذه ، فوافقه بطرس على ذلك ، حيث أنهما لم يتفقا ، فمضيا الى الحاكم ليفصل بينهما .

وفيما هما ذاهبين ، وجدا جنازة سائرة فى الطريق ، فسأل الانبـــا بولا احد المشيعين ، عن المتوفى ، فقال له . « أنه من عظماء هذه المدينـــة ، وأغنيائها ، وهو ذا قد ترك غناه ، وماله الكثير ، حيث انه كان متنعما بكثرة الذهب والفضة ، وهم الآن يمضون به الى القبر بثوبه فقط والذى يلبسه(١٦) ، لا يملك شيئا من هذا العالم . بل انه قد مضى الى طريق لا يعود منها ابدا ، ومات هذا الرجل العظيم وهو فى أمواج خطاياه كلها ، وانه لم ينظـــر الى المستقبل الذى سوف يلحقه .

والآن يا ولدى لنحارب الان الحرب الروحية ، فى هذا العالم ، لأننـــا

---

(١٥) ذكر فى كتاب سيرة المتوحد القديس الانبا بولا — دمياط ص ١٩ بأنه عندما كان الانبا بولا فى سن ١٦ سنة ، كان الانبا أنطونيوس ٤٠ سنة ، وهذا غير منطقى لأن الانبا بولا كان الاكبر سنا من الانبا انطونيوس .

(١٦) تاريخ الانبا بولا . المتحف القبطى .

لا نخلد فيها الى الابد ، وطوبى للرجل الذى له المقدرة ان يتسلط فى هـــذا العالم ثم يتركها غير مهتم بها . فان العظمة سوف ينالها هـــذا الشخص فى اورشليم السمائية ، فى مدينة الابرار وهى فائقة . وسوف لا ينظر فى اليــوم الاخير عن غنى أو فقير ولا شيخ أو شاب ، لأنه سوف يجازى كل واحـــد حسب أعماله .

فلما سمع القديس بولا هذا القول ، من فم هذا الرجل الحكيم ، الذى كان يمشى مع الميت ، بقى متغيرا ، وتنبه عقله ، وانكشفت له حقيقة هـــذا العالم ، الذى أصبح بعد ذلك أمامه كلا شىء . وتنهد الانبا بولا ، وقـــال فى نفسه ، ما لى اذا وأموال هذا العالم الفانى الذى سأتركه ، وأنا عريان ، ثـــم التفت الى أخيه ، وقال له ارجع بنا يا أخى الى البيت ، فلست مطالبـــا اياك بشىء مما لى ، لأنه لا يوجد فيما بيننا من حاجة الى قاضى .

فأجاب بطرس أخاه بولا . لماذا تتراجع الآن يا بولا قبل أن نمضى الى الحاكم ؟ . فقال له بولا ، انى قد انتهيت الى قرارى وحدى ، فقال له بطرس لأخيه ، أخبرنى ، ماذا حدث حتى يطلب الرجوع ، لعلك تريد أن تمضى معى لتشهد ضدى عند مقدمى المدينة ؟ . أن كان ما اقوله صحيحـــا فقل لى ، وان لم يكن كذلك فأخبرنى أيضا لنمضى الى منازلنا وننفصل ، ولا يعلم أحد بأمرنا ، وأنا ارضيك بكل ما تحب .

اجابه بولا ، وقال له ، إالهى الذى خلق كل شىء ، الخفى الظاهر ، بكل ما يأمر له ، وهو يعلم بأننى لست اكن لك فى قلبى شيئا من الشر البتة ، بـــل أقولها بقلب سليم لا غش فيه ، فنمضى الى بيوتنا مباشرة .

والذى تريده فى كل شىء ننفذه . ولن أتحدث اليك مرة أخرى بشأن مال ابى وكفى هذا .

وفيما هما عائدين ، انفصل عنه الانبا بولا وسار فى طريقه حتى وصل الى خارج المدينة ، فوجد قبرا فأقام به ثلاثة أيام يصلى الى السيد المسيح ، وأن يرشده الى ما يرضيه .

اما أخوه فانه بحث عنه كثيرا واذ لم يقف له على أثر ، حزن حـــزنا عظيما ، وتأسف على ما فرط منه ضد أخوه ، ومكث فى بيته يبكى ليلا ونهـــارا ويقول لماذا تحدثت مع أخى فى مال هذا العالم حتى حل بى هذا .

وانتقل بولا غرب المدينة فوجد مقبرة أخرى فدخل فيها لا يفكر فى اكل أو

شرب ، ولم ينل منه الخوف ، ولم يقشعر جسمه البتة لأن قوة من النـــور كانت تظلله فى المقبرة التى كان يسـكن بها . وفى اليوم التالى ، ارسل الله له ملاكا مضيئا ، واخرجه من هذا المكان الى حيث يوجد عين ماء بقربها نخلة ، ووجد بولا بجوارها مغارة موحشة(١٧) . فدخل فيها ، وصنع له ثوبا من ليف ولبسه ، واخذ يصلى ويقول يا سيدى يســـوع المسيح ابن الله الحى ، احرصنى وخلصنى من يد العدو غير المشفق . وكمل رحمتك على ولتقوينى حتى اكمل سعى ، برضاك الى اليوم الذى فيه اقف بين يديك ، يا ملك الدهور كلها ، لأن لك المجد والقوة الى الابد آمين .

وقال الانبا انطونيوس ، انه كانت توجد ايام القـــديس اثناسيوس مشاحنة بين الرهبان المصريين واليونانيين ، يا ترى من هو أول المتوحدين ؟ . ومنذ القدم لم يكن يظهر بعد الرهبان ، بل كانوا يدعون نساكا . ومن أراد ان يبتعد عن المدينة قليلا يبنى له مسكنا ، وهذا يدعى ناسكا ويتفرغ لنفســـه فى قلايته ، وقال قوم منهم ان ايليا النبى الذى كان مقيما فى جبل الكرمل ، كان يصلى من اجل المطر والندى حتى انبتت الارض ، وفى العصر المسيحى كان يوحنا ابن زكريا الذى كان يقيم فى البرارى الى يوم ظهوره فى اسرائيل .

وقال انطونيوس ، انه خطر لى اننى سكنت البرية بعد ما خرجت من قريتى قمن العروس ، وطلعت الى الجبل وبنيت لى موضعا صغيرا واقمت به منفردا .

ولكنى الآن وجدت من سكن فى البرية ، وهو مختار من الله اكثر ، وهذا العالم كله لا يستحق موطىء قدمه الواحدة ، ومن أجل صلاته ، الله ســوف يبارك على الارض كلها لتعطى ثمرتها ، وقال انطونيوس ، حى هو الرب ، قد وجدت الناسك الحقيقى الذى ارسل اليه الرب ملاكا وسار معه الى البرية الشرقية الداخلية . وهناك اقام سبعين سنة لم يعاين اثنـــاءها احدا(١٨) ،

---

(١٧) وصف بلاديوس فى كتابه البستان وصف طريق الكهف الذى كان يقيم فيه بولا ، وقال ان الكهف كان واسعا من الداخل ذا فوهة صـــغيرة ، يغلقها بحجر كبير ، ويمتاز بنظافته الفائقة وانبساط أرضه ونعومة التـــراب المنثور عليه ، وبجوار الكهف بعض النخيل الذى كان يقتات بثمره .

(١٨) أقام القديس أبو نوفر السائح ٦٠ عام فى الصحراء . ومن السواح القديس الانبا توماس بجبل شنشيف بأخميم ، قال عنه الانبا شنودة بأنه لم يكن أحد يعادله فى القداسة ، وكان السيد المخلص يخاطبــــه فمالفهم وأن

وكان يلبس ثوبا من الليف ، وكان يرسل اليه الرب غرابا بنصف خبزه كل يوم .

وحينما كان الانبا انطونيوس ، والانبا بولا يتحدثان بعظائم الامـور ، طار اليهما غراب حاملا فى منقاره رغيفا كاملا ، ووضعه بين أبينا وطار .

فقال القديس الانبا بولا ، مبارك الرب الذى أرسل لنا ماكلا ، والآن علمت انك من عبيد الله .

فاعلم يا أخى ان لى اليوم سبعين سنة ، والرب يرسل لى نصف خبزة كل يوم ، أما اليوم فقد أرسل الر بالك طعامك من أجلك فشكر الله ، الذى يهتم بقديسيه .

وقال له الانبـا بـولا ، ان هذا الرغيف لسد حاجة الجسد فان الجسد كالفرس اذا تركته لا يقدر أن يعمل ما ينبغى عمله .

وقال انطونيوس . ثم صرفنا الليل كله فى الصلاة ، وبعد الغد استدعانى القديس الانبا بولا ، وقال لى انى عرفت منذ زمان انك مستوطن فى هذه البرية ، وقد وعدنى الله بأنك تزورنى ، وتوارينى التراب ، فقد وافى الزمان الذى افارق فيه هذا الجسد البالى ، وانطلق الى الرب ، فأطلب اليك أن تعود الى ديرك ، وتأتى بالرداء الذى أعطاه لك أثناسيوس لتكفننى به وتدفننى(١٩) .

فبدات عند ذلك أذرف الدموع متأسفا ، وطلبت الا يفارقنى ، بل يلتمس من المسيح أن انطلق معه . فقال لى انه ينبغى أن تمكث مدة من اجل خيـر اخوتك المسيحيين ، وأن الانبا بولا ، لم يقل لى انه محتاج الى ثوب لتكفين جسده ؛ بل كان يريد أن يجعل انطونيوس يذهب الى قلايته حتى لا يراه عندما يترك الجسد .

ثم قال الانبا بولا للانبا انطونيوس ، بنبوة عن مستقبل مجد الرهبنـة وفضلها ، وبعد أن انتهى من كلامه ودعته ، ورجعت الى ديرى مسرعا .

ولما وصلت سالنى اثنين من الرهبان عن سبب غيابى ، فلم أجبهمـا بكلمة ، بل قلت لهما ، انى رجل خاطىء لا أستحق أن يكون اسمى راهبا .

الملائكة حضروا عنده مرات كثيرة . اسقط اسمه هو والانبا شنودة لجنـة تحرير ونشر باحدى المطرانيات ، ضمن رهبان مصر ، كما أشار بذلك الدكتور بدج بانجلترا .

(١٩) خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ٧٦ ، ٧٧ .

واسرعت لأحضر الحلة التى اعطاها الملك قسطنطين للقديس أثناسيوس البطريرك ، ومضيت الى البابا أثناسيوس ، وأخذتها منـــه بعد أن أخبرته بقصة الانبا بولا(٢٠) ، وعدت الى مكان الانبا بولا ، ورجـــوت من الله أن أعانه وهو حى .

ولكن حينما لم تبق الا مسافة قليلة لوصولى لمغارة الانبـــا بولا ، اذ ابصرت جوقا من الملائكة يرتلون وبينهم نفس القديس الانبـــا بولا ، والملائكة صاعدين الى السماء ، فحزنت وبكيت بكاءا مرا . ولما دخلت المغارة ، وجدت جسده واقفا كأنه جاث على ركبتيه . ورأسه مستقيم ويداه مرتفعتـــان ، وظننت أنه حى . فجثوت أصلى بقربه ، ولما رأيت أنه لم يتنهد كعـــادته فى الصلاة ، تفرست فيه جيدا ، فتحققت أنه تنيح ، فوثبت على جسده وقبلته ، ذارفا الدموع ، ثم كفنته بالحلة التى تخص القديس أثناسيوس الملوكيـــة ، واخذت الثوب الليف .

ولما أردت مواراة جسده الطاهر ، تحيرت كيف أحفر القبر ، اذ لم يكن معى آلة أحفر بها حفرة ، فساق الله لى اسدين ، فدخلا على ، وصـــارا يطأطآن بوجهيهما على جسد القديس ، ويشيرآن براسيهما كمن يستأذنان فيما يعملان ، قلت أنهما رسلان من قبل الرب ، فحددت لهما طول الجســـد ، وعرضه ، فحفرا الحفرة بمنكبيهمـــا ، حتى أكملا قبرا ، وجثا الاسدين أمامى كأنهما يطلبان اذنا للانصراف فأشرت لهما بيدى للانصراف .

وكان الاسدان يحركان آذانهما ، خاضعين رأسيهما للانبا أنطونيوس ، وكانا يلمسان قدميه ويديه بلسانهما ، لكى يفهم انهما يطلبان أن يباركهمـــا .

---

(٢٠) أخذ الانبا أنطونيوس الملابس الملوكية من القديس أثناسيوس للكنيســة فى هذا الوقت ألبس أنطونيوس البطريرك أثناسيوس لبس الرهبنة ، القلنسوة ، والاسكيم ، والمنطقة ، والبرنس ، والتراج الصوف ، وقال له من الان يكون هذا هو لبس الاباء البطاركة الى أبد الدهـــور ، وقالت بعض المخطوطات (١٠٨ تاريخ دير الانبا أنطونيوس . ان انطونيوس فى هـــذا الوقت أقام عند البابا البطريرك ثلاثة أيام رسمه فى أثنائها قسا ثم قمصـــا ثم عاد أنطونيوس الى ديره . والبعض قال ان أثناسيوس أعطاه رتبة قس للصلاة على جسد الانبا بولا ، علما بأن القديس الانبا أنطونيوس كان يرفض دائما رسامة الرهبان واعطائهم أعمال داخل الكنيسة ، واستمر هذا التقليد حتى وقت أن رسم الانبا غبريال السادس الملقب بالعصفور وهو من بـــلدة العرابة المدفونة والذى رسم عام ١٤٧٤ ودفن بدير الانبا رويس ، وكان رئيسا لدير الانبا أنطونيوس .

فاضطرب انطونيوس من معجزات السيد يسوع المسيح ربنا ، بانه كيف ان طبيعة الوحوش تعرف الصالحين ومختارى الله . وقال يا رب يا من لا تسقط ورقة على الارض بدون ارادته ، ولا يسقط عصفور بدون أمره ، فأنت تباركنا كلنا ثم دعاهما بيديه مباركا اياهما ، وامرهما ان يمضيا فى طريقهما .

ولما مضى الاسدان ، حمل الانبا انطونيوس جسد الطوباوى(٢١) ، الانبا بولا كعادة الرهبان ، ثم وارى جسد القديس بالتراب ، ووضع علامة على موضع الحفرة ، حيث دفن فيه الجسد .

ثم بعد ان اخذ ثوب الانبا بولا المنسوج من الخوص عاد الى ديره .

ثم بعد فترة ذهب الانبا انطونيوس الى الاب البطريرك القديس اثناسيوس واعلمه بهذه القصة ، فأخذ البابا البطريرك الثوب الليف ووضعه عليه . وكان يلبسه تبركا ثلاثة مرات فى العام مناسبة الاعياد السيدية ، عيد الميلاد ، وعيد الغطاس ، وعيد القيامة ، وعيد الصعود .

وارسل البابا اثناسيوس كهنة من البطريركية بمدينة الاسكندرية لصاحبة الانبا انطونيوس ليحملوا الجسد اليه ، ليدفن مع باقى البطاركة مع القديس مارمرقس ، والقديس انيانوس ، ولكنهم قضوا اياما كثيرة يبحثون فى كل مكان بالجبل ، فلم يعثروا على مكان دفن القديس الانبا بولا ، وبعد أن تعبوا ظهر لهم القديس الانبا بولا فى رؤيا ، واعلمهم ان الرب لم يشاء اظهار جسده ، وطلب بان يأمر الانبا انطونيوس الرجال للعودة ، حتى لا يتعبوا بدون فائدة .

وفى صباح اليوم التالى ، ارسل البابا البطريرك ، القديس اثناسيوس احد الرهبان ، ويدعى اولاجيوس الى الانبا انطونيوس ، لكى يأمرهم بالعودة مرة اخرى .

وخرج اولاجيوس وسار فى الجبل فمضى اثر البعثة التى ارسلها اثناسيوس لاحضار جسد الانبا بولا ، حتى وجد القديس الانبا انطونيوس ،

---

(٢١) تنيح يوم ٢ امشير عام ٣٤١ م السنكسار القبطى اى ان نياحته كانت فى الوقت الذى كان القديس اثناسيوس فى روما .

ومن معه من كهنة الاسكندرية فتكلم معهم بما قاله غبطة البابا البطريرك الانبا أثناسيوس . وللوقت رجع القديس الانبا انطونيوس وزملائه الى مدينة الاسكندرية متعجبين . وأن البطريرك القديس أثناسيوس الرسولى كتب هذه السيرة باللغة القبطية(٢٢) ، عن حياة القديس المتوحد الانبا بولا ، وجعلها فى كنيسة الاسكندرية تقرأ لكل مسيحى يريد أن ينضم للرهبنة .

وقد ذكر القديس أثناسيوس أعجوبة حدثت بمدينة الاسكندرية وهى أن صبى يدعى « اللاديس » مرض ومات ، فحينما ذهبت أسرته للقديس اثناسيوس لكى يصلى عليه ، فحينما وضع القديس أثناسيوس ثوب الانبا بولا من الليف الذى كان يلبسه ، على جسد الصبى ، فللوقت قام الميت ، وشاعت هذه الاعجوبة فى كل أرض مصر والاسكندرية(٢٣) .

وقال القديس أثناسيوس ، صدقونى أيها الشعب المحب لله أنا أثناسيوس أخذت الثوب الليف الذى كان على الطوباوى الانبا بولا ووضعته على الميت فقام للوقت وانا أشهد بهذا وشهادة رجلين وثلاثة حق .

وانتشر خبر هذه الاعجوبة فى كل أرض مصر والاسكندرية .

وقد وقع على هذه الشهادة ثلاثة هم : —

١ — القديس اثناسيوس . كتب « انا المدعو اثناسيوس اشهد بأننى رايت هذا برؤى العين » .

٢ — القديس ايسيدوروس الاسقف كتب « أشهد بهذا أيضا واقر بصحة هذا » .

٣ — القديس الانبا انطونيوس كتب « وانا أنطونيوس اول قس جعل من

---

(٢٢) كما هو واضح من الميمر أن النسخة الاصلية لقصة حياة القديس الانبا بولا ، كتبها القديس أثناسيوس نقلا عما قصه القديس الانبا أنطونيوس . أما النسخة التى ترجمها اميلينو عام ١٨٩٤ عن حياة القديس فى باريس فقد نقلت عن القصة التى رواها ايرونيموس باللاتينية ، ويرجع كذلك الى سنكسار ٢٢ طوبة تذكار نياحة الانبا أنطونيوس .

(٢٣) السنكسار القبطى ٢ أمشير .

الرهبان على يد الانبا اثناسيوس ، اشهد بهذا الكلام ايضا وكتبت خطى فيه » .

وبعد إن كتب القديس اثناسيوس سيرة القديس الانبا بولا ، طلب من كاتبه أن ترسل الى كل الاسقفيات ، وأمر بوضعها بكنائسهم(٢٤) .

جسد القديس الانبا بولا

سبق ان اشرنا الى موضوع جسد القديس الانبا أنطونيوس بثلكتاب بولا ، رجع الى البابا الانبا أثناسيوس فأرسل أنطونيوس مرة أخرى مع بعض كهنة الاسكندرية ليحملوا جسده الى الاسكندرية ، فأخذوا يبحثون عنه أياما كثيرة ، ولكنهم لم يعثروا له على أثر . وبعد أن ظهر القديس الانبا بولا للقديس أثناسيوس فى حلم وأعلمه بأن الرب لا يشاء ظهور جسده فكف البطريرك عن البحث(٢٥) . ولكن بعض الروايات أشارت بأن جسد القديس الانبا بولا نقل لمدينة القسطنطينية ، ثم نقل بعد ذلك الى مدينة البندقية ثم الى مدينة بود ، ويلاحظ أنه حدث خلط وقع فيه بعض المؤرخين بين القديس الانبا بولا أول السواح وبين القديس بولا البسيط ، تلميذ القديس الانبا أنطونيوس ، الذى كان يسكن فى مغارة قريبة منه ، ومن اشار الى ذلك كثير من الرحاله(٢٦) . بأن هذه المغارة لا شك فيها هى مغارة بولا البسيط ، فربما تكون الاشارة الى جسد البسيط وليس جسد القديس الانبا بولا أول السياح .

جسد القديس الانبا أنطونيوس

سبق ان اشرنا الى موضوع جسد القديس الانبا أنطونيوس بالكتاب الثانى لحياة القديس أثناسيوس ، وقد أشرنا الى رحلة الجسد حتى وصل الى فرنسا ، وقد عارض هذه الفكرة بعض الرهبان بدير الانبا أنطونيوس ووجهة نظرهم تعتمد على ما يلى .

---

(٢٤) تحفة السائلين ص ١٠١ .
(52) Couvent de St. Antoine, P. 150,
(62) Paradise of Palladious. Vol. I. P. 183. 189.

١ — أن الجسد لا يزال موجود بدير الانبا أنطونيوس بالبحر الاحمر .

٢ — جسد أنطونيوس بفرنسا ليس لجسد القديس انطونيوس المصرى

٣ — لم يحدث أن تم نقل الجسد خارج مصر فى يوم من الايام ونرد : —

اولا :

١ — اعتمد الرأى الاول على ما ذكره القس منسى يوحنا وأخذ عنه الشماس صالح نخلة بأن جسد القديس يوجد أمام باب الهيكل القبلى بالكنيسة التى بناها فى حياته ، وسميت بعد ذلك باسمه ، وهذا القول لا يعتمد على مصدر تاريخى ، علما بأن أجساد القديسين والرسل كانوا يوضعون بالجهة البحرية من الكنائس القديمة . وكنيسة العذراء التى أشير اليها سبق أن حرقت وخربت وجددت مبانيها وأسوار الدير فى عهد البابا كيرلس الرابع . ووقع شهداء نتيجة لهذا التخريب ، وذكروا بالسنكسار فى ٢٦ بابة ، تذكار الشهداء الذين استشهدوا على يد البربر ، بجبل القديس أنطونيوس أب الرهبان .

٢ — ذكر الدكتور رؤوف حبيب ص ٤٥ من كتابه عن الرهبنة بأن مكتبة دير الانبا أنطونيوس والانبا بولا للاسف أغلبها وقع فريسة للحريق أثناء فترات الهجوم من البدو ، وحصل بعضها فريق من رحالة الغرب ، وما تبقى منها قد تحول الى مكتبة الدار البطريركية ، ولا يوجد من هذه المخطوطات الآن الا بعضها قليل القيمة . . ويلاحظ بأن جميع هذه المخطوطات لم يشر اطلاقا الى وجود رفاة القديس بدير الانبا أنطونيوس .

٣ — أشار الكتاب الصادر عن الدير عام ١٩٨٢ ص ٢٢ بأن الجسد يوجد بالمغارة التى تحت الارض امام باب الهيكل القبلى فى الكنيسة التى تحمل اسمه بديره العامر ، وأن المتنيح القمص منسى يوحنا فى كتابه ذكر ما يؤكد ذلك ، وقد زاد هذا تأكيدا ظهور القديس أنطونيوس لبعض من الناس فى عصرنا الحالى مؤكدا وجوده فى هذا المكان » . ويلاحظ أن المغارة التى أشير اليها داخل الدير ، غير المغارة التى كان يسكنها القديس الانبا أنطونيوس بأعلى الجبل الواقع فى الجنوب الشرقى للدير ، علما بأن الطريق الموصل اليها متعب ويستغرق ساعة ، وهى مغارة طبيعية بالجبل يبلغ ارتفاعها نحو متر ونصف وعرضها ثلاثة أرباع متر ، وطول تجويفها عشرة أمتار ، وتنتهى بحفرة

كروية الشكل لا يزيد حجمها عن عشرين متر مكعب وفيها كان يأوى القديس العظيم ، وأرضها تكاد تكون مستوية وسقفها غير منتظم وبها مذبح خشبى لاقامة الشعائر الدينية فى ٢٢ طوبة من كل سنة ، حيث يحضر رهبان دير الانبا أنطونيوس لاحياء ذكرى القديس العظيم . ونحن نقول فى أى مغارة منهما يوجد جسد القديس ثم أن ظهور الرؤيا لا يستند الى مصدر تاريخى وثائقى .

٤ — ذكر بمجلة معهد الدراسات القبطية عام ١٩٥٧ ، « بأنه لم يستدل من المخطوطات التى اهتدينا اليها فى وادى عربة على وجود الدير الذى يحمل اسمه ، وكان قد انشىء فى سفح الجبل الذى به مغارة انطونيوس الخاصة ، علما بأن قوافل البدو كانت تبدأ رحلتها فى ضواحى بلدة الميمون من أعمال بنى سويف .

وقال الدكتور وهيب عطا الله — الانبا غريغوريوس — بمجلة المعهد كذلك . بأن التاريخ يروى أن جاسلان فى عودته لفرنسا وقف عند كاليجارى فى سردينيا ، وترك القديس أنطونيوس فى هذه المدينة ، ثم أودع هذا الرأس فيما بعد فى كنيسة المستشفى القديم المنسوب الى القديس أنطونيوس فى كاليجارى . وفى عام ١٩٤٣ ضربت الكنيسة بالقنابل ودمرت تدميرا تاما ، ولكن عثر على الرأس سليما وسط الخرائب . وقال نيافته تعليقا على ذلك أنه انصافا للحقيقة ينبغى أن أقول اننى لم أجد برهان أو أية وثيقة دافعة تؤكد هذه القصة ،أنها تقليد ولا شك مقبول ، ولكنه لا يستند الى أى دليل تاريخى » . وبذلك يكون هناك رأيان يعتمد الاول على تقليد فى فرنسا بأن الجسد هناك ، ورأى آخر لدير الانبا أنطونيوس ويعتمد على رؤيا للقديس لبعض الاشخاص ، ولا يوجد سند وثائقى .

وقد ذكر لبيب حبشى بكتابه ص ١٢٢ ، ١٢٣ عن نقل الجسد الى فرنسا وهذا نقلا كذلك عن كوفانت عن حياة القديس أنطونيوس ص ٨٠ ، ٨٦ .

٥ — ذكر الدكتور بطلر ومرقص باشا سميكه عن خراب الدير بالجزء الثانى عن التحف القبطى ص ١٠٢ . « انه قد أعاد بناء الدير الامبراطور يستنيان عام ٥٣٧م ، وذلك انه لما خسر احدى القلاع التى كان قد أقامها فى بلاد العرب لحماية حدود مصر ، أراد أن يستبدلها بقلاع أخرى على حدود القطر نفسه حتى تقوم مقامها ، فأنشأ حصنا فى شبه جزيرة سيناء ، كما عمر دير الانبا انطونيوس ودير الانبا بولا ، وزاد مساحتهما ، وبعد يوستنيانوس اصبح الدير خرب لمدة ٢٠٠ سنة ، ولم يرد شىء فى التاريخ عن هذا الدير ، فقد احترقت مكتبته بما كان فيها من الكتب والوثائق التاريخية

فى عام ١٤٨٤ عندما هجم عليه عرب البادية ونهبوه وقتلوا رهبانه ولم ينج أحد . وبقى هذا الدير خرابا ، خاليا من الرهبان ، ما يزيد على مائة سنة الى أن جاء الانبا غبريال ٩٥ فرمم مبانيه ، وأرسل اليه جماعة من الرهبان من دير السريان للاقامة به . أما الكنيسة الكبرى فقد أنشئت فى زمن لم يتحقق ، وهى قديمة ، وبها صور تمثل السيد المسيح والقديسين والشهداء ، طمسها الدخان بسبب ما كان يوقده البدو داخل الكنيسة من النار لتهيئة طعامهم ، أثناء احتلالهم للدير والكنائس الثلاث الاخرى . وكنيسة العذراء والانبا بولا تسند من هذه الكنيسة القنطرة الموصلة الى الحصن وهى حديثة » .

وقال لبيب حبشى نفس الراى السابق ، ولكنه أضاف انه فى أوقات طرد الرهبان المصريين من الدير ، وضع بها بعض الرهبان الملكيين ، وأقاموا به مدة طويلة . وتم تعمير الديرين فى عهد البابا غبريال السابع ، الخامس والتسعين ، ١٥١٨ ، ١٥٦١ م فرمم الديرين وعمرها من الرهبان من الاديرة الاخرى . فهل بعد كل ما ذكره هؤلاء العلماء تأن هذا الدير الذى خرب لمئات السنين ، يترك أولاده جسد القديس بدون أن يأخذوه معهم الى جهة آمنة .

٦ — فى أثناء خلو الدير من الرهبان أو تخريبه كان دير الميمون الذى كان يتسمى باسم الانبا انطونيوس ، قال عنه ، لانسياك بأن احد الديرين باسم الانبا أنطونيوس هو دير الميمون الذى لا يزال قائما على ضفاف النيل ، أما الآخر فانه الموجود على سفح جبل القلزم . ص ٢٣٠ ، ٢٣٢ الجزء الاول . وظل دير الميمون عامرا بالرهبان وكان يضم ١٥٠٠٠ راهب . وسبق أن ذكرنا بأن جسد القديس أنطونيوس قد نقل اليه ، بعد احتلال يوستنيان لدير البحر الاحمر .

٧ — مخطوطات الدير القديمة تصرف فيها رئيس الدير عام ١٧١٥ حينما حضر يوسف السمعانى أمين مكتبة الفاتيكان ، بناء على رغبة بابا الفاتيكان لغرض البحث عن المخطوطات القبطية ليشتريها بأى ثمن لكى يضيفها الى مكتبة الفاتيكان ، فأخذ أقدم أربعة مخطوطات ، اشتراها من رئيس الدير بدون علم الرهبان .

اما المخطوطات الحالية فهى حديثة ذكر فى بعضها هوامش توضح بداية تعمير الدير الذى يوافق القرن الرابع عشر فذكر بالمخطوط رقم ٢٥٩ لاهوتية كتاب اعتراف الاباء مؤرخ عام ١٤٨٠ م بأن البطريرك الانبا غبريال ٩٥ اهتم بتعمير ديرى الانبا أنطونيوس والانبا بولا . وذكر بالمخطوط رقم ٣٣٦ طقس كتاب الدفنار ، الستة شهور الثمانية بالقبطية والعربية — دون

بآخره أن الانبا يؤانس الثالث بعد المائة ١٧١٠ م أهتم بعمارة دير الانبا بولا عام ١٧٠١ وساعده القمص مرقص رئيس دير الانبا انطونيوس بعد ذلك بعد أن بقى الدير خرابا مدة ١١٩ سنة وكذلك المخطوط رقم ٢٣٩ كنسى .

من كل ذلك يفيد بأنه لم يعمر الدير الا حديثا ، وكان من مصلحة الكنيسة ورهبان الدير سرعة نقل رفاة القديس الانبا أنطونيوس فى عهد يوستنيان الى ديره الاخر والذى يدعى دير الميمون .

ثانيا : أن ما ذكره البعض بأن القديس الانبا أنطونيوس الموجود بفرنسا هو أنطونيوس دى بادو وهو من الرهبان الفرنسيسكان ، ولد بلشبونه عام ١١٩٥ وتوفى عام ١٢٣١ ، وكان من أسرة النبلاء وترهبن فى العاشرة من عمره ويوجد جسده بكاتدرائية دى بادو .

وهذا يختلف عن القديس الانبا أنطونيوس الكبير أبو الرهبان المصرى ، نقل جسده جاسلان وأودع هذا الرفات الثمين بكنيسة دى لا موت بسانت ديديه . وقد تم وضع حجر الاساس لهذه الكاتدرائية ووضع جسده بها عام ١٠٨٠ م اى قبل أن يولد أنطونيوس دى بادو .

وقد ذكر لاجيه فى كتابه عند زيارته لكاتدرائية القديس انطونيوس عندما مر بدو فبه فى طريقه الى مجمع كلير مونت بدعوة من البابا أريان الثامن ، قال أن البابا تنازل فى احتفال كبير عن قطعة الارض اللازمة لهذا المشروع التقوى ، ودعا جماعة من الرهبان البنديكت ليؤسسوا فيها ديرا ليرعوا هذه الوديعة المقدسة ويشرفوا على بناء الكاتدرائية واصدر البابا براءة باباوية بشأن هذا العمل الذى ساهم فيه الامراء وشعوب العالم بأسره .

وهذا الجسد الطاهر الذى وصل الى فرنسا عام ١٠٧٠ ذكر قصته فى ملحق سنكسار فرنسى قديم جدا مؤرخ فى ١٧ آذار ويقال ان الذى كرس الكاتدرائية البابا كليستوس الثانى بنفسه ، ووضع بها رفاة أبى الرهبان .. وقد اعتادت كل الكنائس القديمة فى فرنسا تصوير القديس الانبا انطونيوس الكبير وبجواره القديس الانبا بولا . اما أنطونيوس دى بادو فصورته التقليدية يحمل طفلا على ذراعيه ، وهناك اختلاف كبير بين الاثنين .

ثالثا : أن الزعم الذى يشير الى أنه لم يحدث أن تم نقل الجسد من ديره الحالى ينقصه الدليل التاريخى ونضيف مصدرا هاما يؤيد حادثة نقل الجسد من ديره الىالاسكندرية فيقال أن الانبا بقطر أسقف تونس نفى الى مدينة

كابون القريبة من مدينة الاسكندرية قال ان رفاة القديس الانبا أنطونيوس ظلت مختفية حتى عام ٥٣٢ م وفى هذا التاريخ نقلها يوستنيان من الصحراء الى ديره بالميمون ، وفى يوم ٢٥ حزيران عند زيارته لهذا الدير ، وجد جسد القديس مغشى برداء لم يعرف أولا شكله وجنسه ولكن بعد تأمل عرف أنه رداء القديس بولا المصنوع من سعف النخل(١) ، وتأكد من تحقيق ذلك بأنه جسد الانبا أنطونيوس فرفع الجسد ووضعه فى صندوق ثمين ثم ثم نقله الى الاسكندرية باحتفال عظيم . فتقاطر الشعب القبطى من جميع الانحاء الى الطريق الذى كان مزمعا أن يمر به جسد القديس الانبا أنطونيوس للتبرك به وتم نقل الجسد الى كنيسة القديس يوحنا المعمدان التى بنيت مكان السرابيون .

ويمكن القول ان هناك مئات التفاصيل الاخرى رايت أرجاءها الآن علما بأن مشروع التفكير والاعداد لارجاع جسد القديس الانبا أنطونيوس من فرنسا بمناسبة ذكرى مرور ستة عشر قرنا على نياحته كان يوافق عام ١٩٥٥ وكان هو المشروع الاول لنا ولم يكن الوقت الكنسى مناسبا ، وكان يسبق مشروع ارجاع جسد القديس مارمرقص الذى بدء الاعداد له عام ١٩٥٨ وتم تنفيذه عام ١٩٦٩ ، بارجاع رفاته بمناسبة مرور تسعة عشر قرنا على تأسيس كنيسة الاسكندرية ، ومشروع ارجاع جسد أثناسيوس الذى تم عام ١٩٧٣ ، أرجو أن يتمجد الله ليتم أرجاع جسد هذا القديس العظيم الى وطنه مستقبلا .

---

(١) وهو رداء آخر من سعف النخل غير الرداء الذى اهدى للقديس الانبا أنطونيوس .

فهرس الكتـــاب

الصور والخرائط

القديس أثناسيوس ص ٢ — صاحب القداسة الانبا شـــنودة الثالث ص ٥ المرحوم سعد ابراهيم الصراف ١٨١٨/١٩٣٦ ص ١٠ — معبد ادفو — في هذه المنطقة أتى اليها أثناسيوس ص ٢٦ — معبد دندرة — الانبا سرابيون أسقف دندرة ص ٢٧ — ثيودوريت المؤرخ النسطورى ص٣٧ — كنيسة القديس بطرس وبولس القديمة بروما ص ٥٧ — قصر اللاتيران القديم بروما بجـوار كنيسة القديس بطرس القديمة وأمامها المسلة المصرية التى سبق أن اهداهـا الامبراطور قسطنطين ص ٥٩ — مسلة تحتمس الثالث باسطمبول ص ٦٠ — القديس برثلوماوس الرسول ص ٧٨ — توما الرسول ص ٨١ — سـمعان القانوى ص ٨٢ وجسده يوجد بدير الانبا شنودة شرق أخميم — صورة عـن حياة الاقباط بالموزايك وجدت بروما ص ١٣٤ — القنوات المائية المعلقة بروما ص ١٣٥ — مجرى العيون بمصر القديمة أخذت الفكرة من روما صـممها المهندس القبطى أبى الشكور ونقلا عن القنوات الرخامية المعلقة بمدينـة الاسكندرية — وهو الذى بنى القلعة ص ١٣٦ دير طموه به شـجرة موسى المقدسة ص ١٥٨ — الدير البحرى — حتشبسوت كان يسمى بدير الانبـا انطونيوس ص ١٦٧ — كاتدرائية وادى الاطرش ص ١٧٤ — عمود ضـخم بجبل دخان شاهد على حضارة الاقباط ص ١٨١ — تراجان ص ١٨٣ — عمود ضخم بجواره ١٦ عمود من صنع الاقباط بجبل كلوديانوس ص ١٨٧ — كيفية قطع الاحجار بواسطة الاقباط والتى تزن الى مئات الاطنـان ص ١٨٧ — كاتدرائية جبل كلوديانوس ص ١٨٨ — واجهة المتحف البريطانى يأخذ شـكل معبد البارثيون الذى شيده الاقباط الاسرى بوادى قنا ص ١٨٩ — صورة معبد البارثيون قديما وحديثا حجارته من وادى قنـا ص ١٩١ — الانبا شـنودة أرشيمنتدريدس جبل أدريبة ص ١٩٥ — معبد أوريليوس انطونيوس بفاو ص ١٩٨ — خرائط للاديرة القديمة بمصر لمعهد الدراسات القبطية ١٩٥٧ ، ولبيب حبشى ورؤوف حبيب وتوثيق اسكاروس مصغرة للنصف لم يذكروا أديـرة وادى قنا ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ . أول خريطة تنشر فى العالم عن كاتدرائيات وكنائس وجبانات ومدن الاقباط بوادى قنا والصحراء الشرقية ص ٢٠٩ — أديرة القديس انطونيوس بالفيوم ص ٢٣٦ — بردية ضمن ٣٠٫٠٠٠ بردية عثر عليها على أنقاض خرائب أديرة الانبا انطونيوس بأرسينوى الفيوم ص ٢٤٠ — دير الانبا انطونيوس بوادى عربة ص ٢٦٨ — الذبابة الناقلة للدودة الحلزونية التى تنتشر فى ليبيا ص ٢٧٠ — الامبراطور قسطنطين ص ٢٩١ — وثيقة قبطية رقم ٤٥٤٤٩ بالمتحف المصرى ص ٣١١ — وثيقـة رقم ٤٥٤٥٠ بالمتحف المصرى ٣١٢ — صورة الانبا بولا والانبا أنطونيوس عند التقائهمـا بالجبل ص ٣١٧ .